

بمحققين وسريع
جهدك لا يحد

مكتبة الجاحظ
أبي عثمان غفر بن جراح الجاحظ

٢٥٥ - ١٥٠

الكتاب الأول

الجزء الأول

[قال هذا الكتاب الجائزة الأولى للنشر
والتحقيق العلمي في المسابقات الأدبية التي
نظمها المجمع اللغوي ١٩٤٩ - ١٩٥٠]

الجزء الرابع

الطبعة الثانية

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بصرة
عباس ومحمد محمود الحلبي وشركاهم خلفاء

كتاب الحيوان

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء الرابع

بتحقيق

عبد السلام محمد هارون

الطبعة الثانية

جميع الحقوق محفوظة للشارح

١٣٨٥ هـ = ١٩٦٦ م

تقديم :

كل تسكلة موضوعة بين مقفين في هذا
الجزء خاصة ، تروكة بلون تعليق
وتنبيه ، فهي من النسخة الشنيطية
المرموز لها بالرمز (س) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

نبدأ في هذا الجزء ، بعونِ الله وتأييده ، بالقول في جُملة الذرة والتملة ، ٢
كما شرطنا به آخر المصحف^(١) الثالث . ولا حول ولا قوة إلا بالله
العلّي العظيم^(٢) .

(خصائص التملة)

قد علمنا أن ليس عند الذرة غناء الفرس في الحرب ، والدفع عن
الحريم . ولكننا إذا أردنا موضع العجب والتعجب ، والتنبيه على
التدبير ، ذكرنا الحسب القليل ، والسَّخيف المهيّن ؛ فأريناك ما عنده من
الحسّ اللطيف والتقدير الغريب ؛ ومن النظر في العواقب ، ومشاكل
الإنسان ومزاحمته .

والإنسان هو الذي سُخِّرَ له هذا الفلك بما يشتمل عليه .
وقد علمنا أن الذرة تدخرُ للشتاء في الصيف ، وتقدّم في حال المَهلة ،
ولا تُضيع أوقات إمكان الحزم . ثم يبلغ [من]^(٣) تفقدها وحسن خبرها ،
والنظر في عواقب أمرها ، أنها تخافُ على الحبوب التي ادّخرتها للشتاء

(١) س ، ه : « الجزء » . وما أثبت من ط هو ما اختاره الجاحظ في تسمية
أجزاء هذا الكتاب . انظر تقديم الكتاب ص ٢٨ في صدر الجزء الأول .

(٢) هذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من س .

(٣) الزيادة من س ، ه وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٣ : ١٩٩) .

في الصيف ، أَنْ تَعْفَنَ وَتُسَوِّسَ^(١) ، وَيَقْبَلَهَا بطنُ الأرض ؛ فتخرجُها إلى ظهرها ؛ لَتَيْبَسَهَا وَتُعِيدَ إِلَيْهَا جَفَوفَهَا^(٢) ، وَلِيَضْرِبَهَا الدَّسِيمُ وَيَنْقِيَ عَنْهَا اللَّخْنَ وَالْفَسَادَ .

ثُمَّ رَجَمًا كَانَ - بل يكون^(٣) أَكْثَرَ مَكَانُهَا نَدِيًّا . و [إِنْ^(٤)] خَافَتْ أَنْ تَنْبِتَ نَقَرَتْ مَوْضِعَ الْقَطْمِيرِ^(٥) مِنْ وَسْطِ الْحَبَّةِ ، وَتَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ تَبْتَدِئُ وَتَنْبِتُ وَتَنْقَلِبُ ، فَهِيَ تَفْلُقُ الْحَبَّ كُلَّهُ أَنْصَافًا . فَأَمَّا إِذَا كَانَ الْحَبُّ مِنْ حَبِّ الْكَزْبُرَةِ^(٦) ، فَلَقَتْهُ أَرْبَاعًا ؛ لِأَنَّ أَنْصَافَ حَبِّ الْكَزْبُرَةِ يَنْبِتُ مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الْحُبُوبِ . فَهِيَ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ مَجَاوِزَةٌ لِفِطْنَةِ جَمِيعِ الْحَيَوَانِ ، حَتَّى رَجَمًا كَانَتْ فِي ذَلِكَ أَحْزَمَ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ . وَلَهَا مَعَ لَطَافَةِ شَخْصِهَا وَخِفَّةِ وَزْنِهَا ، فِي الشَّمِّ وَالْإِسْتِرَاحِ^(٧) مَا لَيْسَ لَشَيْءٍ .

وَرَجَمًا أَكَلَ الْإِنْسَانُ الْجَرَادَ أَوْ بَعْضَ مَا يَشْبَهُ الْجَرَادَ ، فَتَسْقُطُ^(٨) مِنْ يَدِهِ الْوَاحِدَةُ أَوْ صَدْرُ الْوَاحِدَةِ ، وَلَيْسَ يَرَى بِقُرْبِهِ ذَرَّةً وَلَا لَهُ بِالذَّرِّ عَهْدٌ

٣

(١) يقال : ساس الطعام يساس موسى ، بالفتح ؛ وسوس كسع ، وسيس كقيل ، وسوس بفتح السين وتشديد الواو المفتوحة .

(٢) كَذَا عَلَى الصَّوَابِ فِي س . وَفِي ط ، هـ : « لِيَبْسَهَا وَيُعِيدَ إِلَيْهَا جَفَوفَهَا » .

(٣) س : « لَيَكُونُ » .

(٤) الزِّيَادَةُ مِنْ نِهَآيَةِ الْأَرْبِ (١٧٥ : ١٠) .

(٥) الْقَطْمِيرُ : شَقُّ النَّوَاةِ ، وَهُوَ يُرِيدُ هُنَا شَقَّ كُلِّ حَبَّةٍ . ط ، هـ : « أَنْ يَنْبِتَ بِقُرْبِ » وَأَثْبَتَ مَا فِي س .

(٦) الْكَزْبُرَةُ وَالْكُسْبُرَةُ ، بِضَمِّ الْكَافِ وَالْبَاءِ فِي كُلِّ مَنِهَا - وَقَدْ تَفْتَحُ الْبَاءُ - : ضَرْبٌ مِنَ الْأَبَازِيرِ مَعْرُوفٌ .

(٧) الْإِسْتِرَاحُ : التَّشْمُّ .

(٨) س : « فَيَسْقُطُ » .

فى ذلك المنزل ، فلا يلبث أن تقبل ذرة قاصدة إلى تلك الجرادة ،
فترومها وتحاول قلبها ونقلها ، وسحبها وجرها ، فإذا أعجزتها بعد أن بلغت
عذراً ، مضت إلى جحرها راجعة ، فلا يلبث ذلك الإنسان أن يراها قد
أقبلت ، وخلفها صويجاتها كالخيط الأسود الممدود ، حتى يتعاون عليها ،
فيحملها .

فأول ذلك صدق الشم لما لا يشمه الإنسان الجائع . ثم بعد الهمة ،
والجرأة على محاولة نقل شيء في وزن جسمها مائة مرة ، وأكثر من
مائة مرة .

وليس شيء من الحيوان يقوى على حمل ما يكون ضعف وزنه (١)
مراراً غيرهما . وعلى أنها لا ترضى بأضعاف الأضعاف ، إلا بعد انقطاع
الأنفاس .

(كلام النمل)

فإن قلت : وما علم الرجل أن التي حاولت نقل الجرادة فعجزت ،
هى التى أخبرت صويجاتها من الذر ، وأنها كانت على مقدمتين ؟ قلنا :
ليطول التجربة ، ولأننا لم نر ذرة قط حاولت نقل جرادة فعجزت
عنها ، ثم رأيناها راجعة ، إلا رأينا معها مثل ذلك ، وإن كنا لا نفصل
فى العين بينها وبين أخواتها ، فإنه ليس يقع فى القلب غير الذى قلنا .
وعلى أننا لم نر ذرة قط حملت شيئاً أو مضت إلى جحرها فارغة ، فتلقاها

ذَرَّةٌ ، إِلَّا واقَفَتْهَا ساعة وخَبَرَتْهَا بشئٍ . فدلَّ ذلك على أنَّها في رجوعِها عن الجُرادة ، إنَّما كانت لأشباهاها كالرائد لا يكذبُ أهله^(١) .

ومن العجب أنَّكَ تُنكِرُ أنَّها توحى إلى أختِها بشئٍ ، والقرآن قد نطقَ بما هو أكثرُ من ذلك أضعافاً . وقال رُوْبَةُ بن العجاج^(٢) :

لو كُنْتُ عَلَّمْتُ كَلَامَ الْحَكْلِ^(٣) عِلْمَ سُلَيْمَانَ كَلَامَ النَّمْلِ
وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ حَتَّى إِذَا^(٤) أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ
يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ^(٥) سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ

(١) الرائد : من يرود الكلاء والمنزل : أى ينظره ويطلبه ويختار أفضله . والعبارة إشارة إلى المثل المعروف : « الرائد لا يكذب أهله » ، يضرب للذى لا يكذب إذا حدث . وإنما قيل ذلك للرائد لأنه إن لم يصدقهم فقد غرر بهم .

(٢) كذا جاءت النسبة في الصحاح وثمار القلوب ٣٤٩ ، ١٥٠ وأمثال الميداني (١ : ٤٥٤ ، ٢ : ٨٥) وبلوغ الأرب (٣ : ٢٢٠) وستأق أيضاً في ص ٢٣ . لكن قال ابن برى : « الرجز للعجاج » . انظر اللسان (حكل) . ومثل هذه النسبة عند الدميى (حسل) .

(٣) ابن برى : « صوابه : أو كنت » . وقبله :

تسألنى من السَّيِّئِينَ كَمْ لِي فَقُلْتُ : لو عُمِّرْتُ عُمَرَ الْحِجْلِ

وقد أتاه زمن الفِطْحَلِ والصَّخْرُ مبتلُّ كطين الوحل

أو كنت قد أوتيت علم الحِجْلِ كنت رهينَ هَرَمٍ أو قتل

والحِجْل من الحيوان ، بالضم : ما لا يسمع له صوت ، كالذر والنمل . والحسل ، بالكسر : ولد الضب ، زعم الأصمى أنه يبلغ مائة سنة ثم يسقط سنه ، فمذ ذلك يسمى ضباً . انظر ثمار القلوب ٣٣٢ .

(٤) فى الأصل : « فلما أتوا » . وهو تحريف من الناسخين ، وستأق صحيحة فى ص ١٥ ، ٢٠ وقد اتفق السبعة على القراءة المثبتة .

(٥) تحتمل أن تكون جواباً للأمر ، وأن يكون نهياً بدلاً من الأمر . والمعنى لا تكونوا حيث أنتم فيحطمنكم ، على طريقة : لا أرينك هنا .

وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴿١﴾ . فقد أخبر القرآن أنها قد عرفت سليمان وَأَثْبَتَتْ عَيْنَهُ ^(١) ، وَأَنَّ عِلْمَ مَنْطِقِهَا عِنْدَهُ ، وَأَنَّهُ أَمَرَتْ صُورِيَّاتِهَا ^(٢) بِمَا هُوَ أَحْزَمُ وَأَسْلَمُ . ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّهَا تَعْرِفُ الْجُنُودَ مِنْ غَيْرِ الْجُنُودِ ، وَقَدْ قَالَتْ : ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿٣﴾ . وَنَحَاكَ أَيُّهَا الْمُسْكِرُ تَبَسُّمَهُ بِجَاهِنَ ^(٣) ، أَنَّكَ لَمْ تَعْرِفْ قَبْلَ ذَلِكَ [الوقتِ وَبَعْدَهُ ، شَيْئًا مِنْ هَذَا الشَّكْلِ مِنَ الْكَلَامِ ، وَلَا تَدْبِيرًا فِي هَذَا الْمَقْدَارِ . وَأَمَّا مَا فَوْقَ ذَلِكَ فَلَيْسَ لَكَ أَنْ تَدَّعِيَهُ . وَلَكِنْ ، مَا تَنْكِرُ مِنْ أَمْثَالِهِ وَأَشْبَاهِهِ وَمَا دُونَ ذَلِكَ ، وَالْقُرْآنُ يَدُلُّ عَلَى] أَنَّ لَهَا بَيَانًا ، وَقَوْلًا ، وَمَنْطِقًا يَفْصِلُ بَيْنَ الْمَعَانِي الَّتِي هِيَ بِسَبِيلِهَا ؟ ! فَعَلَهَا مَكْلَفَةً ، وَمَأْمُورَةً مِنْهِيَّةً ، وَمُطِيعَةً عَاصِيَةً . فَأَوَّلُ ذَلِكَ أَنَّ الْمَسْأَلَةَ مِنْ ^(٤) مَسَائِلِ الْجَهَالَاتِ ، وَإِنَّ مَنْ دَخَلَتْ عَلَيْهِ الشُّبْهَةُ مِنْ هَذَا الْمَسْكَانِ لَنَاقِصٌ ٤ الرُّوْيَةُ ^(٥) رَدَى الْفِكْرَةَ ^(٦) . وَقَدْ عَلِمْنَا ، وَهُمْ نَاسٌ وَلَهُمْ [بِذَلِكَ] فَضِيلَةٌ فِي الْغَرِيزَةِ وَفِي الْجَنْسِ وَالطَّبِيعَةِ . وَهُمْ نَاسٌ إِلَى أَنْ يَنْتَهَوْا إِلَى وَقْتِ الْبُلُوغِ وَنَزُولِ الْفَرَضِ ^(٧) حَتَّى لَوْ وَرَدَتْ ذَرَّةٌ لَشَرِبَتْ مِنْ أَعْلَاهُ .

(١) أَيْ ذَاتَهُ . ط ، هـ : « فَأَثْبَتَ » .

(٢) س : « صَوَابَاتِهَا » عَلَى طَرِيقَةِ جَمْعِ الْجَمْعِ .

(٣) كَذَا فِي س . أَيْ تَبَسَّمَ سُلَيْمَانُ بِمَا رَأَى مِنْ حَالِ الْفُلِّ . ط ، هـ : « تَشَبُّهُ بِجَاهِنَ » .

(٤) هـ ، ط : « عَنْ » . وَأَثْبَتَ مَا فِي س .

(٥) الرُّوْيَةُ : النَّظَرُ وَالتَّفَكُّيرُ . ط ، هـ : « النَّاقِصُ الرُّوْيَةُ » صَوَابُهُ فِي س .

(٦) فِي الْأَصْلِ : « وَدَنَى الْفِكْرَةَ » ، وَلَعَلَّ صَوَابُهُ مَا أُثْبِتَ .

(٧) ط ، هـ : « الْفَرَضُ » بِحَرْفٍ . وَفِي الْعِبَارَةِ وَسَابِقَتِهَا وَلاحِقَتِهَا اضْطِرَابُ .

(شعر فيه ذكر النمل)

وقال أبو دهب^(١) :

أَبَ هَذَا اللَّيْلُ فَاكْتَنَعَا وَأَمَرَ النَّوْمُ فَاكْتَنَعَا^(٢)
فِي قِبَابٍ وَسُطَ دَسْكَرَةٌ حَوْلَهَا الزَّيْتُونُ قَدْ يَنَعَا^(٣)
[وَلَهَا بِالْمَاطُرُونَ إِذَا أَكَلَ النَّمْلَ الَّذِي جَمَعَا^(٤)]
خَرْفَةٌ ، حَتَّى إِذَا ارْتَبَعَتْ سَكَنْتُ مِنْ جِلْقٍ يَبَعَا^(٥)

(١) اسمه وهب بن زمة الجمحي ، وفي الأغاني (٦ : ١٥٠) أنه قال الشعر في آخر خلافة علي . ومدح معاوية وعبد الله بن الزبير . وقد كان ابن الزبير ولاء بعض أعمال اليمن . وأنه كان سيداً شريفاً ، يحمل الحملات ، ويعطي الفقراء ، ويقري الضيف . . . وقد انفرد الجاحظ بنسبة الأبيات الآتية إلى أبي دهب . والصحيح أنها ليزيد بن معاوية ، يتغزل بها في نصرانية كانت قد ترهت في دير خراب ، عند الماطرون . انظر الكامل ٢١٧ ليبسك وخزانة البغدادي (٣ : ٢٧٩ بولاق) ومعجم ياقوت (الماطرون) واللسان (كنع) . وفي الكامل أيضاً أن بعضهم ينسبه إلى الأحوص .

(٢) ط : « أرب هذا » ، وصوابه في س ، هـ والمعجم واللسان . ورواية الأخفش في حواشي الكامل : « طال هذا المم » ورواية ياقوت : « أب هذا المم » . واكتنع : حضر ودنا . وأمر : صار مرا . وضبطه البغدادي بالبناء للمفعول ، ولست أذهب مذهبه .

(٣) الدسكرة ، بفتح الدال : بناء يشبه قصرأ حوله بيوت ، وجمعها دساكر ، تكون للملوك . والوجه في ترتيب هذا البيت أن يكون بعد الرابع ، كما ورد في الخزانة والمعجم .

(٤) الماطرون ، بكسر الطاء ، ويروى بفتحها ؛ وفتح النون ، ويروى بكسرهما . ويروى أيضاً : « بالماطرين » وهي رواية المبرد . الذي جمعاً : أي الذي جمعه . والنمل يأكل في وقت الشتاء ما جمعه في زمن الصيف .

(٥) الخرفة ، بالضم : ما يجنى . ورواية العباب والمقاييس والمخصص (١١ : ٩) : « خلفة » بكسر الخاء وباللام بعدها . والخلفة : النمر يظهر بعد الشر الكثير . وهذا اللفظ لا يزال مستعملاً عند زراة مصر . وارتفعت : دخات في الربيع . وجلق بكسر الجيم واللام المشددة المكسورة ، قال ياقوت : اسم لسورة الغوطة كلها ، وقيل بل هي دمشق نفسها ، وقيل موضع بقريّة من قرى دمشق .

عِنْدَ غَيْرِي فَاتَمَسَ رَجُلًا يَأْكُلُ التَّنُّومَ وَالسَّلْعَا (١)

ذَاكَ شَيْءٌ لَسْتُ آكُلُهُ وَأُرَاهُ مَا كَلَّا فُطْعَا (٢)

وقال أبو النجيم في مثل ذلك (٣) :

وَكَانَ نُشَابَ الرِّيَّاحِ سُنْبُلَةً (٤) وَاخْضَرَ نَبْتًا سِدْرُهُ وَحَرْمَلُهُ (٥)

وَابْيَضَ إِلَّا قَاعَهُ وَجَدَوْلُهُ (٦) وَأَصْبَحَ الرَّوْضُ لَوِيًّا حَوْصَلُهُ (٧)

وَاصْفَرَ مِنْ تَلْعٍ فُلَيْجٍ بِقَلِّهِ (٨) وَانْحَتَ مِنْ حَرَشَاءٍ فَلَجٍ خَرْدَلُهُ (٩)

(١) التَّنُّوم ، بفتح التاء وتشديد النون المضمومة : شجر له حمل صغار كتل حب الخروع ، ويتفلق عن حب يأكله أهل البادية ، وكذا النعام ، وكيفما زالت الشمس تبهما بأعراض الورق . قلت : كأنه ما يسمى اليوم بعباد الشمس . والسلع ، بالتحريك : شجر يرتق حبالا خضرا لا ورق لها ، وقصبانه تلتف على الغصون وتشبهك ، وله ثمر مثل عناقيد العنب صغار ، فإذا أبيض اسود ، فتأكله القروود .
(٢) الفطع ، ككتف : الفطيع .

(٣) انظر بعض أشطار هذا الرجز في جهرة ابن دريد (٢ : ١٣٣) والاشتقاق ١٨٢ والمزهر (٢ : ٣٥٨) .

(٤) جعل سنابل الزرع كأنها رماح للرياح تشرعها في كل جهة . س : « نشات » وهو محرف .

(٥) السدر ، بالكسر : شجر النبق . والخرمل ، كجعفر : نبت يرتفع ثلث ذراع وله ورق كورق الصفصاف .

(٦) ابيض الروض : صوح نباته . وإنما سلم نبت القعاع والجندول من ذلك لمسا بقى من الماء فيهما . وقد اضطره الشعر فرفع ما بعد إلا . وحقه التصب .

(٧) حوصل الروض : قراره ، وهو أبطأ هيجا . واللوى : ما بين الرطب واليابس .

(٨) التلع ، بالفتح : جمع تلعة ، وهى مجرى الماء من أعلى الوادى . والفليج ، بالجيم : غنى به المتسع . ط : « فليج » وقد حرك قاف « بقله » لوزن الشعر .

(٩) ط ، هـ : « فليج » ، صوابه في س واللسان (حرش ، قطر) . والفليج :

النهر الصغير . والخرشاء بفتح الخاء وبالشين : خردل البر . وهى فى الأصل ، « خرساء » ، صوابها من اللسان فى موضعيه .

وانشَقَّ عن فصَح سواء عَنطَلَه (١) وانتفض البرَوَقُ سُوداً فَلَقَلَه (٢)
واختَلَفَ التَّمَلُّ قِطَاراً يَنْقَلَه (٣) طَارَ عَنِ الْمُهَرِّ نَسِيلٌ يُنْسِلُهُ (٤)

(استطراد لغوى)

قال أبو زيد : الحمكة القملة ، وجمعه حمك . وقد ينقاس ذلك في الدرة .

قال أبو عبيدة : قرية النمل من التراب (٥) ، وهى أيضاً جرثومة النمل .
وقال غيره : قرية النمل ذلك التراب والجحر (٦) بما فيه من الذر والحب والمازن . والمازن هو البيض ، وبه سموا مازن .

(١) كذا في الأصل . ولعل صواب : « عنطة » : « عنصله » ، والمنصل ، كقنفذ : البصل البرى .

(٢) البروق ، يفتح الباء والواو بينهما راء ساكنة : شجر ضعيف له ثمر حَب أسود صغار . وهو الذى يقال فيه المثل : « أشكر من بروقة » ؛ لأنها تعيش بأدنى ندى يقع من السماء . ط ، هـ : « البرذون » صوابه فى س . وانظر لهذا الشطر الاشتقاق والمزهر .

(٣) اختلف : أقبل وأدبر . والقطار : أصله للإبل أن يتلو بعضها بعضاً على نسق . وهذه الكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ط : « فطار » وفى س ، هـ : « فطاراً » ، وصواب روايته من اللسان . ولفظ « ينقله » هى فى ط ، هـ : « ينقله » بتقديم النون . صوابه فى س . وفى اللسان : « تنقله » .

(٤) النسيل ، يفتح النون : ما يسقط من الصوف والشعر والريش . وأنسل الحيوان الصوف والشعر والريش : أسقطه . وكلمه « طار » أراها جواباً لشرط فى أبيات قبل هذه . وفى الأصل : « يسيل سنبله » ولعل الوجه فيه ما أثبت .

(٥) ط ، هـ : « الزاب » ولا وجه له . وصوابه فى س . وفى اللسان : « وقرية النمل : ما تجتمع من التراب » . وفى المخصص (٨ : ١٢٠) : « أبو عبيد : قرية النمل وجرثومته : ما يجمع من التراب » .

(٦) فى الأصل : « الحجر » ووجهه ما أثبت .

قال أبو عمرو^(١) : الزُّبَال ما حملت النملةُ فيها ، وهو قولُ ابنِ مُقبل :

كريم النَّجارِ حمى ظهره فلم يُرتزأ برُكوب زبالا^(٢)

(شعر في التعذيب بالنمل)

وأنشد ابن نُجَيْم^(٣) .

هَلَكُوا بِالرُّعَافِ وَالنَّمْلِ طَوْرًا ثُمَّ بِالنَّحْسِ وَالضَّبَابِ الذُّكُورِ^(٤)
وقال الأصمعيُّ في تسليط الله الذرَّ على بعضِ الأمم :

لحقوا بالزَّهَوَيْنِ فأمسوا لا ترى عُقْرَ دارهم بالمبين^(٥)
سلَّط الله فازرا وعُقيفا نَ فجازاهم بدارِ شَطُون^(٦)

(١) هو أبو عمرو بن العلاء . س : « أبو عمر » .
(٢) البيت في صفة فعل من فحول الإبل . والنجار ، بالكسر : الأصل . حمى ظهره : أى منع ظهره من الركوب . ويرتزأ ، بالبناء المفعول : ينقص . وفي ط ، ه : « يرنو » و س : « يوتوا » تحريف ما أثبت من اللسان (زبل) والخصص (٨ : ١٢٠) . و « كريم » هى في الأصل « كرم » وصوابها في المرجعين السابقين .

(٣) في ط ، ه : « لحيم » . وفي س : « لحيم » . وصوابه ما أثبت . واسمه يحيى بن نجم . وأسلفت ترجمته في (٢ : ٣٥١) .
(٤) الرعاف ، بالراء المضمومة : سيلان الدم : وقد تحدث الجاحظ عن الإهلاك بالرعاف في (٦ : ١٥٠) . س : « بالعرف » تصحيف . والضباب : جمع ضب ، ذلك الحيوان .

(٥) لعل « الزهوين » اسم مكان . س : « بالزهوتين » . ه : « بالزهوين » وعقر الدار : أصلها . وقيل : وسطها . ط : « عقد » صوابه في س ، ه .
(٦) يقال عققان ، كتمان ، وعقيفان بهيئة التصغير ، وسيأتى شرحه . وفي الأصل : « عقيفان » بقاءين ، وهو تصحيف صوابه في اللسان . والرواية فيه :

سلَّطَ الذَّرَّ ، فازرُّ أو عُقيفا نَ فَاجَلاهم لدارِ شَطُون

ط : « فجازاهم به إشطون » صوابه في س ، ه .

٥ يَتَّبِعُ الْقَارَّ وَالْمَسَافِرَ مِنْهُمْ تَحْتَ ظِلِّ الْهَدَى بِذَاتِ الْغُصُونِ^(١)
 فازر ، وعَقِيفَان^(٢) : صِنْفَانِ مِنَ الذَّرِّ ، وكذلك ذكروه عن دغفل
 [بن حنظلة] الناسب^(٣) . ويقال : إِنَّ أَهْلَ تِهَامَةَ هَلَكُوا بِالرُّعَافِ مَرَّتَيْنِ .
 قال : [وكان آخِرُ مَنْ مَاتَ بِالرُّعَافِ مِنْ سَادَةِ قَرِيْشٍ ، ^(٤)] هِشَامُ
 ابْنِ الْمَغِيرَةِ .

قال أمية بن أبي الصلت في ذلك :

نُزِعَ الذُّكْرُ فِي الْحَيَاةِ وَغَنَا وَأَرَاهُ الْعَذَابَ وَالتَّدْمِيرَا^(٥)
 أَرْسَلَ الذَّرَّ وَالْجَرَادَ عَلَيْهِمْ وَسَنِينًا فَأَهْلَكَتْهُمْ وَمُورًا^(٦)
 ذَكَرُ الذَّرَّ إِنَّهُ يَفْعَلُ الشَّرَّ وَإِنْ الْجَرَادَ كَانَ نُبُورًا^(٧)

(١) القار ، تقرأ باختلاس الألف ليستقيم الوزن . وهو مقابل المسافر . وفي الأصل :
 « القار » بالفاء . و « الهدى » هي في ط ، هـ : « الندى » .

(٢) عقيفان يقاف قليها ياء ثم فاء ، وبهيئة التصغير .

(٣) النص في لسان العرب : « قال دغفل النسابة : ينسب النمل إلى عقفان والفازر .
 فعقفان جد السود ، والفازر جد الشقو » .

(٤) هذه الزيادة الضرورية أثبتنا اعتماداً على ما ورد في الحيوان (٦ : ١٥٠) حيث
 يتحدث الجاحظ عن الرعاف .

(٥) أى سلبه الله حسن الذكر في حياته . و « غنا » هي كذلك في ط ، هـ .
 وفي س : « غنى » وأراها محرفتين . ورواية الديوان ٣٤ : « سلب الذكر
 في الحياة جزاء » . والضمير عائد إلى فرعون ، إذ يقول أمية قبل هذا البيت :

ويفرعون إذ تشاق له المسا . فهلا لله كان شكورا

قال إني أنا المحير على النا س ولا رب لي على مجيرا

فحاه لإله من درجات ناميات ، ولم يكن مقهورا

وأما البيت الآتي ، فهو من أمية حديث عن العذاب الذي ألحقه الله ببعض الأمم ،
 انظر الديوان .

(٦) السنين : جمع السنة ، وهي القحط والأزمة . والمور ، بالضم : الغبار بالريح . س :
 « دموراً » ولها وجه ؛ فالدمور بالضم . أصله أن يهجم الرجل على القوم ، أو
 يدخل عليهم بغير إذن ، وأثبت ما في ط ، هـ والديوان ، والحيوان ، (٦ : ١٥٠) .

(٧) الثبور : الهلاك .

(غلّة سليمان)

وقرأ أبو إسحاق^(١) قوله عز وجل : ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ . حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ ﴾ فقال : كان ذلك الوادى معروفاً بـ وادى النمل ؛ فكأنه كان حى . وكيف نُشِكِرُ^(٢) أن يكون حى ؟ ! [و]^(٣) النملُ ربّما أجلت أمةً من الأمم عن بلادهم .

ولقد سألتُ أهل كسكر^(٤) فقلت : شَعِيرُكُمْ عَجَبٌ ، وَأَرْزُكُمْ عَجَبٌ ، وَسَمَكُكُمْ^(٥) عَجَبٌ ، وَجِدَاؤُكُمْ عَجَبٌ ، وَبَطْنُكُمْ عَجَبٌ ، وَدَجَاجُكُمْ عَجَبٌ ، فلو كانتْ لَكُمْ أعناب ! فقالوا : كلُّ أرض كثيرة النمل لا تصلح فيها الأعناب . ثم قرأ : ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ﴾ ، فجعل تلك الجحرة^(٦) مَسَاكِنَ . والعربُ تسميها كذلك . ثم قال : ﴿ لَا يَحِطُّ بِكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ ﴾ فجمعت من اسمه وعينه ،

(١) هو إبراهيم بن سيار النظام .

(٢) ط ، هـ : « فكيف ينكر » .

(٣) الزيادة من تمار القلوب ٣٤٥ .

(٤) كسكر ، بوزن جعفر : كورة من كور فارس . عن معجم ياقوت .

(٥) هذا هو الموافق لما سبق فى ج ٣ ص ٢٩٥ س ٢ . وفى ط ، هـ :

« سمنكم » وفى س : « صحتكم » وربما كانت هذه الأخيرة محرفة عن : « صحناكم »

وقد سبق تفسيرها فى حواشى (٣ : ٢٩٥) .

(٦) الجحرة ، بجم مكسورة تليها حاء مفتوحة : جمع جحر . وفى الأصل :

« الجحرة » محرف .

وَعَرَفَتِ الْجُنْدَ مِنْ قَائِدِ الْجَنْدِ ، ثُمَّ قَالَتْ : ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ فَكَانُوا
مَعْذُورِينَ وَكُنْتُمْ مَلُومِينَ ، وَكَانَ أَشَدَّ عَلَيْكُمْ . فَلذَلِكَ قَالَ : ﴿ فَتَبَسَّمْ
صَاحِبَكَا مِنْ قَوْلِهَا ﴾ لِمَا رَأَى مِنْ [بُعْدِ (١)] غُورِهَا وَتَسْدِيدِهَا ،
وَمَعْرِفَتِهَا . فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ : ﴿ رَبُّ أَوْزَعَنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ
عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ
الصَّالِحِينَ ﴾ .

(أمثال في النمل)

قال : ويقال : « ألطف (٢) من ذرة (٣) » و : « أضبط من نملة (٤) » .
قال : والنملة أيضاً : قرحة تعرض للسناق ، وهي معروفة في جزيرة
العرب (٤) .

قال : ويقال : « أنشب من ذرة (٥) » .

(قول في بيت من الشعر)

فَأَمَّا قَوْلُهُ (٦) :

لَوْ يَدِبُّ الْحَوِيُّ مِنْ وَلَدِ الذِّ رَّ عَلَيْهَا لِأَنْدَبَتْهَا الْكَلُومُ (٧)

-
- (١) الزيادة من س ، هـ .
(٢) ألطف ، من اللطافة ، وهي الدقة . س : « ألحف » من الإلحاف ، وهو
الإلحاح ؛ لأنها تلح في طلب قوتها .
(٣) أضبط ، من الضبط ، وهو شدة اللزوم . ويقال أيضاً « أضبط من ذرة » ، ومن
الأعمى ، ومن صبى « انظر أمثال الميداني (١ : ٣٩١) » .
(٤) فسرهما صاحب القاموس بقوله : « قروح في الجنب . . . وبثرة تخرج في
الجسد بالتهاب واحترق ، ويرم مكانها يسيراً ، ويدب إلى موضع آخر كالثملة » .
(٥) في الأصل : « أنشب » .
(٦) هو حسان ، كما في الموشح ٦٣ ، من قصيدة في ديوانه ٣٧٦ - ٣٨٠
(٧) أندبتها : أثرت فيها . والكَلُوم : جمع كلم ، بالفتح وهو الجرح . قالوا : وأفضل
من قول حسان هذا ، قول امرئ القيس (انظر الموازنة ١٣٦) :
- من القاصرات الطرف لودب محول من الذر فوق الإتب منها لأثرا

فَإِنَّ الْحَوْلَى مِنْهَا لَا يُعْرَفُ مِنْ مَسَانَّتِهَا^(١) ، وَإِنَّمَا هُوَ كَمَا
قال الشاعر :

تَلْقَطُ حَوْلَى الْحَصَى فِي مَنَازِلٍ مِنَ الْحَيِّ أُمْسَتْ بِالْحَبِيبِينَ بَلَقَهَا^(٢)
قال : وحولَى الحصَى : صبغارها . فشَبَّهَ بالحولَى من ذوات الأربع .

(أَحَادِيثُ وَأَثَارٌ فِي النَّمْلِ)

ابن جُرَيْجٍ ، عن ابن شهاب ، عن عُيَيْدِ اللَّهِ بن عبد الله بن عتبة ، عن
ابن عباس ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مِنَ الدَّوَابِّ أَرْبَعٌ ٦
لَا يُقْتَلْنَ : النَّمْلَةُ ، وَالنَّحْلَةُ ، وَالصُّرَدُ ، وَالْمُدْهُدُ » .

وَحَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَسْعُودِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَسَنُ
ابْنُ سَعْدٍ ، مَوْلَى عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ^(٣) قَالَ : « نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْزِلًا فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ ، فَجَاءَ وَقَدْ أَوْقَدَ رَجُلٌ عَلَى قَرِيْقَةٍ
نَمْلًا ، لَمَّا فِي شَجَرَةٍ وَلَمَّا فِي أَرْضٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
مَنْ فَعَلَ هَذَا ؟ ! أَطْفِئْهَا أَطْفِئْهَا ! » .

ويحيى بن أيوب ، عن أَبِي زُرْعَةَ بنِ جَرِيرٍ^(٤) ، قَالَ : أَنْبَأَنَا أَبُو زُرْعَةَ

(١) المسان : الكبار السن . ط ، هـ : « مسكنها » ، وصوابه في س .

(٢) ط : « بالحببيين » . وفي الموازنة ١٣٧ : « بالحيين » .

(٣) س : « مولى عبد الرحمن بن عبد الله » .

(٤) هو أبو زُرْعَةَ بن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلي الكوفي ، اختلف في اسمه ،
فقليل هرم ، وقليل عمرو ، وقليل عبد الله ، وقليل عبد الرحمن ، وقليل جرير . من الرواة
النفقات . تقريب التهذيب .

عن أبي هريرة قال : « نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة ، فعصته نملة ، فقام إلى نمل كثير تحت شجرة فقتلهن ، فقبل له : أفلا نملة واحدة ؟ ! » .

وعبد الله بن زياد المدني ، قال : أخبرني ابن شهاب ، عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة ، فعصته نملة ، فأمر بجهازه (١) فأخرج من تحتها ثم أمر بقرية النمل فأحرقت ، فأوحى الله إليه : أفي أن قرصتك نملة أهلكك أمة من الأمم يسبحون الله تعالى ؟ ! فهلا نملة واحدة ! » .

يحيى بن كثير ، قال : حدثنا عمر بن المغيرة بن الحارث الزماني (٢) ، عن هشام الدستوائي (٣) قال : إن النمل والذر إذا كانا في الصيف كله ينقلن الحب ، فإذا كان الشتاء وخفن أن ينبت فلقته .

هشام بن حسان ، أن أهل الأحنف بن قيس لقوا من النمل أذى ، فأمر الأحنف بكرسي [فوضع عند جحرهن ، فجلس عليه ثم تشهد] فقال : لَتَنْتَهَنَّ أَوْ لَتُحَرَّقَنَّ عَلَيْكُنَّ ، أَوْ لَتَنْفَعَلَنَّ أَوْ لَتَنْفَعَلَنَّ (٤) ! قال : فذهبن .

(١) الجهاز ، بالفتح : المتاع . والكسر لغة رديئة . وانظر إسناد هذا الحديث والقول فيه عند الدميري .

(٢) ط ، هـ : « الزناني » . وأثبت ما في س ، وكتب في جانب منها : « خ : الزناني » .

(٣) كذا على الصواب في س . وفي ط ، هـ . « ابن الدستواي » . وانظر ما أسلفت من تحقيق

في هذا الراوي (٣ : ٥٣٧ — ٥٣٨) وكذا تذييل الجزء الثالث .

(٤) ط ، هـ : « أَوْ لَتَنْفَعَلَنَّ » بالتاء ، وليس بشيء . والتكرار لتأكيد الوعيد

• وعوف بن أبي جميلة^(١) عن قسامة بن زهير^(٢) قال : قال أبو موسى الأشعري : « إن لكل شيء سادة ، حتى إن للنمل سادة . »

عبد الله بن زياد المدني ، قال : أنبأنا ابن شهاب ، عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : خرج نبي من الأنبياء بالناس يستسقون ، فإذا هم بنملة رافعة رأسها إلى السماء ، فقال ذلك النبي : ارجعوا فقد استجيب لكم من أجل هذا النمل ! » .

مسعر بن كدام^(٣) ، قال . حدثنا زيد القمي^(٤) عن أبي الصديق الناجي^(٥) قال « خرج سليمان بن داود — عليهما الصلاة والسلام — يستسقي فرأى نملة مستلقية على ظهرها ، رافعة قوائمها إلى السماء وهي تقول :

(١) عوف بن أبي جميلة ، بفتح الجيم ، الأعرابي العبدى البصرى ، ثقة روى بالقدر وبالتشيع . مات سنة ست ، أو سبع وأربعين بعد المائة ، وله ست وثمانون . تقريب التهذيب .

(٢) قسامة ، بفتح القاف ، ابن زهير المازنى البصرى ، راو من التابعين البصريين ، وكان من افتتح الأبله مع عتبة بن غزوان . الإصابة ٧٢٨٠ .

(٣) مسعر ، بكسر أوله وسكون ثانيه وفتح المهملة ، ابن كدام ، ككتاب ، ابن ظهير الهلالى ، أبو سلمة الكوفى . ثقة ثبت فاضل مات سنة اثنتين ، أو ثلاث أو خمس وخسين بعد المائة . تقريب التهذيب ، والمعارف ٢١١ . قال ابن قتيبة : « وكان يقول : من أبغضنى فجعله الله محدثا ! » . لعله يريد ما يعانون من مشقة التثيت . وفى الأصل : « مسعود » ، وهو تحريف .

(٤) كذا ورد فى الأصل بالقاف ، ولعله « العمى » البصرى قاضى هراة ، الذى ترجم له ابن حجر فى التقريب ١٧٣ . قالوا : إنما قيل له العمى لأنه إذا سئل عن شيء قال : لا حتى أسأل عمى .

(٥) أبو الصديق بتشديد الدال المكسورة : هو بكر بن عمرو — وقيل ابن قيس — الناجى بالنون والجيم المكسورة ، وهو لقب له ، بصرى ثقة مات سنة ثلاث ومائة . وفى الأصل : « الباجى » وصوابه فى القاموس والتقريب .

اللهم إنا خلقنا من خلقك ، ليس بنا غنى عن سقائك ؛ فإِذَا أَنْ تَسْقِينَا
وترزقنا ، وإِذَا أَنْ تُمَيِّنَنَا وَتُهْلِكَنَا ! فقال : ارجعوا فَقَدْ سَقِيتُمْ
بدعوة غيركم ! » .

(تَأْوِيل آيَة)

وحدثني أبو الجهمجاه قال : سأل أبو عمرو المكفوف^(١) عن قوله تعالى :
﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا ۚ
مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۚ فَتَبَسَّمَ
ضَاحِكًا مِّنْ قَوْلِهَا ﴾ . فقلت له : إِنَّ نَذِيرًا يَعَجِبُ^(٢) مِنْهُ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ
ثُمَّ يَعْظُمُ خَطَرُهُ حَتَّىٰ يُضْحِكُهُ لَعَجِيبٌ ! قال : فقال : ليس التأويل ما ذهبت
إليه . قال : فَإِنَّهُ قَدْ يَضْحَكُ النَّبِيُّ ، عَلَيْهِ السَّلَام ، مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ كَلَامِ
الْعَبِيِّ ، وَمِنْ نَادِرَةٍ غَرِيبَةٍ . وَكُلُّ شَيْءٍ يَظْهَرُ مِنْ غَيْرِ مَعْنِيهِ ، كَالنَّادِرَةِ
تُسَمَّى مِنَ الْمَجْنُونِ ، فَهُوَ يُضْحِكُ . فَتَبَسَّمَ سُلَيْمَانُ عِنْدِي عَلَى أَنَّهُ اسْتَظَرَفَ
ذَلِكَ الْمَقْدَارَ مِنَ النَّمْلَةِ ، فَهَذَا هُوَ التَّأْوِيلُ .

(سَادَة النَّمْل)

وقال أبو الجهمجاه : سألته عن قول أبي موسى^(٣) : إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ
سَادَةً حَتَّى الدَّارُ . قال : يقولون : إِنَّ سَادَتَهَا الْأَوَاتِي يَخْرُجْنَ مِنَ الْجَحْرِ ،
يَرْتَدْنَ بِجَاعَتِهَا ، وَيَسْتَبْقِينَ إِلَى شَمِّ الَّذِي هُوَ مِنْ طَعَامِهَا .

(١) المعروف : أبو عمر ، وهم جماعة في تقريب التهذيب . س : « المكفوف » .

(٢) س : « إن تديراً يتعجب » .

(٣) هو أبو موسى الأشعري ، كما سبق في الصفحة التي مضت .

(تأويل شعر لزهير)

وقال زهير :

وَقَالَ سَافِضَى حَاجَتِي ثُمَّ أَتَقَى عَدُوِّي بِأَلْفٍ مِنْ وَرَائِي مُلْجَمٍ
فَشَدَّ وَلَمْ تَفْزَعْ بَيُوتٌ كَثِيرَةٌ لَدَى حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَهُمَا ثُمَّ قَشَعَمَ^(١)
قال بعض العلماء : قرية النمل .

(استطراد لغوى)

قال : ويقال في لسانه حُبْسَةٌ : إذا كان في لسانه ثِقْلٌ يَمْنَعُهُ من البيان .
فإذا كان الثَّقْلُ الذي في لسانه من قِبَلِ الْعُجْمَةِ^(٢) قيل : في لسانه
حُكْلَةٌ . والحُكْلُ من الحيوان كَلَّةٌ ما لم يكن له صوتٌ يُسْتَبَانَ باختلاف
مخارجِه ، عند حَرْجِه ، وضَجْرِه ، وطلبِه ما يَغْدُوهُ ، أو عند هِياجِه إذا أراد
السَّفَادَ ، أو عند وعيدٍ لِقِتَالٍ ، وغير ذلك من أمره .

(رأى الهند في سبب اختلاف كلام الناس)

وتزعم الهند أن سبب ما له كثيرُ كلامُ الناس واختلقت صورُ
الفاظِهِمْ^(٣) ، ومخارجُ كلامِهِمْ ، ومقاديرُ أصواتِهِمْ في اللَّيْنِ والشَّدَةِ ،

(١) يقول : شد على عدوه وحده فقتله ، ولم تفزع بيوت كثيرة ، أراد أنه لم يستعن
عليه بأحد . س : « يفزع » ه : « يقرع » ، وهذه الأخيرة محرفة .
وأم قشعَم : الحرب ، أو المنية ، أو الضيع ، أو العنكبوت ، أو الذلة . وبكل فسر
قول زهير .

(٢) في الأصل : « العجمة » .

(٣) يمد هذه في كل من ط ، ه : « واتسمت على قدر اتساع معرفتهم » . وهو =

وفي المدّ والقطع - كثرة^(١) حاجاتهم . وليكثر^(٢) حاجاتهم كثرت
خواطرهم وتصاريق ألفاظهم ، واتسعت على قدر اتساع معرفتهم .

قالوا : فحوائج السنائر لاتعدو خمسة أوجه : منها صياحها إذا ضربت ،
ولذلك صورة . وصياحها إذا دعت أخواتها وآلافها^(٣) ، ولذلك صورة^(٤) .
وصياحها إذا دعت أولادها للطعم ، ولذلك صورة . وصياحها إذا جاعت ،
ولذلك صورة^(٥) . فلما قلّت وجوه المعرفة ووجوه الحاجات ، قلّت وجوه
مخارج الأصوات . وأصواتها تلك فيما بينها هو كلامها .

وقالوا : ثمّ من الأشياء ما يكون صوتها خفياً فلا يفهمه عنها إلا ما كان
من شكلها . ومنها^(٦) ما يفهم صاحبه بضروب الحركات والإشارات
والشماثل . وحاجاتها ظاهرة جليّة ، وقليلة العدد يسيرة . ومعها من المعرفة
ما لا يقصّر عن ذلك المقدار ، ولا يجوزه . ٨

[و] راضية الإبل ، والرعاء ، ورواض الدواب في المروج ، والسوّاس ،
وأصحاب القنص بالكلاب والفهود ، يعرفون باختلاف الأصوات والهيئات
والتشوّف ، واستحالة البصر ، والاضطراب ، ضرورياً من هذه الأصناف ،
ما لا يعرف مثله من هو أعقل منهم^(٧) ، إذا لم يكن له من معيّنة أصناف

= تكرار لعبارة ستأتي بعد سطرين . وإثباتها هنا يفسد الكلام . فالوجه حذفها
كما في س .

- (١) ط ، هـ : « كثرت » ، ووجهه ما أثبت من س .
- (٢) ط ، هـ : « وليكثر » ، صوابه ما كتبت من س .
- (٣) الآلاف بعد الهزة في أوله : جمع ألف بالكسر وهو الألف . ط :
« آلافها » صوابه في س ، هـ .
- (٤) ط : « وجه » . وسياق القول يقتضي ما أثبت من س ، هـ .
- (٥) ذكر الجاحظ ، كما رأيت ، أربعة أوجه ، لالحسة . فهو سهو منه .
- (٦) في الأصل : « ومنتهى » .
- (٧) في الأصل : « منه » .

الحيوان ما لَهُمْ^(١) . فالحُكْلُ من الحيوان [من^(٢)] هذا الشكل . وقد ذكرناه مرّة . قال رؤبة^(٣) :

لَوْ أَنَّنِي عُمَرْتُ عُمَرَ الحِجْلِ أَوْ أَنَّنِي أُوتِيتُ عِلْمَ الحُكْلِ
عِلْمَ سُلَيْمَانَ كَلَامَ التَّمْلِ

(تأويل بيت للعُماني)

وقال أبو العباس محمد بن ذؤيب الفَقِيمِيُّ وهو الذي يقال له العُماني^(٤) في بعض قصائده في عبد الملك بن صالح . والعُمانيُّ ممن يُعَدُّ ممن جَمَعَ الرَجَزَ والقصيد ، كعُمَرَ بنِ الجَلِجَلِ^(٥) ، وجريّر بن الحَطَفِي ، وأبي النّجم وغيرهم . قال العُمانيُّ :

وَيَعْلَمُ قَوْلَ الحُكْلِ لَوْ أَنَّ ذَرَّةً تَسَاوَدُ أُخْرَى لَمْ يَفْتَهُ مِوَادُّهَا^(٦)

يقول : الذَّرَّةُ الذي لا يُسْمَعُ^(٧) لمناجاته صوت ، لو كان بينها سِوَادٌ^(٨)

لفهمه . والسّواد هو السّرار^(٩) . [قال النّبيُّ صلى الله عليه وسلم لابن مسعود :

(١) في الأصل : « لغيرهم » .

(٢) ليست بالأصل .

(٣) انظر ما سبق من التنبيه في ص ٨ .

(٤) سبقَت ترجمته في (٢ : ١٦٦)

(٥) في الأصل : « كمرو » وصوابه ما أثبت ، وقد سبقَت ترجمته في (١ : ٣٤٩) .
و « لجأ » هو والد عمر ، وأصل اللجأ المَعْقِل ، والملاذ . فهو اسم مصروف ، وليس
ما أتى على وزن الفعل ، وانفرد صاحب القاموس بقوله إنه جد عمر ، وأن والده
يسمى الأشعث .

(٦) ط : « تساود أخرى » وصوابه في س ، ه والبيان (١ : ٤٠ ، ٣٢٥) .

(٧) ط ، ه : « لم يسمع » . والأوجه ما أثبت من س .

(٨) ط : « سواء » صوابه في س ، ه .

(٩) ط ، ه : « السواد » والماء لا يفسر بالماء ! صوابه في س . والمرار ،
بالكسر : التحدّث سرّاً .

« أَذْنَكَ حَتَّى أَسَاوِدَكَ » أَيْ تَسْمَعُ سَوَادِي . وَقَالَتْ ابْنَةُ الْخُسِّ : « قُرْبُ الْوَسَادِ »
وَطُولُ السَّوَادِ (١) .

قال أبو كبير الهذلي :

سَاوَدَتْ عَنْهَا الطَّالِبِينَ فَلَمْ أَنْتَمْ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى السَّمَاءِ الْأَعْزَلِ (٢)
وقال النمر بن تولب :

وَلَقَدْ شَهِدْتُ إِذَا الْقِدَاحُ تَوَحَّدَتْ وَشَهِدْتُ عِنْدَ اللَّيْلِ مُوقِدَ نَارِهَا (٣)
عَنْ ذَاتِ أَوْلِيَّةٍ أَسَاوِدُ رَبِّهَا وَكَأَنَّ لَوْنَ الْمِلْحِ تَحْتَ شِفَارِهَا (٤)
وقد فسرنا شأن الحكل (٥) .

وقال التيمي الشاعر (٦) المتكلم - وأنشد لنفسه وهو يهجو ناساً من بني

تَغْلِبَ معروفين - :

عُجْمٌ وَحُكْلٌ لَا تَبِينُ ، وَدِينُهَا عِبَادَةُ أَعْلَاجٍ عَلَيْهَا الْبِرَانِسُ (٧)

(١) قالت هذا حين سئلت : « ما حلك على أن زينت بعبدك ؟ » . انظر البيان

(١ : ٣٢٤) ، والحيوان (١ : ١٦٩) ، والصناعتين ٣٢٠ .

(٢) ط ، هـ : « ساورت » ، صوابه في س . والسالك الأعزل : منزلة . من منازل

القمر ، وهو نجم يظهر مع القمر .

(٣) القداح هنا قداح الميسر . توحدت : أى أخذ كل رجل قدحا ولم يقدر على غيره ؛
لشدة الزمان وغلاء اللحم .

(٤) عن ذات أولية : أى من أجل ناقة ذات أولية ، رعت وليا يعد ولي من المطر

فسمنت . أساود ربهما : يقول : أساره وأناجيحه لأختمه عنها فيسمح بها ليبرى

عليها الميسر . وكأن لون الملح فوق شقارها : أى أن الشفار التى تذيب بها وتقطع

يعلق بها شحم هذه الناقة السمينة فيحكي ذلك لون الملح . ط : « أساور » صوابه

في س ، هـ ، والميسر والقداح ص ١١٨ والمعاني الكبير ١١٦٠ .

(٥) انظر ص ٢٣ وكذا ص ٢١ .

(٦) ذكره الصولي في الأوراق ٧٦ باسم « التيمي بن محمد » .

(٧) الأعلاج : جمع علج ، بالكسر ، وهو الرجل من كفار العجم . والبرانس :

جمع برنس ، وهو القلنسوة الطويلة ، وكان النساك يلبسونها في صدر الإسلام .

والبرنس أيضاً : كل ثوب رأسه منه ملتزق به ، دراعة كان أو مطراً أوجبة .

وفي حديث عمر : « سقط البرنس عن رأسي » هو من هذا . والرواية في البيان

(١ : ٤٠) : « ولسكن حكلا لا تبين » .

فَفَصَلَ بَيْنَ الْحُكْلِ وَالْعُجْمِ ، فَجَعَلَ الْعُجْمَ ^(١) مِثْلَ ذَوَاتِ الْحَافِرِ
وَالظَّلْفِ وَالْخَفِّ ، وَجَعَلَ الْحُكْلَ كَالذَّرِّ وَالنَّمْلِ وَالْخَنَافِسِ ، وَالْأَشْكَالِ
الَّتِي لَيْسَتْ تَصْبِيحُ مِنْ أَفْوَاهِهَا . فَقَالَ لِي يَوْمَئِذٍ حَفْصُ الْقَرْدُ ^(٢) : [أَشْهَدُ]
أَنَّ الَّذِي يَقَالُ فِيهِ حَقٌّ ^(٣) ، كَانَ وَاللَّهِ نَصْرَانِيًّا ، ثُمَّ صَارَ يُخْبِرُ عَنِ
النَّصَارَى كَمَا يُخْبِرُ عَنِ الْأَعْرَابِ !

(بَيْنَ الْأَصْمَعِيِّ وَالْمُفَضَّلِ)

[و] قَالَ الْأَصْمَعِيُّ لِلْمُفَضَّلِ ، لَمَّا أَنْشَدَ الْمُفَضَّلُ جَعْفَرَ بْنَ سُلَيْمَانَ ^(٤)

قَوْلَ أَوْسٍ بْنِ حَجَرٍ :

وَذَاتَ هَدْمٍ عَارٍ نَوَاشِرُهَا تُصْمِتُ بِالْمَاءِ تَوَلِّبًا جَدْعًا ^(٥)

- (١) ط ، هـ : « ذوات العجم » وكلمة « ذوات » مقحمة .
(٢) من الحبيرة ، وكان من أهل مصر ، قدم البصرة فسمع بأبي الهذيل واجتمع معه
ونظره ، فقطعه أبو الهذيل . وله عدة تصانيف سردها ابن النديم في الفهرست
٢٥٥ مصر ١٨٠ ليسك .
(٣) ط ، هـ : « حق » ، وهو على الصواب في س .
(٤) كذا أيضاً في التنبيهات على أغاليط الرواة في نسختنا الخطية . وفي اللسان أنه سليمان
ابن علي الهاشمي .
(٥) الهدم ، بالكسر : الثوب الخلق المرقع . هـ ، س : « عدم » والعدم ، بالضم
الفقر وفقدان المال ، ولم أجد هذه الرواية فيما عندي . والنواشر : عصب الذراع
من داخل وخارج . وعريت نواشره : فقدت ما يكسوها من لحم ، وهو علامة
المجاعة . تصمت بالماء تولباً : أي نسكت ولدها الذي يبكي من الجوع بشيء من
الماء . وأصل التولب : ولد الحمار ؛ لكن أوساً أساء الاستعارة لجعله الطفل تولباً
انظر العمدة (٢ : ٢٠٤) . وهذا البيت قد وهم فيه قدامة فظن أن سوء
الاستعارة، هذا يسمى معازلة وقال : لا أعرف المعازلة إلا فاحش الاستعارة .
وانظر الرد عليه في كل من الصناعتين ١٥٥ وسر الفصاحة ١٥١ . والبيت من
قصيده جيدة يرقى بها فضالة بن كلدة مطلعها :

أَيْتَمَا النَّفْسِ أَجْلَى جِزْعَا إِنِّ الَّذِي تَحْذِرِينَ قَدْ وَقَعَا
وَقَبِلَ الْبَيْتَ :

ليبيكك الشرب والمدامة والفتيان طرا وطامع طمعا
وانظر ما قيل في مجالس العلماء للزجاجي وحواشيه ص ١٤ والمقاييس (جدع) .

فجعل الدّال معجمة ، وفتحها ، وصحّف ، وذهب إلى الأجداع^(١) .
 قال الأصمعيّ : إنما هي : « تَوَلَّباً جَدِعا » الدّال مكسورة . وفي الجَدِيع
 يَقُولُ أبو زيد :
 غمّ استقاها فلم يقطع نظائماً عنها عن التّضبيب لا عَبلٌ ولا جَدِيعُ^(٢)
 وإنما ذلك كقول ابن حَبْناء الأشجعيّ^(٣) :
 وأرسلَ مُهملاً جَدِعا وخفّاً ولا جَدِيعُ الثّباتِ ولا جَدِيبُ^(٤)
 فنفخ المفضّل ، ورفع بها صوتَه ، وتكلّم وهو يصيح . فقال الأصمعيّ :
 لو نفخت بالشُّبور لم ينفعك ! تكلّم بكلام النّمل وأصِيبُ^(٥) !

(١) الأجداع : جمع جذع بالتحريك ، وهو من الحافر ما كان في الثالثة .

(٢) التّضبيب : السّن وكثرة اللحم . ه فقط : « التّضبيب » . والجَدِيع ، ككتف :
 فعل بمعنى مفعول ، ولا يعرف مثله . وهو السيّء الغداء .

(٣) ابن حَبْناء ، يطلق على (خمسة من الشعراء) ثلاثة منهم إخوة ، وحَبْناء ، اسم أهمهم
 كما في القاموس ومعجم المرزباني ٣٦٩ والمؤتلف والمختلف ١٠٥ ، أو هو لقب لأبيهم
 لقب به لحب أصابه . والحن : داء في البطن يعظم منه ويرم . الأغاني (١١ : ١٥٦) .
 وأعرف هؤلاء الإخوة الثلاثة هو المغيرة بن حَبْناء ، وكان بينه وبين أخيه صخر
 مناقضات شعرية روى بعضها أبو الفرج (١١ : ١٦٢ - ١٦٣) . وثالث هذين
 الأخوين هو يزيد بن حَبْناء وكان من الخوارج ، وكان أخوه المغيرة من رجال المهلب
 ابن أبي صفرة . ويعرف بهذا الاسم أيضاً أخوان آخران ، أحدهما بلعاء بن قيس الكنانيّ
 وأخوه جثامة . وأمهما الحَبْناء بنت وائلة . وقد تقدّمت ترجمة بلعاء في (٣ :
 ٦٠) . جاء في ط : « حَبْناء » صوابه في ه ، س . على أني أستبعد صحة العبارة
 هنا إذ ليس أحد من هؤلاء الشعراء الخمسة من تصح له نسبة « الأشجعيّ » .
 والمعروف بهذه النسبة من الشعراء هو جبهاء (ويقال أيضاً جبهاء بالتصغير)
 وهو شاعر بدوي من مخاليف الحجاز ينتهي نسبه إلى بكر بن أشجع . نشأ وتوفى
 في أيام بني أمية ، وهو من المقلّين ، وله حديث مع الفرزدق في الأغاني .
 (١٦ : ١٤١) .

(٤) المراد بالخلف هنا الإبل .

(٥) تجد هذه القصة مع بسط وتفصيل ، في اللسان (جدع) .

والشُّبُور : شئٌ مثل البُوق ، والكلمة بالفارسيَّة^(١) . وهو شئٌ يكون لليهود ، إذا أراد رأسُ الجالوت^(٢) أن يحرمَ كلامَ رجلٍ منهم نَفَحُوا عليه بالشُّبُور .

(تحريم الكلام لدى اليهود والنصارى)

وليسَ تحريمُ الكلامِ مِنَ الحدودِ القائمةِ في كتبهم ، ولكنَّ الجاثليقَ^(٣) ورأسَ الجالوتِ ، لا يمكنُهُما في دار الإسلامِ حبسٌ ولا ضربٌ ؛ فليسَ عندهما إلَّا أنْ يغرَّما المالَ ، ويُجرَّما الكلامَ . على أنَّ الجاثليقَ كثيراً ما يتغافل عن الرَّجلِ العظيمِ القدرِ ، الذي له من السُّلطانِ ناحيةٌ . وكان طيمانو^(٤) رئيسَ الجاثليقِ ، قد هَمَّ بتحريمِ كلامِ عَوْنِ العباديِّ^(٥) ، عند ما بلغه من اتِّخاذِ السَّراريِّ^(٦) ، فتوعَّده وحلف : لئن فعلَ يُسْلِمَنَّ ! وكما تركَ الأشقيـلَ^(٧) وميخايلَ^(٨) وتوفيلَ^(٩) ،

(١) الصحيح أنها مأخوذة من العبرية . انظر الاستدراكات .

(٢) انظر لتفسير هذه الكلمة تذييل هذا الجزء .

(٣) الجاثليق ، بفتح الشاء : رئيس من رؤساء النصارى يكون تحت يده المطران ، ثم الأسقف ، ثم القسيس ، ثم الشماس .

(٤) كذا . ولعله : « طيمانوس » كما أفادنيه حضرة المحقق القدير الأب أنستاس .

(٥) العبادي : نسبة إلى العباد ، بكسر العين ، وهم قبائل شتى اجتمعوا على النصرانية بالحيرة .

(٦) السراري : جمع سرية ، وهي الأمة المملوكة التي بوئت بها . ونظام التمرير ، أى اتِّخاذ السَّراري ، نظام إسلامي يقصد به تكثير نسل المسلمين . والتمرير .

محظور على النصارى . انظر رسائل الجاحظ بهامشة الكامل (٢ : ١٧٦) .

(٧) كذا في س ، هـ . وفي ط : « الأشقيـل » .

(٨) س : « ميخايل » .

(٩) وجه الصواب فيه : « تيوفيل » أو « تيوفيل » .

سَمَلَ عَيْنٍ مَّنْوِيلٍ^(١) - وفي حكمهم أنَّ من أعان المسلمين على الروم يقتل ؛
وإن كان ذا رأى سَمَلُوا عَيْنِيهِ ولم يقتلوه - فتركوا سُنتهم فيه .

وقد ذكرنا شأنهم في غير ذلك ، في كتابنا على النَّصَارَى^(٢) . فإن
أردته فاطلبه هنالك .

(تأويل بيت لابن أبي ربيعة)

وقال عمر بن أبي ربيعة :

لَوْ دَبَّ ذُرٌّ فَوْقَ ضَاحِيٍّ جَلْدِهَا لَأَبَانَ مِنْ آثَارِهِنَّ حُدُورُ^(٣)
والحذر : الورم والأثر^(٤) يكون عن الضرب .

(١) سمل عينه : فتأها . وبدل هذه العبارة في ط : « وسموعين ومنويل » وفي هـ :
« سمل عين ومنويل » ، وصوابه في س .

(٢) في الأصل : « النصري » ، وهو تحريف . وكتابة الجاحظ عن النصارى وثيقة
تاريخية هامة ، تظهرنا على حقائق غريبة ، وتبين لنا مدى اتصال النصارى
بالمسلمين في عصره . وقبل عصره . وتجد فقرأ منها بهامشة الكامل (٢ :
١٤٨ - ١٩٨) .

(٣) ضاحي جلدها : أى جلدها الضاحي المشرق . وأبان هنا فعل لازم بمعنى بان وظهر .
و « حذور » فاعل أبان ، ومنه في الكتاب : « حمّ والكتاب المين » أى
البين الظاهر ، في أحد وجهي تأويله . وفي ط ، وكذا اللسان (مادة حدر)
والمخصص (٢ : ٨٠) « حذورا » بالنصب ، وهو خطأ صوابه في هـ ، س ؛
إذ أن البيت من قصيدة مضمومة الروى ، كما في ديوان عمر ص ١٢ ، مطلعها :
لمن الديار كأنهن سطور تسدى معالمها الصبا وتير

وقبل البيت :

تلك التي سبت الفؤاد فأصبحت والقلب رهن عندها مأسور

(٤) في الأصل : « والحذر والورم الأثر » ، وصوابه ما أثبت .

(التسمية بالنمل)

وقد يسمَّى بنملة ونَمِيلَة ، ويكتنون بها . وتسمَّوا بذَرٍّ ، واكتنوا
بأبي ذرٍّ . ويقال : سيفٌ في مَتْنِه ذرٌّ ، وَهُوَ ذَرِيُّ السَّيْفِ (١) .

(شعر في صفة السيف)

وقال ابن ضَبَّة (٢) :

وقد أَغْدُو مع الفتيانِ بالمنجردِ السَّيْفِ (٣)
وذى البركة كاللَّابو تِ والمَحْزَمِ كالقَرِّ (٤)

(١) في الأصل : « ذر السيف » وأصلحته معتمداً على لسان العرب ، وفيه : « وفري
السيف : فرنده ومأوه ، يشبهان في الصفاء بمذب النمل والذر . قال عبد الله
ابن سبرة :

كل ينوء بماضى الحد ذى شطب جلى الصياقل عن ذريه الطبعما

(٢) ذكره الجاحظ في البيان (٣ : ٧٦) مع الشعراء العرجان . وهو القائل :
وكننت أمشي على رجلين معتدلاً فصرت أمشي على أخرى من الشجر

(٣) المنجرد من الخيل : القصير الشعر ، وذلك من علامات المتق والكرم . ط ،
هـ : « بالخنجر » س : « بالمتجرد » ، وصوابه ما أثبت كما في اللسان (تر) .
والتر من الخيل : المعتدل الأعضاء ، الخفيف ، الدرير . ط ، هـ : « والبر »
وأثبت الصواب من س واللسان . وقد روى ابن الشجري هذا البيت في أماليه
(١ : ٨٢) :

وقد أغدو إلى الهيجا . بالمختنك الش

زوى الكلمة الأخيرة بالهاء المثلثة قال : « يتال سحاب ثر ، للكثير الماء .
واستعاروه للفرس الكثير الجري » .

(٤) البركة ، بالكسر : الصدر . والتابوت : الصندوق يحرز فيه المتاع ، وهى كلمة عبرية
الأصل . والمحزم ، كمجلس : موضع الخزام . والقر ، بالفتح : الهودج :

مَعَى قَاضِيَةِ كَالْمِلْحِ حَرِّ فِي مَتْنَيْهِ كَالذَّرِّ (١)
 ١٠ وَقَدْ أَعْتَمِرُ الضَّرْبَةَ تَشْنِي شَتْنُ الشَّتْرِ (٢)
 وقال الآخر :

تَكَادُ الرِّيحُ تَرْمِيهَا صَرَارًا وَتُرْجَفُ إِنْ يُلْشَمُهَا خِمَارُ (٣)
 وَتَحْسَبُ كُلَّ شَيْءٍ قَبِيلَ حَقًّا وَرُغْبُ قَلْبِهَا الذَّرُّ الصَّغَارُ
 وقال أوس بن حجر ، في صفة السيف :

كَأَنَّ مَدَبَّ النَّمْلِ يَتَّبِعُ الرُّبَا وَمَدْرَجَ ذَرٍّ خَافَ بَرْدًا فَأَسْهَلَ (٤)
 عَلَى صَفْحَتِهِ بَعْدَ حِينَ جِلَانِهِ كَفَى بِالَّذِي أَبْلَى وَأَنْعَتَ مُنْصَلًا (٥)

(١) القاضية ، أراد به السيف القاضب ، فإثاء فيه للمبالغة ، كراوية . ولم أر هذه
 اللفظ لهذا المعنى في كتاب . وجعله كالمالح في بياضه . والعرب يشبهون الشيء
 الأبيض بالمالح كما سبق تشبيه الشحم به في ص ٢٤ س ٧ . وجاء هذا البيت مخروما في
 اللسان (مادة تر) . ويمكن تصحيحه وإكماله ما هنا .

(٢) أعتسر الضربة ، أصله من اعتسر الرجل الكلام : إذا اقتضبه قبل أن يزوره
 ويهيئه . يقول : يفاجئ عدوه بالضربة السريعة . ط ، س : « أعتسر »
 صوابه في هـ . والشتر ، بالفتح : الجرح . وفي الأصل : « الشبر » ولا وجه له
 وأما « شتن » فهي في ط : « شتن » والكلمتان غير واضحتين .

(٣) س : « تلشها » ، والوجه ما أثبت من ط ، هـ .

(٤) الربا : جمع ربوة ، وهو المكان المرتفع . وفي الأصل : « الربا » ولا وجه له
 وصوابه في ديوان أوس وعيون الأخبار (٢ : ١٨٧) ومعاهد التنخيص (١ :
 ٤٨) والشعراء ١٥٧ . وأسهل : صار في السهل من الأرض .

(٥) ط : « على صفحة من » ، والوجه « صفحته » مع حذف « من » كما في س ،
 هـ والديوان . ورواية الديوان : « على صفحتيه من متون جلانه » .

(انتقام عقيل بن علفة مما خطب إحدى بناته)

قال : وخطب إلى عقيل بن علفة بعض بناته رجلاً من الحرقفة^(١) من جُهينة ، فأخذَه فشَدَّهُ قِطَاطاً ، ودهنَ آسته برُبٍّ وقَمَطَه^(٢) وقرَّبَه من قرية النمل ، فأكل النمل حُشوة بطنه^(٣) .

(شعر فيه ذكر النمل)

وقال ذو الرُّمة :

وَقَرِيَّةٌ لاجِنٌ وَلَا أَنْسِيَّةٌ مُدَاخِلَةٌ أَبْوَابُهَا بُنِيَتْ شَرَرًا^(١)
نَزَلْنَا بِهَا مَا نَبْتَغِي عِنْدَهَا الْقِرَى وَلَكِنَّهَا كَانَتْ لِمَنْزِلِنَا قَدْرًا^(٢)
وقال أبو العتاهية :

أَخْبِثُ بَدَارٍ هَمُّهَا أَشْبُ جَنْلُ الْفُرُوعِ كَثِيرُهُ شَعْبُهُ^(٣)
إِنَّ اسْتِهَانَتَهَا بِمَنْ صَرَعَتْ لِبَقْدَرٍ مَا تَعْلُو بِهِ رُتْبُهُ^(٤)

- (١) كذا على الصواب في ط ، هـ وهى قبيلة . وفى س : « الحدة » محرف . وفى الأغاني (١١ : ٨٢) أنه من بني سلامان بن سعد .
- (٢) قطه : جمع بين يديه ورجليه . والرب بضم الراء ، هو الدبس ، أو هو ثقل الصمن والزيت . وفى الأغاني : « ودهن آسته بشحم » .
- (٣) القصة فى الأغاني برواية تختلف كثيراً عن هذه .
- (٤) أراد بالقرية قرية النمل . مداخلة : مخالفة فى بعضها بعضاً . شررا : عل غير استقامة فهى معوجة .
- (٥) رواية الديوان ١٧٧ : « لا نبغى عندها » .
- (٦) أشب : كثير ، من قولهم شجر أشب : ملتف . جنل : كثير الورق . ط ، هـ : « جبل » صوابه فى س .
- (٧) فى الأصل : « أزرأ سياستها بمن صرعت » وهو تحريف صوابه من ديوان =

وَإِذَا اسْتَوَتْ لِلنَّمْلِ أَجْنِحَةٌ حَتَّى يَطِيرَ فَقَدْ دَنَا عَطْبُهُ ^(١)
وَقَالَ الْبَعِيثُ :

وَمَوَى كَبَيْتِ النَّمْلِ لِأَخِيرِ عِنْدَهُ لَمَوْلَاهُ إِلَّا سَعِيَهُ بَنِيمِ

(بعض ما قيل في النمل)

قال : وقد سمعت بعض الأعراب ^(٢) يقول : إِنَّهُ لَنَامٌ نَمْلِيٌّ . على
قولهم : « كَذَبَ عَلَى نَمْلٍ » ^(٣) إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَخْبَرُوا أَنَّهُ نَمَامٌ . وقال
حميد بن ثَوْر ، في تهوين ^(٤) قُوَّةَ الذَّرِّ :

مَنْعَمَةٌ ، لو يُصْبِحُ الذَّرُّ سَارِيًّا عَلَى جِلْدِهَا بَضَّتْ مَدَارِجُهُ دِمَا ^(٥)
وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ
يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ .

قال : وقيل لعائشة - رضى الله تعالى عنها ، وقد تصدقت بحَبَّةٍ
عَنْبَ - : أَتَصَدِّقِينَ ^(٦) بِحَبَّةِ عَنْبٍ ؟ ! قَالَتْ : إِنْ فِيهَا لَمِثْقَالُ ذَرٍّ ^(٧)

= أَبُو الْعَتَاهِيَةِ ص ٣٥ وَثَمَارُ الْقُلُوبِ ٣٤٦ . « لِبَقْدَرِ » هِيَ فِي الْأَصْلِ : « فَبَقْدَرِ »
وَأُثْبِتَ مَا فِي الدِّيَّوَانِ وَالثَّمَارِ وَمَرْجُوحِ الذَّهَبِ (٣ : ٣٩٢) . وَ« تَعْلُو » هِيَ فِي ط :
« نَقْلُوا » ، وَتَصْحِيحُهُ مِنْ س ، هـ وَالثَّمَارِ وَالْمَرْجُوحِ . وَبَدَلَهَا فِي الدِّيَّوَانِ : « تَسْمُو » .

(١) فِي الدِّيَّوَانِ : « وَإِنْ اسْتَوَتْ » وَانْظُرِ الْكَلَامَ عَلَى الْبَيْتِ عِنْدَ الدَّمِيرِيِّ .

(٢) س : « قَالَ : وَسَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا » .

(٣) النَّمْلُ كَكَتَفٍ وَالتَّامِلُ وَالْمَنْمِلُ - كَحَسَنٍ - وَالْمَنْمِلُ - كَكَبِيرٍ - وَالتَّمَالُ ، كُلُّ
أَوَّلِكَ بِمَعْنَى التَّمَامِ .

(٤) س : « تَوْهِينٌ » وَالتَّوْهِينُ : التَّقْلِيلُ . وَالتَّوْهِينُ : الْإِضْعَافُ . وَهِيَ مِثْقَالَانِ .

(٥) مَدَارِجُ الذَّرِّ : مَوْضِعُ دُرُوجِهِ . بَضَّتْ : خَرَجَ مِنْهَا الدَّمُ .

(٦) تَصَدِّقِينَ بِمَعْنَى تَتَصَدَّقِينَ ، خَذَفَتْ لِاحِدَى التَّوَاهِنِ تَخْفِيفًا . ط فَقَطْ :
« أَتَصَدِّقِينَ » .

(٧) مِثْقَالُ : جَمْعُ مِثْقَالٍ ، بِمَعْنَى مَقْدَارٍ . س : « مِثْقَالُ ذَرَّةٍ » صَوَابُهُ فِي ط : هـ .
وَعَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، تَنْظُرُ إِلَى الْآيَةِ السَّابِقَةِ .

(لغز في النمل)

ومَّا قِيلَ فِي الشُّعْرِ مِنَ اللَّغْزِ (١) :

فَمَا ذُو جَنَاحٍ لَهُ حَافِرٌ وَلَيْسَ يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ :

يعنى النمل . فزعم أنَّ للنمل حافراً ، وإنَّما يُخْفِرُ جُحْرَهُ ، وليس ١١
يُخْفِرُهُ بِنَمِهِ (٢) .

(التعذيب بالنمل)

وعَذَّبَ عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ (٣) سَعِيدَ بْنَ عَمْرٍو الْحَرَشِيَّ (٤) بأنواع العذاب
فقيل له : إن أردت ألا يُفْلِحَ أبداً فمرهم أن ينفخوا في دُبرِ النمل .
ففعّلوا فلم يفلح بعدها .

(١) البيت الآتي في محاضرات الراغب (٢ : ٣٠٥) .

(٢) وإنَّما يخفّره بقوامه الصلّ . انظر اللبيري .

(٣) في الأصل : « عمرو بن هبيرة » ، وصوابه ما أثبت . وعمر هذا ، أمير من الدهاة
الشجعان ، ولى الجزيرة في خلافة عمر بن عبد العزيز ، ثم ولاه يزيد بن عبد الملك
إمارة العراق وخراسان ، ثم عزله هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥ فلم يعرف له خبر
بعد ذلك ، وكان قائد أسطول المسلمين في غزوة القسطنطينية سنة سبع وتسعين .
انظر التنبيه والإشراف ١٤١ . وكان عمر يكنى أبا المثنى ، وفيه يقول الفرزدق
لبزيد (المعارف ١٧٩) :

أوليت العراق ورافديه فزاريا أخذ يد القميص

تفتق بالعراق أبو المثنى وعلم قومه أكل الخبيص

(٤) سعيد بن عمرو الحرشي ، أحد قواد العرب ، وهو الذى قتل شوذبا الخارجي وقتل
بمن معه ، وولاه ابن هبيرة خراسان سنة ١٠٣ ، ثم بلغه أنه يكتب الخليفة
مباشرة ولا يعترف بإمارته فعزله وعاقبه . والحرشي ، بفتح الحاء والراء ، نسبة إلى
الحريش بن كعب بن ربيعة . وفي الأصل : « بن عمر » وصوابه من البيان (١ :
٣٨٩) وكتاب الوزراء (٦١) . و « الحرشي » هى في الأصل : « الجرشي »
بالجيم ، وصوابه في البيان والطبرى (٨ : ١٧٥) ، وقد أورد الطبرى القصة .

(ما يدّخر قوته من الحيوان)

قالوا : وأجناسٌ من الحيوان تدّخرُ ، وتُشَبَّهُ في ذلك بالإنسان ذى العقل والرؤية^(١) وصاحب النظر في العواقب ، والتفكير في الأمور : مثل الذرّ ، والنمل ، والفأر ، والجردان ، والعنكبوت ، والنحل . إلا أن النحل لا يدّخر من الطعام إلا جنساً واحداً ، وهو العسل .

(أكل الذرّ للنمل)

وزعم اليعقوبى^(٢) أنك لو أدخلت نملة في جحر ذرّ لأكلتها ، حتى تاتى على عامتها . وذكر أنه جرّب ذلك .

(أكل الضبّاع للنمل)

وقال صاحب المنطق : إنّ الضبّاع تأكل النمل أكلاً ذريعاً ، وذلك أن الضبّاع تاتى قرية النمل في وقت اجتماع النمل ، فتلحس ذلك النمل بلسانها ، بشهوة شديدة ، وإرادة قوية .

(أكل النمل للأرضة)

قالوا : وربما أفسدت الأرضة على أهل القرى منازلهم ، وأكلت كلّ شيء لهم . ولا تزال كذلك حتى ينشئ^(٣) في تلك القرى النمل ،

(١) الروية: النظر والتفكير . ط ، هـ : « الروية » صوابه من س .

(٢) يروى عنه الجاحظ في البيان ، وكنيته أبو عثمان .

(٣) كذا في س . وفى هـ : « ولا يزال » . وفى ط « ولا يزالوا » وهذه الأخيرة محرفة . و « ينشئ » هى « ينشئ » سهل همزها ، وهى بمعنى يئشأ ، فهذا =

فيسلط الله ذلك النمل على تلك الأرضة ، حتى تأتى على آخرها . وعلى أن النمل بعد ذلك سيكون له أذى ، إلا أنه دون الأرضة تعدياً . وما أكثر ما يذهب النمل أيضاً من تلك القرى ، حتى تتم لأهلها السلامة من النوعين جميعاً .

وزعم بعضهم أن تلك الأرضة بأعيانها تستحيل نملًا ، وليس فناؤها لأكل النمل لها ، ولكن الأرضة نفسها تستحيل نملًا . فعلى قدر ما يستحيل منها يرى النقص ^(١) في عددها ومضرتها على الأيام .

(مثل في النمل)

قال : وبالنمل يضرب المثل ؛ يقال : « جاءوا مثل النمل » . والزنج نوعان ، أحدهما يفخر بالعدد ، وهم يسمون النمل ، والآخر يفخر بالصبر وعظم الأبدان ، وهم يسمون الكلاب . وأحدهما يكبو والآخر ينبو . فالكلاب تكبو ، والنمل تنبو ^(٢) .

(أجنحة النمل)

قال : ومن أسباب هلاك النمل نبات الأجنحة له . وقد قال الشاعر ^(٣) :

= الفعل يقال من باب منع ومن باب كرم ، كما في القاموس . ط ، س : « ينشبو » ولا تصح إلا بتكلف . وأثبت ما في ه .

(١) س : « النقصان » .

(٢) انظر البيان (٣ : ٥١) . وليس « تكبو » و « تنبو » لفظين عربيين ، بل هما من ألفاظ الزنج فيما يظهر ، فقول الجاحظ : « فالكلاب تكبو » لعل معناه تسمى « تكبو » بالزنجية . وتجدر اضطرابا في رسم هاتين الكلمتين ، فرة بدت بالياء ، ومرة بدت بالثاء وعسى أن يهدينا إلى صوابهما أحد الصوماليين .

(٣) هو أبو العتاهية كما سبق ص ٣٢ .

وَإِذَا اسْتَوَتْ لِلنَّمْلِ أَجْنَحَةٌ حَتَّى يَطِيرَ فَقَدْ دَنَا عَطْبُهُ^(١)
وَإِذَا صَارَ النَّمْلُ كَذَلِكَ أَخْصَبَتِ الْعَصَافِيرُ ؛ لِأَنَّهَا تَصْطَادُهَا فِي حَالِ
طَيْرَانِهَا .

(وسيلة لقتل النمل)

[قالوا^(٢)] : وَتُقْتَلُ بِأَنْ يَصَبَّ فِي أَفْوَاهِ بَيُونِهَا الْقَطِرَانُ وَالْكِبْرِيتُ
الْأَصْفَرُ ، وَيُدَسَّ فِي أَفْوَاهِهَا^(٣) الشَّعْرُ . وَقَدْ جَرَّبْنَا ذَلِكَ فَوَجَدْنَاهُ
بَاطِلًا . انْتَهَى .

ب

١٢

جملة القول في القِرْدِ وَالْخَزِيرِ

وَفِي تَأْوِيلِ الْمَسْخِ ، وَكَيْفَ كَانَ ، وَكَيْفَ يُمَسِّخُ النَّاسَ عَلَى خَلْقَتِهِمَا^(٤)
دُونَ كُلِّ شَيْءٍ ، وَمَا فِيهِمَا مِنَ الْعِبَرَةِ وَالْمُحَنَةِ ؛ وَفِي خَصَالِهَا الْمَذْمُومَةِ ، وَمَا فِيهِمَا
مِنَ الْأُمُورِ الْمَحْمُودَةِ ؛ وَمَا الْفَضْلُ^(٥) الَّذِي بَيْنَهُمَا فِي النَّقْصِ ، وَفِي الْفَضْلِ ،
وَفِي الذَّمِّ وَفِي الْحَمْدِ .

(١) س ، هـ : « دنا أجله » وهو خطأ . انظر ص ٣٢ .

(٢) بمثل هذه الزيادة يستقيم الكلام ، وينسجم أوله مع آخره .

(٣) أى أفواه بيوتها .

(٤) هذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من س .

(٥) في الأصل : « الفضل » بالضاد المعجمة ، ووجه ما أثبت .

(ما ذكر في القرآن من الحيوان)

وقد ذكر الله عزَّ وجلَّ في القرآن العنكبوتَ ، والدَّبَّارَ والنَّمْلَ ،
والكلبَ ، والحمارَ ، والنَّحْلَ ، والهُدْهُدَ ، والغرابَ ، والذئبَ^(١) ، والفيلَ
والخيلَ ، والبغالَ ، والحجيرَ ، والبقرَ ، والبعوضَ ، والمعزَ ، والضأنَ ،
والبقرةَ ، والنعجةَ ، والحوتَ ، والنُّونَ^(٢) . فذكر منها أجناساً فجعلها مثلاً
في الذلَّة والضعف ، وفي الوهن ، وفي البذاء ، والجهل .

(هَوَانُ شَأْنِ الْقِرْدِ وَالْخَنَزِيرِ)

وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً
فَمَا فَوْقَهَا ﴾ ، فدلَّها كما ترى وحقرها ، وضرب بها المثل . وهو مع ذلك جلَّ
وعلا ، لم يمسح أحداً من حَشَوِ أعدائه وعظماهم بعوضة .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ
تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَلَمْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ
الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ . إِنَّمَا قرَّع
الطالب في هذا الموضع^(٣) بإنكاره وضعفه ، إذ عجز ضعفه عن ضعفِ

(١) س : « اللب » صوابه في ط ، هـ . وليس في القرآن الكريم ذكر للذب ،
وإنما هو « الذئب » ورد في قصة يوسف .

(٢) النون : الحوت العظيم ، وقد سمي يونس عليه السلام : ذا النون في قوله تعالى :
« وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا » لأن النون كان قد التقمه في اليم ، انظر مفردات
الراغب . والجاحظ لم يستوعب ماورد في القرآن من الحيوان ، وإلا فقد أغفل
ذكر الإبل ، والثعبان ، والجراد ، والحية ، والسلوى ، والضفادع ، والغنم ،
والفراش ، والقمل .

(٣) ط فقط : « الموضوع » .

مطلوب لا شيء أضعف منه ، وهو الذباب . ثم مع ذلك لم نَجِدْه جَلَّ وعلا .
ذَكَرَ أَنَّهُ مَسَخَ أَحَدًا ذُبَابًا .

وقال : ﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ﴾ ، فَدَلَّ بِهِ بَيْتَهُ
عَلَى وَهْنِ خَلْقِهِ ، فَكَانَ هَذَا الْقَوْلُ دَلِيلًا عَلَى التَّصْغِيرِ وَالتَّقْلِيلِ . وَإِنَّمَا لَمْ
يَقُلْ : إِنِّي مَسَخْتُ أَحَدًا مِنْ أَعْدَائِي عَنْكَبُوتًا .

وقال تعالى : ﴿ فَثَلَّهِ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ
تَتَرَّ كَهْ يَلْهَثْ ﴾ ، فَكَانَ فِي ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى ذَمِّ طَبَاعِهِ ، وَالْإِخْبَارِ عَنْ تَسَرُّعِهِ
وَبِذَائِهِ . وَعَنْ جَهْلِهِ فِي تَدْبِيرِهِ ، وَتَرُّكِهِ وَأَخْذِهِ . وَلَمْ يَقُلْ إِنِّي مَسَخْتُ أَحَدًا
مِنْ أَعْدَائِي كَلْبًا .

وَذَكَرَ الذَّرَّةَ فَقَالَ : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ
يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ ، فَكَانَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى أَنَّهُ مِنَ الْغَايَاتِ فِي الصَّغَرِ
وَالْقِلَّةِ ، وَفِي خِفَّةِ الْوِزْنِ وَقِلَّةِ الرَّجْحَانِ . وَلَمْ يَذْكُرْ أَنَّهُ مَسَخَ أَحَدًا مِنْ
أَعْدَائِهِ ذَرَّةً .

وَذَكَرَ الْحِمَارَ فَقَالَ : ﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ ، فَجَعَلَهُ مَثَلًا
فِي الْجَهْلِ وَالْغَفْلَةِ ، وَفِي قِلَّةِ الْمَعْرِفَةِ وَغِلَظِ الطَّبِيعَةِ . وَلَمْ يَقُلْ إِنِّي مَسَخْتُ
أَحَدًا مِنْ أَعْدَائِي حِمَارًا .

وكذلك جميع ما خلق وذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْحَيَوَانِ بِالذَّمِّ وَالْحَمْدِ . فَأَمَّا
١٣ غَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا ذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْحَيَوَانِ ^(١) ، فَإِنَّهُ لَمْ يَذْكُرْهُ ^(٢) بِذَمٍّ وَلَا
نَقْصٍ ، بَلْ قَدْ ذَكَرَ أَكْثَرَهُنَّ ^(٣) بِالْأُمُورِ الْمَحْمُودَةِ ، حَتَّى صَارَ إِلَى ذَكَرِ

(١) الْكَلَامُ مِنْ مَبْدَأٍ : « بِالذَّمِّ وَالْحَمْدِ » سَاقِطٌ مِنْ ص .

(٢) ص : « يَذْكُرْ » .

(٣) ص : « أَكْثَرَهَا » .

الْقِرْدَ فَقَالَ : ﴿ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ ﴾ فلم يكن لهما في قلوبِ
النَّاسِ حال . و [لو] ^(١) لم يكن جعل لهما في صدور ^(٢) العامة والخاصة من
الْقُبْحِ والتَّشْوِيهِ ، ونذالة النَّفْسِ ، ما لم يجعله لشيءٍ غيرهما من الحيوان ، لما
خصَّهما الله تعالى بذلك .

وقد علمنا أنَّ العَقْرَبَ أَشَدُّ عداوةً وأذىً ، وأفسدُ ، وأنَّ الأفعى والثَّعْبَانَ
وعامةَ الأَحْنَاشِ ^(٣) ، أَبْغَضُ إِلَيْهِمْ وأَقْتَلَ لَهُمْ ، وأنَّ الأسدَّ أَشَدُّ صَوْلَةً ، وأنَّهم
عن دفعهم له أعجز ، وبغضهم له على حسب قُوَّتِهِ عليهم ، وعجزهم عنه ،
وعلى حَسَبِ سوءِ أثره فيهم . ولم نَرَهُ تعالى مَسَخَ أَحَدًا من أعدائه على صورة
شيءٍ من هذه الأصناف : ولو كان الاستئْذال والاستئْقال والاستسقاطُ أَرَادَ ،
لكان المسخ على صورة بناتٍ وَرْدَانٍ أُولَى وأَحَقَّ ^(٤) . ولو كان التَّحْقِيرُ
والتَّصْغِيرُ أَرَادَ ، لكانت الصُّوَابَةُ والجُرْجَسَةُ ^(٥) أُولَى بذلك . ولو كان إلى
الاستصغار ذَهَبَ لكان الذَّرُّ والقملُ والذُّبَابُ أُولَى بذلك . والدَّلِيلُ على قولنا
قوله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ . طَلْعُهَا
كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ ، وَلَيْسَ أَنَّ النَّاسَ رَأَوْا شَيْطَانًا قَطُّ على صورة ،
ولكنَّ لما كان الله [تعالى] قد جعل ^(٦) في طِبَاعِ جميع الأُممِ استقباحَ
جميعِ صُورِ الشَّيَاطِينِ ، واستسماجَه وكراهتَه ، وأجرى على ألسنة جميعهم
ضَرْبَ المَثَلِ في ذلك - رجع بالإيحاش والتَّنْفِيرِ ، وبالإخافة

(١) ليست بالأصل .

(٢) س : « قلوب » .

(٣) الأَحْنَاشُ : الحيات ، جمع حنش بالتحريك . وفي الأصل : « الأجناس » محرف .

(٤) « على صورة » ساقط من س . و « أَرَادَ ، لكان » هي في س : « إذا
كان » ، محرف .

(٥) الجرجس ، بكسر الجيمين : البموض الصغار . في الأصل : « الخرجسة »
صوابه ما أثبت .

(٦) في الأصل : « جعل لها » وكلمة : « لها » مقحمة .

والتفريع ^(١) ، إلى ما قد جعله الله في طباع الأولين والآخرين وعند جميع الأمم على خلاف طبائع جميع الأمم ^(٢) .

وهذا التأويل أشبه من قول من زعم من المفسرين ، أن رءوس الشياطين نبات ينبت باليمن ^(٣) .

وقال الله عز وجل لنبيه : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ ، أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ، فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ فذكر أنه رجس ، وذكر الخنزير ، وهو أحد المسوخ ^(٤) ، ولم يذكر في هذه الآية التي أحصى فيها أصناف الحرام ، وأباح ما وراء ذلك - القرد .

وصار بعضهم إلى تحريمه من جهة الحديث . وهو عند كثير منهم يحتمل المعارضة .

(مساوى الخنزير)

فلولا أن في الخنزير معنى متقدماً ^(٥) سوى المسوخ ، وسوى ما فيه من قبح المنظر وسماجة التمثيل ، وقبح الصوت ، وأكل للعذرة ، مع الخلاف الشديد

(١) في الأصل : « والتفريع » .

(٢) الخلاف بمعنى الاختلاف .

(٣) من ذكر هذا التأويل ، فخر الدين الرازي في تفسير سورة الصافات ، ولكنه مع ذلك استظهر تأويل الجاحظ ، وهو الذي مال إليه أكثر المفسرين . وما أولوا به الآية أيضاً أن تكون « الشياطين » ضرباً من ضروب الحيات .

(٤) المسوخ : جمع مسخ ، ط : « المسوخ » . والأوجه ما أثبت من س ، ه .

(٥) ط ، ه : « متقدماً » تصحيحه من س .

واللواط المفرط^(١) والأخلاق السمجة ، ما ليس في القرد الذي هو شريكه في المسخ - لما ذكّره دونه .

١٤

(علة النص على تحريم الخنزير في القرآن ، دون القرد)

وقد زعم ناسٌ أنَّ العربَ لم تَكُنْ تأكلُ القُرودَ . وكان من تنصّر^(٢) من كبار القبائل وملوكها يأكلُ الخنزيرَ ، فأظهر لذلك تحريمه ؛ إذ كان هناك عالمٌ من الناس ، وكثير من الأشراف والوضعاء ، والملوك والسُّوقَة ، يأكلونه أشدَّ الأكل ، ويرغبون في لحمه أشدَّ الرغبة . قالوا : ولأنَّ لحم القرد ينهَى عن نفسه . ويكفي الطبائع في^(٣) الزجر عنه غنثه^(٤) . ولحم الخنزير ممَّا يُستطابُ ويُتواصف ، وسبيلُ لحم القرد كسبيل لحم الكلب يل هو شرٌّ منه وأخبث . وقد قال الشاعر^(٥) للأسديّ الذي ليمَ يأكل لحم الكلب^(٦) :

يا فقعى لم أكلته بله لو خافك الله عليه حرمة
فما أكلت لحمه ولا دمه

وليس يريد بقوله : « لو خافك الله عليه » أنَّ الله يخافه على شيءٍ أو يخافه^(٧) من شيء . ولكنّه لما كان الكلبُ عنده مما لا يأكله أحد

(١) ط ، هـ « واللواط المفرط » : وإنما هو « اللواط المفرط » كما في س .

(٢) ط : « تنصّر » ، وتصحيحه من س ، هـ .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٤) الغنث بالتحريك : ثقل الطعام على النفس ، وفي الأصل : « غنث » .

(٥) الشاعر هو سالم بن دارة كما سبق في (١ : ٢٦٧ ، ٢ : ١٥٩) .

(٦) أى لامة الناس بأكله لحم الكلب ، وفي الأصل : « لم يأكل لحم الكلب »

وهو عكس المراد .

(٧) ط ، هـ : « يخاف » في الموضعين . وأثبت ما في س .

وَلَا يُخَافُ عَلَى أَكْلِهِ إِلَّا الْمَضْطَرُ ، جعل بدل قوله : أَمِنَ الْكَلْبُ عَلَى أَكْلِ لَحْمِهِ ، أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي لَمْ يَخَفْ ذَلِكَ فِيحَرَّمَهُ . وهذا مما لا تقف الأعرابُ عليه ، وَلَا تَتَّبِعُ الْوَهْمُ مُوَاضِعَهُ ؛ لِأَنَّ هَذَا بَابٌ ^(١) يَدْخُلُ فِي بَابِ الدِّينِ ، فَيَا يُعْرَفُ بِالنَّظَرِ .

(ما قيل في جودة لحوم الكلاب)

وقد يأكل أجراً ^(٢) الكلاب نامسٌ ، ويستطيعونها فيما يزعمون . ويقولون : إِنَّ جَرَّو الْكَلْبِ أَسْمَنُ شَيْءٍ صَغِيرًا ، فإذا شَبَّ اسْتَحَالَ لَحْمُهُ ، كَأَنَّهُ يَشْبَهُ بِفَرْخِ الْحَمَامِ مَا دَامَ فَرْخًا وَنَاهِضًا ، إِلَى أَنْ يَسْتَحْكَمَ وَيَشْتَدَّ .

(ذكر من يأكل السنائير)

وما أَكْثَرَ مَنْ يَأْكُلُ السَّنَائِيرَ . وَالَّذِينَ يَأْكُلُونَهَا صِنْفَانِ مِنَ النَّاسِ : أَحَدُهُمَا الْفَقِيرُ الْمَغْرُورُ ، الَّذِي يَقَالُ لَهُ أَنْتَ مَسْحُورٌ ، وَيَقَالُ لَهُ : مَنْ أَكَلَ سِنُورًا أَسْوَدَ بَيْمًا لَمْ يَعْمَلْ فِيهِ السَّحَرُ ، فَيَأْكُلُهُ لَذًا . فَإِذَا أَكَلَهُ لِهَذِهِ الْعِلَّةِ ، وَقَدْ غَسَلَ ذَلِكَ وَعَصَرَهُ ، أَذْهَبَ الْمَاءَ زَهْوَمَتَهُ ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الْمَخْدُوعُ بِمُسْتَقْدِرٍ مَا اسْتَطَابَهُ . وَلَعَلَّهُ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ ضَرْبٌ مِنَ الطَّعَامِ ^(٣) فَوْقَ الَّذِي هُوَ فِيهِ ، فَإِذَا أَكَلَهُ عَلَى هَذَا الشَّرْطِ ، وَدَبَّرَ هَذَا التَّدْبِيرَ ، وَلَمْ يَنْكَرْهُ ، عَاوَدَهُ . فَإِذَا عَاوَدَهُ صَارَ ذَلِكَ ضَرَاوَةً لَهُ .

(١) ط : « في باب » ، والوجه حذف « في » كما في س ، ه .

(٢) أجراء ، يفتح الهمزة وسكون الجيم : جمع جرو ، وهو هنا ولد الكلب .

(٣) س : « من حيث الطعام » ! .

والصَّنْف الآخر أصحاب الحمام ، فما أكثر ما ينصبُّون المصائد^(١) للسنانير ،
التي يُلقَوْنَ منها في حمامهم^(٢) . وربما صادف غيظُ أحدهم وحنقه وَغَضِبَهُ
عليه ، أن [يكون] السَّنور مُفْرِطَ السَّمَنِ ، فيدعُ قتله ويدبُّه . فإذا فعل
ذلك مرَّةً أو مرتين ، صار ضراوةً عليها . وقد يتفَرَّز^(٣) الرَّجُلُ من أكل
الضَّبِّ والورل والأرنب ، فما هو إلاَّ أن يأكله مرَّةً لبعض التجربة ، أو لبعض
الحاجة ، حتى^(٤) صار ذلك سبباً إلى أكلها ، حتى يصير بهم الحال^(٥) إلى ١٥
أن يصيروا أرغبَ فيها من أهلها .

(طيب لحم الجراد)

وها هنا قومٌ لا يأكلون الجرادَ الأعرابيَّ السمين ، ونحن لانعرف طعاماً
أطيبَ منه . والأعراب إنما^(٦) يأكلون الحياتِ على شبيهِ بهذا الترتيب
ولهذه العوارض .

(أكل الأفاعى والحيات)

وزعم بعضُ الأطباء والفلاسفة ، أن الحياتِ والأفاعى تؤكل نيئةً^(٧)
ومطبوخة ، ومشوية ، وأنها^(٨) تغذو غذاءً حسناً .

(١) كذا بالأصل . والوجه : « المصايد » بلا همزة ، مثل معاش .

(٢) أى يصيهم الشر من السنانير .

(٣) ط ، هـ : « يتذر » وهذا الفعل لا يحتاج إلى « من » ، فيقال « تغذر الشيء » .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٥) س : « تصير بهم الحال » ، والحال تذكر وتؤنث .

(٦) ساقطة من س .

(٧) ط ، هـ : « نية » ، وهى صحيحة أيضاً . انظر الاستدراكات .

(٨) ط ، هـ : « فإنها » .

(رؤية وأكله الجرذان)

وزعم أبو زيد ، أنه دخل على رؤية ، وعنده جرذان قد شواهن ، فإذا هو يأكلهن ، فأنكر ذلك عليه ، فقال رؤية : هُنَّ خيرٌ من البرابيع والضباب وأطيب ؛ لأنها عندكم تأكلُ الخبزَ والتمرَ وأشباه ذلك . وكفاك بأكل الجرذان !

ولولا هولَ الحيات^(١) في الصُّدور من جهة السُّموم ، لكانت من جهة التقذر^(٢) أسهلَ أمراً من الجرذان .

(أكل الذبَّان والزناير)

ونامسٌ من السُّفالة^(٣) يأكلون الذبَّان . وأهلُ خُراسانَ يُعجبون باتخاذ البزَـمَـاوردِ^(٤) من فراخ الزناير ، ويعافون أذنابَ الجرَادِ الأعرايِّ السمين . وليسَ بين رِيحِ الجرَادِ إذا كانت مشويةً وبينَ رِيحِ العقاربِ مشويةً فرق . والطَّعمُ تبعٌ للرائحة^(٥) : خبيثُها خبيثُها ، وطيبُها لطيبُها . وقد زعم ناسٌ ، ممن يأكلون العقاربَ مشويةً ونيئةً ، أنها كالجراد^(٦) السَّمان .

(١) ط : « أن الحيات » وتصحيحه من س ، هـ .

(٢) س : « التقز » .

(٣) السفالة ، بالضم : من بلاد الزنج في شرق إفريقيا . وفي الأصل : « الصقابة » . وهو تحريف ، صوابه مما سبق في (٣ : ٣٢٣ س ٧) .

(٤) انظر ما أسلفت من شرح هذه الكلمة في (٢ : ٢٤٩ التنبيه الرابع) .

(٥) س : « الرائحة » .

(٦) في الأصل : « كالفراخ » ، وصوابه ما أثبت ، كما سيأتي واضحاً في (٥ : ٣٥٦) حيث يقول الجاحظ « وريح العقارب إذا شويت مثل ريح الجراد . وما زلت أظن أن الطعم أبداً يتبع الرائحة ، حتى حقق ذلك عند بعض من يأكلها مشوية ونية أنه ليس بينهما وبين الجراد الأعراي السمين فرق » .

وكان الفضل بن يحيى يوجه خدمته في طلب فراخ الزنابير ليأكلها .
وفراخها ضرب من الذبّان .

(أكل لحوم البراذين)

فأما لحوم البراذين فقد كثر علينا وفيها ، حتى أنسنا به . وزعم بعضهم
أنّه لم يأكل أطيب من رأس برذون وسرته . فأما الشرّة والمعرفة^(١) فإنهم
يزاحمون بها الجداء والدجاج . ويقدمون الأسرام المحشوة .

(أكل السراطين ونحوها)

ومن أصحابنا من يأكل السراطين أكلاً ذريعاً . فأما الرق^(٢) والكوسج^(٣)
فهو من أعجب طعام البحرّيين . وأهل البحر يأكلون البلبل^(٤) وهو اللحم
الذى في جوف الأصداف .

والأعرابي إذا وجد أسوداً سانحاً^(٥) ، رأى فيه مالا يرى صاحب
الكسمير في كسميره^(٦) .

(١) المعرفة ، كرحلة : موضع العرف من الفرس .

(٢) الرق : سلحفاة المياه .

(٣) الكوسج : جنس من الأسماك الغضروفية كبير يخشى شره ، وهو في الماء شر
من الأسد في البر ، يقطع الحيوان في الماء بأسنانه ، كما يقطع السيف الماضى .
ويسمى بالقرش في سواحل البحر الأحمر . وكلب البحر Dogfish نوع صغير
منه . وذكر الأب أنستاس في مجلة المشرق أن القرش معرب : Karcharias
اليونانية . انظر معجم المعلوف ٢٢٥ - ٢٢٦ .

(٤) ط : « اللبل » ، وأثبت ما في س ، ه .

(٥) الأسود السالخ : ضرب من الحيات .

(٦) كذا بالأصل ، وانظر ما سيأتى في حواشى (٦ : ٨٤) .

(أكل ديدان الجبن)

وخبَّرني كم شئت^(١) من الناس ، أنه رأى أصحاب الجبن الرطب^(٢) بالأهواز وقراها ، يأخذون^(٣) القطعة الضخمة من الجبن الرطب^(٤) ، وفيها ككواء الزناير^(٥) ، وقد تولد فيها الديدان ، فينفضها وسط راحته ، ثم يقمحها^(٦) في فيه ، كما يقمح السويق والشكر ، أو ما هو أطيب منه .

(ذكر بعض أنواع العذاب)

وقد خبر الله تعالى عن أصحاب النقم ، وما أنزل الله من العذاب ، وما أخذ من الشكل والمقابلات ، فقال : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا ﴾ ، وقال : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ

(١) وردت هذه العبارة أيضاً في ص ١٤٠ من هذا الجزء . كما ورد مثلها في ص ٢٤ : « وقد خبرنا من لا يحصى من الناس » . واستعمال « كم » فاعلاً ، هو لغة رديئة حكاه ابن عصفور ، وخرج عليها هو قوله تعالى : « أو لم يهد لهم كم أهلكنا » . انظر معنى اللبيب .

(٢) في الأصل : « الجبن والرطب » ، وأثبت الصواب موافقاً ما سبق في (٣ : ٣٢٣ س ٩) . والمراد به ذلك النوع المعتقد من الجبن ، الذي يسميه عامة مصر : « المش » بكسر الميم . وجاء في القاموس : « والأرنة بالضم : الجبن الرطب » . وهناك الجبن اليابس كانوا يملحونه ويحفظونه . انظر تذكرة داود .

(٣) س : « يأخذ أحدهم » .

(٤) ط ، هـ : « والرطب » ، والصواب من س . وانظر التنبيه الثاني من هذه الصفحة .

(٥) الكواء ، بالكسر : جمع كوة بالفتح ، وهي الخرق في الحائط ، أو الثقب في البيت .

(٦) قح السويق ونحوه ، من باب سمع : استغه .

بِأَصْحَابِ الْفِيلِ . أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ . وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا ١٦
أَبَابِيلَ . تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * .

وليس من هذه الأصنافِ شئٌ أبلغُ في المثلثة والشُّنعة ، مِّن (١)
جَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ .

(ما يقبل الأدب من الحيوان)

فالحنزير يكون أهليا ووحشيا ، كالحمير (٢) والسَّنانير مما يعايش النَّاسَ .
وكلها لاتقبل الآداب . وإنَّ الفُهوْدَ وهى وحشيَّةٌ تقبل كلها ، كما تقبلُ
البوازى ، والشَّواهين ، والصقورة (٣) ، والزُّرَق ، واليُؤيُؤ ، والعُقَاب ، وعَنَاقِ
الأرض (٤) ، وجميعُ الجوارحِ الوحشيَّات . ثمَّ يفضلها الفهدُ بِخَصْلَةٍ غريبة
وذلك أنَّ كبارها ومسانها أقبلُ للآداب ، وإن تقادمتْ في الوحش (٥) ،
مِنْ أولادها الصغار ، وإن كانت تقبل الآداب ؛ لأنَّ الصغيرَ إذ أدبَ

(١) في الأصل : « من أن » .

(٢) ويجمع الحمار أفضاً على أحرة ، وحر - بضمين وبضمة - وحمور ، وحمراء ،
ومحموراء . جاء في ط : « كالحماير » وهو تحزيف ، صوابه ما أثبت من
ه ، س .

(٣) الصقر يجمع على أصقر وصقور وصقورة ، وصقار وصقارة بكسر صاديهما ،
وصقر بالضم . ط ، ه : « والصقور » . وأثبت ما في س . والجاحظ يميل
إلى هذا الجمع كما سبق في (٣ : ١٨٢ ، ٥٣٩) .

(٤) عناق الأرض ، بفتح العين : دويبة أصم من الفهد حسن الصورة ، لونه أحر ،
وفى أعلى كل من أذنيه شعرات سود ، يصيد كل شئ حتى الطير ، ويسمى أيضاً
التفقة ، وهو بالفارسية سياه كوش ، وبالإفرنجية : Caracal . وفى الأصل :

« عناق الأرض » بالتاء . صوابه ما أثبت .

(٥) فى مباحث الفكر ، نسختى الخطية : « التوحش » والعبارة تتجه بكل منهما .

فبلغ ، خرج خبأ مؤاكلاً^(١) ، والمسنّ الوحش^(٢) يخلص لك كله ، حتى يصير أصيداً وأنفع . وصغار سباع الطير وكبارها على خلاف ذلك ، وإن كان الجميع يقبل الأدب . والخزير وإن كان أهلياً فإنه لا يقبل الأدب على حال ، حتى كأنه - وإن كان بهيمة - في طباع ذئب .

وذلك أن أعرابياً أخذ جرو ذئب وكان التقطه التقاطاً ، فقال : أخذته وهو لا يعرف أبويه ولا عملهما ، وهو غر لم يصد شيئاً ، فهو إذا ربيناه وألفناه ، أنفع لنا من الكلب . فلما شب عدا على شاة له فقتلها وأكل لحمها ، فقال الأعرابي :

أَكَلْتُ شَوِيهِي وَرَبَيْتَ فِينَا فَنَ أَدْرَاكَ أَنَّ أَبَاكَ ذَيْبٌ^(٣)

فالذئب وجرو الذئب إذا كانا سبعين وخشيين [كانا^(٣)] ثم من أشد الوحش توحشاً ، وألزمها للقفار ، وأبعداها من العمران . والذئب أغدر من الخزير والخنوص^(٤) ، وهما بهيمتان .

(١) الحب ، بالفتح ويكرم : الخداع الخبيث . ط : « حبيب » ، ه : « جينا » ، صوابه في س . وانظروا سياق في (٦ : ٤٧١) .

(٢) س : « فن أنباك » ومثل هذه الرواية في (٦ : ٢٤ ، ٧ : ١٨٧ ، ٢٥٣) حيث تعاد القصة . وانظر محاضرات الراغب (١ : ١٢٢) ومثل هذه القصة عن عجوز أعرابية عند الدميري . والشعر فيه :

بقرت شويهي وفجعت قلبي وأنت لثاتنا ولد ربيب
غذيت بدنها وربيت فينا فن أنباك أن أباك ذيب
إذا كان الطباع طباع سوء فلا أدب يفيد ولا أديب

(٣) مثل هذه الزيادة ضروري ليستقيم الكلام .

(٤) الخنوص ، كسنور : ولد الخزير .

(ضرر الخنزير)

وأما ضرره وإفساده ، فَمَا ظَنُّكَ بِشَيْءٍ يُتَمَعَّى لَهُ الْأَسَدُ ؟ ! وذلك أَنَّ
الخنَازِيرَ ^(١) إِذَا كَانَتْ بِقَرَبِ ضِيَاعٍ قَوْمٍ هَلَكَتْ تِلْكَ الضِّيَاعُ ، وَفَسَدَتْ
تِلْكَ الْغَلَّاتُ . وَرَبَّمَا طَلَبَ الْخَنَزِيرَ ^(٢) بَعْضَ الْعُرُوقِ الْمَدْفُونَةِ فِي الْأَرْضِ
فِيخَرَّبُ مَائَةَ جَرِيْبٍ ^(٣) ، وَنَابَهُ لَيْسَ يَغْلِبُهُ مِعُولٌ . فَإِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْبَلَاءُ
تَمَنَّوْا أَنْ يَصِيرَ فِي جَنَّتِهِمْ ^(٤) أَسَدٌ . وَلَرَبَّمَا صَارَ فِي ضِيَاعِهِمُ الْأَسَدُ فَلَا
يَهَيِّجُونَهُ ، وَلَا يُؤْذِنَهُ ، وَلَوْ ذَهَبَ إِنْسَانٌ لِيَحْفَرَ لَهُ زُبِيَّةً ^(٥) مَنَعُوهُ أَشَدَّ
الْمَنَعِ ، إِذَا كَانَ رَجَبًا حَتَّى جَانِبَهُمْ مِنَ الْخَنَازِيرِ فَقَطْ . فَمَا ظَنُّكَ بِإِفْسَادِهَا ،
وَمَا ظَنُّكَ بِبَهِيمَةٍ يُتَمَعَّى أَنْ يَكُونَ بِدَلْهَا ^(٦) أَسَدٌ ؟ ! ثُمَّ مَعَ ذَلِكَ إِذَا
اجْتَمَعُوا لِلْخَنَازِيرِ بِالسَّلَاحِ ، وَبِالْآلَاتِ وَالْأَدْوَاتِ الَّتِي تَقْتُلُ بِهَا ، فَرَبَّمَا
قَتَلَ الرَّجُلَ مِنْهُمْ ، أَوْ عَقَرَهُ الْعَقْرَ الَّذِي لَا يَنْدِمِلُ ، لِأَنَّهُ لَا يُضْرَبُ بِنَابِهِ
شَيْئًا إِلَّا قَطَعَهُ ، كَأَنَّهُمَا مَا كَانَ . فَلَوْ قَتَلُوا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْهَا مَائَةً وَقَتَلَتْ
فِي كُلِّ يَوْمٍ إِنْسَانًا وَاحِدًا ، لَمَا كَانَ فِي ذَلِكَ عِوَضٌ .

(١) ط ، هـ : « الخنزير » بالإفراد . والوجه الجمع كما أثبت من س .

(٢) ط ، هـ : « الخنازير » بالجمع . والوجه الإفراد كما أثبت من س .

(٣) الجريب ، يقال في الأرض كما هنا ، ومقداره عشرة آلاف ذراع ، أو ثلاثة آلاف
وسمائة ذراع ، يختلف ذلك باختلاف البلدان . وأما جريب الطعام ، فهو
أربعة أقدرة .

(٤) الجنبه ، بالفتح : الناحية . س ، هـ : « جنتهم » وليست مرادة فيما أرى .
وأثبت المراد من ط .

(٥) الزبية ، بالضم : حفرة يصاد بها الأسد .

(٦) س : « مكانها » .

والخنزير تطلب العذرة ، وليست كالجلالة^(١) ؛ لأنها تطلب أحرها وأرطبها وأنتنها ، وأقربها عهداً بالخروج . فهي في القرى تعرف أوقات الصبح والفجر ، وقبل^(٢) ذلك وبعده ؛ لبروز^(٣) الناس للغائط . فيعرف من كان في بيته نائماً في الأسحار ومع الصبح ، أنه قد أسحر^(٤) وأصبح ، بأصواتها ومرورها ، ووقع أرجلها في^(٥) تلك الغيطان ، وتلك المتبرّزات . ولذلك ضربوا المثل ببيكور الخنزير ، كما ضربوا المثل بحذر الغراب وروغان الثعلب .

على أن الثعلب ليس بأزوغ من الخنزير ، ولا أكدر للفارس ، ولا أشدّ إتعاباً لصاحبه .

(بعض أسباب المسخ)

فأما قبح وجهه فلو أن القبح والإفلاس، والغدر والكذب ، تجسّدت ثم تصوّرت^(٦) لما زادت على قبح الخنزير . وكل ذلك بعض الأسباب التي مسخ لها الإنسان خنزيراً .

وأن القرد لسميح الوجه ، قبيح كل شيء^(٧) . وكفالك به أنه للمثل المضروب — ولكنّه في وجه آخر مليح . فليح^(٨) يعترض على قبحه

(١) الجلالة من الحيوان : التي تأكل الجلة والعذرة .

(٢) الواو ليست بالأصل، وأثبتها من مباحج الفكر، وفيها أيضاً : « قبيل » مكان : « قبل » .

(٣) كذا في ط ، هـ ومباحج الفكر . وفي س : « الخروج » .

(٤) أسحر ، بالسين : صار في السحر ، والسحر : الوقت قبيل الصبح . ط ، هـ : « أسحر » بالصاد ، ولا تليق هنا . وأثبت الصواب من س ومباحج الفكر .

(٥) في الأصل : « إلى » ، وصوابه في مباحج الفكر .

(٦) كذا في ثمار القلوب ٣٢١ نقلاً عن الجاحظ . ط ، هـ : « تجسم وتصور » س : « تحشد ثم تصور » ، وصوابها ما أثبت . وانظر سائر القول .

(٧) في ثمار القلوب : « قبيح في كل شيء » .

(٨) الملح ، بالكسر ، بمعنى الملاحاة ، يقال : ملح ملحاً وملاحاة .

فمازجُه ويُصلِح منه . والخِزيرُ أقبح منه ؛ لأنّه ضربٌ مُصمّتٌ بهم ،
فصار أسمعٌ ببعيد .

(وثب الذكورة على الذكورة)

وحدّثني بعضُ أهل العلم ، ثَمَن طال ثَوَاؤه في أرض الجزيرة ، وكان
صاحبَ أخبارٍ وتجربة ، وكان كلفاً بحبِّ التَّين^(١) ، معترضاً للأُمور ، يحبُّ
أنْ يُقضىَ إلى حقائقها ، وتثبت أعيانها بعلمها ، وتمييز^(٢) أجناسها ، وتعرّف
مقاديرِ قواها ، وتصرّف أعمالها ، وتنقلّ حالاتها ؛ وكان يعرفُ للعلم قدره ،
وللبیان فضله .

قال : ربّما رأيت الخنزيرَ الذَّكَرَ وقد ألجأه أكثرُ من عشرينَ خنزيراً
إلى مُضيق ، وإلى زاوية ، فينزون عليه واحداً واحداً^(٣) ، حتى يبلغ آخرُهم .
وخبرني هذا الرَّجل وغيرُه من أهل النظر وأصحابِ الفكر ، أنّهم رأوا
مثلاً ذلك من^(٤) الحمير . وذكروا أنّ ذلك إما تأنيثٌ في طبعه ، وإما أن
يكون له في أعينها من الاستحسان شبيهٌ بالذي يعتري عيونَ بعضِ الرجال
في الغلمان ، والأحداثِ الشَّباب .

وقد يكون هذا بين الغرائق والكراكي . والتَّسافدُ بين الذَّكَرِ
والأنثى . والسافد والمسفود إذا كانا من جميع الذكورة ، كثيرٌ في جميع أصناف

(١) في الأصل : « التَّينين » ، وهو تحريفٌ يتكرر كثيراً . وإنما هو « التَّين » بمعنى
التفهم والاكتناء .

(٢) في الأصل : « وتمييز » .

(٣) بدله في مباحث الفكر ، وكذا نهاية الأرب (٩ : ٢٠٠) : « ثم ينزو عليه
الأمثل فالأمثل » .

(٤) س : « في » .

الحيوان ، إلا أنه في جميع الخنازير والحمير أفضى . وأما^(١) تسافد الحمام الذكر والأنثى للذكر^(٢) ، فأكثر من أن يكون فيه تنازع .

(معارف في الخنزير)

وباب آخر مما ذكر صاحب المنطق ، فزعم أن من الخنازير ماله ظلف واحد^(٣) ، وليس لشيء من ذوات الأنبياب في نابه من القوة والدرب ما للخنزير الذكر ، وللعجل ، والفهد ، والكلب .

قال : والإنسان يلقي أسنانه^(٤) ، وكذلك الحافر والخف .

قال : والخنزير لا يلقي أسنانه ألبتة .

(من لم يشعر)

ويقال : إنَّ عبد الصمد بن علي^(٥) لم يُشعر قط^(٦) ، وأنه دخل قبره بأسنان الصبّا . ١٨

(١) ط ، هـ : « فأما » .

(٢) كذا في س . وفي ط ، هـ : « الذكر للأنثى والأنثى للذكر » .

(٣) يعني ظلفا غير مشقوق كأنه الحافر . وجاء في (٧ : ٢٤٠) : « وفي الخنازير ما ليس ظلفه بمنشق » .

(٤) كذا على الصواب في س . وفي ط ، هـ : « والإنسان لا يلقي أسنانه » .

(٥) هو عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، ويكنى أبا محمد ،

ولي الجزيرة لأبي جعفر المنصور ، وكان أقعد بني هاشم في عصره . المعارف ١٦٣ .

(٦) يقال شعر ، بالبناء المجهول ، وأشعر ، بالبناء للفاعل : سقطت أسنانه . وانظر

المقد (٦ : ٢٣١) .

(أسنان الذئب والحية والضبع)

وزعم بعضهم أن أسنان الذئب مخلوقة في الفك ، مطولة^(١) في نفس العظم . وذلك ممّا توصف به أسنان الحية . قال الشاعر :

مُطْلَنَ فِي اللَّحْيَيْنِ مَطْلًا إِلَى الرَّأْسِ وَأَشْدَاقٍ رَحِيَّاتٍ^(٢)
وَالشَّاعِرُ يَمْدَحُ الشَّيْءَ فَيَشْدُدُّ أَمْرَهُ ، وَيَقْوَى شَأْنَهُ ، وَرَبَّمَا زَادَ فِيهِ ،
وَلَعَلَّ الَّذِي قَالَ فِي الذَّنْبِ مَا قَالَ ، هَذَا أَرَادَ .
وَلَا يَشْكُونُ أَنَّ الضَّبْعَ كَذَلِكَ .

(مرق لحم الحيوان)

قال : وليس يجمد^(٣) مرق لحم الحيوان السمين ، مثل الخنزير والفرس ، وأما ما كان كثير الثرب^(٤) فرقته تجمد^(٥) ، مثل مرق لحم المغزى .

(١) المطال : أصله السبك والطبع . ط ، هـ : « مطوطة » وصوابها من س وما سبق في (٢ : ٢١٤ س ٢) .

(٢) سبق البيت في (٢ : ٢١٤) ، وسيعاد في هذا الجزء من ١٨٠ ، ٢٨٢ .

(٣) يجمد ، بالجميم : أى يصير جامداً ، والمراد يجمد ما يكون فوقه من الإهالة ، أى الدسم . وسيأتى مثل هذا المعنى بصورة أخرى في ص ٩٤ . وهذه الكلمة محرفة في الأصل ، فهي في ط ، س « يجمل » وفي هـ : « يجمد » . وكتب في هامشة س : « خ يجمد خ تجمد » وكل أولئك محرف .

(٤) الثرب : شحم رقيق يغطي الكرش والأمعاء .

(٥) في الأصل : « تحمل » . وانظر التنبيه الثالث من هذه الصفحة .

(طباع الخنزير)

قال : والخنزير الذكر يقاتل في زمن الهيج ، فلا يدع خنزيراً إلا قتلته ، ويدنو من الشجرة ويدلك جلده ، ثم يذهب إلى الطين والحماة فيتلطخ به ، فإذا تساقط عاد فيه .

قال : وذكره الخنازير تطرد الذكورة عن الإناث ، وربما قتل أحدهما صاحبه وربما هلكا جميعا ، وكذلك الثيران والكباش والطيوس في أفاطيعها ، وهي قبل ذلك الزمان ^(١) متسالة .

(ما يعرض لبعض الحيوان عند الهيج)

والجمل في تلك الحالة ^(٢) لا يدع جملاً ولا إنساناً يدنو من هجمته ^(٣) .
والجمل خاصة يكره قرب الفرس ، ويقاتله أبداً .
ومثل هذا يعرض للذئبة والذئب . والأسد ليس ذلك من صفاتها ؛ لأن بعضها لا يأوى إلى بعض ، بل ينفرد كل واحد بلبؤته . وإذا كان للذئبة الأنثى جراء ^(٤) ساءت أخلاقها وصعبت ، وكذلك إناث الخيل والفيل : يسوء خلقها في ذلك الزمان ، والفيالون يحمونها التزو ؛ لأنها إذا نزت جهلت جهلاً شديداً ، واعتراها هيج لا يُقام له . وإذا كان ذلك الزمان أجادوا عقله ، وأرسلوه في الفيلة الوحشية . فأما الخنزير والكلب فلهما لا يجهلان على الناس ؛ لمكان الألفة .

(١) أي زمان الهيج .

(٢) ط ، ه : « الحالات » .

(٣) الهجمة ، بالفتح : جماعة الإبل من الأربعين إلى المائة .

(٤) جراء : جمع جرو ، وهو ولدها . س : « جرى » ، مصغر جرو .

قال : وزعم بعضُ النَّاسِ أَنَّ إناثَ الخيلِ تمتلئُ ریحاً في زمانٍ هيئتها ، فلا يباعدون الذُّكُورَ عنها ، وإذا اعترأها ذلك ركضتُ ركضاً شديداً ، ثمَّ لا تأخذ غرباً ولا شرقاً ، بل تأخذ في الشَّمالِ والجنوبِ .

ويعرض مثل هذا العَرَضِ لإناثِ الخنازير . فإذا ^(١) كان زمنُ هِياجِ الخنازير ، تطأطيء رءوسها ، وتحرك أذنانها تحريكاً متتابعاً ، وتتغيرُ أصواتها إذا طلبت السَّقَادُ . وإذا طلبت الخنزيرةُ السَّقَادَ بالت بولاً متتابعاً .

(تناسل الخنازير)

قال : وإناث الخنازير تحمل أربعة أشهر . وأكثرُ ما تحمل عشرون خِنُوصاً ^(٢) . وإذا وضعت أجراً كثيراً لم تقوَ على رِضاعها وتربيتها .

قال : وإناث الخنازير تحمل من نزوة واحدة ، وربما كان من أكثر . وإذا طلبت الذكر لم تنزع حتى تطاوع وتسامح ، وترخي أذنانها . فإذا فعلت ذلك ^(٣) تكنتي بنزوة واحدة .

١٩

ويُعلَفُ الذَّكَرُ الشَّعِيرَ في أوان النَّزْوِ ، ويصلح للأثني .

(مدد الحمل للحيوان)

والخنزيرة تضع في أربعة أشهر ، والشاة في خمسة ، والمرأة والبقرة في تسعة أشهر ، والخافر كله في سنة .

(١) س : « وإذا » .

(٢) الخنوص ، كسنور : ولد الخنزير .

(٣) س : « فعند ذلك » .

(خصائص الخنزير)

قال : ومتى قلعت العين الواحدة من الخنزير هلك . وكثير من الخنازير تبقى خمسة عشر عاما . والخنزير ينزو إذا تم له ثمانية أشهر ، والأنثى تريد الذكر إذا تمت لها ستة أشهر . وفي بعض البلدان ينزو إذا تم له أربعة أشهر ، والخنزيرة إذا تمت لها ستة أشهر ، ولكن أولادهما لا نجىء كما يريدون . وأجود النزوة أن يكون ذلك منه وهو ابن عشرة أشهر إلى ثلاث سنين . وإذا كانت الخنزيرة ^(١) بكرًا ولدت جراء ضعافا ، وكذلك [البكر] من كل شيء .

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ ثم ذكر [غير ^(٢)] الطيبات فقال : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَاللَّطِيخَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذَيْبَحَ عَلَى النُّصُبِ ، وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ، ذَلِكَمْ فِسْقٌ ^(٣) ﴾ .

(١) ط : « الخنزيرة » بالتصغير .

(٢) ليست بالأصل : وبها يصح الكلام .

(٣) الدم : أى الدم المصفوح ، وكان أهل الجاهلية يصبونه في الأمعاء ويشوونها . وانظر ص ٩٦ . وما أهل به لغير الله : أى مازع الصوت لغير الله به ، كقولهم : باسم اللات والعزى عند ذبحه . والموقوذة : المضروبة بنحو خشب ، أو حجر ، حتى تموت . والمتردية : التي تردت من علو أو في بئر فانت . واللطيخة : التي نطحها غيرها فانت . وما أكل السبع : أى ما أكل منه سباع الحيوان الصائد . والنصب : واحد الأنصاب ، وهي أحجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويتقربون بذلك . والاستقسام بالأزلام : ما كانوا يفعلونه من التماسر بالأقداح على الجزور .

ثُمَّ قَالَ : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ^(١) أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ .

(استطراد لغوى)

وقوله تعالى : ﴿ طَيِّبَاتٍ ﴾ . محتمل وجوهاً كثيرة ، يقولون : هذا ماء طيب ، يريدون العذوبة . وإذا قالوا للبرِّ والشَّعِيرِ والأَرَزِ طيبٌ ، فإنما يريدون أنه وسطٌ ، وأنه فوق الدُّون . ويقولون : فم طيب الرِّيح ، وكذلك البرِّ ، يريدون أنه سليم من اللُّثْنِ ، ليس أن هناك ريحاً طيبة ولا ريحاً منتنة . ويقولون : حلال طيبٌ ، وهذا لا يحل [لك ^(٢)] ، ولا يطيب لك ، وقد طاب لك : أى حلَّ لك ، كقوله : ﴿ فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ .

(١) عطف على : « من لعنه الله » أى « ومن عبد الطَّاغُوت » . وقرئ : « عابد الطَّاغُوت » ، و « عبد الطَّاغُوت » نعت كقطعن . ويقط ، و « عبدة الطَّاغُوت » ، و « عبد الطَّاغُوت » جمع كخدم . والطَّاغُوت منصوبة في قراءة حفص ، مجرورة في القراءات الأربع التى سردتها . والمراد به الكهنة ، أو من أطاعوه في معصية الله .

(٢) الزيادة من هـ ، س .
(٣) س : « انكحوا » ، وهو وجه جائز في الاستشهاد حيث يصح ترك الواو والفاء ونحوهما ، في أول الاستشهاد ، وقد سبق مثله في (٣ : ١٥) ، وسيأتى نظيره في ٢٧٦ . وقد كتب إلى حضرة المحدث الكبير الأستاذ أحمد محمد شاكر ، أن الشافعى جرى على هذا النحو في ثلاثة مواضع من « الرسالة » وهى : رقم ٦٤٣ قول الشافعى : « لقول الله : يحل لحم الطيبات » والتلاوة « ويحل » . ورقم ٩٧٤ قول الشافعى : « وقال : قاتلوا المشركين كافة » والتلاوة : « وقاتلوا » . ورقم ٩٧٥ قوله : « وقال : اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » والتلاوة : « فاقتلوا » .

قال طُوَيْسُ المَعْنَى لبعض^(١) ولد عثمان بن عفان^(٢) : لقد شَهِدْتُ
زِفَافَ أُمِّكَ المَبَارَكَةِ إِلَى أَيْبِكَ الطَّيِّبِ . يَرِيدُ الطَّهَارَةَ . ولو قال : شَهِدْتُ
زِفَافَ أُمِّكَ الطَّيِّبَةَ إِلَى أَيْبِكَ المَبَارَكِ ، لم يَحْسُنْ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّ قَوْلَكَ طَيِّبٌ إِنَّمَا
يَدُلُّ عَلَى قَدَرٍ مَا اتَّصَلَ بِهِ مِنَ الكَلَامِ . وقد قال الشَّاعِرُ^(٣) :

وَالطَّيِّبُونَ مَعَاقِدُ الْأَزْرِ^(٤)

وقد يَخْلُو الرَّجُلُ بِالرَّأَةِ فيقول : وَجَدْتُهَا طَيِّبَةً . يَرِيدُ طَيِّبَةَ الكَوْمِ^(٥)
لَذِيذَةِ نَفْسِ الوَطءِ . وإذا قالوا : فُلَانٌ طَيِّبُ الْخُلُقِ ، فَإِنَّمَا يَرِيدُونَ الظَّرْفَ
وَالْمَلْحَ^(٦) .

وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ
طَيِّبَةٍ ﴾ ، يَرِيدُ رِيحًا لَيْسَتْ بِالضَّعِيفَةِ وَلَا الْقَوِيَّةِ .

(١) طويس هذا ، هو الذي يقال فيه : « أَشَامُ مِنْ طُوَيْسٍ » وذلك أنه - كما يقولون -
ولد يوم قبض الرسول ، وفطم يوم وفاة أبي بكر ، وختن يوم مقتل عمر ، وزوج
يوم مصرع عثمان ، وولد له ولد يوم قتل علي . وهو أول من تغنى بالمدينة غناء
يدخل في الإيقاع . وعمر حتى مات في ولاية الوليد بن عبد الملك .

(٢) هو سعيده بن عثمان بن عفان ، وكان سأل طويساً : أَيْنَا أَسْنُ ، أَنَا أَوْ أَنْتَ
يا طويس ؟ فأجابه طويس بالجواب الآتي . انظر البيان (١ : ٢٦٣) . وأول
الجواب في البيان : « بَأَيِّ أَنْتَ وَأُمِّي ، لَقَدْ . . . » إلخ .

(٣) هو الخنرق بنت هفان ، من مرثية لها ترقى بها زوجها بشر بن عمرو بن مرثد
الضبي ، وابنها علقمة ، وأخويه حسان وشرحبيل ، ومن قتل معهم من قومهم .
الخرنزة (٢ : ٣٠٦ بولاق) .

(٤) صدر البيت :

* النازلين بكل معتزك *

وَالْأَزْرُ : جمع إزار ، وسكن الزاي للشعر . وهو ما ستر النصف الأسفل من
الإنسان . والمعنى أنهم أعفأ . ط : « الْأَرْزُ » ، صوابه في س ، هـ .

(٥) الكوم ، بالفتح ، بمعنى الوطاء .

(٦) الملح ، بالكسر ، بمعنى الملاحاة .

ويقال : لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس منه . وقال الله عز وجل : ﴿ فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ﴾ وقال : ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ ، وذلك إذا (١) كانت طيبة الهواء والفواكه ، خصيبة .

وقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ثم قال : ﴿ الْحَيْثَاتُ لِلْحَيْثِينَ وَالْحَيْثُونَ لِلْحَيْثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّغُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ .

وفي هذا دليل على أن التأويل في امرأة نوح وامرأة لوط ، عليهما السلام ، على غير ما ذهب إليه كثير من أصحاب التفسير : وذلك أنهم حين سمعوا قوله عز وجل : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحَ وَامْرَأةَ لُوطَ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا ﴾ فدل ذلك على أنه لم يعن الخيانة في الفرج .

وقد يقع اسم الخيانة على ضروب : أو لها المال ، ثم يشتق من الخيانة في المال الغش في النصيحة والمشاورة . وليس لأحد أن يوجه الخبر إذا نزل في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وحرّم الرُّسُل ، على أَسْمَح الوجوه ، إذا كان للخبر مذهب في السلامة ، أو في القصور على أدنى العيوب (٢) . وقد علمنا أن الخيانة لا تتخطى إلى الفرج حتى (٣) تبتدىء بالمسال . وقد

(١) في الأصل : « إذا » .

(٢) القصور ، بمعنى الانتهاء . وفي الأصل : « المقصود » ، وليس لها وجه .

(٣) ط ، هـ : « قد » .

يستقيم أن يكونا من المنافقين فيكون ذلك منهما خيانة عظيمة . ولا تكون
نساؤهم زواني ، فيلزمهم أسماء قبيحة . وقال الله عز وجل : ﴿ إِذَا دَخَلْتُمْ
بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ ﴾ وقال :
﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ وقال : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ
أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ وقال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ
زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ وقال : ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ
خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ و : ﴿ مَثَلُ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ وقال :
﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمُنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ
مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ فقلوه : طيب ، يقع في مواضع كثيرة ، وقد فصلنا بعض
ذلك ^(١) في هذا الباب .

ثم رجع بنا القول إلى موضعنا من ذكر الخنزير

ثم قال : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِيهَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا
أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا
أَهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ . ٢١
ألا تراه قد ذكر أصناف ما حرّم ولم يذكرها بأكثر من التحريم ، فلما
ذكر الخنزير قال : ﴿ فَإِنَّهُ رِجْسٌ ﴾ ؟ ! فجعل الخنزير وإن كان غير مَيْتَةٍ
أو ذكر الذابح عليه اسم الله ، أنه رِجْسٌ ^(١) . ولا نعلم لهذا الوجه إلا الذي
خصّه الله به من ذكر المسخ ، فأراد تعظيم شأن العقاب ونزول الغضب ، وكان
ذلك القول ليس بما يضر الخنزير ، وفيه الزجر عن محارمه ، والتخويف

(١) ط ، ه : « بعضها » .

(٢) ط : « رجسا » موضع : « أنه رجس » .

من مواضع عذابه . و [إِنْ قِيلَ ^(١)] : ينبغي أن يكون مسخ صورة الفرد ،
فهلاً ذكره في التحريم مع أصناف ما حرم ، ثم خصه أيضاً أنه من بينها
رجس ، وهو يريد مذهبه وصفته ؟ قلنا : إن العرب لم تكن تأكل القروء ،
ولا تلتمس صيدها للأكل . وكل من تنصّر من ملوك الروم والحبشة
والصين ، وكل من تمجّس من ملك أو سوقة ، فإثمهم كانوا يرون للحم
الخنزير ^(٢) فضيلة ، وأن لحومها مما تقوم إليه النفوس ، وتنازع إليه
الشهوات . وكان في طباع الناس من التكره للحوم القرد ، والتقدّر ^(٣)
منها ما يغني عن ذكرها . فذكر الخنزير إذ كان بينهما . هذا الفرق ، ولو
ذكر ذلك وألحق القرد بالخنزير لموضع التحريم ، لكان ذلك إنما كان على
وجه التوكيد لما جعله الله تعالى في طبائعهم من التكره والتقدّر ، ولا ^(٤)
غير ذلك .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ
الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شَحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ
مَا اختَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ^(٥) ﴾ .

(١) زيادة يقتضيها الكلام . وجواب الاعتراض في السطر الثالث .

(٢) ط ، هـ : « لحم الخنزير » وصوابه في س .

(٣) خير منه : « التقزز » .

(٤) س : « لا » بحذف الواو .

(٥) الذين هادوا : اليهود . والمراد بالظفر المخلب والخافر أيضاً . والمراد بالشحوم
شحوم الثروب وشحوم الكلى . حملت ظهورهما : أى ما علق بظهورهما من الشحم .
والحوايا : الأمعاء ، واحدها حاوية . والشحم الذى اختلط بالعظم هو شحم الألية .
لاتصاله بالعصم . ط بعد : « . . . عليهم شحومهما » : كلمة « الآية » . وجاءت
مسرودة في س ، هـ إلى « وإنا لصادقون » .

(وجوه التحريم)

وقد أنبأك^(١) كما ترى عن التحريم أنه يكون من وجوه : فمنها ما يكون كالسكذب والظلم والغش^(٢) والغدر ؛ وهذه أمور لا تحل على وجه من الوجوه . ومنها ما يحرم في العقل من ذبح الإنسان الطفل . وجعل في العقول التبيين^(٣) بيان خالق الحيوان أو المالك له ، والقادر على تعويضه ، يقبح^(٤) ذلك في السماع على السنة رسله .

وهذا إما يحرم بعينه وبذاته ، لأنه^(٥) حرم لعله قد يجوز دفعها . والظلم نفسه هو الحرام ، ولم يحرم لعله غير نفسه .
وباب آخر ، هو ما جاء من طريق التعبد ، وما يعرف بالجملة ، ويعرف بالتفسير .

ومنه ما يكون عقاباً ، ويكون مع أنه عقاب امتحاناً واختباراً ، كمنحو ما ذكر من قوله : ﴿ ذَلِكْ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ ﴾ وكنحو أصحاب البقرة الذين قيل لهم : اذبحوا بقرة ؛ فإني أريد أن أضرب بها القتيل ثم أحبيهما جميعاً . ولو اعترضوا من جميع البقر بقرة فذبحوها ، كانوا غير مخالفين ؛ فلما ذهبوا مذهب التلکؤ والتعلل^(٦) ، ثم التعرض ، والتعنت^(٧) في طريق التعنت ، صار ذلك سبب تغليظ الفرض^(٨) .

(١) كذا على الصواب في س ، هـ . وفي ط : « أنبأناك » .

(٢) الغش : الظلم .

(٣) في الأصل : « التبيين » وانظر التنبيه ١ ص ٥١ .

(٤) س ، هـ : « أن يقبح » وكلمة « أن » مقحمة .

(٥) في الأصل : « وأنه » ، والوجه ما أثبت .

(٦) التلکؤ : الإبطاء والاعتلال . ط ، س : « التلکى » هـ : « التلظى »

صوابه ما أثبت . والتعلل : بمعنى التماس الملل . ط : « التمليل » ؛ صوابه ما أثبت من س ، هـ .

(٧) كذا . ولعلها : « التعلل » .

(٨) وذلك أنهم سألوا موسى أسئلة ثلاثة ، فكلما سألوا سؤالاً زاد عليهم التكليف =

وقد قال الله عز وجل : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ ، وقال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ . ومثله : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا ﴾ ، يجوز أن يكون إنما يريدون صرف العذاب ، ويجوز أن يكون إنما يريدون تخفيف الفرائض . وقد يجوز أن يكون ^(١) على قول من قال : لا أستطيع النظر إلى فلان ، على معنى الاستئصال ^(٢) .

وباب آخر من التحريم ، وهو قوله : ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلُ التَّوْرَةُ ﴾ ^(٣) .

(شعر في الخنزير)

وقال مروان بن محمد ^(٤) :

يَمْشِي رُوَيْدًا يُرِيدُ خَنَازِكُمْ ^(٥) كَمْشَى خَنْزِيرَةً إِلَى عَذْرَةٍ ^(٦)

= انظر الآيات ٦٧ - ٧١ من سورة البقرة . ولو أنهم أطاعوا الأمر بادىء بدء لما عرض لهم هذا التشديد .

(١) في الأصل : « يجوز إذا » وانظر ما سبق .

(٢) في الأصل : « الاستئصال » .

(٣) إسرائيل هو يعقوب عليه السلام . وكان حرم على نفسه بعض الطعام ، كالحوم الإبل والباها .

(٤) هو أبو الشمقم الذي سبقت ترجمته في (١ : ٢٢٥) .

(٥) كذا في ط . وفي س ، هـ : « خلعتكم » ، وصوابه « خلقتكم » كما سبق في (١ : ٢٣٩) .

(٦) ط : « غذرة » ، وتصحيحه من س ، هـ .

وقال آخر (١) :

نِعْمَ جَارُ الْخَزِيرَةِ الْمَرْضِيعُ الْغَرَّ ثَى إِذَا مَا غَدَا ، أَبُو كَلْثُومٍ (٢)
طَاوِبًا قَدْ أَضَابَ عِنْدَ صَدِيقٍ مِنْ ثُرَيْدٍ مُلَبِّدٍ مَادُومٍ (٣)
ثُمَّ أَنْحَى بِجَعْرِهِ حَاجِبَ الشَّمْسِ س فَاتَّقَى كَالْمِغْلَفِ الْمَهْدُومِ
(جرير والحضرمي)

وقال أبو الحسن (٤) : وفد جريرٌ على هشامٍ ، فقال الحضرمي : أَيُّكُمْ
يَشْتُمُهُ ؟ فقالوا : مَا أَحَدٌ يَقْدِمُ عَلَيْهِ ! قال : فَأَنَا أَشْتُمُهُ وَيَرْضَى وَيَضْحَكُ !
قال : فَقَامَ إِلَيْهِ فَقَالَ : أَنْتَ جَرِيرٌ ؟ قال : نَعَمْ . قال : فَلَا قَرَّبَ اللَّهُ دَارَكَ
وَلَا حَيًّا مَزَارَكَ ! يَا كَلْبُ ! فَجَعَلَ جَرِيرٌ يَنْتَفَخُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : رَضِيتَ فِي
شُرْفِكَ وَفَضْلِكَ وَعَفَاكَ أَنْ تَهَاجِيَ الْقَرْدَ الْعَاجِزَ (٥) ؟ ! يَعْنِي الْفِرْزَدَقُ . فَضَحِكَ .
فَحَدَّثَ صَدِيقٌ لِي أبا الصَّلَاحِ السَّنْدِيِّ (٦) بِهَذَا الْحَدِيثِ ، قَالَ : فَشِعْرِي
أَعْجَبُ مِنْ هَذَا ؛ لِأَنِّي شَتَمْتُ الْبُخْلَاءَ ، فَشَتَمْتُ نَفْسِي بِأَشَدِّ مِمَّا شَتَمْتَهُمْ .
فَقَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ قَوْلِي :

لَا تَرَى بَيْتَ هَجَاٍ أَبْدَأُ يُسْمَعُ مِنِّي
الْهَجَا أَرْفَعُ مِمَّنْ قَدَرُهُ يَصْغُرُ عَنِّي (٧)

- (١) هو الحكم بن عبدك ، كما سبق في (١ : ٢٣٦) .
- (٢) الفرثي ، بالغين : جمع غرثان ، وهو الجائع . هـ : « الفرثي » صوابه في ط ،
س والبيان (٣ : ٣١١) .
- (٣) في الجزء الأول : « من ثريد ملبق » . والمأدوم : المخلوط بالأدم بالضم ، وهو
ما يخلط به الخبز .
- (٤) هو أبو الحسن المدائني الأخباري الراوية .
- (٥) ط : « الفاجر العاجز » وأثبت ما في س ، هـ .
- (٦) ذكره ابن النديم في الشعراء المقلين ١٦٤ ليسك ٢٣٣ مصر ، وذكره المرزباني في المعجم
٣١١ باسم « أبو الصلح » في حرف الضاد المعجمة . هـ : « الهذلي » .
- (٧) س : « ينقص غني » .

(طريفة)

قال أبو الحسن : كان واحدٌ يسخرُ بالنَّاسِ ، ويدَّعى أنَّه يرقى من الضُّرس إذا ضربَ على صاحبه . فكان إذا أتاه مَنْ يشتكى ضرسه قال له إذا رقاہ : إِيَّاكَ أَنْ تَذْكَرَ إِذَا صِرْتَ إِلَى فِرَاشِكَ الْقِرْدَ ؛ فَإِنَّكَ إِنْ ذَكَرْتَهُ بَطَلْتَ الرُّقِيَّةَ ! فكان - إذا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ - أَوَّلَ شَيْءٍ يَخْطُرُ عَلَى بَالِهِ ذِكْرُ الْقِرْدِ ، وَيَبِيتُ عَلَى حَالِهِ مِنْ ذَلِكَ الْوَجَعِ ، فَيَخْدُو إِلَى الَّذِي رَقَاه ٢٣ فيقول له : كَيْفَ كُنْتَ الْبَارِحَةَ ؟ فيقول : بَيْتٌ وَجِعًا ! فيقول : لَعَلَّكَ ذَكَرْتَ الْقِرْدَ ! فيقول : نَعَمْ ! فيقول : مِنْ ثَمَّ لَمْ تَنْتَفِعَ بِالرُّقِيَّةِ !

(شعر لبعض ظرفاء الكوفيين)

وقال بعضُ ظُرفاءِ الكُوفِيِّين :

فَإِنْ يَشْرَبُ أَبُو فَرْوُخَ أَشْرَبُ وَإِنْ كَانَتْ مَعْتَقَةً عُقَارًا^(١)
وَإِنْ يَأْكُلُ أَبُو فَرْوُخَ آكَلُ وَإِنْ كَانَتْ خَنَانِيصًا صِغَارًا^(٢)

(١) انظر للكلام على صرف «فروخ» اللسان (فرخ) حيث أنشد البيت الثاني برواية أخرى .
والعقار ، بالضم : الخمر ؛ لمعاقرتها ، أى ملازمتها الدن ، أو لعقرها شاربها
عن المشي .

(٢) الخنانيص : جمع خنوص ، كسنور ، وهو ولد الخنزير . والبيتان في عيون الأخبار
(٣ : ١٦) . والثاني منهما في اللسان (فرخ) .

(قرد يزيد بن معاوية)

وقال يزيد بن معاوية^(١) :

فَمَنْ مَبْلِغُ الْقِرْدِ الَّذِي سَبَقْتُ بِهِ جِيَادَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَتَانَهُ
تَعَلَّقَ أَبَا قَيْسٍ بِهَا إِنْ أَطْعَمَنِي فَلَيْسَ عَلَيْهَا إِنْ هَلَكْتَ ضَمَانُ^(٢)

(جزع بشار من شعر حماد)

وزعم الجرداني أن بشاراً الأعمى ، لم يجزع من هجاء قط كجزع من
بيت حماد عجرد ، حيث يقول :

وَيَا أَتْبَحَ مِنْ قِرْدٍ إِذَا مَا عَمِيَ الْقِرْدُ

(١) س : « أبو يزيد بن معاوية » ، وصوابه ما أثبت من ط ، ه وأمالى الزجاجي ٦ :

والمخصص (١٣ : ١٧٧) . ونهاية الأرب (٩ : ٣٣٧) وفي مروج الذهب (٣ :

٧٧) أن القائل بعض شعراء الشام ، وكذا في مباحج الفكر ١٢٢ . والبيتين قصة طريفة

فقد ذكروا أن يزيد بن معاوية كان له قرد يلعب به ، فلامه الناس على اتخاذه ، فأمر

به فشد على أتان وحشية ، ثم أطلقت ، وأمر أن تطلبه الخيل ، فركض الخيل ، وتنادت

الفرسان في طلبه فتجا ولم يدرك . وأنشد يزيد البيتين الآتين (برواية أخرى) :

تمسك أبا قيس على أرحية فليس علينا إن هلكت ضمان

فقلت من الشخص الذي سبقته جياذ أمير المؤمنين أتان

قلت : ومعنى اللعب بالقرد هو السباق به . ويتضح ذلك من النص الآتي

عن نهاية الأرب : « وفي القرد من قبول التأديب والتعليم مالاخفاء به عن أحد ؛

حتى إنه درب قرد ليزيد بن معاوية على ركوب الحمير والمسابقة عليها » .

(٢) أبو قيس : كنية القرد ، كما في المخصص . بها : أي بالأتان .

(شعر في الهجاء)

وقال بشير بن أبي جذيمة العبسي^(١) :

أَتَخْطِرُ لِلْأَشْرَافِ حَذِيمُ كَبْرَةً وهل يستعدُّ القِرْدُ لِلْخَطَرَانِ^(٢)
أَبِي قِصْرُ الْأَذْنَابِ أَنْ يَخْطِرُوا بِهَا وَلَوْمْ قُرُودٍ وَسَطُ كُلِّ مَكَانِ
لَقَدْ سَمِنَتْ قِرْدَانُكُمْ آلَ حَذِيمٍ وَأَحْسَابُكُمْ فِي الْحَيِّ غَيْرُ سِمَانِ^(٣)

الأصمعي^(٤) عن أبي الأشهب^(٥) عن أبي السليل قال : ما أبالي أخزيراً
رَأَيْتُ يَجْرُ بِرَجْلِهِ^(٦) ، أو مثل^(٧) عبيد ينادى : يالَ قَلَانِ !

(١) هو بشير ، بهيئة الصغير ، ابن أبي جذيمة بن الحكم بن مروان بن زنباع بن جذيمة
العبسي ، ذكره الأمدى في المؤتلف والمختلف ٦١ . وروى له أبو تمام الأبيات
الآتية في حماسه (٢ : ١٨٢) . وفي الأصل : « بشر بن الهنلي » ، وهو
تحريف غير صالح .

(٢) تخطر : من خطر البعير : ضرب بذنبه يمينا وشمالا . والكبرة ، بالكسر :
الغظلة ، أو التاجر . يقول لقبيل حذيم : أتعدثون أنفسكم بمجاعة الأشرف ؟ !
وجعلهم قرودا لحسهم . والقرد لا ذنب له يخطر به . ورواية الهجاء : « أتخطر
للأشرف يا قرد حذيم .

(٣) سئل أبو الندى عن معنى هذا البيت فقال : كنى بالقردان هنا عن القمل . أي
سمنت أجسامكم وعظمت ، ودقت أحسابكم ولؤمت . وأصل القردان ، بالكسر : جمع
قرد بالضم ، وهو دويبة تلزم الإبل ومعاطنها . ورواه أبو تمام : « قعدانكم »
جمع قعود ، وهو الذكر الشاب من الإبل . جعل قعدانهم سمينة لأنهم يؤثرونها
بالبن على الضيف والجار ، فأحسابهم غير سمان . وقد رد أبو محمد الأعرابي رواية
أبي تمام . التبريزي (٤ : ٩) .

(٤) ط : « وقال الأصمعي » ، صوابه ما أثبت من س ، ه .

(٥) س : « ابن الأشهب » .

(٦) س : « برجليه » .

(٧) س : « قتيل » .

(استطراد لغوى)

الأصمعي عن أبي ظبيان^(١) قال : الخوز^(٢) هم البناة^(٣) الذين بنوا الصرح^(٤) واسمهم مشتق من الخنزير . ذهب إلى اسمه بالفارسية [خوك^(٥)] ، فجعلت العرب خوك^(٦) خوزاً^(٧) . إلى هذا ذهب .

(تناسل المسخ)

و [قد] قال الناس في المسخ بأقاويل مختلفة : فمنهم من زعم أن المسخ لا يتناسل ولا يبقى إلا بقدر ما يكون موعظة وعبرة ، فقطعوا على ذلك^(٨) الشهادة . ومنهم من زعم أنه يبقى ويتناسل ، حتى جعل الضب والجري^(٩) ، والأرانب ، والكلاب وغير ذلك ، من أولاد تلك الأم التي مسخت في هذه الصور . وكذلك قولهم في الحيات .

وقالوا في الوزغ : إن أباه^(١٠) ، لما صنع في نار إبراهيم وبيت المقدس ماصع^(١١) ، أسمه الله وأبرصه ، فقيل : « سام أبرص » . فهذا الذي

(١) لم أثر له على تعريف .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من س . وبدلها في ط : « الخزر » صوابه ما أثبت من ه ومن معجم البلدان . والخوز بالضم : أهل خوزستان .

(٣) البناة ، بالضم : جمع بان . وبدله في المعجم : « الفعلة » . ط ، ه : « البنات » محرفة .

(٤) الصرح ، بالفتح : بناء عظيم قرب بابل ، يقال إنه قصر بختنصر . عن المعجم .

(٥) في الأصل ، وهو هنا س : « هزر » وتصحيحه من معجمي استينجاس وريتشاردسن ، والمعارف لابن قتيبة ص ٢٧٠ . وانظر معجم البلدان (خوز) .

(٦) في الأصل : « خزر » وصوابه ما أثبت . انظر التنبيه السابق .

(٧) في الأصل : « خنزيرا » . والوجه ما كتبت .

(٨) ط ، ه : « تلك » . والشهادة معمول قطعوا .

(٩) الجري : ضرب من السك . زعم أصحاب الخرافة أنه كان أمة من الأم مسخها الله انظر الحيوان (١ : ٢٩٧ ص ٥) .

(١٠) س ، ه : « أباهم » . وقد يستعمل ضمير العاقلين لغيرهم . وقد عقد الثعالبي في سر العربية فصلاً لذلك ، عنوانه : (فصل في إجراء غير بني آدم مجراهم في الإخبار عنه) .

(١١) في سنن ابن ماجه ، عن عائشة رضى الله عنها ، أنه كان في بيتها رمح موضوع ، فقيل =

نرى^(١) هو من ولده ؛ حتى صار في قتله الأجر العظيم ، ليس على أن الذي يقتله كالذي يقتل الأسد والذئب ، إذا خافها على المسلمين .

وقالوا في سهيل^(٢) ، وفي الزهرة^(٣) ، وفي هاروت وماروت^(٤) ، وفي قيرى وعيرى أبوى ذى القرنين^(٥) ، وجرهم^(٦) ، ماقالوا .

= لها : ما تصنعين بهذا ؟ فقالت : أقتل به الوزغ فإن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما ألقى في النار لم يكن في الأرض دابة إلا أطفأت عنه ، غير الوزغ فإنه كان ينفخ عليه النار ، فأمر صلى الله عليه وسلم بقتله . وكذا رواه الإمام أحمد في مسنده . وكذا روي أنه لما أحرق بيت المقدس كانت الأوزاغ تنفخه . السمرى .

- (١) س : « يرى » .
- (٢) سهيل ، ذاك النجم . زعموا أنه كان عشاراً باليمن . الحيوان (١ : ٢٩٧) وتأويل مختلف الحديث ١٠ . وما يشبه هذه الخرافة مازعموا أن ذئباً دخل الجنة لأنه أكل عشاراً .
- (٣) الزهرة : ذاك الكوكب . زعموا أنها كانت بغيا عرجت إلى السماء باسم الله الأعظم فسخطها الله شهاباً . تأويل مختلف الحديث ١٠ .
- (٤) زعم العوام ، متبعين حكاية اليهود ، أنهم ماسكان مثلاً بشرين ، وركب فيهما الشهوة ، ففرضا لامرأة يقال لها الزهرة ، فحملتهما على المعاصي والشرك ، ثم صعدت إلى السماء بما تعلمت منهما من السحر — انظر التنبيه السابق وتفسير البيضاوى — وقال الجاحظ في شأنهما : « وكان الملك من الملائكة إذا عصى ربه في السماء ، أهبطه إلى الأرض في صورة رجل وفي طبيعته ، كما صنع هاروت وماروت ، حين كان من شأنهما وشأن الزهرة — وهي أناهيد — ما كان » . انظر الحيوان (١ : ١٨٧ س ٤) . والمذهب القرآني فيهما أنهما ملكان أنزلا لتعليم السحر ، ابتلاء من الله للناس ، وتمييزاً بين السحر والمعجزة ، وكانا يقولان لمن يعلمانه : « إنما نحن فتنة فلا تكفر » ، أى نحن نعلم للعلم لا للعمل ؛ فعلم السحر لا بأس به ، وأما العمل به فمحظور ممنوع .
- (٥) وكذا جاءا بالباه الموحدة في فقه اللغة بدون اختلاف في النسخ ، وثمار القلوب ٢٢٦ وكذا في الجزء الأول من نسخة كوبريل . راجع هذه الطبعة (١ : ١٨٨) وفي رسائل الجاحظ ٩٧ ساسى : « قيرى وعيرى » بالمثناة التحتية . وفي ط : « قيرى وعيرى » و ه : « قيرى وعيرى » و س (سرى — مهمل — وعيرى) أما أولها فزعموا أنها أم ذى القرنين ، وأنها كانت آدمية ، وأما الآخر فهو أبو ذى القرنين ، وكان من الملائكة فيما زعموا . انظر الحيوان (١ : ١٨٨) وثمار القلوب . جاء في الأصل بعله : « وفي أبوى » . وكلمة : « في » مقحمة كما ظهر لك . وجاء في ط ، ه : « ذوى القرنين » تحريف صوابه في س .
- (٦) جرهم هذا هو ابن يقطن بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام ، فيما يرى نساب =

(القول في المسخ)

٢٤ فَأَمَّا الْقَوْلُ فِي نَفْسِ الْمَسْخِ فَإِنَّ النَّاسَ اخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ : فَأَمَّا الدُّهْرِيَّةُ فَهُمْ فِي ذَلِكَ صَنِفَانِ : فَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَ الْمَسْخَ وَأَقْرَبَ بِالْخَسْفِ ^(١) وَالرَّيْحِ وَالطُّوفَانِ ، وَجَعَلَ الْخَسْفَ كَالزَّلَازِلِ ، وَزَعَمَ أَنَّهُ يَقَرُّ مِنَ الْقَذْفِ بِمَا كَانَ مِنَ الْبَرْدِ الْكِبَارِ ^(٢) ؛ فَأَمَّا الْحِجَارَةُ فَإِنَّهَا لَا تَجِيءُ مِنْ جِهَةِ السَّمَاءِ . وَقَالَ : لَسْتُ أَجُوزُ إِلَّا مَا اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ أَنَّهُ قَدْ يَحْدُثُ فِي الْعَالَمِ . فَأَنْكَرَ الْمَسْخَ الْبَيْتَةَ .

(أثر البيئة)

وَقَالَ الصَّنْفُ الْآخَرُ : لَا نَنْكَرُ أَنْ يَفْسُدَ الْهَوَاءُ فِي نَاحِيَةٍ مِنَ النَّوَاحِي فَيَفْسُدَ مَاؤُهُمْ ^(٣) وَتَفْسُدَ ثُرْبَتُهُمْ ، فَيَعْمَلُ ذَلِكَ فِي طَبَاعِهِمْ ^(٤) عَلَى الْأَيَّامِ ،

= العرب . قالوا : ولما ترك إبراهيم ولده إسماعيل وأمه بمكة ، جاءت رفقة من جرهم فنزلوا شعاب مكة ، فنشأ إسماعيل مع أولادهم وتعلم الرمي ونطق بلسانهم ثم خطب إليهم فزوجوه امرأة منهم ، قال ابن إسحاق : هي بنت مضاخ بن عمرو الجرمي . والزعم الذي أشار إليه الجاحظ هو قولهم : إن بعض الملائكة عصى الله فأهبط إلى الأرض في صورة رجل تزوج أم جرهم فولدت له جرهما . انظر الحيوان (١) : ١٨٧ س ٧ . والعرب يسمون ما تولد بين الملك والآدي — في زعمهم — « العليان » بالعين . فقه اللغة ٨٢ الحلبي .

(١) يقال خسف الله به الأرض : جعلها تسوخ به . قال تعالى في شأن قارون : « فخسفنا به وبداره الأرض » .

(٢) أى أنه يجوز عنده أن تقلد السماء على الناس برداً كبراً . فأما سقوط الحجارة من السماء للعقاب فهو يتكره . والانتقام بعطس الحجارة جاء في القرآن الكريم على أنه عقاب لقوم لوط : « فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود » . هود ٨٢ . « فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل » . الحجر ٧٤ . « لنرسل عليهم حجارة من طين » . الذريات ٣٣ . في الأصل : « أنه يقرب من القذف » ، وصوابه ما أثبت .

(٣) ط ، هـ : « ماؤهم » ، صوابه في س .

(٤) س : « طباعهم » .

كما عمل ذلك في طباع الزنج ، وطباع الصقالبة^(١) ، وطباع بلاد يأجوج
ومأجوج^(٢) . وقد رأينا العرب وكانوا أعراباً حين نزلوا خراسان ، كيف
انسلخوا من جميع تلك المعاني ، وترى طباع بلاد الترك كيف تطبع الإبل
والدواب وجميع ماشيتهم : من سبع وبهيمة ، على طبائعهم . وترى جراد
البقول والرياحين وديدانها خضراً ، وトラها^(٣) في غير الخضرة على غير ذلك .
وترى القملة في رأس الشاب الأسود الشعر سوداء ، وトラها في رأس الشيخ
الأبيض الشعر بيضاء ، وトラها في رأس الأشمط شمطاء ، وفي لون الجملي
الأورق^(٤) . فإذا كانت في رأس الخصيب بالحمرة تراها حمراء . فإن نصل
خضابه صار فيها شكلة من بين بيض وحمرة .

وقد نرى حرّة بنى سليم^(٥) ، وما اشتملت عليه من إنسان وسبع ،
وبهيمة وطائر ، وحشرة فتراها كلها سوداء .

(١) الصقالبة : جنس يسكن بين بلاد بلغار وقسطنطينية . معجم البلدان . وقد بين
خصائصهم المسعودي في التنبيه والإشراف ٢٢ .

(٢) جنس من الآسيويين ، بنى من أجلهم سد الصين الذي بناه الإسكندر ، وبين
المسعودي طبائعهم بأنهم في عداد البهائم .

(٣) ط ، هـ : « أو تراها » س : « و تراها » .

(٤) الشمط محركة : بياض الرأس يخالط سواده ، ويستعمل أيضاً في غير الرأس .
وكلمة « شمطاء » والواو بعدها ليستا في س ، هـ . وفي التثنية والإعراف
ص ٢٧ حيث تجد مثل هذا الكلام : « شهباء » . والشبهة نحو الشمط . والأورق
من الإبل : ما في لونه بياض إلى سواد . وانظر رسائل الجاحظ (٢ : ٢١٩ - ٢٢٠) .

(٥) الشكلة ، بالضم : اختلاط البياض بالحمرة . وفي الأصل : « شكلة » بحرف .

(٦) الحرّة ، بالفتح : أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرق بال نار : وسليم ،
هو بهيئة التصغير — ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان ، وهذه
الحرّة في عالم نجد . وانظر الكلام بتفصيل فيما اشتملت عليه هذه الحرّة ، في رسائل
الجاحظ ٧٨ سمي وثمار القلوب ٩٦ .

وقد خبرنا من لا يُحصى من الناس أنهم قد أدركوا رجالاً من نبط
بيسان^(١) ، ولهم أذنان إلا تكن كأذنان التماسيح والأسد والبقر والحيل
وإلا كأذنان السلاحف والجُرذان ، فقد كان لهم عُجوب^(٢) طوال
كالأذنان .

وربما رأينا الملاح النبطى فى بعض الجعفریات^(٣) على وجهه شبه
القرود . وربما رأينا الرجل من المغرب فلا نجد بينه وبين المسخ ،
إلا القليل .

وقد يجوز أن يصادف ذلك الهواء الفاسد ، والماء الخبيث ، والتربة
الرديئة ، ناساً فى صفة هؤلاء المغريين^(٤) والأنباط ، ويكونون جهالاً ،
فلا^(٥) يرتحلون ؛ ضنائة^(٦) بمساكنهم وأوطانهم ، ولا ينتقلون . فإذا طال ذلك
عليهم زاد فى تلك الشعور ، وفى تلك الأذنان ، وفى تلك الألوان الشقر ،
وفى تلك الصور المناسبة للقرود .

قالوا : ولم نعرف ، ولم يثبت عندنا بالخبر الذى لا يعارض ، أن الموضع
الذى قلب صور قوم إلى صور الخنازير ، هو الموضع الذى نقل صور قوم إلى صور
القرود . وقد يجوز أن تكون هذه الصور انقلبت فى مهب الريح الشمالى ، والأخرى

(١) بيسان : هذه قرية من قرى الموصل . وانظر الخبر فى معجم ما استعجم ١٢٨٣
فى رسم (بيسان) بالميم .

(٢) العجوب : جمع عجب ، بالفتح ، وهو أصل الذنب .

(٣) كذا . والمعروف « الجعفر » وهو النهر الصغير ، أو الكبير ، أو اللان ،
أو فوق الجدول .

(٤) ط ، هـ : « المشوهين » . وأثبت ما فى س .

(٥) س : « ولا » .

(٦) الضنائة بالفتح : مصدر ضن يضمن ، بالفتح والكسر : يخجل .

في مهبّ الجنوب^(١) . ويجوز أن يكون ذلك كان في دهرٍ واحد ؛ ويجوز ٢٥
أن يكون بينهما دهرٌ ودهور .

قالوا : فلسنا ننسكّر المسخ إن كان على هذا الترتيب ؛ لأنه إن كان على
مجرى الطبائع ، وماتدور به الأدوار ، فليس ذلك بناقضٍ لقولنا ، ولا مثبتٍ
لقولكم .

قال أبو إسحاق^(٢) : الذي قلتم ليس بمحالٍ ، ولا يُسكّر أن يحدثَ
في العالم برهاناتٌ ، وذلك المسخ كان على مجرى ما أعطوا من سائر الأعاجيب ،
والدلائل والآيات . ونحن إنما عرفنا ذلك من قبلهم . ولولا ذلك لكان الذي
قلتم غير ممتنع . ولو كان ذلك المسخ في هذا الموضع على ما ذكرتم ،
ثمّ خبر بذلك نبيٌّ ، أو دعا به نبيٌّ ، لكان ذلك أعظم الحجة .

فأما أبو بكر الأصم^(٣) ، وهشام بن الحكم^(٤) ، فإنهما [كانا^(٥)]
يقولان بالقلب ، ويقولان : إنه إذا جاز أن يقلب الله خردةً من غير أن
يزيد فيها جسماً وطولاً^(٦) [أو عرضاً^(٧)] جاز أن يقلب ابن آدم قرداً من غير
أن ينقص من جسمه طولاً أو عرضاً^(٨) .

(١) انظر لتوضيح هذا الكلام ما سبق في (٣ : ١٧٢ - ١٧٣) . وانظر أيضاً
الإمتاع والمؤانسة (١ : ١٦٩) .

(٢) هو النظام .

(٣) اسمه عبد الرحمن بن كيسان ، كان من أئمة المعتزلة ؛ ذكره عبد الجبار الهمداني في
طبقات المعتزلة وقال : كان من أفصح الناس وأورعهم وأفقههم ، وله تفسير
عجيب . قال ابن حجر : وهو من طبقة أبي الهذيل للعلاف وأقدم منه . لسان الميزان
(٣ : ٤٢٧) .

(٤) سبقت ترجمته في (٣ : ١١) .

(٥) هـ : « فكانا » .

(٦) س : « طولاً » بحذف الواو .

(٧) الزيادة من س ، هـ .

(٨) كذا في ط . وفي س : « منه طولاً جسماً أو عرضاً » هـ : « من جسم طولاً أو عرضاً » .

وأما أبو إسحاق فقد كان - لولا ما صحَّ عنده من قول الأنبياء وإجماع المسلمين على أنه ^(١) قد كان ، وأنه قد كان حُجَّةً وبرهاناً في وقته - لكان لا ينكر مذهبهم في هذا الموضع .
وقوله هذا قول جميع من قال بالطَّبَّاء ولم يذهب مذهب جهم ^(٢) ،
وحفص الفرد ^(٣) .

وقال ابن العنسي ^(٤) يذكر الفرد :
فَهَلَّا غَدَاةَ الرَّمْلِ يَا قِرْدَ حَذِيمٍ تَوَامِرُهَا فِي نَفْسِهَا تَسْتَشِيرُهَا
(القول في تحريم الخنزير)

قال : وسأل سائلون ^(٥) في تحريم الخنزير عن مسألة ؛ فمنهم من أراد
الطَّعْنَ ، ومنهم من أراد الاستفهام ، ومنهم من أحب أن يعرف ذلك من جهة
الفتيا ؛ إذ ^(٦) كان قوله خلاف قولنا .

قالوا : إِنَّمَا قَالَ اللَّهُ : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ ﴾
فذكر اللَّحْمَ دُونَ الشَّحْمِ ، ودُونَ الرَّأْسِ ، ودُونَ الْمَخِّ ، ودُونَ الْعَصَبِ ،

(١) أى القلب والمسخ .

(٢) هو جهم بن صفوان السمرقندي ، رأس الجهمية . وكان يتولى القضاء في عسكر

الحارث بن شريح ، الخارج على أمراء خراسان : فقبض عليه نصر بن سيار فقتله .

(٣) الفرد ، بفتح الفاء ، لقب له . وفي الأصل : « الفردى » ، وفي لسان الميزان

٢ : ٣٣٠ وكذا الفرق بين الفرق ٢٠٢ : « الفرد » وصوابه ما أثبت من

القاموس وفهرست ابن النديم في غير ما موضع . قال ابن النديم : « من الهجرة ومن

أكابرهم . . . وكان من أهل مصر ثم قدم البصرة ، فسمع بأبي الهذيل واجتمع معه

فناظره ، فقطعه أبو الهذيل » .

(٤) كذا في س . وفي ط ، هـ : « ابن العنسي » بالياء بعد العين .

(٥) في الأصل : « سائل » والوجه الجمع ، كما يطلب التفريع الآتي .

(٦) في الأصل : « إذا » .

يُودُونَ سَائِرِ أَجْزَائِهِ ؛ وَلَمْ يَذْكُرْهُ كَمَا ذَكَرَ الْمَيْتَةَ بِأَسْرِهَا ، وَكَذَلِكَ ^(١) الدَّمُ ؛ لِأَنَّ الْقَوْلَ وَقَعَ عَلَى جَمْلَتِهِمَا ، فَاشْتَمَلَ عَلَى جَمِيعِ خَصَالِهَا بِإِلْفَظٍ وَاحِدٍ ، وَهُوَ الْعُمُومُ . وَلَيْسَ ذَلِكَ فِي الْخَنْزِيرِ ؛ لِأَنَّهُ ذَكَرَ اللَّحْمَ مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ أَجْزَائِهِ . وَلَيْسَ بَيْنَ ذِكْرِ اللَّحْمِ وَالْعَظْمِ فَرْقٌ ، وَلَا بَيْنَ اللَّحْمِ وَالشَّحْمِ وَالشَّحْمِ فَرْقٌ . وَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي فِي قِيَاسِكُمْ هَذَا لَوْ قَالَ : حَرَّمْتُ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَشَحْمَ الْخَنْزِيرِ ، أَنْ تَحَرَّمُوا الشَّحْمَ ، وَإِنَّمَا ذَكَرَ ^(٢) اللَّحْمَ ، فَلِمَ حَرَّمْتُمُ الشَّحْمَ ؛ وَمَا بِالْكُمِ تَحَرُّمُونَ الشَّحْمَ عِنْدَ ذِكْرِ غَيْرِ الشَّحْمِ ! فَهَلَّا حَرَّمْتُمُ اللَّحْمَ بِالسَّكْتِ ، وَحَرَّمْتُمْ مَا سِوَاهُ بِالْخَبَرِ الَّذِي لَا يُدْفَعُ ! ؟ فَإِنْ بَقِيَتْ خَصْلَةٌ أَوْ خَصْلَتَانِ مِمَّا لَمْ تُصَيِّبُوا ذِكْرَهُ فِي كِتَابٍ مَنَزَّلٍ ، وَفِي أَثَرٍ لَا يَدْفَعُ ، ٢٦ رَدَدْتُمُوهُ إِلَى جِهَةِ الْعَقْلِ .

قُلْنَا : إِنَّ لِلنَّاسِ عَادَاتٍ ، وَكَلَامًا ^(٣) يَعْرِفُ كُلُّ شَيْءٍ بِمَوْضِعِهِ ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ عَلَى قَدَرِ اسْتِعْمَالِهِمْ لَهُ وَانْتِفَاعِهِمْ بِهِ .

وَقَدْ يَقُولُ الرَّجُلُ لَوَكِيلِهِ : اشْتَرِ لِي هَذَا الدِّينَارَ لَحْمًا ، أَوْ هَذِهِ الدِّرَاهِمَ ، غِيَاثِيهِ بِاللَّحْمِ فِيهِ الشَّحْمُ وَالْعَظْمُ ، وَالْعِرْقُ وَالْعَصَبُ وَالْغَضْرُوفُ ، وَالْفَوَادُ وَالطَّحَالُ ، وَالرَّثَّةُ ، وَبِبَعْضِ أَسْقَاطِ الشَّاةِ وَحَشْوِ الْبُطْنِ . وَالرَّأْسَ لَحْمٌ ، وَالسَّمَكُ أَيْضًا لَحْمٌ . وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ هُوَ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لَيْتًا تَكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ . فَإِنْ كَانَ الرَّسُولُ ذَهَبَ إِلَى الْمُسْتَعْمَلِ مِنْ ذَلِكَ ، وَتَرَكَ بَعْضَ مَا يَقَعُ عَلَيْهِ اسْمُ لَحْمٍ فَقَدْ أَخَذَ بِمَا عَلَيْهِ صَاحِبِهِ . فَإِذَا قَالَ حَرَّمْتُ عَلَيْكُمُ لَحْمًا فَكَأَنَّهُ قَالَ : لَحْمَ الشَّاةِ وَالْبَقَرَةِ

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَكَذَلِكَ » .

(٢) س : « حَرَمَ » .

(٣) ط : « وَكُلُّ مَا » ه : « وَكَلَامًا مَا » ، وَاثْبَتَ الصَّوَابَ مِنْ س .

والجذور . ولو أن رجلاً قال : أكلت لحماً - وإنما أكل رأساً أو كبداً أو سمكاً - لم يكن كاذباً . وللتناس أن يضعوا كلامهم حيث أحبوا ، إذا كان لهم مجاز ، إلا في المعاملات .

فإن قلت : فما تقول في الجلد ؟ فليس للخنزير جلد ، كما أنه ليس للإنسان جلد إلا بقطع ما ظهر لك منه بما تحته ، وإنما الجلد ما يُسلخ ويُدَحَس^(١) فيتبرأ مما كان به ملتزقاً^(٢) ولم يكن ملتحمًا ، كفرق ما بين جلد الخوصلة والعرقين^(٣) .

فإن سألت عن الشعر ، وعن جلد المنخقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع^(٤) ، فإني أزعم أن جلده لا يُدَبِّغ ولا يَنْتَفِعُ به إلا الأساكفة ، والقول في ذلك أنه كله محرّم . وإنما ذلك كقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرُهُ ﴾ ، وكقوله عز وجل : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إني فاعِلٌ ذَلِكْ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ .

والعرب تقول للرجل الصانع نجاراً ، وإن كان لا يعمل بالثقب والمنشار ونحوه ولا يضرب بالمضلع ونحو ذلك . وتسميه خبازاً إذا كان يطبخ ويعجن . وتسمى العير الطيمة^(٥) ، وإن لم يكن فيها ما يحمل العطر إلا واحد . وتقول : هذه طعن فلان ؛ للهو ادج إذا كانت فيها امرأة واحدة . ويقال : هؤلاء بنو فلان ؛ وإن كانت نساؤهم أكثر من الرجال .

(١) دحس الرجل الشاة : أدخل يده بين جلدها وصفاقها للسلخ .

(٢) هـ : « ملتصقا » ، وهما سيان .

(٣) هـ : « والعرفين » ، محرف .

(٤) سبق تفسير هذه الكلمات في ص ٥٦ .

(٥) العير ، بالكسر : القافلة . أو الإبل تحمل الميرة ، لا واحد لها من لفظها .

والطيمة : المير تحمل المسك والعطر .

فلما كان اللحم هو العمود الذى إليه يُقصد ، وصار فى أعظم الأجزاء
قَدْرًا ، دَخَلَ سائرُ تلك الأجزاء فى اسمه . ولو كان الشَّحْمُ معترلاً من اللحم
ومفرداً فى جميع الشَّحام ، كشحوم الكلى^(١) والثُّرُوب ، لم يَجْزُ ذلك .
وإذا تكلَّمتْ على المفردات لم يكن المخُّ لحماً ، ولا الدِّماغ ، ولا العظم ،
ولا الشَّحم ، ولا الغُضروف ، ولا الكُروش ، ولا مَا أشبه ذلك . فلما قال :
﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ ﴾ ، وكانت هذه الأشياء
المشبهة باللحم تدخل فى باب العموم فى اسم اللحم ، كان القول واقعاً ٢٧
على الجميع .

وقال الشاعر :

مَنْ يَأْتِنَا صُبْحاً يُرِيدُ غَدَاءَنَا فَالْهَامُ مَنْصَجَةٌ لَدَى الشَّحَامِ^(٢)
لَحْمٌ نَضِيجٌ لَا يُعْنَى طَابِخًا يُؤْتَى بِهِ مِنْ قَبْلِ كُلِّ طَعَامٍ^(٣)

(مسألة الهدهد)

وإذ قد ذكرنا بعض الكلام ، والمسائل فى بعض الكلام ، فسنذكر
شأن الهدهد والمسألة فى ذلك . قال الله عز وجل : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ
لَا أَرَى الْهَدْدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ . لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ
أَوْ لِيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ^(٤) ﴾ ، ثم قال : ﴿ فَكَيْتَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾
يعنى الهدهد . فقال سليمان المتوعد له بالذَّبْحِ عقوبة له — والعقوبة لا تكون

-
- (١) فى الأصل : « الكلا » وصواب كتابتها بالياء ، وهى جمع كلية ، بالضم .
(٢) الغداء ، يفتح الغين بعدها دال مهملة : طعام القدوة ، بالضم ، وهى أول النهار .
والهام : البرموس ، واحدها هامة . والشحام : مطعم الشحم .
(٣) لا يعنى ، بالنون ، من العناء . وفى هـ ، بس : « لا يعنى » بالياء .
(٤) فى الأصل : « أولا يأتينى » .

إِلَّا عَلَى الْمَعْصِيَةِ لِبَشَرٍ آذَى لَمْ تَكُنْ عَقُوبَتُهُ الذَّبْحَ ، فدلَّ ذلك على أَنَّ الْمَعْصِيَةَ
 إِنَّمَا كَانَتْ لَهُ ، وَلَا تَكُونُ الْمَعْصِيَةُ لِلَّهِ إِلَّا تَمَنُّ يَعْرِفُ اللَّهُ ، أَوْ تَمَنُّ كَانَ يُمْكِنُهُ
 أَنْ يَعْرِفَ اللَّهُ تَعَالَى فَتَرَكَ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ — وَفِي قَوْلِهِ لِسُلَيْمَانَ :
 ﴿ أَحْطَتْ بِمَا لَمْ تَحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ . إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً
 تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ . ثُمَّ قَالَ بَعْدَ أَنْ
 عَرَفَ فَصْلَ (١) مَا بَيْنَ الْمُلُوكِ وَالسُّوقَةِ ، وَمَا بَيْنَ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ ، وَعَرَفَ
 عِظَمَ (٢) عَرْشِهَا ، وَكَثْرَةَ مَا أُوتِيَتْ (٣) فِي مَلِكِهَا ، قَالَ : ﴿ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا
 يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنْ
 السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ ، فَعَرَفَ (٤) السُّجُودَ لِلشَّمْسِ وَأَنْكَرَ الْمَعَاصِيَ . ثُمَّ
 قَالَ : ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 وَيَعْلَمُ مَا يُخْفُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ (٥) ، وَيَتَعَجَّبُ مِنْ سَجُودِهِمْ لغيرِ اللَّهِ . ثُمَّ عَلِمَ
 أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَيَعْلَمُ السِّرَّ وَالْعَلَانِيَةَ . ثُمَّ قَالَ :
 ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَعْلَمُ مِنْ نَاسٍ
 كَثِيرٍ مِنَ الْمُعَيَّرِينَ الْمُسْتَدَلِّينَ النَّاظِرِينَ .

قَالَ سُلَيْمَانُ : ﴿ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾
 ثُمَّ قَالَ : ﴿ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا
 يَرْجِعُونَ . قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ . إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ

(١) فِي الْأَصْلِ : « فَصْل » بِالضَّادِ الْمُعْجَمَةِ ، وَإِنَّمَا هُوَ بِالضَّادِ الْمَهْمَلَةِ ، بِمَعْنَى الْفَرْقِ .

(٢) فِي ط : « عَظِيم » . وَالْوُجْهَ مَا أُثْبِتَ مِنْ هـ ، س .

(٣) س : « أُعْطِيَتْ » .

(٤) أَيِ الْهَدَمِ .

(٥) قَرَأَ حَفْصٌ وَعَلَى وَالْكَسَافِيُّ بِالتَّاءِ الْفَوْقِيَّةِ عَلَى الْخَطَابِ ، وَالْبَاقُونَ بِالتَّحْقِيقَةِ عَلَى النَّبِيِّ

غَيْثِ النَّفْعِ ٢٤٥ وَابْنِ الْقَاصِحِ ٣٠١ .

وَلِأَنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَلَا تَعْلَمُوا عَلَىٰ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿١﴾ ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ﴾ (١) بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَانَا كَمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهِدْيَتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٢﴾ وذلك أنها قالت : ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ . وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهِدْيَةٍ فَتَاظِرَةٌ بِمِ بَرَجِيعِ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣﴾ ، [ثم (٢)] قال سليمان للهدهد : ﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَسَاتِيْنُهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [و] قال : ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ ٢٨ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ . قَالَ عَفَرْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ . قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَ شْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ . فطعن في جميع ذلك طاعنون ، فقال بعضهم : قد ثبت أن الهدهد يحتمل العقاب والعتاب ، والتسكليف والثواب ، والولاية (٣) ، ودخول الجنة بالطاعة ، ودخول النار بالمعصية ؛ لأن المعرفة تُوجب الأمر والنهي ، والأمر والنهي يوجبان الطاعة والمعصية ، والطاعة والمعصية يوجبان الولاية والعداوة ، فينبغي للهداهد أن يكون فيها العدو والولي ، والكافر والمسلم ، والزنديق والدَّهْرِيَّ (٤) . وإذا

(١) قرأ نافع والبصري بإثبات ياء بعد النون الثانية وصلا لا وقفا ، والمكي وحزرة بإثباتها وصلا ووقفا ؛ إلا أن حزة يدغم النون الأولى في الثانية . والباقون بحذفها وصلا ووقفا . غيث النفع ٢٤٥ .

(٢) الزيادة من س ، ه .

(٣) الولاية ، بالفتح وتكسر : مقابل العداوة .

(٤) الدهري ، بفتح الدال : الذي يقول بقدوم الدهر ، ولا يؤمن بالبعث . وهناك الدهري =

كان حُكْمُ الجنس حُكْمًا واحدًا لزم^(١) الجميع ذلك . وإن كان الهدهد لا يبلغ عند جميع الناس في المعرفة مبلغ الذرة ، والنملة ، والقملة ، والفيل ، والفرد ، والخنزير ، والحمام - وجميع هذه الأمم ، تُقدّمها عليه في المعرفة - فينبغي أن تكون هذه الأصناف المتقدمة عليه ، في عقول هذه الأمة والأنبياء . وقد رأينا العلماء يتعجبون من خرافات العرب والأعراب في الجاهلية ومن قولهم في الديك والغراب^(٢) ، ويتعجبون من الرواية في طوق الحمام ، فإن الحمام كان رائد نوح على نينوا وعليه السلام^(٣) .

وهذا القول الذي تؤمنون به في الهدهد ، من هذا النوع^(٤) .

قلنا : إن الله تعالى لم يقل : وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى هِدْهَدًا من عُرْضِ الهداهد^(٥) ، فلم يوقع قوله على الهداهد جملة ، ولا على واحد منها غير مقصود إليه ، ولم يذهب إلى الجنس عامة ، وَلَكِنَّهُ قَالَ : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ ﴾ فأدخل في الاسم الألف واللام ، فجعله معرفة فدلّ بذلك القصد على أنه ذلك الهدهد بعينه . وكذلك غراب^(٦) نوح ، [وكذلك] حمار غزير ، وكذلك ذئب أهبان بن أوس^(٧) ؛ فقد كان لله فيه وفيها تدبير ، وليجعل ذلك آيةً لأنبيائه ، وبرهاناً لرسله .

== بضم الدال ، وهر الرجل المسن منسوب إلى الدهر أيضاً ، فخالفوا بينهما ، رفعا للالتباس . شرح الشافية ٨٩ . وفي القاموس : « الدهرى ويضم : القائل ببقاء الدهر » .

(١) ط : « أنزم » .

(٢) انظر ص ٣١٨ من الجزء الثاني ، و ص ٤١٠ من الجزء الثالث .

(٣) انظر ص ٣٢١ من الجزء الثاني .

(٤) س : « الشكل » .

(٥) من عرض الطير : بضم العين ، أى من عامة الطير .

(٦) ط ، هـ : « وكان كغراب نوح » . وانظر لغراب نوح ص ٣٢١ من الجزء الثاني .

(٧) انظر ما أسلفت من الكلام في (٣ : ٥١٣) .

ولا يستطيع أعقلُ الناس أن يعملَ عملَ أجرا الناس ، كما لا يستطيع أجراً الناس أن يعملَ أعمالَ أعقلِ الناس . فبأعمالِ الجانينِ والعُقلاءِ عرفنا مقدارهما من صحّةِ أذهانهما وفسادها (١) ، وباختلافِ أعمالِ الأطفالِ والكهول عرفنا مقدارهما في الضعف (٢) والقوّة ، وفي الجهلِ والمعرفة . وبمثل ذلك فصلنا (٣) بين الجهاد والحيوان ، والعالمِ وأعلمَ منه ، والجاهلِ وأجهلَ منه (٤) . ولو كان عند السّباعِ والبهائمِ ما عند الحكماء والأدباء ، والوزراء والخلفاء ٢٩ والأمم (٥) والأنبياء ، لأثمرت تلك العقول ، باضطرار ، إثمارَ تلك العقول . وهذا بابٌ لا يخطئُ فيه إلا المانيّة (٦) وأصحابُ الجهالات فقط . فأمّا عوامٌ

(١) في الأصل : « وفسادهما » . والضمير عائد إلى الأذهان . وفي س : « عرفنا ماغاب من صحّة أذهانهم » .

(٢) ط ، ه : « في الضعيف » ووجهه ما أثبت من س .

(٣) فصلنا ، بالصاد المهملة ، بمعنى ميزنا . وفي الأصل : « فصلنا » بالصاد المعجمة ، محرف .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٥) الأمم : جمع أمة بالضم ، والأمة : الإمام ، ومنه قول الله : « إن إبراهيم كان أمة » في تفسير أبي عبيدة . س : « والأمة » ، وهذه محرفة عن « الأمم » .

(٦) المانيّة : أتباع ماني ، متنبئ زعم أنه الفارقليط الذي بشر به عيسى عليه السلام واستخرج مذهبه من المجوسية والنصرانية ، وكان يقول : إن مبدأ العالم من كونين أحدهما نور والآخر ظلمة ، وأنها في صراع مستمر لا ينتهي إلا بانتهاء الدنيا . وفرض على أتباعه صلوات معينة وصوما رسمه لهم . وقتل ماني في مملكة بهرام بن سابور ، وأتباعه يزعمون أنه ارتفع إلى جنان النور . وكان ملوك الفرس يطاردون أتباعه ، فلما انتشر أمر الفرس وقوى أمر العرب ، وجدوا لديهم سعة صدر ، فنزحوا إليهم في أيام بني أمية ؛ فإن خالد بن عبد الله القسري كان يعنى بهم ، وكان يرى بالزندقة . حتى كانت أيام المقتدر فأنهم جلوا إلى خراسان . انظر ابن النديم ٤٥٦ - ٤٧٤ . وقد جعل ابن النديم النسبة إليه (ماني) وهي نسبة شاذة ، و (ماني) وهي نسبة جائزة . ومثل الأولى في الشلوذ : « حرناني » نسبة إلى مدينة حران . و « هتاني » نسبة إلى عاني من اليهود . وانظر مقاتيح العلوم ٢٥ .

الأمم ، فضلاً عن خواصهم ، فهم يعلمون من ذلك مثل ما نعلم . وإنما يُتفاضل بالبيان والحفظ ، وينسق المحفوظ ^(١) . فأما المعرفة فنحن فيها سواء . ولم نعرف العقل وعدمه ونقصانه ، وإفادته ، وأقدار معارف الحيوان إلا بما يظهر منها ^(٢) . وبذلك الأدلة عرفنا فرق ما بين الحي والميت ، وبين الجماد والحيوان .

فإن قال الخصم : مانع كلام الذئب ، ولا معرفة الغراب ، ولا علم الهدد . قلنا : نحن نؤمن بأن عيسى عليه السلام خلق من غير ذكر وإنما خلق من أنثى ؛ وأن آدم وحواء خلقا من غير ذكر وأنثى ، وأن عيسى تكلم في المهد ، وأن يحيى بن زكريا نطق بالحكمة في الصبا ، وأن عقياً ألقح ، وأن عاقراً ولدت ^(٣) ، وبأشياء كثيرة خرجت خارجة من نسق العادة ^(٤) . فالسبب الذي به عرفنا أنه قد كان لذلك الهدد مقدار من المعرفة ، دون ماتوهم وفوق مامع الهدد . ومتى سألتونا عن الحاجة فالسيل واحدة . ونحن نقر بأن من دخل الجنة من المجانين والأطفال يدخلون عقلاء كاملين ، من غير تجارب وتمرين وترتيب . فسألتكم عما ألهم الهدد ، هي المسألة عما ألهم الطفل في الجنة .

(١) كذا في هـ . وفي ط ، س : « المحفوظة » .

(٢) أى من المعرفة . وفي الأصل : « وأقدار معارف أسباب الحيوان وما يظهر منها » .

(٣) إشارة إلى زكرياء عليه السلام وزوجه ، فإنه كان كبيراً حين ولد له يحيى ، وكانت امرأته عاقراً : « قال رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأى عاقراً » . وإلى إبراهيم عليه السلام وزوجه أيضاً : « قالت ياويلتى مآلد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا » .

(٤) كذا في س . وفي ط : « وبأشياء كثيرة خارجة عن نسق العادة » و هـ :

« وبأشياء كثيرة خارجة من . . الخ » .

فإن قال قائل : فإن [كان ^(١)] ذلك القول كله ، الذي كان من الهدهد ، إنما كان على الإلهام والتسخير ، ولم يكن ذلك عن معرفة منه ، فلم قال ﴿لَا عَذْبَنُهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا ذُبْحَنُهُ﴾ ؟ قلنا : فإنه قد يتوعد الرجلُ ابنه - وهو بعد لم يجر عليه الأحكام - بالضرب الوجيع ، إن هو لم يأت السوق أو يحفظ سورة كذا وكذا ؛ فلا يعنفه أحدٌ على ذلك الوعيد . ويكذب فيضربه على الكذب . ويضرب صبيًا فيضربه لأنه ضربه . وهو في ذلك قد حسنَ خطه ، وجادَ حسابُه ، وشَدَا من النحو [والعروض ^(٢)] والفرائض ^(٣) شدوا حسنا ، ونفع أهلَه ، وتعلم أعمالًا ، وتكلم بكلام ، [وأجاب في الفتيا بكلام فوق معاني الهدهد في اللطافة والغموض . وهو في ذلك لم يكمل لاحتمال الفرض ^(٥) والولاية والعداوة .

فإن قال : فهل يجوز لأحد أن يقول لابنه : إن أنت لم تأت السوق ذبحتك ؛ وهو جاد ؟ قلنا : لا يجوز ذلك . وإنما جاز ذلك في الهدهد لأن سليمان - ومن هو دون سليمان من جميع العالم - له أن يذبح الهدهد والحمام والدبك ، والعناق ^(٦) والجدى . والذبح سبيلٌ من سبيل مناياهم . فلو ذبحه سليمان لم يكن في ذلك إلا بقدر التقدير والتأخير ، وإلا بقدر صرف ^(٧) ٣٠ ما بين أن يموت حتف أنفه ، أو يموت بالذبح . ولعل صرف ما بينهما

(١) ليست بالأصل . وبها يستقيم الكلام .

(٢) الزيادة من س ، ه .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من ه . وفي ط : « العرائض » ، صوابه في س .

(٤) ليست بالأصل . وهي ضرورية .

(٥) ط : « الفرض » ، صوابه في س ، ه .

(٦) العناق ، كسحاب : الأنثى من ولد المعز .

(٧) الصرف : الزيادة . ط ، ه : « ضرب » ، صوابه في س .

لا يكون إلا بمقدار ألم عشرين درّة^(١) . ولعلّ تنف جناحه ينف بذلك الضرب . وإذا قلنا ذلك فقد أعطينا ذلك الهداهد بعينه حق ما دلّت عليه الآية ، ولم نجز ذلك في جميع الهداهد ، ولم نكن^(٢) كمن ينكر قدرة الله على أن يركب^(٣) عصفورًا من العصافير ضربًا من التراكيب يكون أدهى من قيس بن زهير^(٤) . ولو كان الله تعالى قد فعل ذلك بالعصافير لظهرت كذلك دلائل .

على أننا لو تأولنا للذبح على مثال تأويل قولنا في ذبح إبراهيم وإسماعيل^(٥) عليهما السلام - وإنما كان ذلك ذبحًا في المعنى لغيره^(٦) - أو على معنى قول

(١) أي عشرين ضربة بالدرة . والدرة ، بالكسر : السوط ، ويغلب استعمالها في سياط السلاطين . وكلمة « إلا » ساقطة من س .

(٢) في الأصل : « ولم يجز ذلك في جميع الهداهد ولم يكن » .

(٣) ط ، هـ : « تركب » ، ولا تصح إلا بتقديم « على » على كلمة : « قدرة » وصوابها من س .

(٤) الدهاء : جودة الرأي وكمال العقل . وقيس بن زهير هو سيد عيس ، وكان له ضلع كبيرة في حرب داحس والغبراء ، وهو صاحب داحس . ذكروا بن دهائه أنه مريبلاد غطفان ، فرأى ثروة وعديدا ، فكره ذلك ، فقال له الربيع بن زياد العبسي : إنه يسوءك ما يسر الناس ! فقال : يا ابن أخي ، إنك لاتدرى . إن مع الثروة والنعمة التحاسد والتباغض والتخاذل ، وإن مع القلة التعاضد والتوازر والتناصر . وكان يقول : « أربعة لا يطاقون : عبد ملك ، ونذل شيع ، وأمة ورثت ، وقبيحة تزوجت ! » . انظر أمثال الميداني (١ : ٢٥٠) . ولحرب داحس والغبراء ، الأغاني (٧ : ١٤٣ ، ١٦ : ٢٣) والعقد (٣ : ٢١٣) والكمال لابن الأثير (١ : ٣٤٣) والميداني (١ : ٣٥٩ ، ٢ : ٥١) . هـ : « آدمي » وهو تحريف .

(٥) س : « إسحاق » . وقد اختلف المؤرخون المسلمون ، وكذلك أصحاب التفسير في الذبيح منهما ، والأعراف عندهم أنه « إسماعيل » بأدلة سردها البيضاوي في تفسيره . انظر سورة الصافات ، وليس في القرآن الكريم نص على أحد منهما . وفي سفر التكوين ، الأصحاح الثاني والعشرين ، ما ينص صراحة على أن الذبيح لإسحاق . وإلى هذا الرأي مال معظم الصحابة . انظر المعارف ١٧ وآكام المرجان ٢٠٩ وابن سلام ١٥٨ .

(٦) وهو الكبش ، فإن إسماعيل ، أو إسحاق ، لم يذبح ، وإنما هم أبوه بذبحه ، ووقع الذبيح فعلا على الكبش . س : « ذبحا في العين » ، صوابه ط ، هـ .

القائل : أَمَا أَنَا فَقَدْ ذَبَحْتَهُ وَضَرَبْتَ عُنُقَهُ ، وَلَكِن السَّيْفُ خَانَنِي . أَوْ عَلَى قَوْلِهِمْ : الْمِسْكُ الذَّيْبُحُ (١) ، أَوْ عَلَى قَوْلِهِمْ : فَجِئْتُ وَقَدْ ذَبَحَنِي الْعَطَشُ - لَكَانَ ذَلِكَ مَجَازًا .

وَلَوْ أَنَّ صَبِيًّا مِنْ صَبِيَّانَا سُئِلَ ، قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ فَرَضَ الْبُلُوغِ بِسَاعَةٍ ، [وَكَانَ (٢)] رَأَى مَلِكَةً سَبِيًّا (٣) فِي جَمِيعِ حَالَاتِهَا ، لَمَا كَانَ بَعِيدًا وَلَا مَمْتَنًا أَنْ يَقُولَ : رَأَيْتُ امْرَأَةً مَلِكَةً ، وَرَأَيْتُهَا تَسْجُدُ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَرَأَيْتُهَا تُطِيعُ الشَّيْطَانَ وَتَعْصِي الرَّحْمَنَ . وَلَا سَبِيًّا إِنْ كَانَ مِنْ صَبِيَّانِ الْخُلَفَاءِ وَالْوُزَرَاءِ ، أَوْ مِنْ صَبِيَّانِ الْأَعْرَابِ .
وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الْهَدَهْدَ كَانَ مَسْخَرًا وَمَيْسَرًا ، مُضِيَّهُ إِلَى الْيَمَنِ ، وَرَجُوعُهُ مِنْ سَاعَتِهِ .

وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الطَّيْرِ الْقَوَاطِعِ فَرَجَعَ إِلَى وَكْرِهِ . وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَقُلْ : نَعَمْ قَدْ رَأَيْتُ كُلَّ مَا ذَكَرْتَ ، وَأَنْتَ لَمْ تَعْلَمْ حِينَ مَضَيْتَ بَطَالًا هَارِبًا مِنَ الْعَمَلِ ، أَتُسَكِّدِي أَمْ تَنْجَحِ ، أَوْ تَرَى أُعْجُوبَةً أَوْ لَا تَرَاهَا . وَلَكِنَّهُ تَوَعَّدُهُ عَلَى ظَاهِرِ الرَّأْيِ ، وَنَافِرِهِ الْقَوْلِ ؛ لِيُظْهَرَ الْآيَةُ وَالْأَعْجُوبَةُ .

(طَعْنُ الدَّهْرِيَّةِ فِي مَلِكِ سُلَيْمَانَ)

ثُمَّ طَعَنَ فِي مَلِكِ سُلَيْمَانَ وَمَلِكَةِ سَبِيٍّ ، نَاسٌ مِنَ الدَّهْرِيَّةِ ، وَقَالُوا (٤) : زَعَمْتَ أَنَّ سُلَيْمَانَ سَأَلَ رَبَّهُ [فَقَالَ : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مَلِكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾]

(١) أَيْ الَّذِي شَقَّتْ فِائِرَتُهُ . وَفَائِرَةُ الْمِسْكِ : نَافِجَتُهُ ، أَيْ وَعَاؤُهُ .

(٢) لَيْسَتْ بِالْأَصْلِ ، وَبِهَا يَصْلُحُ الْكَلَامُ .

(٣) لَيْسَتْ فِي س . وَبَدَلَهَا فِي هـ : « سَبِيًّا » ، مُحَرَّفَةٌ عَمَّا أَثْبَتَ مِنْ ط .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « وَقَالَ » .

وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْطَاهُ ذَلِكَ ، فَلَمَّسَهُ عَلَى الْجَنِّ فَضْلاً عَنِ الْإِنْسِ ، وَعَلَّمَهُ
 مِنْطِقَ الطَّيْرِ ، وَسَخَّرَ لَهُ الرِّيحَ ، فَكَانَتْ الْجِنُّ لَهُ خَوَلاً ، وَالرِّيحُ لَهُ مَسْخَرَةً
 ثُمَّ زَعَمَتْ - وَهُوَ لِمَا بِالشَّامِ وَإِمَّا بِسَوَادِ الْعِرَاقِ - أَنَّهُ لَا يَعْرِفُ بِالْيَمَنِ مَلِكَةً
 هَذِهِ صَفَتُهَا . وَمَلُوكُنَا الْيَوْمَ دُونَ سُلَيْمَانَ فِي الْقُدْرَةِ ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِمْ صَاحِبُ
 الْخَزَرِ ، وَلَا صَاحِبُ الرُّومِ ، وَلَا صَاحِبُ التُّرْكِ ، وَلَا صَاحِبُ الثُّبُوبَةِ . وَكَيْفَ
 يَجْهَلُ سُلَيْمَانُ مَوْضِعَ هَذِهِ الْمَلِكَةِ ، مَعَ قُرْبِ دَارِهَا وَاتِّصَالِ بِلَادِهَا ! وَلَيْسَ
 دُونَهَا بَحَارٌ وَلَا أَوْعَارٌ ؛ وَالطَّرِيقُ نَهْجٌ لِلْخَفِّ وَالْحَافِرِ وَالْقَدَمِ (١) . فَكَيْفَ
 وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ طَوْعُ يَمِينِهِ . وَلَوْ كَانَ ، حِينَ خَبَّرَهُ الْهَدَهُدُ بِمَكَانِهَا ، أَضْرَبَ
 ٣١ عَنْهَا صَفْحًا ، لَكَانَ لِقَائِي أَنْ يَقُولَ : مَا أَنَا الْهَدَهُدُ إِلَّا بِأَمْرِ يَعْرِفُهُ . فَهَذَا
 وَمَا أَشْبَهَهُ دَلِيلٌ عَلَى فُسَادِ أَخْبَارِكُمْ .

قُلْنَا : إِنَّ الدُّنْيَا إِذَا خَلَّاهَا اللَّهُ وَتَدَبَّرَ أَهْلُهَا ، وَمَجَارَى أُمُورِهَا وَعَادَاتُهَا
 كَانَتْ لِعَمْرَى كَمَا تَقُولُونَ . وَنَحْنُ نَزْعُمُ أَنَّ يَعْقُوبَ بْنَ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ
 كَانَ أَنْبَاءَ أَهْلِ زَمَانِهِ ، لِأَنَّهُ نَبِيٌّ ابْنُ نَبِيٍّ . وَكَانَ يُوسُفُ وَزِيرُ مَلِكِ مِصْرَ مِنَ
 النَّبَاهَةِ بِالْمَوْضِعِ الَّذِي لَا يُدْفَعُ (٢) ، وَلَهُ الْبُرْدُ (٣) ، وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ جَوَابُ الْأَخْبَارِ ،
 ثُمَّ لَمْ يَعْرِفْ يَعْقُوبُ مَكَانَ يُوسُفَ ، وَلَا يُوسُفُ مَكَانَ يَعْقُوبَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ
 - دَهْرًا مِنَ الدُّهُورِ ، مَعَ النَّبَاهَةِ ، وَالْقُدْرَةِ ، وَاتِّصَالِ الدَّارِ .

وكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ فِي التَّيَةِ (٤) ، فَقَدْ

(١) طَرِيقُ نَهْجٍ : وَاضِحٌ . وَالْخَفُّ : أَيْ الْإِبِلُ . ط ، هـ : « الْخَفُّ »
 صَوَابُهُ فِي س .

(٢) النَّبَاهَةُ : الشُّبْرَةُ . ط ، هـ : « وَمِنْ » وَالْوَجْهَ حَذَفَ الْوَاوَ ، وَالنَّصُّ فِي س
 « وَالْمَلِكُ النَّبَاهَةُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي لَا يُدْفَعُ » . وَلَيْسَ بِشَيْءٍ .

(٣) الْبُرْدُ : جَمْعُ بَرِيدٍ .

(٤) التَّيَةُ ، هُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي ضَلَّ فِيهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَوْمُهُ . قَالَ يَاقُوتُ : « وَهِيَ
 أَرْضُ بَيْنِ أَيْلَةَ وَمِصْرَ وَبَحْرُ الْقَلْزَمِ وَجِبَالُ الْمَرْأَةِ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ » .

كانوا أمةً من الأمم يتكسعون^(١) أربعين عاماً ، في مقدار فراسخٍ يسيرةٍ ولا يهتدون إلى الخرج . وما كانت بلادُ التَّيه إلا من ملاعبهم ومُنْتَزَحاتهم^(٢) . ولا يعدم مثلُ [ذلك^(٣)] العسكرِ^(٤) الأدلاءَ والجمالين^(٥) ، والمكاريين^(٦) ، والفيُوجَ^(٧) ، والرُّسلَ ، والتَّجارَ : ولكنَّ اللهَ صَرَفَ أوهامهم ، ورفع ذلك الفصل^(٨) من صدورهم .

وكذلك القول في الشَّيَاطِين الذين يسترِقون السَّمْعَ في كلِّ ليلةٍ ، فنَقُولُ^(٩) : لأنَّهم لو كان كلما أراد مُريدٌ^(١٠) منهم أن يصعدَ ذَكَرَ أَنَّهُ قد رُجم صاحبه^(١١) ، وأنَّه كذلك منذ كان لم يصل معه أحدٌ إلى استراقِ السَّمْعِ^(١٢) ، كان محالاً أن يرومَ ذلك أحدٌ منهم مع الذِّكر والعِيان .

(١) تكسع : ذهب في ضلاله . ومثله تسكع بتقديم السين . ط ، هـ : « يكسعون » والوجه ما أثبت من س .

(٢) كذا بتقديم النون في الأصل .

(٣) الزيادة من س ، هـ .

(٤) كان بنو إسرائيل قد خرجوا ليملكوا الأرض المقدسة بالقتال . انظر تفسير سورة المائدة للآيات ٢٠ - ٢٦ وسفر العدد ، الأصحاح ٣٢ ، ٣٣ .

(٥) الجمالين ، بالجيم . وفي (٦ : ٢٦٨) : « الحمارين » .

(٦) المكاريين : جمع مكار . والمكاري : من يكثرى الناس منه دابته ، أى يستأجرونها .

(٧) الفيوج ، بالضم وفي آخره جيم : جمع فيج بالفتح ، وهو رسول السلطان المسرع في مشيه ، يحمل الأخبار من بلد إلى بلد ، معرب من « بيك » بالفارسية . ط ، س : « الفيوج » ، صوابه في هـ .

(٨) الفصل هنا بمعنى التمييز . ط ، هـ : « القصد » وأثبت ما في س .

(٩) ط ، هـ : « فنقول » بالتاء ، صوابه في س .

(١٠) إن قرئت بالضم ، كانت من أراد بمعنى شاء . وإن قرئت بالفتح كانت من التردد .

(١١) ط ، هـ : « قد رجم أو رجم صاحبه » ، والوجه ما أثبت من س .

(١٢) س : « سمع » .

ومثل ذلك [أنا] قد علمنا أن إبليس لا يزال عاصياً إلى يوم البعث .
ولو كان إبليس في حال المعصية ذاكراً لإخبار الله تعالى ^(١) أنه لا يزال عاصياً
وهو يعلم أن خبره صدق ، كان محالاً أن تدعوه نفسه إلى الإيمان ، وبطمع
في ذلك ، مع تصديقه بأنه لا يختار الإيمان أبداً .

ومن المحال أن يجمع بين وجود ^(١) الاستطاعة وعدم الدواعي
وجواز الفعل .

ولو أن رجلاً علم يقيناً أنه لا يخرج من بيته يومه ذلك ، كان محالاً أن
تدعوه نفسه إلى الخروج ، مع علمه بأنه لا يفعل . ولكن إبليس لما كان
مصرّوف القلب عن ذكر ذلك الخبر ^(٣) ، دخل في حدّ المستطيعين .

ومثل ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لمّا بشره الله بالظفر وتمام
الأمر ^(٤) بشّر أصحابه بالنصر ، ونزول الملائكة . ولو كانوا لذلك ذاكرين
في كلّ حال ، لم يكن عليهم من المحاربة مؤونة . وإذا لم يتكلفوا المؤونة ^(٥)
لم يؤجروا . ولكن الله تعالى بنظره إليهم رفع ^(٦) ذلك في كثير من الحالات

(١) كذا في س . وفي ط : « ذكر إخبار الله تعالى » وفي هـ : « ذاكراً لأخبار
الله تعالى » . وما في هـ محرف .

(٢) في الأصل : « وجوب » بالباء .

(٣) أي عن تذكر ذلك الخبر .

(٤) الكلام من أول الفقرة إلى هنا ساقط من س . والجاحظ يشير بكلامه هذا إلى
ما كان في وقعة أحد ، مما تشير إليه الآيات ١٢٢ - ١٢٦ من سورة
آل عمران .

(٥) س ، هـ : « المؤن » .

(٦) س : « دفع » بالذال .

عن أوهامهم ؛ ليحتملوا^(١) مشقة القتال ، وهم لا يعلمون : أيغلبون أم يُغلبون أو يقتلون أم يقتلون .

ومثل ذلك ما رفع من أوهام العرب ، وصرف نفوسهم عن المعارضة ٣٢ للقرآن ، بعد أن تحدّاهم الرسولُ بنظمه . ولذلك لم نجد أحداً طمع فيه . ولو طمع فيه لتسكفه ، ولو تكلف بعضهم ذلك فجاء بأمر^(٢) فيه أدنى شبهة لعظمت القضية^(٣) على الأعراب وأشباه الأعراب ، والنساء وأشباه النساء ، ولألقى ذلك للمسلمين عملاً ، ولطلبوا المحاكمة والتراضى ببعض العرب ، ولكثر القيل والقال .

فقد رأيت أصحابَ مُسَيْلِمَةَ^(٤) ، وأصحاب ابن النواحة^(٥) إنما تعلّقوا بما ألف لهم مُسَيْلِمَةُ من ذلك الكلام ، الذى يعلم كلُّ من سمعه أنه إنما عدا على القرآن فسلبه ، وأخذ بعضه ، وتعاطى أن يُقارنَه . فكان لله ذلك التدبيرُ ، الذى لا يبلغه العباد ولو اجتمعوا له .

فإن كان الدهرُ يريد من أصحاب العبادات والرُّسل ، ما يريد من

(١) س : « ليحتملوا » .

(٢) هذه ساقطة من س .

(٣) فى الأصل : « القصة » .

(٤) هو أبو ثمامة ، مسيلمة بن حبيب الحنفى من أهل اليمامة ، ادعى النبوة بمكة قبل الهجرة ، وصنع أسجعا ، عارض فيها بزعمه القرآن ، منها قوله : « والشمس وضحاها . فى ضوءها ومجلاها . والليل إذا عداها . يطلها ليغشاها . فأدركها حتى أتاهها . وأطفأ نورها ومحاها » ، وقوله : « يا ضفدع نقي نقي . كم تنقين . لالماء تكدرين . ولا الشرب تمنين » . وكان قد قوى أمره فى اليمامة ، وظهر جدا بعد وفاة الرسول ، فأرسل أبو بكر خالد بن الوليد فى جيش لمقارعته ، فكان له النصر على بنى حنيفة فى يوم اليمامة ، وقتل مسيلمة وكثير من أتباعه ، واستشهد من المسلمين ألف ومائتا رجل .

(٥) فى الأصل : « بنى النواحة » . وانظر الاستدراكات .

الدَّهْرِيُّ الصَّرْفِ ، الذى لا يُقَرُّ إلا بما أوجده العيان ، وما يجرى مجرى العيان - فَقَدْ ظَلَمَ .

وقد علم الدهرى [أننا نعتقد ^(١)] أن لنا رباً يخترع الأجسام اختراعاً وأنه حتى لا حياة ، وعالم لا يعلم ^(٢) ، وأنه شئ لا ينقسم ، وليس بذى طول ولا عرض ولا عمق ، وأن الأنبياء تحيى ^(٣) الموتى . وهذا كله عند الدهرى مستنكر ، وإنما كان يكون له علينا سبيل ^(٤) لو لم يكن الذى ذكرنا جائزاً فى القياس ، واحتجنا إلى تثبيت الربوبية وتصديق الرسالة ، فإذا كان ذلك جائزاً ، وكان كونه غير مستنكر ، ولا محال ، ولا ظلم ، ولا عيب ، فلم يبق له إلا أن يسألنا عن الأصل الذى دعا إلى التوحيد ، وإلى تثبيت الرسل .

وفى كتابنا المنزل الذى يدلنا على أنه صدق ، نظمهُ البديع الذى لا يقدر على مثله العباد ، مع ما سوى ذلك من الدلائل التى جاء بها من جاء به .

وفيه مسطور أن سليمان بن داود غبر حيناً - وهو ميت - معتمداً على عصاه ، فى الموضع الذى لا يُنجب عنه إنسى ولا جنى ، والشياطين منهم المسكودُ بالعمل الشديد ^(٥) ، ومنهم المحبوس والمستعبد ، وكانوا كما قال

(١) ليست بالأصل . والكلام فى حاجة إلى مثلها .

(٢) هذا مذهب المعتزلة ؛ إذ ينفون عن الله عز وجل صفاته الأزلية ، فيقولون : ليس لله علم ولا قدرة ولا حياة ولا سمع ولا بصر ولا أى صفة أزلية .

(٣) ط ، هـ : « تحيى » صوابه فى س .

(٤) بدله فى س : « وإنما كان يكون له علة » .

(٥) المسكود : المرهق المتعب . ط ، هـ : « بالغل الشديد » ، والأوجه ما أثبت

الله تعالى : ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ (١) وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ﴾ وقال : ﴿ وَالشَّيَاطِينُ كُلٌّ بَنَاءٌ وَغَوَاصٍ . وَآخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ وَأَنَّهُ غَبَرَ كَذَلِكَ حِينًا وَهُوَ تُجَاهَ أَعْيُنِهِمْ (٢) ، فَلَاهُمْ عَرَفُوا سَجِيَّةَ وَجْهِهِ الْمَوْتَى ، وَلَا هُوَ إِذْ كَانَ مَيِّتًا سَقَطَ سُقُوطَ الْمَوْتَى . وَثَبَتَ قَائِمًا مُعْتَمِدًا (٣) عَلَى عَصَاهُ ، وَعَصَاهُ ثَابِتَةٌ قَائِمَةٌ فِي يَدِهِ ، وَهُوَ قَابِضٌ عَلَيْهَا . وَلَيْسَتْ هَذِهِ الصِّفَةُ صِفَةً مَوْتَانًا .

وقال : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةٌ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ . وَنَحْنُ دُونَ الشَّيَاطِينِ وَالْجِنِّ فِي صِدْقِ الْحَسَنِ ، ٣٣ وَنَفُوذِ الْبَصَرِ ، وَلَوْ كُنَّا مِنْ بَعْضِ الْمَوْتَى بِهَذَا الْمَسْكَانِ ، لَمَا خَفِيَ عَلَيْنَا أَمْرُهُ وَكَانَ أَدْنَى ذَلِكَ أَنْ نَظُنَّ وَنَرْتَابَ . وَمَتَى ارْتَابَ قَوْمٌ وَظَنُّوا وَمَاجُوا (٤) وَتَكَلَّمُوا وَشَاوَرُوا ، لَقِنُوا وَثَبَّتُوا (٥) . وَلَا سِيَّامًا إِذَا كَانُوا فِي الْعَذَابِ وَرَأَوْا تَبَاشِيرَ الْفَرَجِ .

(١) الجوابى : جمع جابية ، وهو الخوض الجامع . وإثبات الباء في آخر الكلمة وصلا ووقفا قراءة ابن كثير ومجاهد ، وإثباتها وصلا فقط قراءة ورش وعاصم . وحذفها وصلا ووقفا قراءة الباقيين . وهذه القراءة الأخيرة هي ما في س ، ه . وما أثبت من ط هو القراءة الأولى .

(٢) تجاه ، يصح ضبطها بالضم والكسر والفتح . عن القاموس .

(٣) ط : « معتمد » ، وهو خطأ ظاهر .

(٤) ه : « وناجوا » ، أى ناجى بعضهم بعضا .

(٥) لقنوا : عرفوا وفهموا . في الأصل : « ولقنوا » وإنما هو جواب الشرط . و « ثبتوا » أى سكنت قلوبهم بقوة البرهان والدلالة . وفي الكتاب : « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك » .

ولولا الصَّرفَةُ^(١) التي يُلقِيها الله تعالى على قَلْبٍ مَنْ أَحَبَّ ، و [لولا^(٢)]
 أَنَّ اللهَ يَقْدِرُ على أَنْ يَشْغَلَ الْأَوْهَامَ كيف شاء ، ويذَكِّرُ بما يشاء ، ويُنَسِّيَ
 ما يشاء ، لما اجتمع أهلُ داره وقصره ، وسُورِهِ ورَبَضِهِ^(٣) ، وخاصَّتُهُ ، ومن
 يخدمه من الجنِّ والإنسِ والشَّياطينِ ، على الإطباقِ بأنَّه حَيٌّ . كذلك
 كان عندهم . فحدث ما حَدَثَ من موته ، فلمَّا لم يشعروا به كانوا على ما لم
 يزالوا عليه . فعَلِمْنَا أَنَّ الجنَّ والشَّياطينَ كانت تُوهِمُ الْأَغْيَاءَ وَالْعَوَامَّ ،
 وَالْحَشَوَةَ^(٤) والسَّفْلَةَ ، أَنَّ عندهما شيئاً من عِلْمِ الْغَيْبِ — والشَّياطينَ لا تعلم
 ذلك — فأراد الله أَنْ يَكْشِفَ مِنْ أَمْرِهِمُ لِلْجُهَالِ ما كان كَشَفَهُ لِلْعُلَمَاءِ . فهذا
 وأشباهه من الْأُمُورِ نَحْنُ إلى الإقرار به مضطرونَّ^(٥) بِالْحَجَجِ الْاضْطِرَّائِيَّةِ
 فليس لخصومتنا حيلةً إِلَّا أَنْ يُوَاقِفُونَا^(٦) ، وينظروا في العلة التي اضطرتنا
 إلى هذا القول ؛ فإن كانت صحيحةً فالصَّحِيحُ لَا يُوجِبُ إِلَّا الصَّحِيحَ . وإن
 كانت سقيمةً عَلِمْنَا أنَّمَّا أَتَيْنَا مِنْ تَأْوِيلِنَا^(٧) .

وأما قوله : ﴿ لَاَعْدَبْتُهُ ﴾ فَإِنَّ التَّعْذِيبَ يَكُونُ بِالْحَبْسِ ، كما قال الله

(١) الصَّرفَةُ ، بالفتح : أَنْ يَصْرِفَ اللهُ عِبْدَهُ عَنْ أَمْرٍ . ط : « المعرفة » س :
 « الصدقة » صوابها في ه .

(٢) الزيادة من س ، ه .

(٣) الرِبْضُ ، بالتحريك : سَوْرُ الْمَدِينَةِ .

(٤) الْحَشَوَةُ ، بِالْفِمْ وَالْكَسْرِ : أَصْلُهُ الدَّغْلُ فِي الْأَرْضِ . أَرَادَ بِهِ الدَّوْنَ مِنَ النَّاسِ .

(٥) س : « مضطرين » .

(٦) يُوَاقِفُونَا ، بِتَقْدِيمِ الْكَافِ ، مِنَ الْمَوَاقِفَةِ ، وَهِيَ أَنْ يَقِفَ الْمَرْءُ مَعَ غَيْرِهِ فِي خُصُومَةٍ
 وَمُجَادَلَةٍ . وَفِي الْأَصْلِ : « يُوَاقِفُونَا » بِتَقْدِيمِ الْفَاءِ ، وَلَيْسَ بِشَيْءٍ .

(٧) أَتَيْنَا : أَيْ قَهَرْنَا وَغَلَبْنَا . وَفِي الْأَصْلِ : « أَوْتَيْنَا » وَلَا يَصِحُّ بِهَا الْكَلَامُ .

ط ، ه : « أَنْ مَا » وَالْوَجْهَ مَا أُثْبِتَ مِنْ س . وَفِي س أَيْضاً « عِلْمٌ »
 مَكَانَ « عَلِمْنَا » وَ « أَقَاوِيلِنَا » مَوْضِعَ « تَأْوِيلِنَا » .

عز وجل : ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ .
ولما كانوا مُحْيِسِينَ^(١) .

وقد يقول العاشق لمعشوقته : يا معذبتى ! وقد عذبتنى^(٢) !
ومن العذاب ما يكون طويلاً ، ومنه ما يكون قصيراً الوقت . ولو خسف الله
تعالى بقوم في أقل من عشر ساعة^(٣) لجاز لقائل أن يقول : كان ذلك يوم
أحل الله عذابه ونقمته ببلاد كذا وكذا .

(قوة الخنزير وشدة احتماله)

وقال أبو ناصرة : الخنزير ربما قتل الأسد ، وما أكثر ما يلحق
بصاحب^(٤) السيف والرمح ، فيضربه بِنَابِهِ ، فيقطع كل ما لقيه من جسده :
من عظم وعصب ، حتى يقتله . وربما احتال أن ينبطح^(٥) على وجهه على
الأرض ، فلا يغني ذلك عنه شيئاً .

وليس لشيء من الحيوان كاحتمال بدنه لوقع السهام ، ونفوذها فيه .

(بعض طباع الخنزير)

وهو مع ذلك أروغ من ثعلب ، إذا أرادته الفارس . وإذا^(٦) عدا أطمع
في نفسه كل شيء ، وإذا طولب أعيا الخيل العتاق . والخنزير مع ذلك أنسل

(١) المحيس ، هو من قوطم : إبل مخيسة : لا تخرج . ط : « محبوسين » وهي
صحيحة بمعنى « محيسين » . س ، هـ : « محبين » ، تحريف ما أثبت .

(٢) ط ، هـ : « عذبتنى » . وانظر الاستدراكات .

(٣) ط ، س : « ساعات » ، والوجه فيه ما أثبت من هـ .

(٤) س : « صاحب » .

(٥) كذا على الصواب في س . وفي ط ، هـ : « ينتطح » .

(٦) س : « فإذا » .

الخلق ؛ لأنَّ الحَنَزِيرَةَ تَضَعُ عَشْرِينَ خِنْوَصاً ، وهو مع كثرة إنساله - مِنْ أَقْوَى الفُحُولِ عَلَى السَّفَادِ ، وَمَعَ الْقُوَّةِ عَلَى السَّفَادِ هُوَ أَطْوَلُهَا مُكْتَأً فِي سَفَادِهِ ، فَهُوَ بِذَلِكَ أَجْمَعَ لِلْفُحُولَةِ (١) .

وإذا كَانَ الكَلْبُ وَالذَّبُّ موصوفَيْنِ بِشِدَّةِ القَلْبِ ؛ لَطُولِ الخَطْمِ (٢) ، فَالْحَنَزِيرُ أَوْلَى بِذَلِكَ . ٣٤

وَالْفِيلُ نَابٌ عَجِيبٌ ، وَلِكِنَّهُ لَقَصْرُ عُنُقِهِ لَا يَبْلُغُ النَّابُ مَبْلَغاً (٣) ، وَإِنَّمَا يَسْتَعِينُ بِخَرْطُومِهِ ، وَخَرْطُومُهُ هُوَ أَنْفُهُ ، وَالْخَطْمُ غَيْرُ الْخَرْطُومِ .

(مَا قِيلَ فِي طَيْبِ لَحْمِهِ وَإِهَالَتِهِ)

قال أبو ناصرة : وَلَهُ طَيْبٌ ، وَهُوَ طَيْبُ لَحْمِهِ وَلَحْمُ أَوْلَادِهِ (٤) . وَإِذَا أَرَادُوا وَصْفَ اخْتِلَاطِ (٥) وَدَكِ الْكُرْكِيِّ (٦) فِي مَرَقِ طَيْبِخٍ ، قَالُوا : كَأَنَّ إِهَالَتَهُ إِهَالَةَ خَنَزِيرٍ (٧) ؛ لِأَنَّهُ لَا يَسْرِعُ إِلَيْهَا (٨) الْجَمُودُ . وَسُرْعَةُ جَمُودِ إِهَالَةِ

(١) فِي الْأَصْلِ : « أَجْمَعَ الْفُحُولَةُ » وَلَا تَصِحُّ . وَفِي ط ، هـ زِيَادَةٌ : « بِهَذَا » فِي آخِرِ الْجُمْلَةِ وَلَا وَجْهَ لَهَا كَمَا فِي س .

(٢) سَبَقَ مِثْلُ هَذَا الْكَلَامِ فِي (٢ : ٢١٣ س ١) .

(٣) ط : « لَقَصْرُ عُنُقِهِ لَا يَبْلُغُ الْبَابَ يَقْصُرُ عَنْهُ وَلَا يَبْلُغُ » الْخ . وَاثْبَتَ صَوَابَهُ مِنْ س ، هـ .

(٤) بَدَلَ هَذِهِ الْعِبَارَةِ فِي هـ : « وَلَهُ طَيْبُ لَحْمِهِ » فَقَطَّ . وَجُمْلَةُ « وَلَهُ طَيْبٌ » سَاقِطَةٌ مِنْ س .

(٥) كَذَا عَلَى الصَّوَابِ فِي هـ . وَفِي ط ، س : « اخْتِلَافٌ » .

(٦) الْكُرْكِيُّ ، بِالضَّمِّ : طَائِرٌ كَبِيرٌ أَغْبَرُ اللَّوْنِ أَبْثَرُ الذَّنْبِ طَوِيلُ الْعُنُقِ وَالرَّجْلَيْنِ : Crane . قَالَ الدِّمِيرِيُّ : « وَلِلْمَلُوكِ مَصْرُ وَأَمْرَاتُهُمَا فِي صَيْدِهِ تَغَالُ لَا يَدْرِكُ حُدَّهُ ، وَإِنْ تَفَاقَ مَالٌ لَا يَسْتَطَاعُ حَصْرُهُ وَعَدَهُ » . ط : « الْكُرْكِيُّ » ، صَوَابُهُ فِي س ، هـ .

(٧) الْإِهَالَةُ ، بِالْكَسْرِ : الشَّحْمُ . وَالْوَدَكُ : الدَّمُ . هـ : « أَهَالَهُ إِهَالِ خَنَزِيرٍ » ، مُحَرَفٌ .

(٨) س : « إِلَيْهِ » مُحَرَفٌ .

الماعر في الشتاء عيب . وللضَّان في ذلك بعضُ الفضيلة على الماعز ؛ ولا يلحق بالخنزير .

(قبول عظم الخنزير للاتحام بعظم الإنسان)

وإذا نقص من الإنسان عَظْمٌ واحتِيجَ إلى صِلَتِهِ في بعض الأمراض لم يلتجِمْ بِهِ إِلَّا عَظْمُ الْخَنزِيرِ .

(صوت الخنزير)

وإذا ضُرب فصاح لم يكن السَّامِعُ يفصلُ بينَ صوتِهِ وبينَ صوتِ صَبِيٍّ مضروبٍ (١) .

(طيب لحمه)

وفي إطباقِ جميعِ الأئمة على شهوةِ أكله واستطابةِ لحمِهِ ، دليلٌ على أنَّ له في ذلك ما ليس لغيره .

(زعم المجوس في المنخقة ونحوها)

والمجوس زعم أنَّ المُنخَقَةَ والموقوذةَ والمتردِّيةَ (٢) ، وكلَّ ما اعتُبط ولم يمت حتفَ أنفه (٣) ، فهو أطيبُ لحمًا وأحلى ؛ لأنَّ دَمَهُ فِيهِ ، والدمُ حُلُوٌّ

(١) وقد تهيأ لابن آوي مثل هذا الصوت كما سيأتي في (٥ : ٢٨٨) .

(٢) س : « المنخق والموقوذ والمتردى » . وانظر ماسبق ص ٥٦ .

(٣) اعتبط ، بالبناء للمفعول : مات من غير علة . ويقال مات حتفَ أنفه : أي بلا ضرب ولا قتل . ط ، هـ : « وكلما اعتبط » الخ ، وصواب كتابته ما أثبت . وبهذا في س : « إذا اعتبط » الخ .

دَسِمَ . وإنما عافَهَ مَنْ عافَهَ من طَرِيقِ العادةِ والدَّيَّانةِ ، لا من طريق الاستقذار والزُّهْدِ الذي يَكُونُ في أصلِ الطبيعة .

(اختلاف ميل الناس إلى الطعام)

وقد عافَ قومُ الجُرِّيِّ والضُّبابِ^(١) على مثل ذلك ، وشُغِفَ بِهِ آخرون .

وقد كانت العربُ في الجاهليَّةِ^(٢) تَأْكُلُ دَمَ الفَصْدِ^(٣) ، وتفَضِّلُ طَعْمَهُ ، وتُخْبِرُ عَمَّا يورثُ من القوَّةِ .

قال : وأَيُّ شَيْءٍ أَحْسَنُ من الدَّمِ ، وهل اللَّحْمُ إلا دَمٌ استحالَ كما يستحيلُ اللَّحْمُ شَحْمًا ؟ ! ولكنَّ الناسَ إذا ذكروا معناه ، ومن أين يخرج وكيف يخرج ، كانَ ذَلِكَ كاسِراً لَهُمْ ، ومانعاً من شهوتِهِ .

(بعض ما يغير نظر الإنسان إلى الأشياء)

وكيف حال النَّارِ في حَسَنِها^(٤) ، فَإِنَّهُ ليس في الأرضِ جِسْمٌ لم يصبغَ أَحْسَنَ مِنْهُ^(٥) . وَلَوْلا معرفَتُهُمْ بِقَتْلِها وإِخْراقِها وإِتْلافِها ، والألمُ والحَرْقَةُ المولدين^(٦) عنها ، لتضاعفَ ذَلِكَ الحُسْنُ^(٧) عِنْدَهُمْ . ولأنَّهم لَيَرَوْنَهَا

(١) الجري ، بالجيم المكسورة بعدها راء مشددة مكسورة : ضرب من السمك سبق الكلام عليه في (١ : ٢٣٤) . والضباب ، بالكسر : جمع ضب .

(٢) ط : « فالجاهلية » ، صوابه في س ، هـ .

(٣) وذلك بأن يضموا الدم ، بعد فصدته في الأمعاء ويشوونها . انظر ص ٥٦ .

(٤) س : « جنسها » ، وأراه تحريفاً .

(٥) كذا في ط ، قيس . وفي . هـ : « لم يصنع أحسن منه » .

(٦) ط : « المولودين » صوابه في س ، هـ .

(٧) س : « الحسن » ، محرف .

في الشتاء بغير العيون التي يرونها بها في الصيف . ليس ذلك إلا بقدر ما حدث من الاستغناء عنها .

وكذلك جلاء السيف ؛ فإنَّ الإنسانَ يستحسنُ قَدْ السَّيفِ وخرطه ، وطبعه وبريقه . وإذا ذكر صنيعه والذي هُيئَ له ، بدا له في أكثر ذلك ^(١) ، وتبدل في عينه ، وشغله ذلك عن تأمل محاسنه .

ولولا علم الناس بعداوة الحيات ^(٢) لهم ، وأنها وحشية لا تأنس ولا تقبل أدباً ، ولا ترعى حقَّ تربية ، ثمَّ رأوا شيئاً من هذه الحيات ^(٣) البيض ، المنقشة الظهور - كما بيئوها ونوموها إلا في المهد ، مع صبيانهم .

(ردُّ على من طعن في تحريم الخنزير)

فيقال لصاحب هذه المقالة ^(٤) : تحريم الأغذية إنما يكون من طريق

العبادة والمحنة ، وليس أن جوهرَ شيء من المأكول ^(٥) يوجب ذلك . ٣٥
وإنما قلنا : إنا وجدنا الله تعالى قد مسحَ عباداً من عباده في صور الخنزير [دونَ بقية ^(٦) الأجناس ، فعلمنا أنه لم يفعلْ ذلك إلا لأُمُورٍ اجتمعت في الخنزير ^(٧)] . فكان المسخ على صورته أبلغ من التنكيل . لم نقلْ إلا هذا

(١) بدا له : أى نشأ له رأى آخر .

(٢) ط : « الحياة » ، وإنما هو جمع حية كما في س ، هـ .

(٣) هذا البحث الآتي متعلق بما سبق في ص ٧٤ - ٧٧ سمي وليس له ارتباط بما مر قريباً .

(٤) إلى هذه الكلمة ينتهى المجلد الأول من النسخة الخطية المرموز إليها برمز « س » وتبتنى المعارضة بعدها من أول المجلد الثاني منها .

(٥) هـ : « جميع » .

(٦) الزيادة من س ، هـ .

(طباع القرد)

والقرد يَضْحَكُ وَيَطْرَبُ ، وَيَقْفَى وَيَحْكِي ، وَيَتَنَاوَلُ الطَّعَامَ بِيَدَيْهِ وَيَضَعُهُ فِي فِيهِ ، وَلَهُ أَصَابِعُ وَأَظْفَارُ . وَيَنْتَقِي ^(١) الْجُوزَ ، وَيَأْنَسُ الْأَنْسَ الشَّدِيدَ ، وَيَلْقَنُ بِالتَّلْقَيْنِ الْكَثِيرِ ، وَإِذَا سَقَطَ فِي الْمَاءِ غَرِقَ وَلَمْ يَسْبَحْ ؛ كَالْإِنْسَانِ قَبْلَ أَنْ يَتَعَلَّمَ السَّباحَةَ . فَلَمْ تَجِدِ النَّاسَ لِلَّذِي اعْتَرَى الْقِرْدُ مِنْ ذَلِكَ - دُونَ جَمِيعِ الْحَيَوَانِ عِلَّةً - إِلَّا هَذِهِ الْمَعَانِي الَّتِي ذَكَرْتَهَا ^(٢) ، مِنْ مَنَاسِبَةِ الْإِنْسَانِ مِنْ قَبْلِهَا .

وَيَحْكِي عَنْهُ مِنْ شِدَّةِ الزَّوْاجِ ، وَالْغَيْرَةِ عَلَى الْأَزْوَاجِ ، مَا لَا يَحْكِي مِثْلَهُ إِلَّا عَنِ الْإِنْسَانِ ؛ لِأَنَّ الْخَنَزِيرَ يَغَارُ ، وَكَذَلِكَ الْجَمْلُ وَالْفَرَسُ ، إِلَّا أَنَّهَا لَا تَزَاجُ . وَالْجَمَارُ يَغَارُ وَيَحْمِي عَانَتَهُ الدَّهْرَ كُلَّهُ ^(٣) ، وَيَضْرِبُ فِيهَا كَضْرِبِهِ لَوْ أَصَابَ أَتَانًا مِنْ غَيْرِهَا . وَأَجْناسُ الْحَمَامِ تَزَاجُ وَلَا تَغَارُ .

واجْتَمَعَ فِي الْقِرْدِ الزَّوْاجِ وَالْغَيْرَةِ ، وَهِيَ خَصْلَتَانِ كَرِيمَتَانِ ، وَاجْتِمَاعُهُمَا مِنْ مَفَاخِرِ الْإِنْسَانِ عَلَى سَائِرِ الْحَيَوَانِ . وَنَحْنُ لَمْ نَرَوْهُ شَيْءٌ غَيْرَ الْإِنْسَانِ أَشْبَهَ صُورَةً وَشَبَهَا ، عَلَى مَا فِيهِ مِنَ الْاِخْتِلَافِ ، وَلَا أَشْبَهَ فَأَوْجَهًا بِالْإِنْسَانِ ، مِنَ الْقِرْدِ . وَرُبَّمَا ^(٤) رَأَيْنَا وَجْهَ بَعْضِ الْحَمْرِ ^(٥) إِذَا كَانَ ذَا خَطْمٍ ، فَلَا نَجِدُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِرْدِ إِلَّا الْيَسِيرَ .

(١) أصله من قولهم : نَقَى الْعَظْمَ نَقْيًا : اسْتَخْرَجَ نَقِيَّهُ . وَالتَّقَى بِالْكَسْرِ : مَخَّ الْعَظَامَ وَشَحِمَهَا . فَالْمَعْنَى يَسْتَخْرِجُ لُبَ الْجُوزِ .

(٢) س : « ذَكَرْنَاهَا » .

(٣) الْعَانَةُ : جَمَاعَةُ الْحَمْرِ الْوَحْشِيَّةِ .

(٤) ط : « وَبِمَا » ، تَصْحِيحُهُ مِنْ س ، هـ .

(٥) لَعَلَّ الْمُرَادَ بِالْحَمْرِ هُنَا الرُّوسُ . وَجَاءَ فِي التَّنْبِيهِ وَالْإِشْرَافِ ١٢٢ : « وَالرُّومُ تَسْمِيهِمْ رُوسِيَا . مَعْنَى ذَلِكَ : الْحَمْرُ » . فِي الْأَصْلِ : « بَعْضُ وَجْهِ الْحَمْرِ » .

(أمثال في القرد)

وتقول ^(١) الناس : « أْكَيْسُ من قِشَّة ^(٢) » ، و « أَمْلَحُ من رُبَّاح ^(٣) »
ولم يقل أحد : أْكَيْس من خِنْزِيرٍ ، وَأَمْلَحُ من خِنْوَص . وهو قول العامة :
« القرد قَبِيحٌ وَلَسَكُنَّه مَلِيحٌ » .

(كفّ القرد وأصابعه)

وقال النَّاسُ في الضَّبِّ : إنه مِسْخٌ . وقالوا : انْظُرْ إلى كَفِّهِ وَأَصَابِعِهِ .
فكَفَّ القرد وَأَصَابِعُهُ ^(٤) أَشْبَهُ وَأَصْنَعُ . فَقَدِمَتْ للقرد على الخنزير من
هذا الوجه .

(علة تحريم لحم الخنزير)

وَأَمَّا القولُ في لحمه ، فَإِنَّا لم نَزْعَمْ أَنَّ الخنزيرَ هو ذلك الإنسان الذي
مُسَخَّ ، ولا هو من نسله ، ولم ندْعْ لحمه من جهة الاستقذار لشهوته في العذرة ،
ونحن نجد الشَّهْوِط والجُرَّى ^(٥) ، والدَّجَاج ، والجُرَاد ، يشارِكُنَّه في ذلك ،
ولكن للخصال التي عدَدنا من أسباب العبادات . وكيف صار أحقَّ بأنْ تَمَسَخَ
الأعداء ^(٦) على صورته في خلقته .

(١) س : «ويقول» .

(٢) القشة ، بالكسر : القردة ، أو ولدها الأنثى .

(٣) الرباح ، كرمان : القرد الذكر .

(٤) ط : « فكيف والقرد أصابعه » ، وهو — لاجرم — تحريف .

(٥) الشبوط والجري : ضربان من ضروب السبك . وانظر مثل هذا الكلام

في (١ : ٢٣٥) .

(٦) أى أعداء الله .

(حديث عبيد الكلابي)

قال : وقلت مرّة لعبيد الكلابي - وأظهر من حبّ الإبل والشّعف بها ما دعاني إلى أن قلت له - : أيّنها وبينكم قرابة ^(١) ؟ قال : نعم ، لها فينا خُؤولة . إني والله ما أعني البَخَاتِيَّ ، ولكنّي أعني العِرَابَ ، التي هي أعرب ! قلت له : مَسَخَكَ الله تعالى بعيراً ! قال : الله لا يمسحُ الإنسانَ على صورةٍ كريمٍ ، وإنما يمسحه على صورةٍ لثيمٍ ، مثل الخنزير ثم القرد ^(٢) .
فهذا قولُ أعرابيٍّ جَلَفٍ ^(٣) تكلم على فطرته .

(قول في آية)

وقد تكلم المخالفون في قوله تعالى : ﴿ وَأَسَاءَ لَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِثَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ ^(٤) .
وقد طعن ناسٌ في تأويل هذه الآية ، بغير علمٍ ولا بيانٍ ، فقالوا : وكيف يكون ذلك وليس بين أن تبيء ^(٥) في كلّ هلال فرقٌ ، ولا بينها إذا جاءت في رأس الهلال فرقٌ ، ولا بينها إذا جاءت في رأس السّنة فرق .

٣٦

(١) س : « أيّنكم وبينها قرابة » .

(٢) ط ، ه : « الخنزير والقرد » .

(٣) الجلف ، بالكسر : للرجل الجاف .

(٤) هذه القرية هي أيلة ، أو مدين ، أو طبرية : وكل منها حاضرة البحر ، أي قرية منه .

« يعدون في السبت » : يتجاوزون حدود الله بالصوم يوم السبت . « يوم سبتهم »

أي يوم تعظيمهم أمر السبت ، سبت اليهود : عظمت سبتها . « شرعا » :

ظاهرة على وجه الماء .

(٥) كذا الصواب في س . وفي ط ، ه : « يبيء » .

(هجرة السمك)

وهذا بحرُ البصرة والأبلة ، يأتيهم ثلاثة أشهر معلومة معروفة [من السنة] السمك الأسبور^(١) ، فيعرفون وقت مجيئه وينتظرونه ، ويعرفون وقت انقطاعه ومجيئ غيره ، فلا يمكث بهم الحال إلا قليلاً حتى يُقبل السمك من ذلك البحر ، في ذلك الأوان ، فلا يزالون في صيد ثلاثة أشهر معلومة من السنة ، وذلك في كل سنة مرتين لكل جنس . ومعلوم عندهم أنه يكون في أحد الزمانين أَسْمَنَ ، وهو الجواف^(٢) ، ثم يأتيهم الأسبور^(٣) ، على حساب مجيء الأسبور^(٤) والجواف . فأما الأسبور فهو يقطع إليهم من بلاد الزنج . وذلك معروف عند البحريين . وأن الأسبور في الوقت الذي يقطع إلى دجلة البصرة لا يوجد في الزنج ، وفي الوقت الذي يُوجد في الزنج لا يوجد في دجلة^(٥) . وربما اصطادوا منها شيئاً في الطريق في وقت قطعها المعروف^(٦) ، وفي وقت رجوعها . ومع ذلك أصناف من

(١) سبق الكلام عليه في (٣ : ٢٥٩) . وفي الأصل : « الأسبور » محرف .

(٢) في الأصل : « الجواف » . وانظر ما أسلفت من التحقيق في (٣ : ٢٥٩) .

(٣) في الأصل : « الأسبور » . وهو تحريف . انظر له (٣ : ٢٥٩) .

(٤) ط ، هـ : « الأسبور » . وانظر التنبيه السابق .

(٥) س : « الدجلة » ، وإدخال « أل » على « دجلة » خطأ ، فإن المعرفة لا تعرف .

وانظر لأشياء هذا الوهم درة الغواص ٢٥ .

(٦) يقال قطع الطائر والسمك : إذا انتقل من بلد إلى بلد .

السّمك كالإرْبِيان^(١) ، والرَّق^(٢) ، والكَوْسَج^(٣) ، والبرد^(٤) ،
والبرَسْتُوج^(٥) . وكلُّ ذلك معزوف الزّمان ، متوقّع المخرَج .
وفي السّمك أوبدٌ وقواطعٌ ، وفيها سيّارةٌ لا تقيم . وذلك الشّبه يُصابُ .
ولذلك صاروا يتكلمونَ بخمسةِ السّنة^(٦) ، يهدونها^(٧) ، سوى ما تعلّقوا به
من غيرها .

ثمَّ القواطع من اللّظير قد تأتينا إلى العراق منهم^(٨) في ذلك الإبان
جماعاتٌ كثيرةٌ ، تقطّع إلينا ثمَّ تعودُ في وقتها .

(١) الأربيان ، بالكسر : ضرب من السمك ، يعرف في مصر باسم « الجنبرى » ،
كما في معجم المخلوف . وقد سبق للجاحظ كلام فيه ، انظر (١ : ٢٩٧ س ٦)
وفي الأصل : « الأرسان » ، محرف عما أثبت .

(٢) الرق : السلحفاة المائية .

(٣) الكوسج : سمك بحرى كبير عظيم الضرر تخافه دواب البحر ، ويعرف باسم
« القرش » أيضا في سواحل البحر الأحمر .

(٤) كذا . ولعله : « البز » أو « البزون » ، وهو نوع من السمك معروف بالعراق .

(٥) البرستوج : سمك قدمت تحقيقا فيه بالجزء الثالث ص ٢٥٩ - ٢٦٠ ، وهو من
السمك الذى يقطع إلى البصرة كما في (٣ : ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٣) . وهذه
الكلمة مضطربة في الأصل : فهي في ط : « الكرنوح » و س :
« الكونوح » و هـ : « الكرموح » وهى تحريفات عجيبة لما أثبت .

(٦) لعله إشارة إلى الأصناف الخمسة المتقدمة .

(٧) هذا الحديث يهذه : سرده . وفي الأصل : « يهدونها » بالدال المهملة ،
ولا وجه له .

(٨) جعل لغير العاقل ضمير العاقل ، وهو جائز . في القرآن : « يأبىء النمل ادخلوا
مساكنكم » ، « والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه » ، « لا الشمس
ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون » ، « إني
رأيت أحده عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين » .

(رد على المترض)

قُلْنَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ : لَقَدْ أَصَبْتُمْ فِي بَعْضِ مَا وَصَفْتُمْ ، وَأَخْطَأْتُمْ فِي بَعْضٍ .
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ
 لَا تَأْتِيهِمْ ﴾ ، وَيَوْمُ السَّبْتِ يَدُورُ مَعَ الْأَسَابِيعِ ، وَالْأَسَابِيعُ تَدُورُ مَعَ شَهْرِ
 الْقَمَرِ ^(١) . وَهَذَا لَا يَكُونُ مَعَ اسْتِوَاءٍ مِنَ الزَّمَانِ . وَقَدْ يَكُونُ السَّبْتُ فِي الشِّتَاءِ
 وَالصَّيْفِ وَالْخَرِيفِ ، وَفِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ . وَلَيْسَ هَذَا مِنْ بَابِ أَزْمَانِ قَوَاطِعِ
 السَّمَكِ ^(٢) وَهَيْجَرِ الْحَيَوَانِ وَطَلَبِ السَّفَادِ ، وَأَزْمَانِ الْفَلَاخَةِ ، وَأَوْقَاتِ
 الْجَزْرِ وَالْمَدِّ ، وَفِي سَبِيلِ الْأَنْوَاءِ ، وَالشَّجَرِ كَيْفَ يَنْقُضُ ^(٣) الْوَرَقَ وَالثَّمَارَ ؛
 وَالْحَيَاتِ كَيْفَ تَسْلُخُ ^(٤) ، وَالْأَيَّامُ كَيْفَ تَلْقَى قُرُونَهَا ^(٥) وَالطَّيْرِ كَيْفَ
 تَنْطِقُ وَمَتَى تَسْكُتُ .

وَلَوْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ : إِنِّي نَسِيتُ ^(٦) [قُلْنَا لَهُ : وَمَا آيَتُكَ ؟ وَمَا عَلَامَتُكَ ؟ ٣٧
 فَقَالَ : إِذَا كَانَ فِي آخِرِ تَشْرِينِ الْآخِرِ أَقْبَلَ إِلَيْكُمْ الْأَسْبُورُ ^(٧) ، مِنْ جِهَةِ
 الْبَحْرِ — ضَحِكُوا مِنْهُ وَسَخِرُوا بِهِ . وَلَوْ قَالَ : إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ
 أَوْ يَوْمُ الْأَحَدِ أَقْبَلَ إِلَيْكُمْ الْأَسْبُورُ ^(٧) ، حَتَّى لَا يَزَالَ يُصْنَعُ ذَلِكَ فِي كُلِّ

(١) ط : « القمرية » ، صوابه في س ، ه .

(٢) س : « وليس هذا مرتين كأزمان قواطع السمك » .

(٣) ينقض ، بالفاء : يسقط الورق أو الثمر . ط ، ه : « ينقض » ، صوابه في س .

وقد سبق مثله في (٣ : ٢٣٢ س ١٤) .

(٤) يقال سلخت الحية تسليخ من بابي نصر ومنع ، وانسلخت تسليخ : إذا انسرت من

جلدها . جاء في س : « تسليخ » وكلمة « الحيات » ساقطة من س

وموضعها في ط ، ه بعد كلمة « تسليخ » ، وقد رددتها إلى موضعها الطبيعي الملائم .

(٥) الأيل يتصل قرنه في كل سنة كما سبق في (٣ : ٢٣٢ س ١٣ ، ١٤) .

(٦) ليست بالأصل ، والكلام في حاجة إليها .

(٧) في الأصل : « الأسبور » . وانظر التنبيه الأول من الصفحة ١٠١ .

جمعة - علمنا اضطراباً إذا عايننا الذي ذَكَرَ على نَسَقِهِ أَنَّهُ صادق ، وَأَنَّهُ لم يعلم ذلك إِلَّا من قِبَلِ خَالِقِ ذَلِكَ ^(١) . تعالى الله عن ذلك .

وقد أَقَرَرْنَا بعجيب ما نرى من مطالع النُّجُوم ، ومن تناهى المدَّ والجُزر على قدر امتلاء القمر ونقصانه ، وزيادته ومحاقه ^(٢) ، واستساراه ^(٣) . وكلُّ شيء يَأْتِي على هَذَا النُّسَقِ من المجارى ، فَإِنَّمَا الآيَةُ فِيهِ لِلَّهِ وَحْدَهُ على وحدانيته .

فإذا قال قائلٌ لأهل شريعة ^(٤) ولأهل مُرسى ، من أصحابِ بحرٍ أو نهر أو وادٍ ، أو عينٍ ، أو جدولٍ : تأتِيكم الحِيتَانِ في كلِّ سبت . أو قال : في كلِّ رمضان . ورمضانُ متحوِّلُ الأزمانِ في الشَّتَاءِ والصَّيفِ ، والرَّبيعِ والحَرِيفِ . والسَّبْتُ يتحوِّلُ في جميعِ الأزمانِ . فإذا كان ذلك كانت تلك الأعجوبة ^(٥) فِيهِ دَالَّةٌ على توحيدِ الله تعالى ، وعلى صِدْقِ صاحبِ الخبرِ ، وَأَنَّهُ رسولُ ذلك المسخَّرِ لذلك الصَّنَفِ . وكان ^(٦) ذلك المحيُّ خارجاً من النُّسَقِ القائمِ ، والعادةِ المعروفة . وهذا الفرقُ بذلك بَيِّنٌ . والحمدُ لله .

(١) بدله في ط ، هـ : « السلك » .

(٢) الحاق ، مثابة : آخر الشهر د أو ثلاث ليالٍ من آخره ، أو أن يستسر القمر فلا يرى غلوة ولا عشية .

(٣) استسار القمر : أن يختفي ، وذلك ليلة ثمان وعشرين ، وإذا كان الشهر ثلاثين فساراه ليلة تسع وعشرين . في ط ، هـ : « إسراره » س : « استراره » ، والوجه ما أثبت . انظر اللسان (سرر ٢١) . وبعد هذه الكلمة في ط : « واستدارته » .

(٤) الشريعة ، هنا مورد الماء .

(٥) س : « فإن كان ذلك كانت أعجوبة » .

(٦) ط ، هـ : « فكان » .

(شنة الخنازير والقرد)

قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا مُهُوَ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ . وفي الموضع الذي ذكر أنه مسح ناساً خنازير قد ذكر القُرود^(١) . ولم يذكر أنه مسح قوماً خنازير ، ولم يمسح منهم قروداً^(٢) . وإذا كان الأمر كذلك فالمسح على صورة القردة^(٣) أشنع ؛ إذ كان المسح على صورتها^(٤) أعظم^(٥) ، وكان العقابُ به أكبر . وإن الوقت الذي قد ذكر أنه قد مسح ناساً قروداً فقد كان مسح ناساً خنازير . فلم يدع ذكر الخنازير وذكر القُرود^(٦) إلا والقُرود في هذا الباب أوجع وأشنع وأعظم في العقوبة ، وأدل على شدة السخطة^(٧) . هذا قول بعضهم .

(١) س : « قرودا » ، وفي ط ، ه زيادة واو قبل « قد » ، وهو تحريف .

(٢) أى أنه عند ذكره مسح قوم خنازير قرنه أيضاً بالمسح بالقُرود ، وذلك قوله تعالى في الآية الستين من سورة المائدة : « قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه ، وجعل منهم القردة والخنازير » . وفي الأصل : « ولم يذكر أنه مسح قوما قرودا ولم يمسح منهم خنازير » . وأصلحته بما ترى .

(٣) في الأصل : « القرد » بالإفراد . ووجه الجمع كما سترى .

(٤) في الأصل : « على صورتها » ، وإنما الضمير عائد إلى جماعة القردة .

(٥) في الأصل : « أعم » ، ولا وجه له . وانظر ما سيأتى .

(٦) أى وحدهما ؛ إذا قال في سورة البقرة ، الآية الخامسة والستين : « ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين » ، ولم يذكر الخنازير . وقال في سورة الأعراف ١١٦ : « فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين » ولم يذكر الخنازير .

(٧) السخطة ، بالفتح : الكراهة ، يقال سخطه سخطاً ، بالضم ، والتحريك ، وبضمين ، وسخطة . وفي حديث هرقل : « فهل يرجع أحد منهم سخطة لدينه »

(استطراد لغوى)

قال : ويقال لموضع الأنف من السَّباع الحَظْم ، والخرطوم — وقد يقال ذلك للخزير — والفِنْطِيسَة^(١) ، والجمع الفناطيس . وقال الأعرابي : « كَأَنَّ فَنَاطِيسَهَا كِرَاكِرُ الْإِبِلِ^(٢) » .

(خصائص بعض البلدان)

وقال صاحب المنطق : لا يكون خِزِيرٌ ولا أُبْلٌ بحريًّا . وذكر أنَّ خَنَازِيرَ بعضِ البُلدانِ يكون لها ظِلْفٌ واحد ، ولا يكون بأَرْضِ نَهَاوَنْدَ حِمَارٌ ؛ لشدَّةِ برْدِ الموضع ، ولأنَّ الحِمَارَ صَرِدٌ .
وقال : فى أرضٍ كذا وكذا لا يكون بها شيءٌ من الخُلْدِ^(٣) ، وإن نقله إنسانٌ إليها لم يحفر ، ولم يتَّخذ بها بيتًا . وفى الجزيرة التى تسمَّى صِقْلِيَّةَ^(٤) لا يَكُونُ بها صَنْفٌ من النمل ، الذى يسمَّى أفرشان^(٥) . ٣٨

(١) الفِنْطِيسَة ، بالكسر : خطم الخنزير . وفى اللسان : « وروى عن الأصمعي : إنه لمنيع الفِنْطِيسَة والفَرْطِيسَة والأَرْنَبَة ، أى هو منيع الحوزة حى الأنف . أبو سعيد : فِنْطِيسَتِهِ وفَرْطِيسَتِهِ : أنفه » ، فهى قد تستعمل لغير الخنزير .

(٢) كذا على الصواب فى ط . وفى هـ : « قَنَاطِيسَهَا » ، وفى س : « فَنَاطِيسَه » . والكراكر : جمع كركرة ، بالكسر ، وهى صدر كل ذى خف .

(٣) الخلد ، بالضم : ضرب من الفأر .

(٤) صقلىة ، بكسرات ولام مشددة : تلك الجزيرة الأوربية الإيطالية . س ، هـ : « أَصْقَلِيَّة » ولعلها لغة فى تعريبها .

(٥) س : « أفرشان » بالفاء .

(قول أهل الكتابين في المسيح)

وأهل الكتابين ^(١) يُنكرون أن يكونَ الله تعالى مسيحَ النَّاسِ قروداً
وخنازير ، وإنما مسخ امرأة لوط حَجْراً ^(٢) . كذلك يقولون .

القول في الحيات

اللهمَّ جنبْنَا التكلفَ ، وأعِزَّنَا من الخطلِ ، واحمِنَا من العُجْبِ بما
يكونُ مِنَّا ، والثقةَ بما عندنا ، واجعلْنَا من المحسنين .

(احتيال الحيات للصيد)

حدثنا أبو جعفرٍ المكفوفُ النحويُّ العنبريُّ ، وأخوه رَوْحُ الكاتب
ورجالٌ من بني العنبرِ ، أن عندهم في رمال بلعنبرِ حِيَّةٌ تصيدُ العَصَافيرَ
وصِغَارَ الطيرِ بأعجبِ صيدٍ . زعموا أنها إذا انتصفَ النهارُ واشتدَّ الحرُّ في رمالِ
بلعنبرِ ، وامتنعت الأرضُ على الخافِ والمتعلِّ ، ورَمِضَ الجندب ^(٣) ،

(١) التوراة والإنجيل .

(٢) الذي في سفر التكوين من التوراة ، الأصحاح ١٩ : ٢٤ — ٢٦ : « فأمطر الرب
على سدوم وعمورة كبريتاً وناراً من عند الرب من السماء ، وقلب تلك المدن ، وكل
الدائرة ، وجميع سكان المدن ونيات الأرض ، ونظرت امرأته من ورائه فصارت
عمود ملح » .

(٣) الجندب ، وزان برقع ودرهم ، وبضم الجيم ويفتح الدال : ضرب من الجراد صغير :
Grasshopper . ورمض : آلمه الرمض وأحرقه ، وهو بالتحريك شدة وقع
الشمس على الرمل ونحوه .

غمست هذه الحية ذنبها في الرمل ، ثم انتصبت كأنها رمح مركوز ، أو عودٌ ثابت^(١) ، فيجىء الطائر الصغير أو الجرادة ، فإذا رأى عوداً قائماً وكره الوقوع على الرمل لشدة حره ، وقع على رأس الحية ، على أنها عود . فإذا وقع على رأسها قبضت عليه . فإن كان جرادة أو جعلاً أو بعض مالا يشبعها مثله ، ابتلعت^(٢) وبقيت على انتصابها . وإن كان الواقع على رأسها طائراً يشبعها مثله أكلته وانصرفت . وأن ذلك دأبها ما منع الرمل جانب^(٣) في الصيف والقيظ ، في انتصاب النهار والهاجرة . وذلك أن الطائر لا يشك أن الحية عود ، وأنه سيقوم له مقام الجذل للجرباء^(٤) ، إلى أن يسكن الحر ويهيج الرمل .

وفي هذا الحديث من العجب أن تكون هذه الحية تهتدي لمثل هذه الحيلة . وفيه جهل الطائر بفرق ما بين الحيوان والعود . وفيه قلة أكثراث الحية بالرمل الذي عاد كالجمر^(٥) ، وصلاح أن يكون ملة وموضعاً للخبرة^(٦) ، ثم [أن^(٧)] يشتمل ذلك الرمل على ثلث الحية ساعات من النهار ، والرمل على هذه الصفة . فهذه أعجوبة من أعاجيب مافى الحيات .

(١) في نهاية الأرب (١٠ : ١٣٩) : « ثابت » بالنون .

(٢) س : « أكلته » .

(٣) س : « جانبها » ، محرف .

(٤) الجذل ، بالكسر ويفتح : ما عظم من أصول الشجر ، وما على مثال شاريخ النخل من العيدان . والهرباء : بالسكس : دويبة من العطاء بطيئة حركة تتلون ألواناً : Chameleon . وهي إذا احتمت بجذل شجرة لم يميزها الراى ؛ لأنها تتلون سريعاً بلون الجذل ، فيحسبها تنوعاً فيه لا أنها شيء غريب عنه ، فتحفظ نفسها بذلك .

(٥) عاد هنا ، بمعنى صار .

(٦) الملة ، بالفتح : الرماد الحار . والخبرة ، بالضم : عجين يوضع في الملة حتى ينصح .

(٧) ليست بالأصل .

(رضاع الحية وإعجابها باللبن)

وزعم لى رجالٌ من الصَّقالبة ، خصيانٌ وفحول ، أنَّ الحيةَ في بلادهم تأقى البقرة^(١) [المحفلة^(٢)] فتنتوى على فخذيها^(٣) ورُكبتها إلى عراقيها ، ثمَّ تُشخص صدرها نحو أخلافِ ضرعِها ، حتى تلتقم الحِلْفَ ؛ فلا تستطيع البقرة [مع قوتها^(٤)] أن تترَمِّمَ^(٥) . فلا تزالُ تمصُّ اللبن ، وكلما مصَّت استرخت . فإذا كادت تتلفُ أرسلتها .

وزعموا أن تلك البقرة إما أن تموت^(٦) ، وإما أن يصيبها في ضرعها فسادٌ شديدٌ تعسرُ مداواته^(٧) .

والحيةُ تُعجَبُ باللبن . وإذا وجدت الأفاعى^(٨) الإناءَ غيرَ مخمَّرٍ^(٩)

(١) ط : « البقر » ، وأثبت ما في س ، ه ونهاية الأرب (٩ : ١٣٩) .

(٢) الزيادة من نهاية الأرب . والمحفلة ، بفتح الفاء المشددة : الناقة أو البقرة أو الشاة لا يعلبها صاحبها أياما حتى يجتمع لبنها في ضرعها ، فإذا احتلبها المشتري وجدها غزيرة اللبن فزاد في ثمنها . وفي الحديث : « من اشترى شاة محفلة فلم يرضها ردها ورد معها صاعا من تمر » . وبدلها في س ، ه : « المحفلة » تحريف ما أسلفت .

(٣) ط : « فخلنى البقرة » .

(٤) الزيادة من نهاية الأرب .

(٥) تترمم : تتحرك .

(٦) بدلها في نهاية الأرب : « تتلف » .

(٧) س ونهاية الأرب : « يعسر دواؤه » .

(٨) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٩) خمر الإناء : غطاه .

٣٩ كَرَعَتْ فِيهِ ^(١) ، وَرُبَّمَا نَجَّتْ فِيهِ مَا صَارَ فِي جَوْفِهَا ، فَيَصِيبُ شَارِبَ ذَلِكَ اللَّبَنِ أَذَى وَمَكْرُوهٌ كَثِيرٌ .

وَيُقَالُ إِنَّ اللَّبْنَ مُحْتَضَرٌ ^(٢) . وَقَدْ ذَهَبَ نَاسٌ إِلَى الْعَمَّارِ ، عَلَى قَوْلِهِمْ إِنَّ الثُّوبَ الْمُعْصَفَرَ مُحْتَضَرٌ ^(٣) . فَظَنَّ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّ الْمَعْنَى فِي اللَّبَنِ إِنَّمَا رَجَعَ إِلَى الْحَيَاتِ .

(مَا تَعَجَّبَ بِهِ الْحَيَاتِ)

وَالْحَيَّةُ تُعْجَبُ بِاللَّفَاحِ ^(٤) وَالْبَطِيخِ ^(٥) ، وَبِالْحَرْفِ ^(٦) ، وَانْخَرَدَلَ الْمُرْخُوفُ ^(٧) ، وَتَكَرَّهَ رِيحَ السَّدَابِ ^(٨) وَالشَّيْحِ ، كَمَا تَكَرَّهُ الْوَزْغُ رِيحَ الزَّعْفَرَانِ .

(١) كَرَعَ فِي الْمَاءِ أَوْ فِي الْإِنَاءِ ، كَنَعَ وَسَمِعَ ، كَرَعَا وَكَرَوْعًا : تَنَاوَلَهُ بِفِيهِ مِنْ مَوْضِعِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَشْرَبَ بِكَفِيهِ وَلَا بِإِنَاءٍ .

(٢) مُحْتَضَرٌ ، بِالضَادِّ الْمَعْجَمَةُ الْمَفْتُوحَةُ : تَحْضَرُهُ الْجَنُّ فَيُجَايِزِعُونَ ؛ قَالُوا : وَلِذَلِكَ يَسْرِعُ إِلَيْهِ الْفَسَادُ . وَفِي الْأَصْلِ : « مُحْتَضَرٌ » بِالْمُهْمَلَةِ . وَلَيْسَ صَوَابًا .

(٣) ط : « مُحْتَضَرٌ » س : « مُحْتَضَرٌ » . وَصَوَابُهُ مَا أَثْبَتَ مِنْ هـ . وَانْظُرِ التَّنْبِيهِ السَّابِقَ .

(٤) الْفَاحُ بِالضَّمِّ وَتَشْدِيدِ الْفَاءِ : نَبْتُ عَرِيضِ الْوَرَقِ ؛ وَلَهُ ثَمَرٌ فِي حَجْمِ تَفَاحٍ إِلَّا أَنَّهُ أَصْفَرُ شَدِيدِ الْعَفْصَةِ وَالْقَبْضِ ، فَإِذَا نَضَجَ مَالَ إِلَى حَلَاوَةٍ مَا . وَيُسَمَّى بِالشَّامِ تَفَاحِ الْجَنِّ . وَأَصْلُهُ يَتَكُونُ كَصُورَةِ الْإِنْسَانِ بِيَدَيْهِ وَرَجْلَيْهِ ، وَلِذَلِكَ يُسَمَّى بِالسَّرِيَانِيَةِ : « يَبْرُوحَا » أَيْ يَنْقُصُهُ الرُّوحُ : وَيُسَمَّى بِالْفَارَسِيَةِ : « هَزَارُ كَشَاي » أَيْ يَحِلُّ أَلْفَ عَقْدَةٍ .

(٥) لَا يَزَالُ هَذَا الزَّعْمُ بَاقِيًا فِي مِصْرَ ، وَالْعَامَّةُ عِنْدَنَا إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَخْفِظُوا الْبَطِيخَ الْمَشْقُوقَ مِنْ أَذَى الْحَيَاتِ وَالْهُوَامِ ، غَيَّبُوا نَصْلَ السَّكِينِ فِي جَوْفِهِ ، فَيَمِصُّهُ ذَلِكَ مِنْ شَرِّ الْهُوَامِ فَيَمُوتُ .

(٦) الْحَرْفُ ، بِالضَّمِّ : هُوَ الْمَعْرُوفُ بِحَبِّ الرِّشَادِ .

(٧) الْمُرْخُوفُ ، بِالْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ : الَّذِي وَضَعَ عَلَيْهِ الْمَاءَ فَاسْتَرْخَى . وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ مَحْرُوفَةٌ فِي أَصْلِهَا ، فَهِيَ فِي ط ، هـ : « الْمَزْخَرَفُ » وَفِي س : « الْمَرْخُوفُ » بِالْخَاءِ الْمُهْمَلَةِ .

(٨) هـ : « السَّدَابُ » بِالْمُهْمَلَةِ ، تَصْحِيفٌ . وَانْظُرِ لِلْعَقْدِ (٦ : ٢٤٣) .

(قوة بدن الحية)

وليس في الأرض شيءٌ جسمه مثلُ جسم الحية ، إلا والحية أقوى بدنًا منه أضعافا . ومن قوتها أنها إذا أدخلت رأسها في جحرها ، أو في صدعٍ إلى صدرها ، لم يستطع أقوى الناس وهو قابضٌ على ذنبها بكلتا^(١) يديه أن يخرجها ؛ لشدة اعتمادها ، وتعاون أجزاءها . وليست بذات^(٢) قوائم لها أظفارٌ أو مخالبٌ أو أظلاف^(٣) ، تُنشبُها في الأرض ، [و^(٤)] تنشب بها^(٥) ، وتعتمد عليها . وربما انقطعت في يدي^(٦) الجاذب لها ، مع أنها لدنةٌ ملساءٌ على^(٧) علكة الرقيق^(٨) في أمرها عند ذلك ، أن يُرسلها من يديه بعض الإرسال ، ثم ينشطها^(٩) كالخطف والمختلس ، وربما انقطع فنبها في يد الجاذب لها . فأما أذنان الأفاعي فإنها تنبت .

(١) كذا على الصواب في س ؛ إذ أن كلا وكلتا إذ أضيفتا إلى اسم ظاهر ألزمتا الألف .

وفي ط ، ه : « بكتي » ، وهو خطأ .

(٢) في الأصل : « يدي » ، ووجهه ما أثبت .

(٣) ط ، ه : « لها أظلاف » ، صوابه في س .

(٤) الزيادة من س ، ه .

(٥) س : « تنبت فيها » .

(٦) ط : « يد » . وانظر السطر الرابع من هذه الصفحة .

(٧) علكة ، كفرحة : من قولهم طعام مالك وعلك ، ككتف : متين المصغرة . ط ، ه :

« من أنها » ، وهذا عكس المراد ، إذ المعنى أن ملاستها تقتضي انزلاقها من يد الجاذب ، وكونها علكة يستلزم أن تكون متينة تعز على القطع .

(٨) س : « فحتاج إلى الرقيق » ، وهي عبارة لاتساير باقي الكلام .

(٩) نشط الشيء ، من باب نصر : اختلسه .

ومن عجيب ^(١) ما فيها من هذا الباب ، أن نابتها يُقَطَّع بالكاز ^(٢) ،
فينبت حتى يتم نباته في أقل من ثلاث ليال :

(نزع عين الخطاف)

والخطاف في هذا الباب خلاف الخنزير ، لأن الخطاف ^(٣) إذا قُلعتْ
إحدى عينيه رجعت . وعين البردُون يركبها البَيَاضُ ، فيذهب في أيامٍ
يسيرة .

(الاحتيال لناب الأفعى)

وناب الأفعى يحتال له بأن يُدخل في فيها مُخاض أَرُج ^(٤) ، ويطبق
لحيها ^(٥) الأعلى على الأسفل ، فلا تقتل بعضتها أياماً صالحة .
والمغناطيس الجاذب ^(٦) للحديد ، إذا حُكَّ عليه الثوم ^(٧) ،
لم يجذب الحديد .

-
- (١) س : « أعاجيب » .
(٢) الكاز ، بالزاي : هو المقص بالفارسية . ط : « بالكاز » صوابه في س ،
ه ومعجم بالمر ، واستينجاس ، وريتشاردسن .
(٣) س : « الخنزير » صوابه في ط ، ه . وسيأتي في ص ١٤٣ : « فإن
نازعا لو نزع عيون فراخ الخطاطيف وفراخ الحيات لعادت بصيرة » .
(٤) الأترج ، سبق الحديث عنه في (٣ : ٥٨١) . وحماضه : شحمه .
(٥) اللحى ، بالفتح : العظم الذى فيه الأسنان من داخل الفم . ط ، ه : « لحيها »
بالثنية ، صوابه الإفراد كما في س .
(٦) المغنطيس والمغناطيس ، يكسر الميم من كل منهما ، وكذا المغنيطس بفتح الميم وكسر
النون وفتح الطاء : حجر يجذب الحديد ، معرب . وفي الأصل أيضا : « الجاذبة »
صوابه ما أثبت .
(٧) الثوم ، بالضم ، ذاك الثبت المعروف . س : « عليها » وهى على الصواب
في ط ، ه . وجه مناسبة هذه الفقرة لما قبلها ، هو أن بعض المواد إذا اقترنت
بمادة أخرى فقدت بعض خواصها .

(خصائص الأفعى)

والأفعى لا تدور عينها في رأسها ، وهى تلد وتبيض ، وذلك أنها إذا طرقت ببيضها ^(١) تحطّم في جوفها ، فترمى بفراخها أولاداً ، حتى كأنها من الحيوان الذى يلد حيواناً مثله .

وفى الأفاعى من العجب أنها تُذبح حتى يُفَرى منها كلُّ ودج ، فتبقى كذلك أياماً لا تموت . وأمرت ^(٢) الحاوى فقبض على خرزة ^(٣) عنقها ، فقلت له : اقبضها من الخرزة التى تليها قبضاً رقيقاً ^(٤) . فما فتحَ بينها بقدر سمِّ الإبرة حتى بردت ميّته ^(٥) . وزعم أنه ^(٦) قد ذبحَ غيرها من الحيات فعاشت على شبيهه بذلك ، ثم إنه فصل تلك الخرزة على مثال ما صنع بالأفعى ، فماتت بأسرع من الطرف .

(١) طرقت ببيضها ، بتشديد الراء : خان لها أن يخرج ببيضها . ط : « طرقت ببيضها » صوابه فى س ، ه .

(٢) ط ، ه : « فأمرت » بالفاء .

(٣) الخرزة ، بالتحريك : الفقرة من فقرات الظهر أو العنق .

(٤) س : « من الفقرة » والفقرة والخرزة سيان . ه : « فصلاً رقيقاً » محرف .

(٥) سم الإبرة : ثقبها . بردت : ماتت .

(٦) الضمير المستكن ، للحاوى الذى سبق ذكره .

(قوة بدن الممسوح)

وكلُّ شَيْءٍ مَمْسُوحِ الْبَدَنِ ^(١) ، لَيْسَ بِذِي أَيْدٍ وَلَا أَرْجُلٍ ^(٢) ، فَإِنَّهُ
يَكُونُ شَدِيدَ الْبَدَنِ ، كَالسَّمَكَةِ ^(٣) وَالْحَيَّةِ .

(حديث في سم الأفعى)

وزعم أحمد بن غالب ^(٤) قال : باعني حَوَاءُ ثَلَاثِينَ أَفْعَى بَدِينَارِينَ ،
وأهدى إليَّ خَسَاءً اصْطَادَهَا مِنْ قُبَالَةِ الْقَلْبِ ^(٥) ، فِي تِلْكَ الصَّحَارَى عَلَى
شَاطِئِ دَجْلَةٍ . قَالَ : وَأَرَدْتُهَا لِلتَّرْيَاقِ . [قَالَ] : فَقَالَ لِي حِينَ جَاءَنِي بِهَا :
قُلْ لِي : مَنْ يَعالِجُهَا ؟ [قَالَ] : فَقُلْتُ لَهُ : فَلَانَ الصَّيْدَلَانِيَّ . فَقَالَ : لَيْسَ
عَنْ هَذَا سَأَلْتُكَ ، قُلْ لِي : مَنْ يَذْبَحُهَا وَيَسْلُخُهَا ؟ قَالَ : قُلْتُ : هَذَا الصَّيْدَلَانِيُّ
بَعِينُهُ . قَالَ : أَخَافُ أَنْ يَكُونَ مَغْرُورًا مِنْ نَفْسِهِ ، إِنَّهُ وَاللَّهِ إِنْ أَخْطَأَ
مَوْضِعَ الْمَفْصِلِ مِنْ قَفَاهُ ^(٦) ، وَحَرَكْتَهُ أَسْرَعُ مِنَ الْبَرَقِ ، فَإِنْ كَانَ لَا يَحْسُنُ ^(٧)

(١) هذه الكلمة ساقطة من هـ . و « ممسوح » بالخاء المعجمة ، وقد فسر به
سَيِّاقٌ . وفي الأصل : « ممسوخ » بالخاء المعجمة ، وهو تصحيف .

(٢) ط : « رجل » والوجه الجمع كافي س ، هـ .

(٣) ط ، هـ : « كالسك » .

(٤) س : « أحمد بن غالب » . والصواب مائت من ط ، هـ . ويؤيده
اتفاق النسخ على إثبات « ابن غالب » في الصفحة ١١٦ .

(٥) موضع أو ماء ، لم أمتد بعد إلى ضبطه أو تعيينه .

(٦) ط : « قفاها » صوابه في س ، هـ .

(٧) س : « يحسن » .

ولا يدري كيف يتغفله ، فينقره نقرَةً^(١) لم يُفْلِحْ بعدها أبداً . ولكني
سَأَتَطَوَّعُ لك بِأَنْ أعمل ذلك بين يديه . قال : فبعثت إليه . وكان رأسه
[إلى (٢)] الجُونة^(٣) ، فيَغْفِلُ^(٤) الواحدة فيقبض على قفاها بأسرع من
الطَّرَفِ^(٥) ، ثم يذبجها . فإذا ذبجها سال من أفواها لعابٌ أبيض ، فيقول :
هذا هو السم الذي يقتل ! قال : فجالت يده جَوْلَةً . وقطرت من ذلك اللعاب
قطرةً على طَرَفِ قيصِرِ الصيدلاني . قال : فَتَفَشَّى^(٦) ذلك القاطرُ حَةً
صار في قدر الدرهم العظيم . ثم إنَّ الحوَّاء امتَحَنَ ذلك الموضعَ فتهافت

(١) النقر ، بالقاف : أصله للطير ، واستعماله في الحيات غريب ، لم أر مثله إلا فيما ورد
في ص ١٠٩ ، وكذا في أثناء قصة رواها الجهمشيارى (في كتاب الوزراء
والكتاب) بشأن حية مر بهارجل فقالت له : أدخلني في كلك حتى أدفأ ثم أخرج .
فأدخلها فلما دفئت قال لها : اخرجي ! فقالت : إني ما دخلت في هذا المدخل قط
فخرجت حتى أنقر نقرة . وبعدها : « وواقه لئن دخل أسامة لينقرنك نقرة » . كل
أولئك بالقاف . انظر الجهمشيارى ٥٦ س ١٤ ، ١٥ . والمعروف في الأفاقي :
نكر ينكر ، بالتون ثم الكاف بعدها زاي معجبة ، كما سيأتى في ص ٢٥٣ .
(٢) الزيادة من س ، هـ .

(٣) الجونة ، بضم الجيم : سلية (تصغير سلة) مغطاة أداما (أى جلدا مدبوغا) تكون
مع الطارئين . ذاك أصلها . ط ، هـ : « الحونة » بالخاء ، صوابه في س .

(٤) يقال أغفلت الرجل : أصبته ووجدته غافلا ، وهل ذلك فسر بعضهم قوله عز وجل
« ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا » : اللسان . س ، هـ : « فيغفل » . يقال
تغفله واستغفله : تحيئت غفلته . والرواية المثبتة من ط .

(٥) الطرف : مصدر طرف بصره : أطلق أحد جفنيه على الآخر . والطرف أيضاً : العين .
س : « في أسرع من الطرف » .

(٦) تفشى بالفاء : انتشر واتسع . وفي اللسان : « تفشى الخبر » : إذا كتب على كاهنه
رقيق فتشى فيه . ط ، س : « فتشى » بالعين بدل الفاء ، ووجهه
ما أثبت من هـ .

في يده ، وبقيت الأفاعى مُذَبَّحَةً ^(١) [تجول] في الطست ويكدم ^(٢) بعضها بعضاً ، حتى أمسينا .

قال : وبكرت على أبي رجاء إلى باب الجسر ، أحدثته بالحديث ، فقال لي : وددت أني رأيت موضع القطرة من ^(٣) قميص الصَّيدلاني ! قال : فوالله ما رمت ^(٤) حتى مرّ معي إلى الصَّيدلاني ، فأرَيْتُهُ موضعه .
وأصحابنا يزعمون أن لعاب الأفاعى لا يعمل في الدَّم . إلا أن أحمدَ ابنَ المثنى زعم أن من الأفاعى جنساً لا يضُرُّ الفراريج من بين الأشياء ، ولا أدرى أيُّ الخبرين أبعد : أخبرُ ابنَ غالب في تفسيح الثوب ، أو خبر ابن المثنى في سلامة الفروج على الأفعى ؟

(ما تضيء عينه من الحيوان)

وزعم محمد بن الجهم أن العيون التي تضيء بالليل كأنها مصابيح ، عيون الأسد والنور ، والسنانير والأفاعى ، فبينما نحن عنده إذ دخل عليه بعض من يجلب الأفاعى من سجستان ، ويعمل الترياقات ، ويبيعها أحياء ومقتولة ^(٥) ، فقال له : حدّثهم بالذي حدّثتني به من عين الأفعى . قال : نعم ، كنت في مَبْزَلِي نائماً في ظلمة . وقد كنت جمعت رعوس أفاع ^(٦)

(١) ط : « مذبوحة » وأثبت ما في س ، ه .

(٢) يكدم : يعض . ط : « يكدم » بدون واو قباهما .

(٣) س ، ه : « في » .

(٤) مارمت ، بكسر اللراء من « رمت » : أي ما برحت .

(٥) في الأصل : « معولة » .

(٦) في الأصل : « أفاعى » بإثبات الياء . والوجه حذفها .

كُنْ عِنْدِي ، لِأَرْمِيَ بِهَا ، وَأَغْفَلْتُ تَحْتَ السَّرِيرِ رَأْساً وَاحِداً ، فَفَتَحْتُ عَيْنِي
تَجَاهَ السَّرِيرِ فِي الظُّلْمَةِ فَرَأَيْتُ ضِيَاءً إِلَّا أَنَّهُ ضَبِيلٌ ضَعِيفٌ رَقِيقٌ ، فَقُلْتُ :
عَيْنُ غُولٍ أَوْ بَعْضِ أَوْلَادِ السَّعَالَى ، وَذَهَبَتْ نَفْسِي فِي أَلْوَانٍ مِنَ الْمَعَانِي ،
فَقُمْتُ فَقَدَحْتُ نَاراً ، وَأَخَذْتُ الْمَصْبَاحَ مَعِيَ ، وَمَضَيْتُ نَحْوَ السَّرِيرِ فَلَمْ أَجِدْ
تَحْتَهُ إِلَّا رَأْسَ أَفْعَى ^(١) ، فَأَطْفَأْتُ السَّرَاجَ وَنَمْتُ ^(٢) وَفَتَحْتُ عَيْنِي ، فَإِذَا
ذَلِكَ الضُّوءُ عَلَى حَالِهِ ، فَهَضُمْتُ فَصَنَعْتُ كَصَنِيعِ الْأَوَّلِ ، حَتَّى فَعَلْتُ ذَلِكَ
مِرَاراً . قَالَ : فَقُلْتُ آخِرَ مَرَّةٍ : مَا أَرَى ^(٣) شَيْئاً إِلَّا رَأْسَ أَفْعَى ، فَلَوْ نَحَيْتُهُ ! ٤١
فَنَحَيْتُهُ وَأَطْفَأْتُ السَّرَاجَ ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى مَنَامِي ، فَفَتَحْتُ عَيْنِي فَلَمْ أَرَ الضُّوءَ ،
فَعَلِمْتُ أَنَّهُ مِنْ عَيْنِ الْأَفْعَى ، ثُمَّ سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ ، فَإِذَا الْأَمْرُ حَقٌّ ، وَإِذَا هُوَ
مَشْهُورٌ فِي أَهْلِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ .

(قُوَّةُ بَدَنِ الْحَيَّةِ وَعِلَّةُ ذَلِكَ)

قَالَ : وَرَبَّمَا قَبَضَ الرَّجُلُ الشَّدِيدُ الْأَسْرَ وَالْقُوَّةُ الْقَبْضَةَ عَلَى قِفَا الْحَيَّةِ
فَتَلْتَفْتُ عَلَيْهِ فَتَصَرَّعُهُ . وَفِي صُعودِهَا وَفِي سَعْيِهَا خَلْفَ الرَّجُلِ الشَّدِيدِ
الْحَضَرُ ، أَوْ عِنْدَ هَرَبِهَا حَتَّى تَفُوتَ وَتَسْبِقَ ، وَلَيْسَتْ بِذَاتِ قَوَائِمٍ ، وَإِنَّمَا

(١) الْأَفْعَى مَوْثِقَةٌ ، وَقَدْ اسْتَعْمَلْتُ اسْمًا وَوَصَفًا . فَنَ جَعَلَهَا وَصْفًا لَمْ يَصْرِفْ كَمَا
لَا يَصْرِفُ أَحْمَرٌ ، وَمَنْ جَعَلَهَا اسْمًا صَرَفَ ، كَمَا صَرَفَ أَرْنَبًا وَأَفْكَلا . الْمُخَصَّصُ
(١٦ : ١٠٦) . هَذَا قَوْلُ الْفَارَسِيِّ . وَقَالَ غَيْرُهُ : « الْأَفْعَى تَقَعُ عَلَى الْمَذْكَرِ وَالْمَوْثِقُ » .
الْمُخَصَّصُ (١٦ : ١٠٥) .

(٢) س : « وَنَمْنَا » ، وَنَامَ هُنَا بِمَعْنَى رَقَدَ .

(٣) ط ، هـ : « لَا أَرَى » .

تنسابُ على بطنها . وفي تدافعِ أجزائها وتعاونها ، وفي حرَكةِ الكل^(١) من ذاتِ نفسها ، دليلٌ على إفراطِ قُوَّةِ بدنِها .

ومن ذلك أنها لا تمضغ ، وإنما تبتلع ، فربما كان في البَضْعَةِ أو في الشيء الذى ابتلعته عَظْمٌ ، فتأتى جِذَمَ شجرةٍ ، أو حَجَرًا شاخصا^(٢) فتنطوى عليه انطواءً شديداً فيتحطم^(٣) ذلك العَظْمُ حَتَّى يَصِيرَ رُفَاتًا .

ثمَّ يَقْطَعُ ذَنْبُهَا فَيَنْبِت . ثمَّ تعيشُ في الماء ، إن صارت في الماء ، بعد أن كانت بريةً ، وتعيشُ في البرِّ بعد أن طال مُكْثُهَا في الماء وصارت مائيةً .

قال : وإنما أثبتنا هذه القُوَّةَ ، واشتدَّتْ فِقْرُ ظَهْرِهَا هذه الشَّدَّةُ ؛ لكثرةِ أضلاعِها ، وذلك أن لها من الأضلاع عددَ أيامِ الشَّهر . وهى مع ذلك أطولُ الحيوانِ عمرًا .

(موت الحية)

ويزعمون أن الحية لا تموتُ حَتْفَ أنفها ، وإنما تموتُ بِعَرَضٍ يَعْرِضُ لَهَا . ومع ذلك فإنه ليس في الحيوان شيءٌ هُوَ أَصْبَرُ عَلَى جوعٍ من حَيَّةٍ ، لأنها إن كانت شابةً فَدَخَلَتْ في حائطٍ صخر ، فتنبَّعوا موضعَ مَدْخَلِهَا بوترٍ أو بحجر^(٤) ، ثمَّ هدموا هذا الحائط ، وجدوها هناك منطوية

(١) أى كل أجزائها . ط ، هـ : « حركتها الكل » صوابه في س . والواد
التي قبل « في » ساقطة من ط .

(٢) شاخصا : مرفعا . س : « حجر شاخص » صوابه في ط ، هـ .

(٣) س : « فيحطم » .

(٤) س : « حجر » .

وهي حَيَّةٌ . فالشَّابَةُ تُذَكِّرُ بِالصَّبْرِ عند هذه العَلَّةِ (١) . فَإِنْ هَرَمَتْ صَغُرَتْ
فِي بَدَنِهَا ، وَأَقْنَعَهَا النَّسِيمُ ، وَلَمْ تَشْتَهِ الطَّعْمَ . وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ : - وَهُوَ
جَاهِلِيٌّ (٢) - :

فَابْتَعَتْ لَهُ مِنْ بَعْضِ أَعْرَاضِ اللَّمَمِ (٣) لُسَيْمَةً مِنْ حَنْشِرٍ أَعْمَى أَصَمٍّ
قَدْ عَاشَ حَتَّى هُوَ لَا يَمْشِي بِلَدِّهِ فِكُلَّمَا أَقْصَدَ مِنْهُ الْجُوعُ شَمٌّ (٤)
وهذا (٥) القولُ لهذا المعنى . وَفِي هَذَا الْوَجْهِ يَقُولُ الشَّاعِرُ (٦) :

دَاهِيَةٌ قَدْ صَغُرَتْ مِنْ (٧) الْكِبَرِ صِلَّ صَفًّا مَا يَنْطَوِي مِنَ الْقِصْرِ (٨)

(١) أَيْ تَذَكُّرُ بِالصَّبْرِ عَلَى الْجُوعِ . وَالْعِبَارَةُ سَاقِطَةٌ مِنْ هـ . وَفِي ط ، س :
« تَذَكُّرُ الضَّمِيرِ » . وَصَوَابُهُ مَا أَثْبَتَ .

(٢) مِثْلُهُ فِي ص ٢٨٣ . وَبَعْضُ هَذَا الرَّجَزِ سِيَّاقِي فِي (٦ : ١٢٩ ، ٤٠٢) .

(٣) اللَّمَمُ ، بِالتَّحْرِيكِ : مَا يَلُمُ بِالْإِنْسَانِ مِنْ شِدَّةٍ ، وَمِثْلُهُ « اللَّامَةُ » بِالْفَتْحِ . وَقَدْ صَغُرَها
فِيهَا سِيَّاقِي .

(٤) أَيْ شَمُ الْهَوَاءِ ، يَطْعُمُهُ بِدَلِّ الطَّعَامِ ، كَمَا سَبَقَ . ط ، هـ : « سَم » بِالْمُهْمَلَةِ ،
صَوَابُهُ فِي س وَفِي ص ٢٨٣ . وَأَقْصَدَهُ : أَصَابَهُ إِصَابَةً مُحَقَّقَةً .

(٥) س : « فَهَذَا » .

(٦) هُوَ خُلْفُ الْأَحْمَرِ كَمَا سِيَّاقِي فِي ص ٢٨٥ - ٢٨٦ ، أَوْ هُوَ النَّابِغَةُ كَمَا فِي دِيْوَانِ الْمُعَانِي

(٢ : ١٤٥) وَأَصْلُ نَهَايَةِ الْأَرْبِ (١٠ : ١٤٥) وَحَمَاسَةُ ابْنِ الشَّجَرِيِّ

٢٧٣ - ٢٧٤ . وَفِي مَجْمُوعَةِ الْمُعَانِي ، لِمُؤَلِّفٍ مَجْهُولٍ ١٩٥ : « وَقَالَ النَّابِغَةُ » وَنَسَبَتْ

إِلَى خُلْفِ الْأَحْمَرِ .

(٧) ضَبَطَتْ : « دَاهِيَةٌ » بِالنَّصَبِ فِي الْخُصَصِ (٨ : ١٠٩) . وَرَوَى صَاحِبُ الْخُصَصِ

أَيْضاً « حَارِيَّةٌ » بِالنَّصَبِ كَذَلِكَ .

(٨) الصَّفَا : الْحَجَرُ الْعَلِيدُ الضَّخْمُ لَا يَنْبُتُ شَيْئاً . ط : « صَفَا » صَوَابُهُ فِي س ، هـ .

يَقُولُ : قَدْ قَصُرَ حَتَّى مَا يُمْكِنُ انْطَوَاؤُهُ . فِي نَهَايَةِ الْأَرْبِ : « لَا تَنْطَوِي » ، وَفِي

دِيْوَانِ الْمُعَانِي : « لَا يَنْطَوِي » ، وَفِي حَمَاسَةِ ابْنِ الشَّجَرِيِّ : « مَا يَنْطَوِي » ،

وَهَذِهِ مُصَحَّفَةٌ .

طويلة الإطراق من غير خَفَرٍ^(١) كأنما قد ذهبت بها الفِكر^(٢)

جاء بها الطوفان أيامَ زَخرٍ^(٣)

(صَبَرُهَا عَلَى فَعْدِ الطَّعْمِ)

ومن أعاجيبها أنها وإن كانت مَوْصُوفَةً بِالشَّرِّهِ وَالنَّهَمِ ، وَسُرْعَةِ

٤٢ الابتلاع ، فلها في الصَّبْرِ في أَيَّامِ الشَّتَاءِ مَا لَيْسَ لِلزَّهِيدِ^(٤) . ثُمَّ هِيَ بَعْدَ

[مِمَّا^(٥)] يَصِيرُ بِهَا الْحَالُ إِلَى أَنْ تَسْتَغْنِيَ عَنِ الطَّعْمِ^(٦) .

(النَّسْ وَالشَّعَابِينَ)

ثُمَّ قَدْ يَزْعُمُونَ أَنَّ مَحْصَرَ دَوِيَّةً يُقَالُ لَهَا النَّسْ^(٧) يَتَّخِذُهَا النَّاطُورُ^(٨)

إِذَا اشْتَدَّ خَوْفُهُ مِنَ الشَّعَابِينَ ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الدَّابَّةَ تَنْقَبِضُ وَتَنْضَمُّ ،

(١) الإطراق ، بالقاف : إِرْخَاءُ الْعَيْنَيْنِ وَالنَّظَرَ بِهِمَا إِلَى الْأَرْضِ . ط ، ه : « الْأَطْرَافُ » بِالْفَاءِ . وَمِثْلُهُ فِي دِيْوَانِ الْمَعَانِي ، وَنَهَايَةِ الْأَرْبِ . وَهُوَ تَصْغِيرُ لَوَاجِهِهِ ، وَالصَّوَابُ الْمَثْبُوتُ مِنْ سِ وَحَاسَةِ ابْنِ الشَّجَرِيِّ . وَالْخَفَرُ : شِدَّةُ الْحَيَاءِ ، وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ مُحَرَّفَةٌ فِي الْأَصْلِ ، فَهِيَ فِي ط : « تَفَرُّ » وَفِي س ، ه : « نَفَرُ » وَفِي أَصْلِ نَهَايَةِ الْأَرْبِ « حَفَرُ » ، وَصَوَابُهَا فِي دِيْوَانِ الْمَعَانِي وَحَاسَةِ ابْنِ الشَّجَرِيِّ . وَالرَّوَايَةُ فِي ص ٢٨٦ : « حَسَرُ » . وَقَدْ أَثْنَتْ « طَوِيلَةُ » لِأَنَّ الصَّلَ بِمَعْنَى الْحَيَةِ ، وَهِيَ مُؤَنَّثَةٌ .

(٢) كَذَا فِي ط ، ه . وَرَوَايَةُ س : « كَطَرَقَ قَدْ ذَهَبَتْ بِهِ الْفِكْرُ » .

(٣) زَخَرَ ، بِالزَّايِ الْمَجْمُوعَةِ : كَثُرَ مَأْوَءُهُ وَعَظُمَتْ أَمْوَاجُهُ . ه : « ذَخَرَ » مُحْرَفٌ .

(٤) فِي التَّهْذِيبِ : « رَجُلٌ زَهِيدٌ وَامْرَأَةٌ زَهِيدَةٌ ، وَهِيَ الْقَلِيلَةُ الطَّعْمِ » . وَالطَّعْمُ ، بِالضَّمِّ : الطَّامُ .

(٥) مِنْ س ، ه .

(٦) ط : « الطَّمُ » صَوَابُهُ فِي س ، ه .

(٧) النَّسْ ، بِالْكَسْرِ : حَيَوَانٌ أَكْثَرُ اللَّوْنِ أَحْمَرَ الْعَيْنَيْنِ قَصِيرُ الْقَوَائِمِ طَوِيلُ الْجَسْمِ وَالذَّنْبِ ، وَلَا يَزَالُ مَعْرُوفًا فِي مِصْرَ ، يَرَاهُ الْفَلَاحُونَ فِي بَعْضِ الْمَزَارِعِ ، وَيَسْتَأْنِسُهُ بِمَعْضِ التَّجَارِ فِي حَوَائِثِهِمْ . وَالْعَامَّةُ يَضْرِبُونَ بِعَيْنِهِ الْمِثْلَ ، فَيَقُولُونَ : « عَيْنُهُ كَعَيْنِ النَّسِّ » ، وَفُلَانٌ عَمَسَ ، يَعْتَوْنُ بِالْأَوَّلِ أَنَّهُ حَدِيدُ الْبَصَرِ سَرِيعُهُ ، وَبِالْثَّانِي أَنَّهُ أَلْمَى حَازِقٌ لَا تَفْوُتُهُ الْفُرْصَةُ .

(٨) النَّاطُورُ : حَافِظُ النَّخْلِ وَالشَّجَرِ ، قِيلَ إِنَّهُ دَخِيلٌ . وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : هُوَ النَّاطُورُ =

وَتَتَضَاعَلُ^(١) وَتَسْتَدَقُّ ، حَتَّى كَانَهَا قَدِيدَةً^(٢) أَوْ قِطْعَةً حَبْلٍ ، فَإِذَا عَضَّهَا
الثُّعْبَانُ وَانْطَوَى عَلَيْهَا زَفَرَتْ ، وَأَخَذَتْ بِنَفْسِهَا وَزَخَرَتْ^(٣) جَوْفُهَا فَانْتَفَخَ .
فَتَفْعَلَ ذَلِكَ وَقَدْ انْطَوَى عَلَيْهَا ، فَتَقْطَعُهُ قِطْعَةً مِنْ شِدَّةِ الزَّخَرَةِ^(٤) .
وهذا من أعجب الأحاديث .

(القوَاتِلُ مِنَ الْحَيَاتِ)

وَالثُّعَابِينَ لِحَدَى الْقَوَاتِلِ . وَيَزْعُمُونَ أَنَّهَا ثَلَاثَةٌ أَجْناسٍ لَا يَنْجَعُ فِيهَا
رَقِيَّةٌ وَلَا حِيلَةٌ ، كَالثُّعْبَانِ ، وَالْأَفْعَى ، وَالْهَنْدِيَّةِ^(٥) . وَيُقَالُ : إِنَّ مَا سِوَاهَا
فَإِنَّمَا يَقْتُلُ مَعَ مَا يُمِدُّهَا مِنَ الْفَزَعِ ؛ فَقَدْ يَفْعَلُ الْفَزَعُ وَحْدَهُ ؛ فَكَيْفَ إِذَا
قَارَنَ سُمُّهَا^(٦) ؟ !! [وَسُمُّهَا]^(٧) إِنْ لَمْ يَقْتُلْ أَمْرَضَ .

= والنبط يجعلون الظاء طاء ، ألا تراهم يقولون « برطلة » وإنما هو ابن الظل .
قلت : ذلك معناها التفصيل الاشتقاقى ، وكلمة « بر » بمعنى الابن بالنبطية ، فهو يريد
أن النبط ألفوا الكلمة من لفظهم ومن كلام العرب . ومعنى الكلمة : المظلة الضيقة .
انظر المعرب ص ١٤٧ ثم ص ٢٩ .

(١) تتضاعل : تنقبض وينضم بعضها إلى بعض . وهذه الكلمة ساقطة من س ، ومحرفة
في ط ، هـ برسم « تنصال » .

(٢) قديدة : مصغر القدة بالكسر ، وهى واحدة القد ، كما فى القاموس . والقَد : سيور
تقد من جلد فطير غدير مدبوغ ، فتشد بها الأتقاب والحامل ، كما فى اللسان .
ط ، هـ : « فريدة » صوابه فى س . وانظر أواخر مفاخرة الجوارى والغلمان
من رسائل الجاحظ .

(٣) زخر الشيء : ملأه ، كما فى القاموس . س : « زخرت » ، وكتبت النقطة العليا
بالمداد الأحمر ، والسفل بالأسود ، ولم أستطع توجيه : « زجرت » بالجيم .

(٤) هـ : « الزجرة » وانظر التنبيه السابق . س : « الزحرة » مصحفة .

(٥) فى العبارة نقص وتشويه . وانظر ما نقل الديرى عن الجاحظ (١ : ٤١١) .

(٦) ط ، هـ : « قارنه » .

(٧) ليست بالأصل . والكلام فى حاجة إليها .

(ما يفعل الفرع في المسموم)

ويزعمون أنَّ رجلاً قال ^(١) تحتَ شجرةٍ ، فتدلَّت عليه حيةٌ منها
فعضَّت رأسه ، فانتبه محمراً الوجه ، فحكَّ رأسه ، وتلفَّت ^(٢) ، فلم يرَ شيئاً ،
فوضع رأسه ينام ، وأقام مدةً طويلةً لا يرى بأساً ، فقال له ^(٣) بعضُ من
كان رأى تدليها عليه ثمَّ تقلصها عنه وهروها منه ^(٤) : هل علمتَ مِن أيِّ
شيءٍ كان انتباهك تحتَ الشجرة ؟ قال : لا والله ، ما علمت . قال : بلى ،
فإنَّ الحيةَ القلانيَّةَ نزلت عليك حتَّى عضَّت رأسك ، فلما جلست [فرعاً]
تقلصتُ عنك وتراجعت . ففرعَ فرعاً وصرَّخَ صرخةً كانت فيها نفسه .
وكانهم توهّموا أنَّه لما فرع واضطرب ، وقد كان ذلك السُّمُّ مغموراً
ممنوعاً فزال ما نفعه ، وأوغله ذلك الفرع ، حينَ ^(٥) تفتّحت منافسه ، إلى
موضع الصِّمِّم والدِّماغِ وعمقِ البدن ، فاحلَّ موضعُ العقْد الذي انعقدت
عليه أجزاؤه وأخلطه .

وأنشد الأصمعيُّ :

نَسَكَيْتُهُ نَهَشَهُ بِمَنْبِذٍ ^(٦)

(١) قال ، هنا ، بمعنى نام في القائلة ، وهي نصف النهار .

(٢) ط ، هـ : « وولفت » ، وأثبت ما في س والسيرى .

(٣) بدل هذه العبارة في س : « فلما كان ذلك قال » .

(٤) « وهروها منه » ساقط من س . وفي ط ، هـ : « من كان رأى حاله » الخ .

(٥) في الأصل : « حتَّى » .

(٦) ط ، هـ : « ونكته » .

وَأُنْشِدَ لِأَبِي دُوَادٍ الْإِبَادِيُّ :

فَأَتَانِي تَقْحِيمٌ كَعَبٌ لِي الْمَنَّةُ طَقَّ إِنَّ النَّسْكِشَةَ الْإِفْحَامَ^(١)

(أثر الفزع في فعل المم)

قال : فالفزع إما أن يكون يُوصِلُ السَّمَّ إلى المَقَاتِلِ ، وإمّا أن يكون معيناً له ، كتعاون الرجلين على نزع وتِد . فهم^(٢) لا يجمزون على أَنَّ الحية من القوائل البتّة^(٣) ، إلّا أن تقتلَ إذا عضَّت النائمَ والمغشى عليه ، والطفلَ الغريرَ ، والمجنونَ الذي لا يَعْقِلُ ، وحتىَّ تَجَرَّبَ عليه الأدوية .

(الترياق وانقلاب الأفعى)

وكننت يوماً عند أبي عبد الله أحمد بن أبي دُوَادٍ ، وكان عنده سلّمويه^(٤) وابن ماسويه ، وبختيشوع بن جبريل ، فقال : هل ينفع الترياق من نهشة

(١) التقحيم : أن يجعله يقحم أى يدخل في الأمر فجأة بلا روية . في الأصل : « تقحيم » صوابه في الشعراء ١٨٩ . وكعب ، هو كعب بن مامة ، الرجل الجواد ، وكان قد بلغ أبادود شيء عنه . الشعراء ١٨٩ . وفي الأصل : « إلى المنطق » تصحيحه من الشعراء . والنكيشة : الخلطة الصعبة ، ط ، هـ : « النكيشة » صوابه في س والشعراء . والإفحام بمعنى التقحيم ، ط ، هـ : « الإفحام » تصحيحه من س والشعراء ، وقد روى ابن قتيبة أربعة عشر بيتاً من هذه القصيدة .

(٢) بدل هذه الكلمة والتي قبلها في ط : « وتراهم » ، تحريف صوابه في س ، هـ .

(٣) يقال : جزم على الأمر ، بفتح الزاى مخففة ، أو مشددة : أى سكت . س : « لا يجمزون أن الحية » الفخ ، ومؤدى العبارة واحد عند التأمل .

(٤) في الأصل : « وكان أخذ داود عنه سلّمويه » ، والكلية الثانية والعاlette يفسدان الكلام .

أفنى ؟ فقال بعضهم : إذا عَصَّتِ الأفعى فأدْرِ كَتْ قبل أن تنقلب ^(١) نفع الترياق ، وإن لم تُدرَكْ لم ينفع ؛ لأنهم إن قَلَّوا مِنَ الترياقِ قَتَلَهُ السَّمُ ، وإن كثَروا مِنْهُ قَتَلَهُ الفاضلُ عن مقدار الحاجة .

قلت : فإن ابنَ العَجُوزِ ^(٢) خَبَّرَنِي بِأَنَّهَا ^(٣) ليست تنقلب لِجِ السَّمِ وإفراغهِ ، ولكنَّ الأفعى في نابِها عَصَل ^(٤) ، وإذا عَصَّتِ استفرغت إدخال النَّابِ كُلَّهُ ، وهو أَحَجَنُ أَعْصَلَ ^(٥) ، فيه مشابهة من الشَّصِّ ^(٦) ، فإذا انقلبتْ كان أسهلَ لِنَزْعِهِ وسَلَّهُ . فأما لَصَبُ السَّمِ وإفراغهِ فلا . قَالَ : والله لعلَّه ما قلت ! [قلتُ] : مَا أَسْرَعَ ما شككتَ ! !

ثم قلت له : فكأنما ^(٧) وضعوا الترياق واجتلبوا الأفعى وضنوا ^(٨) وعزموا على أنه لا ينفع إلا بدرك الأفعى قبل أن تنقلب ! وكيف صار الترياق بعد الانقلاب لا يكون إلا في إحدى منزلتين : إما أن يقتل بكثرتِهِ ، وإما ألا ينفع بقلته ! فكأنَّ الترياقَ ليس نفعُهُ إلا [في ^(٩)] المنزلة الوسطى التي لا تكون فاضلةً ولا ناقصة ! ولكني أقولُ لك : كيف يكون نفعه إذا كان الترياقُ جَيِّدًا قَوِيًّا ، وعُوجِلَ فسُقِيَ المقدَّارَ الأوسط ، قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ الصَّمِيمَ ، ويغوصَ في العمقِ ^(١٠) . وعلى هذا وُضِعَ ، وهم كانوا أَحْزَمَ

(١) س : « قلب » .

(٢) في ص ٤١٩ : « ابن أبي العجوز » . وهو أحد الحوَّاثين .

(٣) س : « بأن الأفعى » .

(٤) العَصَل ، بالصاد المهملة والتحريك : الاعوجاج . س ، هـ : « عَصَل » مصحف .

(٥) س : « أعَصِل » ، بالصاد المهملة كما في هـ ، ط .

(٦) هذه العبارة ليست في هـ ، وفي ط ، س : « النقص » . ووجهه ما أثبت .

(٧) في الأصل : « فإنما » .

(٨) كذا .

(٩) ليست بالأصل .

(١٠) أى عمق البدن ، كما مر في ١٢٢ س ١١ . وفي الأصل : « العميق » .

وَأَحَذَقَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّفُوا شَيْئًا ، ومقداره من النَّفْعِ لا يُوصَلُ إلى معرفته .

ويقول بعضُ الحذاق : إِنَّ سَقَى التَّرياقِ بعدَ النهشِ بساعةٍ أو ساعتين مَوْتُ المنهوش .

ثم قلتُ له : وما عَلَّمَك ؟ وبأى سببٍ أيقنتَ ^(١) أنها تمجُّ من جوفِ نابها شيئاً ؟ ! ولعله ليس هنالك إلاَّ مخالطةُ جوهرِ ذلك النَّابِ لدم الإنسان ! أولسنا قد نجدُ من الإنسان مَنْ يَعَضُّ صاحِبَهُ فيقتلُهُ ، ويكونُ معروفًا بذلك ؟ ! وقد تَقَرَّرُون أنَّ الهنديَّةَ والثَّعبانَ يقتلان ، إمَّا بمخالطةِ ^(٢) الرِّيقِ والدم ، وإمَّا بمخالطةِ اللِّسَنِ والدم ، من غير أن تدَّعوا أنَّ أسنانَهُما مجوِّفةٌ ^(٣) . وقد أجمع جميعُ أصحابِ التَّجاربِ أنَّ الحَيَّةَ تُضْرَبُ بِقَصَبَةٍ ^(٤) فتكونُ أشدَّ عليها من العصا وقد يضربُ الرجلُ على جسده بقضبانِ اللُّوزِ وقضبانِ الرُّمان ، وقضبانِ اللُّوزِ أعلَكُ ^(٥) وألْدن ، ولكنتها أَسْلَمُ ^(٦) ، وقضبانِ الرُّمانِ أخفُّ وأَسَخَفُ ولكنها أعطب .

وقد يبطأ الإنسان على عَظْمٍ حَيَّةٍ أو إِبْرَةٍ عَقْرَبٍ ، وهما مَيِّتَتان ، فيلْقِي الجهد . وقد يُخْرِجُ السَّكِّينُ مِنَ الكَبِيرِ وهو مُحْمِي ، فيُغْمَسُ في اللبنِ

(١) كذا في س . وفي ط ، هـ : « علمت » .

(٢) ط ، هـ : « لمخالطة » .

(٣) س : « جوف » : جمع جوفاء .

(٤) س : « بعصية » : تصغير عصا ، صوابه في ط ، هـ .

(٥) أعلك بمعنى أشد وأمتن . ويقال : طعام عالك وعلك — ككتف : متين الممضغة .

وألْدن . من اللدونة ، وهى اللين . واللدن : اللين .

(٦) ط ، س : « اسم » صوابها في هـ .

فَتَي خَالِطَ الدَّمِ قَامَ مَقَامَ السَّمِّ ، من غير أن يكون مَجَّ في الدَّمِ رطوبةً غليظةً أو رقيقةً .

وبعض الحجارة يُكْوَى بها - وهو رِخْوٌ - الأَوْرَامُ حتى يَفْرُقَهَا وَيُخَمِّصَهَا ^(١) من غير أن يكونَ نَفَذَ إِلَيْهَا شَيْءٌ مِنْهُ ، وليس إلا الملاقاة . قلت : ^(٢) ولعلَّ قَوَى قد انفصلت من أنيابِ الأفاعي إلى دماء النَّاسِ . وقد رَوَوْا أَنَّهُ قِيلَ لَجَالِينُوسَ : إِنَّ هَاهُنَا رَجُلًا يَرِيقُ الْعُقَارِبَ فَيَمُوتُ ، أو ٤٤ تنحلّ فلا تعمل ، فرآه يريقها ويتفل عليها ، فدعا به بحضرة جماعةٍ وهو على الرِّيقِ ، ودعا بَعْدَانَهُ فَتَعَدَّى مَعَهُ ، ثُمَّ دَعَى لَهُ بِالْعُقَارِبِ فَتَفَلَّ عَلَيْهَا ، فلم يَجِدْ لِعَابَهُ يَصْنَعُ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَكُونَ رِيقًا . وَهُوَ حَدِيثٌ يَدُورُ بَيْنَ أَهْلِ الطَّبِّ ، وأنت طبيب . فلم أَرَهُ في يومه ذلك قال شيئًا إِلَّا مِنْ طَرِيقِ الْحَزَرِ وَالْحَدَسِ ، والبلاغات .

(السُّمُومُ)

وسُمُومُ الْحَيَّاتِ ذَوَاتِ الْأَنْيَابِ ، وَالْعُقَارِبِ ذَوَاتِ الْإِبْرِ ، إِنَّمَا تَعْمَلُ فِي الدَّمِ بِالْإِجْمَادِ وَالْإِذَابَةِ . وَكَذَا سُمُومُ ذَوَاتِ الشَّعْرِ وَالْقُرُونِ وَالْجُمِّ ، إِنَّمَا تَعْمَلُ فِي الْعَصَبِ ، وَمِنْهَا مَا يَعْمَلُ فِي الدَّمِ .

(١) ط : « حتى يفرقها » س : « حتى يفرقها » صوابه في ه . ويخمسها : يجمعها تنحصر أى تنقبض وتتضائل وتسكن . ه : « يخمسها » بالخاء المعجمة ، وهي صحيحة بمعنى الأول .

(٢) في الأصل : « فإن قلت » . وصوابه حذف « فإن » . وقراءة الفعل بضمير المتكلم ، وهو الجاحظ . وانظر انتصار الجاحظ للقول بالقوى الفاصلة من بعض الأشياء ، في الجزء الثاني من الحيوان ص ١٣٥ - ١٤٠ .

(شرب المسموم للابن)

وحدثني بعض أصحابنا قال : كنتُ إمّا برماي^(١) وإمّا بباري^(٢) وهما بلاد حياتٍ وأفاح^(٣) ، ونحن في عُرُس ، إذ أدخلوا الحِدرَ العروس^(٤) فأبطئوا عليه شيئاً ، فأغنى وتلوتُ على ذراعه أفعى^(٥) ، فذهبَ ينفضها وحجّمتُ على ذراعه - وقد يقال ذلك إذا كانت العضة في صورةٍ شرطِ الحجّام - فصَرَخَ وجاءوا يتعادون^(٦) فوجدوها فقتلوها ، وسقّوه في تلك اللَّيلةِ لبنَ أربعينَ عزراً ، كُلّما استقرَّ في جِفه قَعْبٌ من ذلك اللّبن قاءً فيَخْرُجُ مِنْهُ كَأَمْثالِ طَلْعِ^(٧) الفُحّالِ الأبيض^(٨) ، فيه طرائق من دَسَمٍ تَعْلُوهُ خَضْرَاءُ ، حتّى استوفى ذلك اللّبن كله . قال : فعندها قال شيخٌ من أهل القرية : إن كنتم أخرجتم ذلك السمَّ فقد أخرجتم نفسَهُ معه ! قال : فغبراً أيّاماً بأسولٍ حالٍ ثمَّ مات . قال : وكنتُ أعجَبُ من سرعة استحالة اللّبن ومُجموده .

(١) هـ : « برماي » .

(٢) س : « بباري » .

(٣) في الأصل : « أفاحي » بإثبات الياء ، وصوابه ما أثبت .

(٤) العروس ، يقال للرجل والمرأة ، والمراد هنا : الرجل .

(٥) انظر ما كتبت عن هذا اللفظ في ص ١١٧ .

(٦) يتعادون : يتبارون في العدو .

(٧) هذه الكلمة ليست في الأصل ، وهي ضرورية . والطلع : نور النخل مادام

في السكافور ، أي الغلاف .

(٨) الفُحّال ، كرماني : الذكر من النخل . والأبيض صفة للطلع لا للفُحّال .

(ا كتفاء الحيات والضباب بالنسيم)

قلتُ : والحيَّاتُ البرِّيَّةُ إذا هَرِمَتِ نَسَمَتِ النَّسِيمَ فَاكْتَفَتْ بِهِ ^(١) ،
وكذلك الضُّبابُ إذا هَرِمَ .

قال : ولا يكون ذلك للمائيَّة من حيَّاتِ الغياضِ ^(٢) وشُطوطِ
الأنهار ، ومناقعِ ^(٣) المياه .

(الحيات المائية)

قال : والحيَّاتُ المائيَّةُ ، إمَّا أن تكون برِّيَّةً أو جبليَّةً ، فاكتسحتها
السُّبُولُ واحتملتها في كثيرٍ من أصناف الحشراتِ والدَّوابِّ والسَّباعِ ،
فتوالدت تلك الحيَّاتُ وتلاقحتْ هناك . وإمَّا أن تكون كانت أمهاتها
وآبائُها في حيَّاتِ الماء . وكيف دارت الأمور فإنَّ الحيَّاتِ في أصل الطَّبعِ
مائيَّة . وهى تعيشُ في النَّدى ، وفي الماء ، وفي البرِّ وفي البحر ، وفي الصَّخرِ
والرَّمْلِ . ومن طباعها أن ترقَّ وتلطف على شكلين : أحدهما لطول العمر ،
والآخر للبُعد من الرِّيف . وعلى حسب ذلك تعظم في المياه والغياض :

(١) س : « واكتفت بذلك » .

(٢) الغياض : جمع غيضة بالفتح ، وهى مجتمع الصخر في مغيض ماء . ه : « الغيات »
محرف .

(٣) مناقع ، بالقاف : جمع منقع بالفتح ، وهو الموضع يستنقع فيه الماء . ط :
« منافع » ، صوابه في س ، ه .

(ما أشبه الحيات من السمك)

قال : وكلُّ شيء في الماء تما يعايش السمك ، مما أشبه الحيات
كالمارماهى^(١) والأنكليس^(٢) فإنها^(٣) كلها على ضربين : فأحدهما من
أولاد الحيات ، انقلبت بما عرض لها من طباع البلد والماء . والآخر من نسل
سمك وحيات تلاقحت^(٤) ؛ إذ^(٥) كان [طِبَاعُ^(٦)] السمك قريباً من ٤٥
طباع تلك الحيات . والحياتُ في الأصل مائيّة، وكلّها كانت حيّات .

(١) المارماهى : ضرب من السمك الشبيه بالحيات ، وليس بحيات . واللفظ فارسي
وضبطت راؤه بالكسر في معجم Palmer . ط ، هـ : « كالماء ماهى »
صوابه في س .

(٢) الأنكليس : ضرب من حيات الماء . وقد جعل الجاحظ هذا وما قبله نوعين .
وقد وجدت الديميرى يقول إنهما نوع واحد . انظر رسمى (الأنكليس ، والجري)
فيه . وقال داود في التذكرة : « مارماهى هو حيات المساء المعروف عندنا
بالأنكليس ، سمك شبيه بالحيات » . ولفظه يوناني معرب كما في معجم المعلوف ١١ .
وضبطه صاحب القاموس ، وكذا الديميرى ، بفتح الهزلة واللام وبكسرهما ، ويقال
فيه أيضاً « أنقليس » بالقاف .

(٣) في الأصل : « وإنها » .

(٤) ط ، هـ : « وتلاقحت » والصواب حذف الواو كما في س .

(٥) س : « إذا » ، صوابه ما أثبت من ط ، هـ .

(٦) ليست بالأصل . وبها يلتئم الكلام .

(قراءة بعض النبات لبعض)

وقد زعم أهل البصرة أن مُشَان^(١) الكوفة قريب^(٢) من بُرْنَى^(٣) البصرة ، قلبته البلدة .

ويزعم أهل الحجاز أن نخل النارجيل^(٤) هو نخل المقل^(٥) ، ولكنّه انقلب لطباع البلدة . وأشبه ذلك كثير .

ويزعمون أن الفيلة مائية الطباع بالجاموسية والخنزيرية التي فيها .

(١) المشان كغراب وكتاب : نوع من أطيب الرطب ، واللفظ معرب « موشان » الفارسية معناه أم الجرذان ، وقد ترجم الفرس هذا اللفظ العربي إلى لغتهم . وكلمة « موش » معناها الفأر بالفارسية . والألف والنون علامة الجمع عندهم . وأم جرذان : نوع من التمر كبار ، قيل إن نخله يجتمع تحته الفأر ، وروى صاحب اللسان عن أبي حنيفة أن أم جرذان آخر نخلة بالحجاز إدراكا ، قال الساجع : « إذا طلعت الخراثان ، أكلت أم جرذان » . وروى عنه — أى عن أبي حنيفة — صاحب المحصر أنها نخلة تعجبها الجرذان فتصمدها فتأكل منها .

(٢) في الأصل : « قريبا » .

(٣) البرنى ، بالضم وبالفتح : ضرب من التمر ، جاء في المحصر (١١ : ١٣٣) : « وأم جرذان بالمدينة مثل البرنى بالبصرة ، تلتقط أبدا حتى لا يبقى عليها شيء » وهو معرب من « برنيك » الفارسية ، « بر » بمعنى حل ، و « نيك » بمعنى جيد ، فعناه الحمل الجيد . وهذه الكلمة محرفة في الأصل ، فهي في ط ، هـ : « مسان » وفي س : « قرنبا » والوجه فيه ما ذكرت ، انظر التنبيه الأول من هذه الصفحة .

(٤) النارجيل : الجوز الهندي ، تعريب « نارگیل » . وضبط بفتح الراء ضبط قلم

في القاموس واللسان . ط : « النارجيل » ، صوابه في س ، هـ .

(٥) المقل ، بالضم : حل شجرة الدوم .

(الذئب والنسيم)

قال : والذئبُ أيضاً ، وإن كان عندهم ^(١) مما لا يجتزى بالنسيم ^(٢) ، فإنه من الحيوان الذى يفتح فاه للنسيم ؛ لبرد جوفه من اللميب ^(٣) الذى يعترى السباع ؛ ولأن ذلك يمد قوته ، ويقطع عنه برودته ^(٤) ولطافته الرقيق . فإن كان ذا سحر ^(٥) [إذا عدا ^(٦)] احتشى ريحاً .

(اختلاف صبر الذئب والأسد على الطعام)

وربما جاع الأسد ففعل فعل الذئب ، فالأسد والذئب يختلفان في الجوع والصبر ؛ لأن الأسد شديد التهم ، رغب حريص شره ؛ وهو مع ذلك يحتمل أن يبقى أياماً لا يأكل شيئاً . والذئب وإن كان أقفر ^(٧) منزلاً ، وأقل خصباً ، وأكثر كدًا ^(٨) وإخفاقاً ، فلا بد له من شيء يلقيه في جوفه ، فإذا لم يجد شيئاً استعار النسيم .

(١) ط ، س : « عنده » صوابه في ه .

(٢) في الأصل : « الهرم منها لا يجتزى بالنسيم » ، وكلمة « الهرم » مقحمة . وكلمة « منها » محرفة عما أثبت .

(٣) س : « اللميب » .

(٤) س : « ببرده » .

(٥) السحر ، بالضم : الجوع والحرق . وفي الأصل : « سحر » . ولا وجه له .

(٦) الزيادة من س ، ه .

(٧) كذا على الصواب في ط ، ه ومباهج الفكر والدميرى وثمار القلوب ٣١٠ وفي س : « أقعد » ولا وجه له .

(٨) كذا في الأصل ومباهج الفكر والدميرى . والكد : الشدة في العمل ، والإلحاح في محاولة الشيء . وربما كانت هذه الكلمة : « إكداء » ، والإكداء بمعنى الإخفاق .

(حيلة بعض الجائعين)

والنَّاسُ إِذَا جَاعُوا وَاشْتَدَّ جَوْعُهُمْ شَدُّوا عَلَى بَطُونِهِمُ الْعِثَامُ . فَإِنْ اسْتَقَلُّوا ، وَإِلَّا شَدُّوا الْحَجَرَ ^(١) .

(شعر في الذئب)

وَأَنْشَدَ ^(٢) :

كَسِيدِ الْغَضَى الْعَادِي أَضْلَ جِرَاءَهُ ^(٣)

عَلَى شَرَفٍ مُسْتَقْبِلَ الرِّيحِ يَلْحَبُ ^(٤)

كَأَنَّهُ يَجْمَعُ اسْتِدْخَالَ الرِّيحِ وَالنَّسِيمِ ، فَلَعَلَّهُ أَنْ يَجِدَ رِيحَ جِرَائِهِ .

وَقَالَ الرَّاجِزُ ^(٥) :

يَسْتَخْبِرُ ^(٦) الرِّيحَ إِذَا لَمْ يَسْمَعْ بِمِثْلِ مِقْرَاعِ الصَّفَا الْمَوْقِعِ ^(٧)

(١) روى ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث ٣١٨ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما دعا على مضر بقوله : « اللهم اشدد وطأتك على مضر . . . » الخ - نال الجذب رسول الله وأصحابه حتى شد هو وشد المسلمون على بطونهم الحجارة من الجوع . ط : « الحجز » صوابه في س ، ه .

(٢) ط : « : » وأنشدوا « ،

(٣) السيد : الذئب ، والغضى : الخمر بالتحريك ، وهو ما وارك من شجر وغيره ، وذئب الغضى أخنث الذئب . العادى ، بالذال : الذى يعدو . أضل جرائه : فقد أولاده ، والجراء ، بالكسر : جمع جرو . ط ، ه : « أصل » ، ط ، ه ، س : « جراءة » ، وذانك تصحيفان .

(٤) الشرف : ما علا من الأرض ، وإنما يستقبل الريح لينشم ريح أولاده . يلحَب : يسرع .

(٥) هو أبو الرد بينى العكلى ، كما أسلفت في الجزء الأول ص ٣٤ نقلا عن البيان .

(٦) ط : « يستخير » صوابه في س ، ه والبيان (١ : ٨٢) . وفي اللسان : (نحر ، قرع) « يستمخر » وقال : « استمخرها : قابلهما بأنفه ليكون أروح لنفسه » .

(٧) المقراع : الفأس يكسر بها الصخر . الموقع : المحدد . وقع الحديدية : حددها .

(شَمَّ الظَّليم)

والظَّليم يكون على بيضه فيشَمُّ ريح القانص من أَكْثَر من غَلَوَةٍ ،
ويبْعُد عَنْ رِثَالِهِ ^(١) فيشَمُّ رِيحَهَا من مكان بعيد .
وأنشدني يحيى بن نَجِيم ^(٢) بن زَمْعَة قال :
أشَمُّ من هَيَّيْ وأهدَى من جَمَل ^(٣)
وأنشدني عمرو بن كِرْكِرَة ^(٤) :
مَا زَالَ يَشْتَمُّ اشْتِمَامَ الهَيَّيْ
قال وَإِنَّمَا جعله ذئبَ غَضَى لأنهم يقولون : ذئبُ الحمر ^(٥) أخبث .
ويقولون : شَيْطَانُ الحَاظَةِ ^(٦) . يريدون الحَيَّةَ .

(بعض ضروب الحَيَّات)

وكلُّ حَيَّةٍ خفيفةِ الجسمِ فهي شَيْطَانٌ ^(٧) . والثَّقَالُ لا تنشط من
أرضٍ إلى أرضٍ ، وتثقلُ عَمَّا تَبْلُغُهُ المستطيلاتُ الخِفاف . وقال طَرْفَة :
تَلَاعِبُ مَشْنَى حَضْرَمِيِّ كَأَنَّهُ تَعَمُّجُ شَيْطَانٍ بَذَى خِرُوعٍ قَفَرٍ ^(٨)

-
- (١) الرِّثَالُ : جمع رَأْل ، وهو فرخ النعام .
(٢) في الأصل : « لحيم » باللام ، وهو تحريف . وقد سبقت ترجمة يحيى بن نعيم في (٢ : ٣٥١) .
(٣) الهَيَّيْ ، بالفتح : ذكر النعام . وأهدى : من الهداية .
(٤) سبقت ترجمته في (٣ : ٥٢٥) . ط : « عمر » صوابه في س ، هـ .
(٥) الحمر ، بالتحريك : ما وارك من شجر وغيره .
(٦) الحَاظَةُ ، بالفتح : واحدة الحَاظ ، وهو شجر التين الجبلى ، والحَيَّات تألفه .
(٧) قال الجاحظ في (١ : ١٥٣) : « ويسمون الحية إذا كانت داهية منها شيطانا » .
(٨) ط : « خضرمي » ، صوابه في س ، هـ . تعمج : تلو . ط ، هـ : « تقمح » صوابه في س . وقد سبق البيت في (١ : ١٥٣) وسيعاد في (٦ : ١٩٢) .

الكِرْمَانِي عَنْ أَنْس - وَلَا أَدْرِي مَنْ أَنْسُ هَذَا - فِي صِفَةِ نَاقَةِ :

شَنَاحِيَّةٌ فِيهَا شَنَاحٌ كَأَنَّهَا

حَبَابٌ بِكَفِّ الشَّائِ مِنْ أَسْطَعٍ حَشْرِ^(١)

وَالْحَبَابُ : الْحَيَّةُ الذَّكَرُ .

(بعض المضاف إلى النبات من الحيوان)

وَكَمَا يَقُولُونَ : ذُئِبَ الْحَمْرُ ، يَقُولُونَ : أَرْنَبُ الْخَلَّةِ^(٢) ، وَتَيْسُ الرَّبْلِ^(٣)

٤٦ وَضَبُ السَّحَا^(٤) . وَالسَّحَا^(٤) بَقْلَةٌ تَحْسُنُ حَالَهُ^(٥) مَنْ أَكَلَهَا .

وَكَذَلِكَ يَقُولُونَ : « مَا هُوَ إِلَّا قُنْفُذٌ بَرْقَةٌ^(٦) » لِأَنَّهُ يَكُونُ أَخْبَثَ لَهُ :

وَذَلِكَ كُلُّهُ عَلَى قَدْرِ طِبَاعِ الْبُلْدَانِ وَالْأَغْذِيَةِ الْعَامِلَةِ فِي طِبَاعِ الْحَيَوَانِ .

(١) الشناحية : الطويلة الجسيمة . والشأور : الزمام . ط : « الشاء » صوابه في س ، هـ والجزء الأول ص ١٥٣ . والأسطع : العنق الطويل . والحشر : المستوى .

(٢) الخلّة ، بالضم : شجرة شاكة ، وفي ثمار القلوب ٣٣٠ : « الخلّة » بالخاء المهملة وهي بالكسر : شجرة شاكة أيضا .

(٣) المراد بالتييس هنا : الذكر من الظباء أو الوعول . والرّبل بالفتح : ضروب من الشجر إذا برد الزمان عليها وأدبر الصيف تفتّرت بورق أخضر من غير مطر . وفي الأصل : « الرمل » ، وهو تحريف صوابه في (٦ : ١٢٣) ، وجاء في شعر امرئ القيس :

وراح كتييس الرّبل ينفض رأسه إذا ذاب به من صائلك متحلب

(٤) السحا ، بالفتح : جمع سحاة ، وهي شجرة شاكة . س : « السحاء » وهي بالكسر نبت شائك يرعاه النحل ، عسله غاية .

(٥) س : « حالة » .

(٦) البرقة ، بالضم : غلظ من الأرض فيه حجارة ورمل وطين مختلطة .

(بعض طبائع البلدان)

أَلَا تَرَى أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ مَنْ دَخَلَ أَرْضَ تَبَّتْ^(١) لَمْ يَزَلْ ضَاحِكًا
مَسْرُورًا ، مِنْ غَيْرِ عَجَبٍ^(٢) حَتَّى يَخْرُجَ مِنْهَا .

وَمَنْ أَقَامَ بِالْمَوْصِلِ حَوْلًا ثُمَّ تَفَقَّدَ قُوَّتَهُ وَجَدَ فِيهَا فَضْلًا . وَمَنْ أَقَامَ
بِالْأَهْوَازِ حَوْلًا فَتَفَقَّدَ عَقْلَهُ^(٣) ذُو فِرَاسَةٍ وَجَدَ النُّقْصَانَ فِيهِ بَيِّنًا . كَمَا يُقَالُ
فِي حُمَى خَيْبَرِ^(٤) ، وَطِحَالِ الْبَحْرَيْنِ^(٥) ، وَدِمَامِيلِ الْجَزِيرَةِ^(٦) ، [وَجَرَبِ
الزَّنَجِ^(٧)] . وَقَالَ الشَّامُخُ^(٨) .

- (١) تَبَّتْ ، بِضَمِّ التَّاءِ وَتَشْدِيدِ الْبَاءِ الْمَفْتُوحَةِ : ذَلِكَ الْإِقْلِيمُ الصِّبْيَانِيُّ .
- (٢) الْعَجَبُ : مَا يَتَعَجَّبُ مِنْهُ . وَتَجَدَ مِثْلُ هَذَا الْكَلَامِ فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ وَتَهْسَارِ الْقُلُوبِ ٣١٠ وَعَيُونِ الْأَخْبَارِ ١ : ٢١٩ وَمَحَاضِرَاتِ الرَّائِغِ ٢ : ٢٦٤ . قَالَ يَاقُوتُ
فِي نَعْتِ أَهْلِهَا : « وَالتَّبَسُّمُ فِيهِمْ عَامٌ حَتَّى إِنَّهُ لَيُظْهَرُ فِي وَجْهِهِمْ بِهَا نَمِيمٌ » ! .
- (٣) ط ، هـ : « قُوَّتُهُ » ، صَوَابُهُ فِي سِ وَعَيُونِ الْأَخْبَارِ وَمَحَاضِرَاتِ الرَّائِغِ .
قَالَ يَاقُوتُ : « وَمَنْ أَقَامَ بِهَا سَنَةً نَقَصَ عَقْلُهُ » .
- (٤) خَيْبَرُ ، هِيَ الْوَلَايَةُ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَهَا الْغَزْوَةُ الْمَشْهُورَةُ ، وَكَانَتْ ذَاتَ سَبْعَةِ حَصُونٍ
وَلِذَلِكَ تُسَمَّى « خَيْبَرُ » أَيْضًا ، كَمَا وَرَدَ فِي شَعْرِ لَابِنِ قَيْسِ الرُّقِيَّاتِ . وَمَعْنَى
« خَيْبَرُ » الْحَصْنُ بِاللُّغَةِ الْعَبْرِيَّةِ كَمَا فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ . وَيُقَالُ لَهَا أَيْضًا « خَيْبَرِي »
كَمَا وَرَدَ فِي الْأَمْثَالِ : « بِهِ الْوَرَى . وَحَى خَيْبَرِي » . أَمْثَالُ الْمِيدَانِيِّ (١ : ٩٥)
وَفِي الْعَقْدِ (٤ : ٣٠١) مَا يَفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ يَهُودَ خَيْبَرٍ كَانُوا يَتَّبِعُونَ نِظَامًا صَحِيحًا كَفَلَ
لَهُمْ قِلَّةَ التَّعَرُّضِ لِحُلَاهَا : « سَثَلُ يَهُودِ خَيْبَرٍ : بِمِ صَحْحَمَ عَلَى وَبَاءِ خَيْبَرِ ؟ » قَالُوا :
بِأَكْلِ الثُّومِ ، وَشَرَبِ الْخَمْرِ ، وَسَكُونِ الْيَفَاعِ ، وَتَجَنُّبِ بَطُونِ الْأُودِيَّةِ ، وَالْخُرُوجِ
مِنْ خَيْبَرٍ عِنْدَ طُلُوعِ النِّجْمِ وَعِنْدَ سَقُوطِهِ .
- (٥) قَالُوا : مِنْ سَكَنِ بِالْبَحْرَيْنِ عَظُمَ طَحَالُهُ ، وَقَالَ شَاعِرُهُمْ :
وَمَنْ يَسْكُنُ الْبَحْرَيْنِ يَعْظُمُ طَحَالُهُ وَيَغْبُطُ بِمَا فِي بَطْنِهِ وَهُوَ جَائِعٌ
- (٦) هَذِهِ الْجَزِيرَةُ هِيَ الْمَسَاءُ « جَزِيرَةُ أَقُور » ، وَهِيَ الَّتِي بَيْنَ دَجْلَةِ وَالْفَرَاتِ مُجَاوِرَةُ الشَّامِ
تَشْتَمِلُ عَلَى دِيَارِ بَسْكَرٍ وَدِيَارِ مَضَرَ ، وَمِنْ أَمْهَاتِ مَدِينَتِهَا حِرَانُ وَالرَّهَاءُ وَالرَّقَّةُ وَرَأْسُ عَيْنَ
وَفَصِييَيْنَ وَسَنْجَارَ وَالْخَابُورَ ، وَمَارْدِينَ وَأَمْدَ وَمِيْفَارَقِينَ وَالْمَوْصِلَ . انْظُرْ « مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ » .
- (٧) هَذِهِ الزَّيَادَةُ مِنْ هـ . وَفِي ثَمَارِ الْقُلُوبِ ٤٣٥ : « طَرِبَ الزَّنَجُ » حَيْثُ تُحَدِّثُ
فِي ذَلِكَ حَدِيثًا طَوِيلًا . وَكُلٌّ مِنْهُمَا خَاصَّةٌ مِنْ خَوَاصِّ الزَّنَجِ . وَسَيَأْتِي فِي ١٣٩
فِي الْبَلَاغِ عَلَى بِلَادِ الزَّنَجِ : « أَلَا يَزَالُ جَرِبًا مَا أَقَامَ بِهَا » .
- (٨) س : « شَمَاخُ » .

كَأَنَّ نَطَاةَ خَيْبَرَ زَوَّدَتْهُ بَكُورَ الْوَرْدِ رِيثَةَ الْقُلُوعِ (١)
وقال أوس بن حجر :

كَأَنَّ بِهِ إِذْ جِئْتُهِ (٢) خَيْبَرِيَّةً يَعُودُ عَلَيْهِ وَرُدُّهَا وَقَلَاهَا (٣)
وقال آخر :

كَأَنَّ حَمَى خَيْبَرَ تَمْلُهُ (٤)

وكذلك القول في وادي جحفة (٥) ، وفي مهبة (٦) ، وفي أصول النخل
حيث كان .

وقال عبد الله بن همام السلولي في دماميل الجزيرة :

(١) نطاة ، بالنون المفتوحة : عين ماء بقرية من قرى خيبر . وفي الأصل : « قطاة »
صوابه في معجم البلدان حيث روى البيت ، وديوان الشاخر ٥٧ . زودته : أعطته
زادا . بكور الورد : يعنى حمى تباكر بوردها جسمه . ريثة القلوع : بطيئة
الانكشاف والبرد . في الأصل : « رنقه » مكان « ريثه » ، صوابه في المعجم
والديوان . وقبل البيت :

ألا تلك ابنة الأموى قالت أراك اليوم جسمك كالرجيع

والرجيع : الحبل الذى نقض ثم قتل مرة ثانية .

(٢) في الأصل : « كأن به أدحية » . وفي ديوان أوس ٢٤ : « أرخية » صوابها
ما أثبت من معجم البلدان (نطاة) وثمار القلوب ٤٣٦ . وعنى بالخيرية الحمى .

(٣) الورد ، بكسر الواو : اسم من أسماء الحمى ، أو هو يوم ورودها . « قلاها » :
كذا جاءت بالأصل : وفي المعجم والثمار : « ملاها » . والملا ، بالضم :
حرارة الحمى ، أو التقلب من المرض . وما في الأصل هو الموافق ما في الديوان .

(٤) تمل : كأنها تضعه في الملة ، وهى بالضم : الرماد الحار .

(٥) الجحفة بين مكة والمدينة . روى أنه لما قدم الرسول المدينة استوبأها ، وحمل
أصحابه فقال : « اللهم حبيب إلينا المدينة كما حبيت إلينا مكة ، أو أشد ، وصاحبها ،
وبارك لنا في صاعها ومدها ، وانقل حماها إلى الجحفة » .

(٦) مهبة : موضع قريب من الجحفة .

أَتَيْحَ لَهُ مِنْ شُرْطَةِ الْحَيِّ جَانِبٌ غَلِيظُ الْقُصَيْرِ لَحْمُهُ مُتَكَوِسٌ^(١)
تَرَاهُ إِذَا يَمْضِي بِحُكِّكَ كَأَنَّمَا بِهِ مِنْ دَمَامِيلِ الْجَزِيرَةِ نَاحِسٌ^(٢)
فَحَدَّثَنِي أَبُو زُفَرَ الضَّرَّارِيُّ^(٣) قَالَ : مَاتَ ضِرَارُ بْنُ عَمْرٍو وَهُوَ ابْنُ تِسْعِينَ
سَنَةً بِالْأَمَامِيلِ . قُلْتُ : وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا لَعَجَبٌ ! قَالَ : كَلَّا إِنَّمَّا احْتَمَلَهَا
مِنَ الْجَزِيرَةِ .

وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي طَوَاعِينَ الشَّامِ . قَالَ أَحَدُ بَنِي الْمَغِيرَةِ^(٤) ، فِيمَنْ مَاتَ
مِنْهُمْ بِطَوَاعِينَ الشَّامِ ، وَمَنْ مَاتَ مِنْهُمْ بِطَعْنِ الرِّمَاحِ أَيَّامَ تِلْكَ الْمَغَازِي :
مَنْ يَنْزِلُ الشَّامَ وَيَعْرِسُ بِهِ^(٥) فَالشَّامُ إِنْ لَمْ يُفْنِهِ كَاذِبٌ
أَفْنَى بَنِي رَيْطَةَ فَرَسَانَهُمْ عِشْرِينَ لَمْ يُقْصَصْ لَهُمْ شَارِبٌ^(٦)
وَمَنْ بَنِي أَعْمَامِهِمْ مِثْلَهُمْ لِمِثْلِ هَذَا عَجَبٌ الْعَاجِبُ^(٧)
طَعْنٌ وَطَاعُونَ مِنْ أَيْيَاهُمْ ذَلِكَ مَا خَطَّ لَنَا الْكَاتِبُ

(١) شرطة كل شيء : خياره ، ومنه شرط السلطان ، وهم خيار جنده . في الأصل :
« سوطه » وتوجيهه من معجم البلدان . والجانب : القصير . والقصيرى
بضم القاف وفتح الصاد مع القصر : أعلى الأضلاع . ط : « القصيرى » س :
« القصير » صوابه في هـ ومعجم البلدان ، والرواية فيه : « عريض القصيرى » .
متكاوس : متراكب متراكم . ط ، هـ : « متقاوس » س . « متقاوس »
تصحيحه من معجم البلدان .

(٢) الحكك : مشية فيها شبه المرأة القصيرة إذا تحركت وهزت منكبيها . ورواية
المعجم : « أبد إذا يمشى يحيك » . الأبد : السمين . يحيك : يتبختر ويختال . ط :
« كما نما » صوابه في س ، هـ والمعجم .

(٣) ط : « الضارى » صوابه في س ، هـ . وبدله في ثمار القلوب ٤٣٨ : « أبو زرة » فقط .

(٤) هو المهاجر بن خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي . الإصابة ٨٣٢٩ .

(٥) عرس به ، كفرح : لزمه .

(٦) فرسانهم ، بدل من بنى ريطه . لم يقصص لهم شارب : أى لإنهم في
مقتبل الشباب . وريطة هى زوج المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . انظر الاستدراكات .

(٧) العاجب : المتعجب . وفي ثمار القلوب ٤٣٥ : « يعجب العاجب » وفي س :
« عجب عاجب » ، وهو مثل من أمثلة المبالغة ، كقولهم يوم أيوم ، وليل أليل ،
وروض أريض ، وظل ظليل ، وحرز حرز ، وداء دوى .

(قدوم عبد الله بن الحسن على عمر بن عبد العزيز وهشام)

قال : ولما قَدِمَ عَبْدُ اللَّهِ بنَ الحَسَنِ بنَ الحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، عَلَى عُمَرَ بنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي حَوَائِجَ لَهُ ، فَلَمَّا رَأَى مَكَانَهُ بِالشَّامِ ، وَعَرَفَ سِنِّهَ وَسَمْتَهُ وَعَقْلَهُ ، وَلِسَانَهُ ، وَصَلَاتَهُ وَصِيَامَهُ ، فَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَلَّا يَرَاهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، فَقَالَ لَهُ : إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ طَوَاعِينَ الشَّامِ ؛ فَإِنَّكَ لَنْ تُغْنِمَ أَهْلَكَ أَكْثَرَ مِنْكَ ^(١) ، فَالْحَقْ بِهِمْ ؛ فَإِنَّ حَوَائِجَكَ سَتَسْبِقُكَ إِلَيْهِمْ ^(٢) . ثُمَّ قَدِمَ عَلَى هِشَامٍ ، فَكَرِهَ عَبْدُ اللَّهِ أَنْ يَدْخُلَ مَنْزِلًا لَهُ ^(٣) حَتَّى يَأْتِيَهُ فِي ثِيَابِ سَفَرِهِ ؛ مَخَافَةَ سُوءِ ظَنِّهِ ^(٤) . فَلَمَّا أَعْلَمَهُ الْحَاجِبُ مَكَانَهُ ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ وَعَايَنَهُ ، كَرِهَ أَنْ يَقِيمَ بِهَا طَرَفَةَ عَيْنٍ . قَالَ : اذْكُرْ حَوَائِجَكَ . قَالَ : أَحْطُ رَحْلِي وَأَضَعُ ثِيَابَ سَفَرِي ، وَأَتَذَكَّرُ حَوَائِجِي . قَالَ : إِنَّكَ لَنْ تَجِدَنِي فِي حَالٍ خَيْرًا لَكَ مِنْ السَّاعَةِ ! يَرِيدُ أَنْ الْقُلُوبُ أَرْقُ مَا تَسْكُونُ إِذَا تَلَاقَتِ الْعَيُونُ عَنْ بَعْدِ عَهْدٍ . وَلَيْسَ ذَلِكَ أَرَادَ ^(٥) .

(١) فِي تِمَارِ الْقُلُوبِ : « وَإِنَّكَ لَمْ يَغْنَمْ أَهْلَكَ خَيْرًا مِنْكَ » . وَسَبَقَ مِثْلَ هَذِهِ الرِّوَايَةِ فِي (٤٧٢ : ٣) .

(٢) تِمَارِ الْقُلُوبِ : « فَإِنْ حَوَائِجُكَ سَتَتَّبِعُكَ » ، وَفِي الْحَيَوَانَ (٤٧٢ : ٣) : « فَإِنْ حَوَائِجُهُمْ سَتَسْبِقُكَ » .

(٣) ط ، هـ : « مَنْزِلُهُ » .

(٤) أَيْ لَتَلَا يَظُنُّ بِهِ الْعِدَاءُ . وَفِي ط ، هـ : « شَرِطَتُهُ » ، وَمَا أَثْبَتَ مِنْ سِوَا وَجْهِ .

(٥) انْظُرْ لِتَوْضِيحِ هَذَا مَا سَبَقَ فِي (٤٧٢ : ٣) س ١٣ ، ١٤ .

(طحال البحرين)

وانعاماً تنشد :

مَنْ يَسْكُنِ الْبَحْرَيْنِ يَعْظُمُ طِحَالُهُ وَيَغْبِطُ بِمَا فِي بَطْنِهِ وَهُوَ جَائِعٌ^(١)
ونظر ذُكَيْنُ الرَّاجِزُ ، إلى أَبِي الْعَبَّاسِ^(٢) مُحَمَّدِ بْنِ ذُوَيْبِ الْفُقَيْمِيِّ الرَّاجِزِ ،
وهو غُلَيْمٌ مُصَفَّرٌ مَطْحُولٌ^(٣) ، وهو يَمْتَحُ عَلَى بَكْرَةٍ^(٤) ويرتجز . فقال : من
هذا الْعُمَانِيُّ^(٥) ؟ فلزمته هذه النِّسْبَةُ .

(جرب الزنج)

وحدثني يوسفُ الزَّنجِيُّ أَنَّهُ لَا بَدَأَ لِكُلِّ مَنْ قَدِمَ مِنْ شِقِّ الْعِرَاقِ إِلَى بِلَادِ
الزَّنجِ إِلَّا يَزَالُ جَرِباً ، مَا أَقَامَ بِهَا . وَإِنْ أَكْثَرَ مِنْ شُرْبِ نَبِيذِهَا ، أَوْ شَرَابِ
النَّارِجِيلِ ، طَمَسَ الْحَمَارُ عَلَى عَقْلِهِ ، حَتَّى لَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَعْتُوهِ إِلَّا
الشَّيْءُ الْيَسِيرُ .

(١) انظر أمثال الميداني (١ : ٢٥٥) في قولهم : « الذئب مغبوط بما في بطنه » . الشعر
والشعراء ٧٣١ .

(٢) ط ، س : « ابن العباس » صوابه في س ، وقد تقدمت ترجمته في (٢ : ١٦٦) : وفي الأغاني (١٧ : ٨١) : « ويكنى أبا عبد الله » ، فهما كنيستان له .
ومثل ذلك في العرب كثير . وفي المعارف ٢٥٩ فصل خاص بمن له كنيستان أو ثلاث .

(٣) المطحول : الذي يشكو مرض طحاله .

(٤) البكرة ، بالفتح وتحرك : خشبة مستديرة في وسطها محز يستقى عليها .

(٥) الْعُمَانِيُّ نسبة إلى عمان ، يضم العين بعدها ميم مفتوحة مخففة ، وهي بلاد عربية في
جنوب خليج فارس . وضبطت بتشديد الميم في (خريطة) الممالك الإسلامية ، خطأ .
وكانت البحرين وعمان منفصلتين قبل الدولة العباسية . قال ياقوت : « فلما ولي
بنو العباس صيروا عمان والبحرين واليمامة عملاً واحداً » . وما يجدر ذكره أن
أصل نسبة أبي العباس إلى البصرة ، أي هو بصري ، كما في الأغاني . وقد عقد
ابن قتيبة فصلاً لمثل هذه النسب في المعارف ٢٥٧ - ٢٥٨ .

(طبيعة المصيبة)

وخبّرني كم شئت من الغزاة ، أن من أطال الصّوم بالمصيبة^(١) في
أيّام الصّيف ، هاج به المِرار . وأنّ كثيراً منهم قد جُذّوا عن^(٢)
ذلك الاحتراق .

(طبيعة قصبة الأهواز)

فأمّا قصبة^(٣) الأهواز ، فإنّها قلبت كلّ من نزّلها من بنى هاشم إلى
كثيرٍ من طباعهم وشمائلهم^(٤) ، ولابدّ للهاشميّ ، قبيح الوجه كان أو حسناً ،
أو^(٥) دميماً كان أو بارعاً رائعا ، من أن يكون لوجهه وشمائله طبائعٌ يبين بها
من جميع قريش وجميع العرب . فلقد كادت البلدة أن تنقل ذلك فتبدّله^(٦) ،
ولقد تخيّفته^(٧) وأدخلت الضّم عليه ، ويئنت أثرها فيه ؛ فما ظنك بصنيعها
في سائر الأجناس^(٨) ؟ !

ولفساد عقولهم ، ولؤم طبع بلادهم ، لأتراهم مع تلك الأموال الكثيرة ،

(١) يقال مصيبة ، بالفتح والصاد المشددة المكسورة ، ومصيبة بالتخفيف ، والأول
أصح ، وهى بين أنطاكية وبلاد الروم .

(٢) ط ، هـ : « من » .

(٣) ط ، هـ : « قضية » ، صوابه فى س . وقصبة الأهواز ، أى أكبر مدنها .
قال صاحب العين : « الأهواز : سبع كور بين البصرة وفارس » .

(٤) أى طبائع الأهوازيين وشمائلهم . وفى معجم البلدان : « فانقلبوا إلى طباع أهلها » .

(٥) الأفضل إسقاط هذا الحرف كما فى ثمار القلوب ٤٣٧ .

(٦) هذه الكلمة وسابقتها ساقطتان من س .

(٧) تخيفته وتخوفته : تنقصته . ط : « تخفيه » صوابه فى س ، هـ .

(٨) فى ثمار القلوب ٤٣٥ نقلا عن الجاحظ : « ولقد تخفيه وتدخل الضنى عليه وتبين
أثرها فيه » . الخ .

والضَّياع الفاشية ، يخْبُون من البَينِ والبناتِ ما يَحْبُهُ أوساطُ أهْلِ الأمصارِ على الثَّروة واليسار ، وإن طال ذلك . والمال مَنبَهَةٌ كما تعلمون .

وقد يكتسبُ الرَّجُلُ ، من غيرهم ، المَوِيلُ^(١) اليسير ، فلا يرضى لولده حتَّى يفرضَ له المؤدِّين^(٢) ، ولا يرضى لنسائه مثل الذي كان يرضاه قبل ذلك^(٣) . وليس في الأرض صناعةٌ مذكورةٌ ، ولا أدبٌ شريفٌ ، ولا مذهبٌ محمودٌ ، لهم في شَيْءٍ منه نصيبٌ وإن خَسَّ^(٤) . ولم أَرِ بها وَجَنَةً حراءَ لصبيٍّ ولا صبيَّةً ، ولا دماً ظاهراً ولا قريباً من ذلك . وهي قَتَالَةٌ للغُرباء .

وعلى أَنَّ حُمَّاهَا خاصَّةٌ ليست للغريب بأسرَعَ منها إلى القريب . ٤٨
ووبأوها^(٥) ، في وقت انكشافِ الوَبَاءِ ونزوعِ الحمى عن جميعِ البلدانِ .
وكلُّ محمومٍ في الأرض فإنَّ حُمَّاه لا تنزع عنه ، ولا تفارقه ، وفي بدنه منها بقيَّةٌ ؛ فإذا نَزَعَتْ عنه فقد أخذَ منها عند نفسه البراءة ، إلى أن يعود إلى الخلط ، وأن يجمعَ في جوفه الفسادَ^(٦) . وليست كذلك الأهواز

(١) مويل : تصغير مال .

(٢) المؤدبون ، جمع مؤدب ، بكسر الدال . والجاحظ ومن نحا نحوه يجعل المؤدب فوق المعلم . قال في رسالة المعلمين (هامشة الكامل ١ : ٢) : « لو استقصيت عدد النحويين والعروضيين والفرضيين والحساب والخطاطين ، لوجدت أكثرهم مؤدب كبار ومعلم صغار » س : « المودين » محرف .

(٣) كذا في س . وفي ط ، هـ : « ولا يرضى لسانه بمثل الذي كان يرضاه قبل ذاك » ، وتصح مع إعادة التفسير إلى ولده ، أي هو يختار لولده المتأخرين من المؤدبين .

(٤) خَس : قل . وفي الأصل وكذا في معجم البلدان : « حسن » . وبعدها في المعجم « أودق أوجل » ، ويقوت بدون ريب ينقل كلام الجاحظ :

(٥) ط ، هـ : « ووبأها » ،

(٦) بدله في معجم البلدان : « إلا أن تعود لما يجتمع في بطنه من الأخلاط الرديئة » .

لأنها تعاود من نَزَعَتْ عنه من غير حَدَث ، كما تعاود أصحابَ الحَدَث ؛
لأنهم ليسوا يُؤْتَوْنَ من قبل النَّهَمِ^(١) ، ومن قِبَلِ الخَلْطِ والإِكْثَارِ ،
ولأنَّما يُؤْتَوْنَ من عَيْنِ البلدة .

وكذلك جَمَعَتْ سوقُ الأهوازِ الأفاعيَ في جبلِها الطَّاعِنِ في منازلها ،
المطلِّ عليها ؛ والجَرَاراتِ^(٢) في بيوتِها ومقابرِها ومنابرِها . ولو كان في
العالمَ شَيْءٌ هو شرُّ من الأفعى والجَرَارة ، لما قَصَّرَتْ قَصَبَةُ الأهوازِ عن
توليده وتلقيحه . وبليتها^(٣) أنها من ورائها سِبَاخٌ^(٤) ومناقعُ مياهٍ غليظةٍ
وفيها أنهارٌ تُشَقُّها مَسَائِلُ كُنْفِهِمْ^(٥) ، ومياهُ أمطارهم ومُتَوَضَّاتِهِمْ^(٦)
فإذا طَلَعَتِ الشَّمْسُ فَطَالَ مُقَامُهَا ، وطالت مقابلتُها لذلك الجبل ، قبل

(١) الأولى : « التخنم » جمع تخمة . كما جاء في معجم البلدان .

(٢) الجرات : ضرب من العقارب .

(٣) كذا على الصواب في س . وفي ط : « تليينه » وفي هـ : « تليينها » .

وفي معجم البلدان زيادة : « من » قبل : « بليتها » .

(٤) سِبَاخ ، بالكسر : جمع سبخة بالتحريك ، وهي الأرض تعلوها ملحوة ولا تسكاد

تنبت إلا بعض الشجر . هـ : « سباحة » س : « سباحة » محرفتان عما
أثبت من س .

(٥) كذا في س ومعجم البلدان . ونحوه في ثمار القلوب ٢٣٧ . وفي ط : « لسقيها

مسائل كنفهم » و هـ : « تسبقها مسائل كنفهم » ، والكلمة الأولى في ط لها

وجه وفي هـ محرفة . أما الكلمة الثانية : « مسائل » فهمزها خطأ ، لأن ياء

مفردة مسيل ياء أصلية . ولم يرد الهمز إلا في كلمتين ، إحداهما : « مصائب »

وهذه لا يعترف بها الأصمعي ويقول : إنها من لغة أهل الأمصار ، والمعروف :

« مصيبات » . والثانية لم ترد إلا في بعض القراءات غير السبع ، من قول الله :

« وجعلنا لكم فيها معايش » . انظر المصباح . وقال السفاقي : « وشذ خارجة

فرواه عن نافع ، وهو ضعيف جداً ، بل جملة بعضهم لحنا . غيث النفع ١٣٠ .

(٦) كذا في معجم البلدان . وفي الأصل : « ومتوضهم » بالإفراد . في ثمار القلوب

« ميضاتهم » .

بالصَّخْرِيَّةِ الَّتِي فِيهِه (١) تِلْكَ الْجَوَارَاتِ . فَإِذَا امْتَلَأَتْ يُبَسًّا وَحَرَارَةً ،
وَعَادَتْ جَمْرَةً وَاحِدَةً ، قَذَفَتْ مَا قَبِلَتْ مِنْ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ .

وَقَدْ تُحَدِّثُ [تِلْكَ] السَّبَاحُ (٢) وَتِلْكَ الْأَنْهَارُ (٣) مُنْجَارًا فَاسِدًا ، فَإِذَا
التَّقَى عَلَيْهِمْ مَا تُحَدِّثُ السَّبَاحُ وَمَا قَذَفَهُ ذَلِكَ الْجَبَلُ ، فَسَدَ الْهَوَاءُ . وَبِفَسَادِ
الْهَوَاءِ يَفْسُدُ (٤) كُلُّ شَيْءٍ يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ ذَلِكَ الْهَوَاءُ .

وَحَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبَّاسٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ مَنْصُورٍ ، عَنْ مَشِيخَةٍ (٥) مِنْ
أَهْلِ الْأَهْوَازِ ، عَنْ الْقَوَابِلِ ، أَنَّهُمْ رَبَّمَا قَبِلْنَ (٦) الطِّفْلَ الْمَوْلُودَ ، فَيَجِدُونَهُ
فِي تِلْكَ السَّاعَةِ مَحْمُومًا . يَعْرِفُنَ ذَلِكَ وَيَتَحَدَّثُنَ بِهِ .

(عِيُونُ الْحَيَاتِ وَالْخَطَاطِيفِ)

[قَالَ (٧)] : وَيَعْرِضُ لِفَرَاحِ الْحَيَاتِ مِثْلُ الَّذِي يَعْرِضُ لِفَرَاحِ
الْخَطَاطِيفِ ؛ فَإِنَّ نَازِعًا لَوْ نَزَعَ عِيُونَ فَرَاحِ الْخَطَاطِيفِ ، وَفَرَاحِ الْحَيَاتِ ،
لَعَادَتْ بِبَصِيرَةٍ (٨) .

(١) ط ، هـ : « بالصخرة » صوابه في س . ط : « فيها » صوابه في س ، هـ .

(٢) مضى تفسير هذه الكلمة في الصفحة السابقة .

(٣) س فقط : « الأمطار » .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من س ، هـ .

(٥) مشيخة ، كمرحلة ، وأيضاً بفتح الميم وكسر الشين : جمع شيخ . ط فقط :
« شيخ » وهي صحيحة أيضاً ، وضبطها كعنية وسدرة .

(٦) قبلت القابلة الولد : تلقته عند خروجه .

(٧) الزيادة من س ، هـ .

(٨) ذلك زعم .

(مفارقة السلحفاة والرق والضفدع للماء)

وزعم^(١) أن السلحفاة والرق ، والضفدع ، إنما لا بدّ له من التنفس ، ولا بدّ لها من مفارقة الماء ، وأنها تبيض زكتسب الطعم وهي خارجة^(٢) من الماء ؛ وذلك للنسب الذى بينها وبين الضب^(٣) ، وإن كان هذا برياً وهذا بحرياً .

(شبه بعض الحيوان البرى بنظيره من البحرى)

ويزعمون أن ما^(٤) كان فى البرّ من الضبّ والورل والحرباء ، والهلكاء^(٥) ، وشحمة الأرض ، والوزغ والعطاء^(٦) مثل الذى فى البحر من السلحفاة والرق ، والتمساح ، والضفدع ؛ وأن تلك الأجناس البريّة وإن اختلفت فى أمورها ، فإنها قد تتشابه فى أمور ؛ وأن هذه الأجناس البحرية من تلك ، ككلب الماء من كلب الأرض .

(١) نسي الجاحظ أن يذكر صاحب الزعم ، أو سقط من الناسخين . وقد يكون الزاعم صاحب المنطق ..

(٢) ط : « خراجه » ، تحريف ما فى س ، ه .

(٣) س : « وذلك النسب » الخ . ط ، ه : « التى » صوابها فى س .

(٤) ط : « أنما » صوابه فى س ، ه .

(٥) الحلكاء ، بالضم ، وبالفصح ، وبالتحريك : ضرب من العطاء . ط فقط : « الحلكى » ، وهى صحيحة فى ذاتها ، وضبطها بضم الحاء واللام ، وتشديد الكاف المفتوحة . ولكنى لا أحسب الجاحظ استعمل هذه اللغة ، وإنما هو تحريف من الناسخ .

(٦) العطاء ، بالفصح : جمع عطاء ، وهى دويبة كسام أبرص . س : « والقطاة » ه : « والقطا » صوابه فى ط .

(صوم بعض الحيوان)

وقد زعم صاحبُ المنطق أنَّ الحَيَّةَ وسامَّ أْبْرَصَ^(١) من العَظَاءِ ،
والتَّمْساح ، تسكُنُ في أعشَّتِها^(٢) الأربعةَ الأشهرَ الشديدةَ البردِ^(٣) ، لا تطعم
شيئاً ؛ وأنَّ سائرَ الحَيَّاتِ تسكُنُ بطنَ الأرضِ . فأما الأفاعى فإنَّها تسكُنُ ٤٩
في صُدُوعِ الصَّخَرِ .

وليسَ لشيءٍ من الحيوانِ من الصَّبرِ عن الطَّعمِ ما لهذه الأجناسِ . وإنَّ
الفيلَ ليناسبُها من وجهين : أحدهما من طولِ العمرِ ، فإنَّ منها ما قد عاش
أربعمائةَ سنةٍ . والوجه الآخر : أنَّ الفيلةَ مائِيَّةٌ [وهذه الأجناسِ مائِيَّةٌ^(٤)]
وإن كان بعضها لا يسكنُ الماءَ .

(داهية الغُبرِ)

قال : وسمِعْتُ يُونُسَ بْنَ حَبِيبٍ^(٥) يقول : « داهية الغُبرِ^(٦) » . قال : وقيل

(١) ط : « تلك الحية » والوجه حذف الكلمة الأولى كما في س ، ه . ط ، ه :
« من سام أبرص » صوابه في س .

(٢) كذا ، وأصل العش للطائر . وانظر حواشي ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

(٣) ط : « أربعة أشهر شديدة البرد » . س : « الأربع الأشهر الشديدة البرد »
وأثبت ما في ه لكن فيها « الأربعة أشهر » .

(٤) هذه الزيادة من ه .

(٥) في الأصل : « حرب » ، والصواب ما أثبت . وقد تقدمت ترجمته في
(١ : ٣٢٩) .

(٦) الغبر بالتحريك وبغين معجمة في أولها : الماء يغبر حيناً في المستنقع ، كما يفهم من
التعليل الآتي . وفي أمثال الميداني (١ : ٤٠) : « وسمعت أن الغبر عين ماء
يعينه تألفه الحيات » . وفي معجم البلدان : « الغبر آخر محال سلمي بجانب جبل طيب » ،
وبه نخل ، ومياهه تجري أبداً » . ط : « القبر » صوابه في س ، ه .

ذلك لأنها ربما سكنت بقرب ماء ، إمّا غديرٍ وإمّا عينٍ ، فتَحْمِي (١)
ذلك الموضع . وربما غبر ذلك الماء في المنقَع حيناً وقد حُمته .
وقال الكذابُ الحرمازي (٢) :

يا ابنَ المعلّى نزلتُ إحدىَ الكبَرِ (٣) دَاهِيَةُ الدَّهْرِ وصَمَاءُ الغَبَرِ (٤)
قال : وسأل (٥) الحكم بنُ مروانَ بنِ زُبَاعٍ ، عن بني عبد الله
ابنِ غطفان ، قال : [أفعى (٦)] إنْ أيقظتها لسعتك ، وإن تركتها
لم تضرّك .

(نادرة تتعلق بالحيات)

وذكر عن سعيد بن صخر (٧) قال : نُهِشَ رجلٌ من أهل البادية كثيرُ
المال ، فأشنى على الموت ، فأتاهم رجلٌ فقال : أنا أرقيه ، فما تُعطوني (٨) ؟

(١) كذا على الصواب في س . وفي ط : : « فتحمس » وفي هـ : « فتنحي »
محرفتان .

(٢) سبقت ترجمته في (٣ : ٤٨٤) .

(٣) كذا الرواية أيضاً في ثمار القلوب ٣٣٦ . والرواية في اللسان (غبر) وكذا
في أمثال الميذاني : « أنت لها منذر من بين البشر » ، أي يامنذر . وفي اللسان أنه
يملح بهذا الشعر بن المنذر الجارود .

(٤) ط : « العبر » بالعين المهملة ، صوابه في س ، هـ .

(٥) كذا . ولعلها : « وسئل » .

(٦) الزيادة من س ، هـ . وانظر ما سبق من الكلام على « أفعى » في ص ١١٧ .

(٧) سبقت ترجمته في (٢ : ٣٦٣) .

(٨) ط : « فان تعطوني » صوابه ، في س ، هـ . وقد حذف إحدى نوني :
« تعطوني » وهو جائز . وفي المغني : « ونحو تأمروني يجوز فيه الفك والإدغام
والنطق بنون واحدة » .

فشارطوه عَلَى ثلاثين درهما^(١) ، فرَقَاه وسَقَاه أشياء ببعض الأخطا ، فلمَّا أفاقَ قال : الرَّاقِ والمداوى : حتى ! قال الملدوغ : وما حقه ، قالوا : ثلاثون درهما . قال أعطيه من مالى ثلاثين درهما فى نَفَثَاتٍ نَفَثَهَا ، وَحَمَضَ سَقَاه^(٢) ! لا تُعْطُوهُ شيئاً !

(حديث سكر الشَّطرنجى)

وحدَّثنى بعضُ أَصْحَابِنَا عن سُكَّرِ الشَّطرنجى ، وكان أَحَقَّ القاصِّين^(٣) ، وأحذقهم بلعب الشَّطرنج ، وسألته عن خرق كان فى خَرْمَةِ أنفه^(٤) فقلت له : ما كان هذا الخرق ؟ فذكر أَنَّهُ خرج إلى جَبَلٍ^(٥) يتكسَّب بالشَّطرنج ، فقدم البلدةَ وليس معه إلاَّ درهمٌ واحد ، وليس يَدْرِى أينَجَح أم يُخْفِق ، ويَجِدُ صاحبه الذى اعتمدَه أم لا يجده^(٦) ؟ فورد على حَوَاءٍ وبين يديه جُورٌ عِظَامٌ^(٧) فيها حياتٌ جليمة .

والحيَّة إذا عَضَّت لم تكن غايَتُها النَّهش أو العَضُّ^(٨) ، وأن ترضى بالنَّهش ،

(١) ط : « فارقه عن ثلاثين درهما » ، تصحيحه ن س ، ه .

(٢) الحمض ، بالفتح ، أصله كل نبت مالح أو حامض ، وجعله هنا للدواء الذى فيه حموضة .

ه : « وحرس سق » والكلمة الأولى فى ه محرفة .

(٣) جمع قاص للقصاص . س ، ه : « العالمين » .

(٤) الخرمة ، بالتحريك : موضع الحرم من الأنف . وفى الأصل : « الخزامة » ، وهى كسكتابة : البرة تجمل فى الأنف . ولا وجه لها .

(٥) جبل ، بفتح الجيم وتشديد الباء المضمومة : بليدة بشاطيء دجلة . وفى الأصل :

« الجبل » ولا تصح ؛ فإن الجبل اسم لبلاد كثيرة تمتد ما بين أذربيجان وعراق العرب وخوزستان وفارس وبلاد الديلم . القاموس ومعجم البلدان .

(٦) ط : « ويجلو صاحبه الذى اعتمدَه أيجده أم لا » ، س : « ويجده أجبه » الخ صوابهما فى ه .

(٧) جون ، بضم الجيم وفتح الواو : جمع جوفة ، بالضم . وقد سبق تفسيرها فى ١١٥ .

(٨) ط : « والعَض » .

ولكنّها لا تعضُ إلاّ للأكل والابتلاع . وربّما كانت الحيّات عظاماً جدّاً ولا سمومَ لها ، ولا تنقر^(١) بالعضّ ؛ كحيات الجولان^(٢) .

وفي البداية حيّة يقال لها الحفّات^(٣) والحفّات من الحيّات تأكل الفأر وأشباهه الفأر ، ولها وعيدٌ مُنكرٌ ، ونفخٌ وإظهارٌ للصّولة ؛ وليس وراء ذلك شيء^(٤) . والجاهل ربّما مات من الفزع منها . وربّما جمعت الحيّة السّمّ وشدّة الجرح ، والعضّ والابتلاع ، وحطّم^(٥) العظم .

فوقف سُكّرٌ على الحوائِ وقد أخرج من جُونه أعظمَ حيّاتٍ في الأرض ، وادّعى نفوذ الرّقية وجودة التّرياق ، فقال له سُكّر^(٦) : خذ منّي هذا الدرهم وارقني رُقِيّةً لا تضرّني معها حيّةٌ أبداً ! قال : فإني أفعل . قال : فأرسل قبل ذلك حيّةً ، حتّى رقيّني بعد أن تعضّني ؛ فإن أفقتُ علمتُ أنّ رُقيتك صحيحة . قال : فإني أفعل ، فاخترتُ أيّتهنّ شئت . فأشار إلى واحدةٍ ممّا تعضُّ للأكل دون السّمّ ، فقال : دغ هذه ؛ فإنّ هذه إن قبضتُ على لحمك لم تفارقك حتّى تقطعك^(٧) ! قال : فإني لا أريد غيرها . وظنّ أنّه إنّما زوّاها عنه لفصيلةٍ فيها . قال : أمّا إذ أبيت إلاّ هذه فاخترتُ موضعاً من جسّدك حتّى أرسلها عليه . فاخترتُ أنفه ، فناشده وخوّفه ، فأبى إلاّ ذلك

(١) تنقر : تجرح . وفي ط : « تنفر » ، تحريف ما في س ، ه .

(٢) الجولان ، بالفتح : جبل من نواحي دمشق . معجم البلدان .

(٣) الحفّات ، بجاء مضمومة بعدها فاء مشددة مفتوحة . ط : « الحنّاث » س ،

ه : « الحفّات » ، صوابهما ما أثبت .

(٤) ط : « سيما » ، صوابه في س ، ه .

(٥) محرفة في الأصل ، فهي في ط ، ه : « خطم » وفي س : « حكم » .

(٦) ط : « سكن » صوابه في س ، ه .

(٧) س : « لم تفارقه » فقط .

أو يردّ عليه دِرْهَمَهُ . فأخذها الحوَّاء وطواها على يده ؛ كي لا يدعها تنكُرُ^(١) فتقطع أنفه من أصله . ثمَّ أرساها عليه . فلما أنشبت أحدَ نَابَيْيْهَا في شِقِّ أنفه صرَّخ عليه صرَّخةً جمعتُ عليه أهلَ تلكَ البلْدة ، ثمَّ غُشِيَ عليه ، فأخذ الحوَّاء فوُضع في السَّجْن ، وقتلوا تلكَ الحَيَّات ، وتركوه حتَّى أفاق كأنه أجنُّ الخلق ، فتطَوَّعوا بحمله فحملوه مع المِكَارِي^(٢) ، وردَّوه إلى البصرة ، وبقي أثرُنَا بها في أنفه إلى أن مات .

(ما يعتصب بيت غيره من الحيوان)

قال : وأشياء من الحشرات لا تتخذ لنفسها ولا لبيضا ولا أولادها^(٣) بيوتا ، بل تظلم كلَّ ذى جُحر جُحره ، فتخرجه منه ، أو تأكله إن^(٤) ثبت لها .

والعربُ تقول للمُسيء : « أَظْلَمُ مِنْ حَيَّةٍ » ؛ لأنَّ الحَيَّة لا تتخذ لنفسها بيتاً . وكلُّ بيتٍ قصِدَتْ نحوه هرب أهله منه ، وأخلَّوه لها .

(عداوة الورل للحيات)

والورل يقوَّى^(٥) على الحياتِ ويأكلها أكلاً ذريعاً . وكلُّ شِدَّةٍ يلقاها

(١) تنكُرُ ، آخره زاي ، كافى س . وفى ط ، هـ : « تنكر » محرفة . وانظر ٢ : ١٣٨ .

(٢) المِكَارِي : من يكرى الناس دابته . والكراء : الأجرة . س : « مكارى »

صوابه : « مكار » بحذف الياء .

(٣) س : « وليبضا ولا أولادها » .

(٤) ط : « إذ » .

(٥) ط : « يقول » صوابه فى س ، هـ .

ذو جُحْر منها فهي تلقى مثلَ ذلك من الورل . والورلُ أَلْطَفُ جِرْماً من الضَّبِّ .

وزعم أَنَّهُمْ يقولون : « أَظْلَمَ مِنْ وَرَلٍ » كما يقولون : « أَظْلَمَ مِنْ حَيَّةٍ » ، وكما يقولون : « أَظْلَمَ مِنْ ذِئْبٍ » ويقولون : « مَنْ اسْتَرْعَى الذِّئْبَ ظَلَمَ ^(١) » .

(الورل والضَّبُّ)

وبرائن الورل أقوى من برائن الضَّبِّ . والضَّبَّابُ تحفر جِحْرَهَا في الكُدَى ^(٢) . والورل لا يحفرُ لنفسه بل يُخْرِجُ ^(٣) الضَّبَّ من بيته . فتزعم الأعرابُ أَنَّهُ إِنَّمَا صار ^(٤) لا يحفر [لنفسه إبقاءً على برائنه . ويمنع الحَيَّةَ أن تحفر بيتها] أن ^(٥) أسنانها أَكَلَتْ من أسنان الفأر [ومن التي تحفر بالأفواه والأيدي ؛ كالنمل والذَّرُّ وما أشبه ذلك] . والحَيَّةُ ^(٦) لا ترى أن تعافى ذلك ، وَحَفَرُ غَيْرِهَا ومعاناته يكفيها .

(١) استرعاه : جعله راعياً . وظلم : أى ظلم الغنم ، أو ظلم الذئب حيث كلفه ما ليس في طبعه . وأصل المثل في الميداني (٢ : ٢٣٠) .

(٢) جعرة ، كمنية : جمع جعر . وفي الأصل : « أجحرتها » ، وليس قياساً ولا مسموعاً . والصواب ما أثبت . والكُدَى : جمع كدية ، بالضم : وهي الأرض الصلبة . وكتبت في الأصل بالألف خطأ ؛ إذ أصلها الياء .

(٣) ط ، هـ : « تخرج » ، صوابه في س .

(٤) ط : « أنها إنما صارت » ، وتصحيحه من س ، هـ .

(٥) ط ، هـ : « لأن » ، صوابه في س .

(٦) ط ، هـ : « فهي » .

(شعر في ظلم الحية)

وفي ضَرْبِ المثل بظلم الحية ، يقول مضر بن لقيط ^(١) :
لَعَمْرُكَ إِنِّي لَوْ أَخَاصِمُ حَيَّةً إِلَى فَقْعَسٍ مَا أَنْصَفْتَنِي فَقْعَسُ ^(٢)
إِذَا قُلْتُ مَاتَ الدَّاءُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ سَعَى حَاطِبٌ مِنْهُمْ لآخرَ يَقْبِسُ ^(٣)
فَمَا لَكُمْ طُلَسًا إِلَى كَأَنَّكُمْ
ذُئَابُ الغُصَى والذُّئَبُ بالليلِ أَطْلَسُ ^(٤)
وجعله أطلس ؛ لأنه حين تشتدُّ ظلمة الليل فهو أخفى له ، ويكون
حينئذٍ أخطر له وأضرى .

وقال حريز بن نشبة العدوي ^(٥) ، لبني جعفر بن كلاب ، وضربَ جَوْرٍ ٥١
الحية والذئب في الحكم مثلاً ، فقال :

(١) سبقت ترجمته في (٣ : ٤٥٩) . وقد نسب البحترى الشعر في حماسه ٣٨٠
إلى عامر بن لقيط الأسدي . وهذه النسبة الأخيرة أيضاً في محاضرات الراغب
(١ : ١٧٤) . وفي البيان (٢ : ١٦٠) : « قال الأسدي » .

(٢) قال الجاحظ في البيان : « يقول : بلغ من ظلم قومنا لنا أننا لو خاصمنا الذئب والحيات
وبها يضربون المثل في الظلم — لقضوا لها علينا » . وفقعس ، هو ابن طريف ،
أبو حي من قبيلة أسد .

(٣) الحاطب : الذي يجمع الحطب . في البيان : « أتى حاطب » .

(٤) طلسا : جمع أطلس ، وهو الذي في لونه غيرة إلى سواد . ط : « طلبي »
صوابه في س ، ه والمراجع المتقدمة . وقد روى البحترى أبياتا بعد هذا
في حماسه .

(٥) هو حريز ، بجاء مهتلة وزاي ، ابن عيدة ، أحد بني زيد بن نشبة بن عدى بن أسامة
ابن مالك بن بكر بن حبيب ، كافي المؤلف ٧٢ . وفي الأوسل : « جرير »
مصنف . ونشبة ، بضم النون بعدها شين معجمة ، هو جده لا أبوه . س :
« نسة » محرفة .

كَانَنِي حِينَ أَحْبُو جَعْفَرًا مِدْحَى أَسْقِيهِمْ طَرَقَ مَاءٌ غَيْرَ مَشْرُوبٍ ^(١)
 وَلَوْ أَخَاصِمُ أَفْعَى نَابَهَا لَثِقُ أَوِ الْأَسَاوِدَ مِنْ صُمِّ الْأَهَاضِيبِ ^(٢)
 لَكُنْتُمْ مَعَهَا إِلْبَاءً ، وَكَانَ لَهَا نَابٌ بِأَسْفَلِ سَاقٍ أَوْ بِعُرْقُوبٍ ^(٣)
 وَلَوْ أَخَاصِمُ ذَنْبًا فِي أَكِيلَتِهِ لَجَاءَنِي جَعُكُكُمْ يَسْعَى مَعَ الذَّيْبِ ^(٤)

(فم الأفعى)

قال : والحية واسعة الشَّحْوِ والفم ، لها خطم ^(٥) ، ولذلك يَنْفُذُ نَابُهَا .
 وكذلك كُلُّ [ذِي ^(٦)] فَمٍ واسع الشَّحْوِ ؛ كفم الأسد . فإذا اجْتَمَعَ لَهُ سَعَةٌ
 الشَّحْوِ وطولُ اللَّحْيَيْنِ ، وكان ذا خَطْمٍ وخرطومٍ فهو أَشَدُّ له كالخزير ،
 والذَّئْبُ والكَلْبُ . ولو كان لرأس الحية عَظْمٌ كان أَشَدَّ لِعَضِّهَا ^(٧) ،
 ولكنَّه جلدٌ قد أَطْبَقَ ^(٨) على عَظْمَيْنِ رَقِيقَيْنِ مُسْتَطِيلَيْنِ بفسكَّها الأعلى
 والأسفل . وَلِذَلِكَ ^(٩) إذا أَهْوَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ أَوْ عَصَا ، رأيتها تَلَوَّى رأسها

(١) ماء طروق ، بالفتح : بالت فيه الإبل وبعرت ، وقد طرقتة . غير مشروب : غير
 صالح لذلك .

(٢) أفعى : سبق الكلام في تنوينها ص ١١٧ . لثق : مبتل بما ينطف من السم .

(٣) هم ألب عليه ، بالفتح والكسر : مجتمعون عليه بالظلم والعداوة . ط ، هـ :
 « إلبا معها » وبذا يختل الوزن . والوجه ما أثبت من س . و « ناب » هي
 بالنون في س . وفي ط ، هـ : « باب » ، وهذه وجه .

(٤) الأكيلة : شاة تنصب ليصاد بها الذئب ونحوه ، كالأكيل ، والأكولة بالضم .

(٥) ط ، هـ . « له خطم » صوابه في س .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) عظم : المراد عظم شديد . هـ ، ط : « خطم » ولا تصح . وانظر

ما سبق قريباً .

(٨) كذا في س ، هـ . وفي ط : « انطبق » .

(٩) كذا على الصواب في س . وفي ط ، هـ : « وكذلك » .

وتحتال في ذلك ، وتمنعه بكل حيلة ؛ لأنها تعلم وتحسُّ بِضَعْفِ ذلك الموضع منها ، وهو مَقْتَلٌ . وما أَكْثَرَ ما يكون في أعناقها تحصيرٌ^(١) ولصدورها أغبابٌ^(٢) ، وذلك في الأفاعي أعمُّ . وذلك الموضعُ المستدقُّ إنما هو شيءٌ كههيئة الخريطة ، وكهيئة فم الجراب ، مُنْضَمُّ الأثناء^(٣) ، مُثْنَى^(٤) الغضون . فإذا شئتَ أن تفتَحَ انفتح لك فمٌ واسع .

ولذلك قال إبراهيم بن هاني : كان فتْحُ فمِ الجرابِ يحتاجُ إلى ثلاثة أيديٍّ^(٥) ، ولولا أنَّ الحالين قد جعلوا أفواههم بدل اليد الثالثة لقد كان ذلك ممتنعاً حتى يستعينوا^(٦) بيدِ إنسان .

وهذا ممَّا يعدُّ في مجون ابن هاني .

وكذلك حُلُوقُ الحَيَّاتِ وأعناقها وصدورها ، قد تراها فترأها في العين دقيقة ، ولا سيما إذا أفرطت في الطول .

(شراة الحية والأسد)

وهي تبتلعُ فراخ الحمام . والحيَّةُ أَنَهَمٌ وأشره من الأسد . والأسدُ يبلعُ البَضْعَةَ العظيمةَ من غير مضغٍ ؛ وذلك لما فيه من فضل الشره . وكذلك الحية . وهما واثقان بسهولة وسعة المخرج .

(١) تحصير : أى دقة في وسطها .

(٢) جمع غيب ، وهو اللحم المتدل تحت الحنك .

(٣) الأثناء : التفصلات . ط : « ضم » ، صوابه في س ، هـ . وفي ط :

« الأثناء » وفي س ، هـ : « الأثناء » صوابهما ما أثبت .

(٤) س ، هـ : « مُثْنَى » .

(٥) س ، هـ : « أيدي » صوابه في ط

(٦) ط : « يستعين » صوابه في س ، هـ .

(تَيْنِ أَنْطَاكِية)

[و] مِمَّا عَظَّمَهَا وَزَادَ فِي فَرْعِ النَّاسِ مِنْهَا ، الَّذِي يَرُويهِ أَهْلُ الشَّامِ ،
وَأَهْلُ الْبَحْرَيْنِ ، وَأَهْلُ أَنْطَاكِية ^(١) ؛ وَذَلِكَ أَنَّنِي رَأَيْتُ الثَّلَاثَ الْأَعْلَى مِنْ
مِنَارَةِ مَسْجِدِ أَنْطَاكِية أَظْهَرَ جِدَّةً مِنَ الثَّلَاثِينَ الْأَسْفَلِينَ ، فَقُلْتُ لَهُمْ : مَا بَالُ
هَذَا الثَّلَاثِ الْأَعْلَى أَجَدُّ وَأَطْرَى ^(٢) ؟ قَالُوا : لِأَنَّ تَيْنَيْنَا ^(٣) تَرَفَّعَ مِنْ بَحْرِنَا
هَذَا ، فَكَانَ ، لَا يَمُرُّ بِشَيْءٍ إِلَّا أَهْلِكَه ، فَمَرَّ عَلَى الْمَدِينَةِ فِي الْهَوَاءِ ، مُحَاذِيًا
لِرَأْسِ هَذِهِ الْمِنَارَةِ ، وَكَانَ أَعْلَى مِمَّا هِيَ عَلَيْهِ ، فَضَرَبَهُ بِذَنْبِهِ ضَرْبَةً ،
حَذَفَتْ ^(٤) مِنْ الْجَمِيعِ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا ^(٥) الْمَقْدَارِ ، فَأَعَادُوهُ بَعْدَ ذَلِكَ ،
وَلِذَلِكَ اخْتَلَفَ فِي الْمَنْظَرِ .

(١) أَنْطَاكِية ، بِالْفَتْحِ ثُمَّ السُّكُونِ ، وَالْيَاءُ مُخَفَّفَةٌ . قَالَ يَاقُوتُ : وَلَيْسَ فِي قَوْلِ زُهَيْرِ :

عَلُونَ بِأَنْطَاكِية فَوْقَ عَقْمَةٍ وَرَادَ الْحَوَاشِي لَوْنَهَا لَوْنٌ عَنَدَمٍ

وَقَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

عَلُونَ بِأَنْطَاكِية فَوْقَ عَقْمَةٍ كَجَرَّةِ نَخْلٍ أَوْ كَجَنَّةٍ يَثْرِبُ

دَلِيلٌ عَلَى تَشْدِيدِ الْيَاءِ ؛ لِأَنَّهَا لِلنِّسْبَةِ . وَكَانَتْ الْعَرَبُ إِذَا أَعْجَبَهَا شَيْءٌ نَسَبَتْهُ إِلَى أَنْطَاكِية .

(٢) أَطْرَى : مِنَ الطَّرَاوَةِ ، وَهِيَ الْغَضَاضَةُ وَالْحِدَاثَةُ . هـ ، س : « أَطْوَى »

صَرَابُهُ فِي س . وَالْكَلَامُ بَعْدَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ إِلَى : « هَذِهِ الْمِنَارَةُ » سَاقِطٌ

مِنْ س .

(٣) التَّيْنِ ، كَسَجِيلٍ : حَيَّةٌ عَظِيمَةٌ . ط : « تَسْمِينَا » صَوَابُهُ فِي هـ .

(٤) ط : « خَرَقَتْ » صَوَابُهُ فِي س ، هـ .

(٥) ط : « هَذِهِ » صَوَابُهُ فِي س ، هـ .

(الخلاف في التّنين)

ولم يزل أهلُ البقاع ^(١) يتدافعون أمرَ التّنين . ومن العجب أنك تكون في مجلسٍ وفيه عشرون رجلاً ، فيجرى ذكرُ التّنين فينكرُهُ بعضهم . وأصحاب التّثبت ^(٢) يدّعون العيان . والموضع قريب ، ومَن يعاينهُ كثير . وهذا اختلافٌ شديد .

(قول الأعراب في الأصلة)

والأعرابُ تقول في الأصلة ^(٣) قولاً عجيباً : تزعمُ أن الحية التي يقال لها الأصلة لا تمرُّ بشيءٍ إلا احترق . مع تهاويل كثيرةٍ ، وأحاديث شنيعةٍ .

(الأجدهاني)

وتزعم الفرّس أن الأجدهاني ^(٤) أعظم من البعير ، وأن لها سبعة رءوس ، وربما لقيت ناساً قُتِلت من كلِّ جهةٍ فمٍ ورأسٍ إنساناً . وهو من أحاديث الباعة والعجائز ^(٥) .

(١) البقاع : موضع يقال له بقاع كلب ، قريب من دمشق ، وهي أرض واسعة بين بعلبك وحص ودمشق . ياقوت .

(٢) ط ، هـ : « التّشيت » ، ووجهه ما في س .

(٣) الأصلة : حية كبيرة الرأس قصيرة الجسم . والغويون يختلفون في تحليتها ، أي نعمها .

(٤) انظر الاستدراكات .

(٥) ط : « أو العجائز » وتصحيحه من س ، هـ .

(الحية ذات الرأسين)

وقد زعم صاحبُ المنطق أنه قد ظهرت حيةٌ لها رأسان . فسألتُ^(١) أعرابياً عن ذلك فزعمَ أنَّ ذلك حقٌّ . فقلتُ له : فمن أيِّ جهة الرأسين تسعى ؟ ومن أيِّهما تأكلُ وتعضُّ ؟ فقال : فأما السَّعى فلا تسعى ، ولكنَّها تسعى إلى حاجتها بالقلب ، كما يتقلب الصبيان على الرَّمْل . وأما الأكل فإنَّها تتعشى بضمِّ وتغدَّى بضمِّ . وأما العضُّ فإنَّها تعضُّ برأسها معاً !! فإذا به أكذبُ البريَّة .

وهذه الأحاديث كلها ، ممَّا يزيد في الرعب منها ، وفي تهويل أمرها^(٢) .

(فرانق الأسد)

ومثُلُ شأنِ التَّنينِ مثُلُ أمرِ فرانقِ الأسد^(٣) ؛ فإنَّ ذكره يجري في المجلس ، فيقول بعضهم : أنا رأيته وسَمِعْتُهُ !

(١) ط ، هـ : « فسئلت » صوابه في س .

(٢) س : « والاستهالة لمنظرها » . والكلام من بعد هذه الكلمة ، إلى

« لمنظرها » الآتية ، ساقط من س .

(٣) الفرانق ، بضم الفاء . وفي الأصل « غرانق » صوابه ما أثبت . ولفظه معرب

من « پَرَوَانَك » الفارسية . القاموس المحيط ، ومعجم استينجاس . وهو ضرب

من الوحش ، يتقدم الأسد ويرشده إلى فريسته .

(فزع الناس من الحية)

وربما زاد في الرعب منها والاستهالة لمنظرها قولُ جميعِ المحدثين : إنَّ من أعظم ما خلق الله الحية والسَّرطانَ والسَّمك .

(طول عمر الحية)

وتقول الأعراب : إنَّ الحية أطولُ عمراً من النَّسر ، وإن الناس لم يجدوا حيةً قطُّ ماتت حتفَ أنفِها ، وإنما تموت بالأمر يعرض لها^(١) .
وذلك لأمر : منها قولهم إنَّ فيها شياطينَ ، وإنَّ فيها مِن مِسخ ، وإنَّ إبليسَ إنما وسوس إلى آدم وإلى حواء من جوفها .

(زعم الفضل بن إسحاق)

وزعم لى الفضلُ بن إسحاق ، أنه كان لأبيه [مُخَّان^(٢)] ، وأنَّ طولَ كُلِّ نَخٍّ تسعة عشرَ ذراعاً^(٣) .

(١) ط : « بالأمر الذى يعرض لها » .

(٢) موضع هذه الكلمة بياض في الأصل . وقد أثبتنا اعتماداً على سياق الكلام . والنخ ، بالضم : بساط طوله أكثر من عرضه ، فارسي معرب . اللسان ، والألفاظ الفارسية . وضبطه صاحب القاموس بالفتح .

(٣) ط : « وأن طول كليهما » ، وأثبت ما في س ، هـ . وفي س : « كليما » بدل « ذراعاً » وهو خطأ . وقد أتى الجاحظ بهذا الخبر شاهداً على المبالغة والتهويل ، فيما يظهر . انظر ص ١٥٥ ، ١٥٦ .

(ضروب الحيات)

ومن الحيات الجرذ والزعر ، وذلك فيها من [الغالب ^(١)] .
ومنها ذوات شعر ، ومنها ذوات قرون . [وأرسطو ينكر ذلك ^(٢)]
ولمّا يتخلق لها في كلّ عام قشرٌ وغلاف ، فأما ^(٣) مقادير أجسامها فقط .

(انسلاخ جلد الإنسان)

وأما الجلود فإنّ الأرمنيّ زعم أنه كان عندهم رجلٌ ينقش من جلده
وينسلخ في كلّ شهرٍ مرّةً . قال : فجمع ذلك فوجد فيه ملء جراب
أو قال : أكثر .

(علة الفزع من الحية)

وأما الذي لا أشك في أنه قد زاد في أقدارها في النفوس ، وعظم
من أخطارها ، وهول من أمرها ، ونبّه على ما فيها من الآيّة العجيبة
والبرهان النسيّر ، والحجّة الظاهرة ، [فإني ^(٤)] في قلب العصا حيّة ،

(١) موضع هذه الكلمة بياض في الأصل . وجاء في حياة الحيوان : « ومن أنواعها الأزعر ، وهو الغالب فيها » .

(٢) هذه الزيادة عن الديري . ومكانها بياض بقدر نصف سطر في س . ولم يبيض لها في ط ، ه .

(٣) بعد هذه الكلمة بياض نحو نصف سطر في س فقط .

(٤) ليست بالأصل ، وبها يتم الكلام .

وفى ابتلاعها ماهوّل به القومُ وسَحَرُوا مِنْ أَعْيُنِ النَّاسِ ، وجاءوا به من الإِفْكَ
قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَافِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ .
حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ [قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ
رَبِّكُمْ ^(١)] فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ . قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَآتِ
بَهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ . فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿ ،
إلى قوله : ﴿ فَالْقُوا حَبَا لَهُمْ وَعَصِيَهُمْ ^(٢) 》 .

فَإِنْ قُلْتَ : إِنَّهُ إِنَّمَا حَوَّلَ الْعَصَا ثُعْبَانًا لِأَنَّهُمْ جَاءُوا بِجِبَالٍ وَعَصَىٌ
فَحَوَّلُوهَا فِي أَعْيُنِ النَّاسِ كُلِّهَا ^(٣) حَيَّاتٌ ، فَلِذَلِكَ قَلَبَ اللَّهُ الْعَصَا حَيَّةً ^(٤)
على هذه المعارضة . ولو كانوا حين سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ جَعَلُوا حَبَاهُمْ
وَعَصِيَهُمْ ذُنَابًا فِي أَعْيُنِ النَّاسِ وَنُمُورًا ، لَجَعَلَ اللَّهُ عَصَا مُوسَىٰ ذَنْبًا أَوْ نَمْرًا ،
فلم يكن ذلك لخاصّةٍ في بَدَنِ الْحَيَّةِ .

قلنا: الدليل على باطل ماقلتم ، قولُ الله تعالى : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ
يَا مُوسَىٰ . قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا
مَآرِبٌ أُخْرَى . قَالَ أَأَلْقِيهَا يَا مُوسَىٰ . فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿
وقال الله عزَّ وجلَّ ^(٥) : ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ^(٦) 》

(١) هذه التكلفة ليست في س : ه . وإسقاطها تحريف شنيع . وبدلها في ط
كلمة : « إلى » . وهذه الآية وسابقتها ولاحقتهما ، هي الآيات ١٠٤ - ١٠٧
من سورة الأعراف .

(٢) هذا سهو من الجاحظ ، فإن هذه الآية من سورة أخرى هي سورة الشعراء ، وهي
الآية الرابعة والأربعون .

(٣) ط ، ه : « كأنها » وأثبت ما في س .

(٤) س ، « قلت إن العصا حية » وهو تحريف ما في ط ، ه .

(٥) هذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من ه .

(٦) هذه هي الآية السابعة من سورة النمل . وتامها : « سأتيكم منها بخبير أو آتيكم
بشهاب قيس لعلكم تعطلون » .

إلى قوله : ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ، يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ^(١) ﴾ ﴿ فَقَلْبُ ^(٢) الْعَصَا جَانًّا ، وليس هناك حبالٌ ولا عَصَى ^(٣) . وقال الله : ﴿ قَالَ لَنْ اتَّخَذْتُ آلِهَةً غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ . قَالَ أُولُو جِثَّتِكَ بَشَى ^(٤) مُبِينٌ . قَالَ فَاتِّبِعْ بِهِ إِنَّ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ . فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ^(٥) ﴾ ﴿ فَقَلْبُ ^(٦) الْعَصَا حَيَّةٌ كَانَ فِي حَالَاتٍ شَتَّى ^(٧) . فكان هذا مما زاد في قدر الحية .

وقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال في دعائه أن لا يميتة الله لديغا . وتأويل ذلك : أنه صلى الله عليه وسلم ما استعاذ بالله من أن يموت لديغا ^(٨) وأن تكون ميمته بأكل هذا العدو ، إلا وهو من أعداء الله ، بل من أشدَّهم عداوة .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم ، « أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَتَلَ نَبِيًّا أَوْ قَتَلَهُ نَبِيٌّ ^(٩) » ، كأنه كان في المعلوم ^(١٠) أن النبي لا يقتل أحداً ،

(١) سها الجاحظ مرة أخرى فجعل عقب الآية هكذا : « يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين » ، فخلط بين هذه الآية وبين الآية ٣١ من سورة القصص : « وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين » . ومن العجب أن يمر على هذا السهو والذي قبله نحو أحد عشر قرناً فلا يتهيأ أحد لإصلاحه ورده إلى نصابه . والحمد لله .

(٢) هـ : « قلب » ولها وجه .

(٣) سقطت هذه الكلمة من س . وسقطت الكلمة الأولى في الآية من ط . وهما مشتقان في هـ . والآيات هي ٢٩ - ٣٢ من سورة الشعراء .

(٤) س : « فقلبت » ، ولا تصح .

(٥) رسمت هذه الكلمة بالألف في ط . وهي بقية من بقايا الرسم الأول .

(٦) ط : « مستعاذ بالله أن يموت لديغا » ، وتصحيحه وإكماله من س ، هـ .

(٧) كذا في ط . وفي س ، هـ : « العلوم » وهي ركيكة .

ولا يَتَّفِقُ ذلك إلا في أشرار^(١) الخلق . ويدلُّ على ذلك الذى اتَّفَقَ من قتل أبي بن خلفٍ بيده^(٢) ، والنَّضر بن الحارث^(٣) ، وعقبة بن أبي مُعيط^(٤) ، ومعاوية بن المغيرة بن أبي العاصي^(٥) - صبراً^(٦) .

(١) أشرار : جمع شرير ، كشرير ، وهو ذو الشر . أو هو جمع شر ، مثل زند وأزناد . اللسان والقاموس . ط ، ه : « شرار » ولم أجدها فيهما في مادة (شرر) ورأيتهما في شعر صخر أخى الخنساء (الخزائن ١ : ٣٩٣ سلفية) :
* والله لا أمتحها شرارها *

(٢) هو أبي بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح ، كان أدرك الرسول في الشعب يوم أحد ، وهو يقول : أى محمد ! لا نجوت إن نجوت ! فقال القوم : يا رسول الله أيعطف عليه رجل منا ؟ فقال : دعوه : فلما دنا منه تناول رسول الله الحربة من الحارث بن الصمة ، وطعنه في عنقه طعنة تدأداً منها عن فرسه مراراً - أى تقلب فجعل يتدحرج . سيرة ابن هشام (يوم أحد) .

(٣) هو النضر بن الحارث بن كلفة ، أحد بنى عبد الدار . أسر يوم بدر كافرأ فضرب الرسول عنقه صبراً . حماسة البحتري ٤٣٤ . أو قتله على وهو قافل مع الرسول من غزوة بدر إلى المدينة . السيرة ٥٠٨ . ورثته أخته قتيلة بأبيات ، هى من أروع آيات البيان العربى ، رواها ابن هشام في السيرة ٥٣٩ وأبو تمام في الحماسة (١ : ٤٠١) والبحتري في حماسه ٤٣٤ والجاحظ في البيان (٤ : ٤٤) . وقيل إن الرسول لما بلغه الشعر قال : « لو بلغنى هذا قبل قتله لمنت عليه ! » . فيقال إن قتيلة بنته ، كما في حماسة البحتري والإصابة ٨٨٤ من قسم للنساء .

(٤) عقبة بن أبي معيط - هيئة التصغير - كان من أسر يوم بدر من المشركين ، قتل في أثناء قفول الرسول من غزوة بدر ، قتله عاصم بن أبي الأفلح الأنصارى . وكان عقبة قد احتج قبل قتله فقال : « أقتل من بين قريش صبراً ؟ » فقال عمر ابن الخطاب : « حن قلدح ليس منها ! » يعرض بنسبه . الروض الأنف (٢ : ٧٧) .

(٥) هو معاوية بن المغيرة بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس ، وهو جد عبد الملك ابن مروان ، أبو أمه : عائشة بنت معاوية ، كان أسره الرسول بعد غزوة حراء الأسد ، عند رجوعه إلى المدينة ، فلجأ إلى عثمان بن عفان ، فاستأمن له الرسول فأمنه على أنه إن وجد بعد ثلاث قتل ، فأقام بعد ثلاث وتوارى ، فبعت الرسول زيد بن حارثة وعمار بن ياسر إليه ، وقال : إنكما ستجدانه بموضع كذا وكذا . فوجدها فقتله . السيرة ٥٩١ . ط : « معاوية بن أبي المغيرة » ، صوابه في س ، ه كما في السيرة .

(٦) قتله صبراً : حبسه ورماه حتى مات . صبره : نصبه وحبسه ليقتل . وما ينبغى =

وحدث^(١) عن عبد الله بن أبي هند ، قال : حدثني صفي بن أبي أيوب ، أنه سمع أبا بشير الأنصاري^(٢) يقول : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من هؤلاء السبع : كان يقول : اللهم إني أعوذ بك من الهدم^(٣) وأعوذ بك من التردى^(٤) ، وأعوذ بك من الغم والغرق^(٥) ، وأعوذ بك من الحرق والهرم^(٦) ، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت^(٧) وأعوذ بك من أن أموت في سبيلك مُدبراً ، وأعوذ بك من أن أموتَ لديغاً » .

وطلحة بن عمرو قال : حدثني عطاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « اللهم إني أعوذ بك من الأسد [و^(٨)] الأسود ، وأعوذ بك من الهدم » .

= ذكره هنا ، أن الجاحظ قد صرح في كتاب الثمانية ص ٤٦ بأن الرسول « لم يقتل بيده إلا رجلاً واحداً » . فهؤلاء الثلاثة قد أمر الرسول بقتلهم ، ولم يقتلهم بيده .

- (١) في الأصل : « حدث » . والوجه ما أثبت .
 (٢) أبو بشير الأنصاري ، ذكره ابن حجر في الإصابة ١٣٠ (قسم الكنى) . وقيل اسمه قيس بن عبيد بن الحرير بمهملتين مصغراً ، أورده ابن سعد فيمن شهد الخندق . وقيل مات سنة أربعين .
 (٣) في رواية أخرى : « اللهم إني أعوذ بك من الأهدمين » قيل في تفسيره : هو أن يهدم على الرجل بناء ، أو يقع في بئر ، حكاه الهروي في الغريبين . اللسان (هدم) .

- (٤) تردى : سقط في بئر أو نهر أو هوة .
 (٥) كذا في هـ واللسان (غرق) ، والجامع الصغير ١٥٤١ رواية عن النساء والحاكم . وقط ، س : « الفرق » بمعنى الخوف .
 (٦) الحرق ، بالتحريك : النار أو لهبها . والهرم ، بالتحريك : أقصى الكبر . ط ، س : « الهدم » صوابه في هـ .

- (٧) تخبطه الشيطان : صرعه ولعب به .
 (٨) هذه الزيادة الضرورية من الدميري (رسم الأسود السالخ) . وفيه : روى أبو داود =

(استطراد لغوى)

قال : ويقال للحية : صَفَرَتْ تَصْفِرُ صَفِيرًا ، والرجل يَصْفِرُ بالظير للتنفير ، وبالدوابَّ وبيعض الطير للتعليم . وتتخذ الصَّفَّارَةُ [يَصْفِرُ بِهَا ^(١)] للحمام وللظير فى المزارع . قال أعشى همدان يهجو رجلاً :
وَإِذَا جَثَا لِلزَّرْعِ يَوْمَ حَصَادِهِ قَطَعَ النَّهَارَ نَأْوَهَا وَصَفِيرًا
(لسان الحية)

والحية مشقوقة اللسان سوداؤه . وزعم بعضهم أن لبعض الحيات لسانين وهذا عندى غلط ، وأظنُّ أنه لما رأى اقتراق طرف اللسان ^(٢) قضى بأن له لسانين .

(عجبية الضب)

ويقال : إن ^(٣) للضبِّ أَيْرَيْنَ ، ويسمى أير الضبِّ نَزْكَاً ^(٤) .
قال الشاعر ^(٥) :

= والنسائي والحاكم وصححه ، عن عبد الله بن عمر قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سافر فأقبل الليل قال : يا أرض ، ربى وربك الله ، أعوذ بالله من شرك ، وشر ما فىك ، وشر ما خلق فىك ، وشر ما يدب عليك ! أعوذ بالله من أسد وأسود ، ومن الحية والعقرب ، ومن ساكن البلد ، ومن والد وما ولد ! » .
الأسود : نوع من الأفاعى شديد السواد ، يقال له أسود سالىخ ؛ لأنه يسلىخ جلده كل عام .

(١) الزيادة من ه فقط .

(٢) ط : « طرفى اللسان » . وأثبت ما فى س ، ه .

(٣) ط : « بأن » .

(٤) النزك ، بكسر النون وتفتح . ط : « ترك » ه : « ترك » س : « نرك »

صوابه ما أثبت وانظر الجزء السادس ص ٧٤ حيث صرح الجاحظ بضبطه .

(٥) هو أبو الحجاج . وقال ابن برى : « هو لحران ذى النصة » وكان قد أهدى =

كَضَبَ لَهُ نَزْكَانٍ كَانَا فَضِيلَةً عَلَى كُلِّ حَافٍ فِي الْأَنَامِ وَنَاعِلٌ^(١)
 قَالَ أَبُو خَلْفٍ النَّمِرِيُّ : سَأَلَ أَبُو حَيَّةَ النَّمِرِيُّ عَنْ أَيْرِ الضَّبِّ ،
 فزعم أن أَيْرَ الضَّبِّ كلسان الحَيَّةِ : الأَصْلُ واحدٌ ، والفرع اثنان .

(زعم بعض المفسرين في عقاب الحية)

وبعض أصحاب التفسير يزعم أن الله عاقب الحَيَّةَ حين أدخلت إبليس
 في جوفها ، حتى كَلَّمَ آدَمَ وَحَوَّاءَ وخدعهما على لسانها ، بعشر خصال :
 منها شقُّ اللسان^(٢) . قالوا : فلذلك ترى الحَيَّةَ إِذَا ضُرِبَتْ للقتل كيف
 تخرج لسانها لِتَرَى الضَّارِبَ عقوبةَ الله ، كأنها تَسْتَرْحِمُ . وصاحب هذا
 التفسير لم يقل ذلك إِلَّا لِحَيَّةٍ كانت عنده تَتَكَلَّمُ ، ولولا ذلك لأنكر
 آدَمُ كلامها ، وإن كان إبليس لا يَحْتَالُ إِلَّا مِنْ جِهَةِ الحَيَّةِ ، ولا يَحْتَالُ
 بشيءٍ غير مموّه ولا مشبه .

= ضبابا لخالد بن عبد الله القسري . انظر اللسان (مادة نَزَكَ) حيث تجد أبيات
 الشاهد . وقال ابن السيد في الاقتضاب ٣٥٥ : « كان خالد ولده بعض البواصي
 فلما جاء المهرجان أهدى كل عامل إليه ما جرت عادة العمال بإهدائه ، وأهدى إليه
 حران قفصاً مملوئاً ضباباً وكتب إليه . وأنشد الأبيات التي رواها الجاحظ أيضاً
 في الجزء السادس .

(١) الرواية : « سبَحَلْ لَهُ نَزْكَانٍ » انظر الحيوان (٦ : ٧٣) واللسان (نَزَكَ ،
 سَبَحَلْ) والمختصص (٨ : ٩٧) وعيون الأخبار (٢ : ٩٨) وأدب الكتاب
 ١٥٤ ومعجم الأدباء (٩ : ١٦١) ومحاضرات الراغب (٢ : ٣٠٣) .
 وفي ط « طَرِكَانٍ » و هـ : « تَرِكَانٍ » صوابه في سـ والمراجع . والناعل :
 من يلبس نعلًا . سـ : « وفاعل » بحرف .

(٢) انظر ماسبق في ص ٢٠٠ .

(استطراد لغوى)

قال : ويقال أرضٌ مَحْوَةٌ وَمَحْيَاةٌ مِنَ الْحَيَاتِ^(١) كما يقال أرضٌ مَضْبَةٌ وَضَبْبَةٌ مِنَ الضَّبَابِ^(٢) ، وفثرة من الفأر^(٣) .

(قولهم : هذا أجل من الحرش !)

وقال الأصمعيُّ في تفسير قولهم في المثل : « هذا أَجَلٌ مِنَ الْحَرَشِ^(٤) » :
 إِنَّ الضَّبَّ قَالَ لابنه : إذا سمعتَ صَوْتَ الْحَرَشِ فلا تَخْرُجَنَّ ! قال : وذلك
 أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْحَرَشَ تحريك^(٥) اليد عندَ جُحْرِ الضَّبِّ ؛ ليخرج إذا
 ظَنَّ أَنَّهُ حَيَّةٌ - قال : وسمع ابنه صوت الحفر فقال : يَا أَبَهْ هذا الحرش ؟ قال :
 يَا بَنِيَّ ، هذا أَجَلٌ مِنَ الْحَرَشِ ! فأرسلها مثلاً .

أسماء ما يأكل الحيات

بين الحيات وبين الخنازير عداوة ، والخنازير تأكلها أكلا ذريعاً . ٥٥

(١) وذلك إذا كانت كثيرة الحيات .

(٢) أرض مضبة ، بفتح الميم والضاد وتشديد الباء . وفي ط ، س : « مضبية »
 و ه : « مضبته » صوابهما ما أثبت . وضبية ، كفرحة ، وهو من شواذ
 المصنف . ط ، ه : « ضبية » صوابه في س . والضباب ، بالسكسر :
 جمع ضب .

(٣) في الأصل : « فائرة » تحريف . وانظر (٦ : ١٣٤) ، واللسان (فأر) .

(٤) انظر هذا المثل وما قيل فيه ، عند المرتضى في أماليه (١ : ١٧٠) والميداني

(١ : ١٧٠) والبيهقي في الخزانة (٤ : ٥٩٤ - ٥٩٥ بولاق) .

(٥) ه : « تحريد » بالذال . والتحرید : التمويج .

وسموم ذوات الأنياب من الحيات ، وذوات الإبر^(١) ، سريعة في الخنازير ،
وهي تهلك عند ذلك هلاكاً وشيكاً ؛ فلذلك لا ترضى بقتلها حتى تأكلها .
وتأكل الحيات العقبان ، والأياثل ، والأراوى^(٢) ، والأوعال ، والسنانير
والشاهمر^(٣) . والقنفذ . إلا أن القنفذ أكثر ما يقصد إلى الأفاعى ،
وإنما يظهر بالليل : قال الراجز :

* قنفذ ليل دائم التجأب^(٤) *
وهذا الراجز هو أبو محمد الفقعسى .

(التشبيه بالقنفذ)

وكذلك يشبه النمام ، والمداخل ، والدسيس^(٥) ، بالقنفذ ؛ لخروجه
بالليل دون النهار ، ولاحتياله للأفاعى . قال عبدة بن الطبيب :
أعضوا الذى يلقي القنائف بينكم متنصحا وهو السام الأنقع^(٦)
يزجى عقاربهُ ليعث بينكم حرباً كما بعث العروق الأخدع^(٧)

(١) أى وسموم ذوات الإبر . وفى الأصل : « ومن ذوات الإبر » .

(٢) الأراوى : جمع أروية ، وهى أنثى الوعل .

(٣) سبق الكلام عليه فى (٣ : ٣٣٦) .

(٤) التجأب : تفعال من جاب . يجوب ، وأصله « التجواب » . ولم أجد من نبه عليه

إلا ما يفهم من عبارة صاحب اللسان : « وفلان جواب جأب : أى يجوب البلاد

ويكسب المال » . ط : « التجأب » ه : « التجارب » صوابه فى س .

(٥) الدسيس : يسينين بينهما ياء : من قدسه ليأتيك بالأخبار . ط : « الدسيس »

صوابه فى س ، ه .

(٦) س ، ه : « أعضى » .

(٧) يزجى : يسوق ويدفع . ط : « يرخى » س ، ه : « ترخى » صوابهما =

حَرَّانَ لَا يَشْفِي غَلِيلَ فَوَادِهِ عَسَلٌ بِمَاءٍ فِي الْإِنَاءِ مُشَعَّشٌ^(١)
لَا تَأْمَنُوا قَوْمًا يَشْبُ صَبِيهِمْ بَيْنَ الْقَوَائِلِ بِالْعَدَاوَةِ يُنْشَعُ^(٢)

وهذا البيت الآخر يضم إلى [قول^(٣)] مجنون بن عامر :

أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى فَصَادَفَ قَلْبًا خَالِيًا فَتَمَكَّنَا
ويضم إليه قول ابن أود^(٤) : « الطينة تَقْبَلُ^(٥) » الطبايع ما كانت
لَيِّنَةً .

ثم قال عبدة بن الطيب ، في صلة الأبيات التي ذكر فيها القنفذ
والنميمة :

إِنَّ الَّذِينَ تَرَوْهُمْ خُلَانَكُمْ يَشْفِي صَدَاعَ رُغُوسِهِمْ أَنْ تُصْرَعُوا
قَوْمٌ إِذَا دَمَسَ الظَّلَامُ عَلَيْهِمْ جَذَعُوا قَنَافِدَ بَالْنَمِيمَةِ تَمَزَعُ^(٦)

= ما أثبت ، والرواية في حاشية البحري ٢٤٠ : « يهلئ » . والأخذع : واحد
الأخذعين ، وهما عرقا الرقبة . س ، ه : « الفروق » صوابه في
ط والحاشية .

(١) شمع العسل بالماء : مزجه به وخلطه .

(٢) القوائيل : جمع قابلة ، وهي التي تتلقى الولد عند ظهوره . س ، ه :
« القرامل » وهي الإبل ذوات السنامين . وليس يتجه بها المعنى . ينشع بالعداوة :
كأنه يوجر بها ، أي توضع في فمه ليشربها .

(٣) الزيادة من س ، ه .

(٤) كذا في ط ، ه . وفي س : « ابن أمر » .

(٥) في الأصل : « تقتل » ، ووجهه ما أثبت . وفي س زيادة واو ، قبل :
« الطينة » .

(٦) دمس : اختلطت ظلمته . الحاشية : « فهم إذا دمس » . وجذعوا : هو من =

وهذا الشعر من غُرر الأشعار . وهو مما يحفظ .

وقال الأودى^(١) :

كقنفذ القنِّ لا تخفى مدَّأرجهُ خبُّ إذا نامَ عنه الناس لم ينم^(٢)

(عهد آل سجستان على العرب)

وفى عهد آل سجستان على العرب حين افتتحوها^(٣) : لا تقتلوا قنفذاً

= جذع بين البعيرين : قرنهما في قرن ، أى جبل . ورواية الحماسة ، واللسان « مادة مزع » وديوان المعاني (٢ : ١٤٤) والأزمنة والأمكنة (١ : ٣٤٠ ، ٢ : ٣٠) : « حذجوا » . وهو من حذج البعير والناقة : شد عليهما الحذج ، بالكسر ، وهو نحو الهودج والحففة . والمعنى أعدوا تلك القنفاذ . وتمزع ، من المزع ، وهو شدة السير . وفى اللسان : « ابن الأعرابي : القنفذ يقال لها : المزاع » بتشديد الزاى . س ، هـ : « تمرع » بالراء صوابه فى ط ، والحماسة ، واللسان (مادة مزع) .

(١) اسمه صلاة بن عمرو . والأودى : نسبة إلى أود بن الصعب بن سعد العشيرة . كان من كبار الشعراء القدماء فى الجاهلية ، وله شعر حكى سائر . انظر الشعراء والأغاني (١١ : ٤١ — ٤٢) . والبيت فى ديوان المعاني (٢ : ١٤٤) منسوب إلى أيمن بن خريم .

(٢) القن ، بالضم : موضع ، وفى ديوان المعاني : « الرمل » . والخب ، بالفتح ويكسر : الخداع . « عنه » هى فى الأصل : « عند » محرفة . وفى ديوان المعاني : « ليل » .

(٣) كان ذلك سنة إحدى وثمانين ، حين أرسل الحجاج ، عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فى جيش كثيف حسن العدة ، وكان يسمى « جيش الطلواويس » ، إلى سجستان لغزو رتبيل ، ملك زابلستان ، ففتح كثيراً من بلادهم .

ولا وَرَلًا وَلَا تَصِيدُوا^(١) ؛ لأنها بلادُ أفاعٍ^(٢) . وأكثرُ ما يجتلبُ أصحابُ
صنعة الترياق والحواءون الأفاعى من سِجِسْتان . وذلك كَسَبٌ لهم وحِرْفَةٌ
ومتَجَرٌ . ولولا كثرةُ قنَافِذِها لما كان لهم بها قرارٌ .

(أكل القنفذ للحية)

والقنفذ لا يبالي أى موضع قبضَ من الأفعى . وذلك أنه إن قبض
على رأسها أو على قفاها فهي مأكولةٌ على أسهل الوجوه ، وإن قبضَ على
وسطها أو على ذنبها ، جذبَ ما قبض عليه ، فاستدار وتجمَّع ، ومنحه سائرَ
بدنه ، ففتى فَتَحَتْ فاهَا لتقبضَ على شئٍ منه ، لم تصلُ إلى جلده مع شوكةِ النَّابِتِ ٥٦
فيه . والأفعى تهربُ منه ، وطلبُها لها وجراءته عليها ، على حسبِ هربِها منه
وضَعْفِها عنه .

(أمثال في الحية والورل والضَّب)

وأما قولهم : « أَضِلُّ مِنْ حَيَّةٍ » ، و « أَضِلُّ مِنْ وَرَلٍ » ، و « أَضِلُّ
مِنْ ضَبٍّ » - فأما الحيةُ فإنَّها لا تتخذُ لنفسها بيتاً ، والدَّكْرُ لا يقيمُ في الموضع ،
وإنما يقيمُ على بيضها بقدر ما تخرجُ فراخُها وتقوى على الكسْبِ والتماسِ
الطعمِ ، ثمَّ تصيرُ الأنثى سَيَّارَةً ، فتى وَجَدَتْ جُحْرًا دخلتْ واثقةً بأنَّ

(١) أى ولا تصيدوا شيئاً منها . ط : « ولا وِرَلًا تصيدونه » س : « ولا وِرَلًا »
تصيدوه . وصوابه ما أثبت من ه . وعند ياقوت : « ألا يقتل في بلدهم
قنفذ ولا يسطاد » .

(٢) فى الأصل : « أفاعى » ووجهه ما أثبت . قال ياقوت فى سجستان : « فَا مِنْ
بَيْتٍ إِلَّا وَفِيهِ قَنْفَذٌ » .

السَّائِكِينَ فِيهِ بَيْنَ أَمْرَيْنِ : إِمَّا أَقَامَ فِصَارَ طُعْمًا لَهَا ، وَإِمَّا هَرَبَ فِصَارَ الْبَيْتِ لَهَا مَا أَقَامَتْ فِيهِ سَاعَةً ، كَانَ ذَلِكَ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ .

(بيض الحيات)

وقد رأيتُ بِيضَ الْحَيَّاتِ^(١) وكسرتها لِأَتَعَرَّفَ مَا فِيهَا ، فَإِذَا هُوَ بِيضٌ مُسْتَطِيلٌ أَكْثَرُ اللَّوْنِ أَخْضَرَ ، وَفِي بَعْضِهِ نَحْمَشٌ وَلَمَعٌ^(٢) . فَأَمَّا^(٣) دَاخِلُهُ فَلَمْ أَرَقَبِيحًا قَطُّ ، وَلَا صَدِيدًا خَرَجَ مِنْ جُرْحٍ فَاسِدٍ ، إِلَّا وَالَّذِي فِي بِيضِهَا أَسْمَجُ مِنْهُ وَأَقْدَرُ . وَيَزْعُمُونَ أَنَّهَا كَثِيرَةُ الْبِيضِ جِدًّا ، وَأَنَّ السَّلَامَةَ فِي بِيضِهَا [عَلَى^(٤)] دُونَ ذَلِكَ ، وَأَنَّ بِيضِهَا يَكُونُ مُنْضَدًّا فِي جَوْفِهَا طَوْلًا عَلَى غِرَارٍ^(٥) وَاحِدٍ ، وَعَلَى خَيْطٍ وَاحِدٍ .

(جسم الحية)

وهي طويلة البطن والأرحام . وعددُ أضلاعِها عددُ أيامِ الشهر . وكان ذلك بعضَ ما زَادَ فِي شِدَّةِ بَدْنِهَا^(٦) .

(١) ط : « الحياة » صوابه في س ، هـ .

(٢) التمش ، بالتحريك : نقط بيض وسود . وفي الأصل : « هش » وليس بشيء . وأثبت الصواب موافقا ما في الديري (١ : ٤١٠) . واللمع : جمع لمة ، بالضم ، وهي كل لون خالف لونا .

(٣) ط ، هـ : « فإذا » صوابه في س .

(٤) الزيادة من س ، هـ .

(٥) على غرار : أى على قالب . ط ، هـ : « غرار » س : « غراد » صوابهما ما أثبت .

(٦) بعد هذا في كل من ط ، هـ عبارة دخيلة على الكتاب ، أثبتنا هنا إثباتا تاريخيا : « كنت بمجت بطن عقرب إذ كنت بمصر فوجدت فيه أكثر من سبعين عقارب صغار كل واحدة نحو أرزة . حرره أبو بكر السروكي » . وقد سلمت من من إثبات هذا التشويه الدخيل .

(أكثر الحيوان نسلا)

والخلق الكثير الذرء^(١) الدجاج . والضبُّ أكثرُ بيضاً من الدجاجة .
والخنزيرة تضعُ عشرين خنوصاً .

ويخرج من أجواف العقارب عقاربٌ صغارٌ ، كثيرة العدد جداً .
وعامة العقارب إذا حبلت كان حنْفُها في ولادها^(٢) ؛ لأنَّ أولادها إذا
استوى خلقُها أكلت بطونَ الأمّهاتِ حتّى تنقبها^(٣) . وتسكون الولادةُ
من ذلك الثقب ، فتخرجُ والأمّهاتُ ميتة .

وأكثرُ من ذلك كله ذرءُ السمك ؛ لأنَّ الإنسان لو زعم أنَّ بيضة^(٤)
واحدة من بعض الأسبور^(٥) عشرة آلاف بيضة ، لكان ذلك لعظم
ما تحيلُ ، ولدقة حبه^(٦) وصغره . ولكن يعترها أمران : أحدهما الفساد ،
والآخر أنَّ الذكورة في أوانٍ ولادة الإناث تنبعُ أذنابها ، فكلما زحرت
بشيء التقمته والتهمت .

ثمَّ السمك بعد ذلك في الجملة إنما طبعها أن يأكل بعضها بعضاً .

(١) الذرء : النسل . ط ، س : « الذر » صوابه ما أثبت من ه .

(٢) الولاد ، بالكسر : الولادة . ط ، ه : « أولادها » صوابه في س .
وفي نهاية الأرب (١٠ : ١٤٧) نقلا عن الجاحظ : « ولادتها » .

(٣) كذا على الصواب في س . وفي ط : « تنقفها » و ه : « يشقفها »
محرفان . وفي نهاية الأرب : « تنقبها » .

(٤) البيضة هنا : اسم للمرة من باض يبيض .

(٥) الأسبور ، سبق الكلام عليه في (٣ : ٢٥٩) ، وفي الأصل : « الأسبور »
مصحف .

(٦) أى حب البيض . ط ، ه « جثته » تحريف ما أثبت من س .

(علة كثرة الأولاد)

ويزعمون أن الكثرة في الأولاد إنما تكون من العفن واللخن ،
وعلى قدر كثرة المائتة وقلتها . فذهبوا إلى أن أرحام الروميات
والنصرانيات أكثر لخنًا ورطوبة ؛ لأن غسل الفروج بالماء البارد
مراراً في اليوم ، مما يطيب الأرحام ، وينفي اللخن والعفن . ويزعمون أن
المرأة إذا كان فرجها نظيفاً ، وكانت معطرة قوية المنة قل حملها ، فإن
أفرطت في السمن عادت عاقراً . وسمن الرجال لا يكاد يعثرهم ذلك .
وكذلك العاقر من إناث الإبل والبقر والغنم والنحل . إذا قويت النحلة
وكانت شابة ، وسمن بجمارها ، صارت عاقراً لا تحمل ، فيحتالون عند ذلك
بإدخال الوهن عليها .

(اعتراض على التعليل السابق)

وقد طعن في ذلك ناسٌ فقالوا : إن في الضب على خلاف ما ذكرتم .
قد تبيض الأنثى سبعين بيضة فيها سبعون حسلاً^(١) . ولولا أن الضب
يأكل ولده لانتفشت الصحارى ضباباً . والضب لا يحفر إلا في كدية^(٢)
وفي بلاد العراق^(٣) . وإذا هرمت تبلغت بالنسيم . وهذا كله مما يستدل

(١) الحسل ، بالكسر : ولد الضب .

(٢) الكدية ، بالضم : الأرض الصلبة الغليظة .

(٣) العراق : حشيش طيب الرائحة . ط ، هـ : « العرار » محرفة ، صوابه بالدال =

به على بُعْدِ طبعها من اللَّخْن والعفن^(١) .

قيل لهم : قد يمكنُ أن يكون ذلك كذلك^(٢) في جميع صفاتها إلا في أرحامها فقط .

(سفاذ الحيات)

وليس للحيات سفاذٌ معروف ينتهي إليه علمٌ ، ويقف عليه عيان ، وليس عند الناس في ذلك إلا الذي يروون من ملاقات الحية [للحية^(٣)] والتواء كلٍّ منهما على صاحبه ، حتى كأنهما زوجٌ خيزرانٍ مقتولٌ ، أو خلخالٌ مقتولٌ . فأما أن يقفوا على عضوٍ يدخل أو فرج يدخل فيه فلا .

(ذكر الأيم والجرادة الذكر في الشعر)

والعرب تذكرُ الحيات بأسمائها وأجناسها . فإذا قالوا : أيمٌ ، فإنما يريدون الذكرَ دونَ الأنثى . ويذكرونه عندَ جودة الانسياب ،

= كما أثبت من س . وانظر « اللسان » (هرد) . ومن تكاذيب الأعراب قولهم على لسان الضب :

أصبح قلبي صردا لا يشهى أن يردا
إلا عرادا عردا أو صليانا بردا
* أو عنكنا ملتبدا *

(١) أى أن سكنى الضباب في الكدى وهى بعيدة عن الرطوبات ، وفي تلك البلاد التى تنبت الحشيش الطيب الرائحة — من شأنه أن يبعد طباعها من اللخن والعفن . وفي الأصل : « على بعض طبعها » الخ . وقد ظهر لك صوابه مما بينت .

(٢) كذا في ط . وفي س : « قد يكون أن كون ذلك » فقط . وفي هـ : « قد يكون أن يكون ذلك كذلك » .

(٣) هذه الزيادة الضرورية من س ، هـ .

وَحِفَّةِ الْبَدَنِ ، كما تذكر الشعراءُ في صفة الخيل الجرادة الذَّكَرَ^(١)
دُونَ الْأُنْثَى . فهم وإن ألحقوا الهاء فإنما يريدون الذَّكَرَ . قال بِشْرُ
ابن أبي خازم :

جَرَادَةٌ هَبَّوَةٍ فِيهَا أَصْفَرَارُ^(٢)

لأن الأنثى لا تكون صفراء ، وإنما الموصوفُ بالصُّفْرَةِ الذَّكَرُ^(٣) ؛ لأنَّ
الأنثى تكون بين حالتين^(٤) : إمَّا أَنْ تكون حُبْلَى بِيضِهَا^(٥) فهي مُثْقَلَةٌ
وإمَّا أَنْ تكون [قد^(٦)] سرأت وقذفت بيضها^(٧) ، فهي أضعفُ
ما تكون .

قال الشاعر :

أَتَذْهَبُ سَلَمَى فِي اللَّمَامِ وَلَا تُرَى وفي اللَّيْلِ أَيْمٌ حَيْثُ شَاءَ يَسِيبُ^(٨)

(١) ط : « والجرادة الذكر » . وإثبات الواو يفسد المعنى . وإنما يعنون الذكر
دون الأنثى ؛ لأن الجرادة الذكر أسرع من الأنثى ، وأخف ، كما في الموازنة
للأملى ٧٥ .

(٢) الهبوة : الغبرة . وصدر هذا البيت كما في المفضليات ٣٤٣ والأساس (هرش) :
* مهارشة العنان كأن فيها *

وانظر الاستدراكات .

(٣) أى كون الشاعر ذكر الصفرة ، قرينة لأنه عنى الذكر . ومثل الشعر المتقدم قول علقمة
ابن هبيرة الأسدي (الموازنة ٧٥ والمخصص ١٦ : ١١٥) ، أو قد بن مالك .
(معجم المرزباني ٣٣٩) :

كأن جرادة صفراء طارت بألباب الغواضر أجمعينا

(٤) هذا تعليل من الجاحظ لاختيار الشعراء في كلامهم الجرادة الذكر ، دون الأنثى .

(٥) ط : « إن جلى بيضها » س ، ه : « إن حبلى ببيضها » ، وأصلحت الكلام
وأكثته بما ترى .

(٦) الزيادة من ه .

(٧) سرأت الجرادة والسمة ، من باب منع : باضت .

(٨) اللام ، بالكسر : اللقاء اليسير .

(آثار الحيات والعطاء في الرمال)

وإذا انسابت في الكُثبانِ والرملِ ، يبينُ مواضعُ مَزاحِفِها ،
وعُرفت آثارُها .

وقال آخر^(١) :

كَأَنَّ مَزاحِفَ الحَيَّاتِ فيها قُبيلَ الصُّبْحِ آثارُ السَّيِّاطِ^(٢)
وكذلك يعرفون آثار العطاء . وأنشد ابن الأعرابي :

بها ضربُ أذنانِ العطاء كأنها مَلاعِبُ وَلَدانٍ تَخَطَّ وتمصع^(٣)
وقال الآخر ، وهو يصف حَيَّات :

كَأَنَّ مَزاحِفَها أُنسَعَجُ جُرْرَنَ فُرَادَى وَمِشائِها^(٤)
وقال ثُمَامَةُ الكلبي^٥ :

كَأَنَّ مَزاحِفَ الهَزَلَى^(٥) صباحاً خَدُودُ رَصائِعِ جُدِلَتْ تَوَاماً^(٦)

(١) هو المتنخل الهذلي ، ديوان الهذليين ٢ : ٢٥ وجمهرة أشعار العرب ص ١٢٠ . وقبله :

كَأَنَّ وَغَى الخُمُوشِ أُمِيمٍ فيها وَغَى رَكِبِ أُمِيمٍ أُولَى زِيَاطِ

(٢) رواية المخصص (١٦ : ١٠١) والمؤتلف ١٧٩ : « كَانَ مَزاحِفَ الحَيَّاتِ فيها » ، ونهاية الأرب (١٠ : ١٤٦) : « وَهنا » مكان : « فيها » .

(٣) تمصع : تسمع .

(٤) ط : « مزاحفها » . هـ : « مزاحفها » صوابه في س . والأنسج : جمع نسج بالكسر ، وهو سير يضفر ويجعل زماما للبعير وغيره . وانظر رواية البيت في نهاية الأرب (١٠ : ١٤٦) ، ومثله في أمالي القالي (٢ : ٢٣٧) .

(٥) الهزلى ، بالزاي : الحيات . ولا يعرف لها واحد . جاءت في الأصل بالذال في هذا السطر والسطرين بعده ، وهو تحريف .

(٦) الحدود هنا بمعنى : آثار الجرو والسحب . والرصائع ، بالصاد المهملة : جمع رصيعة =

والهزلى من الحيات . قال جرير أو غيره :

وَمِنْ ذَاتِ أَصْفَاءٍ سُهِوبٌ كَأَنَّهَا مَزَاحِفُ هَزَلَى بَيْنَهَا مَتَبَاعِدُ^(١)

وقال بعضُ المحدثين ، وذكر حال البرامكة كيف كانت ، وإلى

أى شئٍ صارت :

وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى الثَّرَى بِعِرَاصِهِمْ

قُلْتَ : الشَّجَاعُ ثَوَى بِهَا وَالْأَرْقَمُ^(٢)

وقال البعيث :

لَقَيْ حَمَلَتَهُ أُمُّهُ وَهِيَ ضَيْفَةٌ فَجَاءَتْ بَيِّنٌ لِلضِّيَافَةِ أَرْشَمًا^(٣)

مُدَامِنْ جُوعَاتٍ كَانَ عَرُوقُهُ مَسَارِبُ حَيَاتٍ تَسْرِبُنَ سَمَسِمًا^(٤)

= وهى سير مضفور فى أسفل حمالة السيف . ط ، ه : « وضائع » س .
« ضائع » كذا . وهما تحريف ما أثبت . جدلت : أحكم فتلها . ط :
« خذلت » ه : « خزلت » س : « خذلت » والوجه ما كتبت . تؤاما :
جمع تؤام . والمراد : أزواجاً . وانظر (٦ : ٢٥٩) .

(١) ذات أصفاء : أى أرض ذات صخور ملساء . والأصفاء : جمع صفا . والصفاء :
جمع صفاء . ط ، ه : « إصفاء » صوابه فى س . وفى اللسان (صوى) : « أصواء »
مع تفصيل فى الشرح . والسهبوب : المستوية الواسعة . والين : البعد ، إن جعل « بينها »
مبتدأ مرفوعاً . ويصح أن تكون ظرفاً منصوباً ، أى مزاحف متباعد بينها . ط ، ه :
« بينها » صوابه فى س .

(٢) الشجاع : الحية الذكر . والأرقم : حية فيها بياض وسواد ، وهى أخبث الحيات
وأطولها للناس . ط : « الشجاع بها ثوى » .

(٣) القى ، بالفتح : الذى لا يدرى لمن هو ، وابن من هو . ط ، ه : « قى »
س : « لقد » ، وصواب الرواية ما أثبت من الجزء الأول ص ٢٥٨ والاقتضاب ٣٤٦
واللسان (ضيف ، رشم ، يتن ، لق) . ضيفة : أراد أن أمه حملت به وقد
دعيت إلى ضيافة ، فجاء حريضاً على الدعوات محباً للضيافات . وكنى عن زنى
أمه . واليتين : الذى يخرج رجلاه عند الولادة قبل رأسه ، وكان يتشاهمون
به ، لخروجه مقلوباً . والأرشم : الذى يتشمم الطعام ويحرص عليه . ط :
« أرتما » ، س ، ه : « أرسما » محرفان عما أثبت من المراجع المتقدمة
وأدب السكاك ١٢٧ .

(٤) مدامن جوعات : أى هو يلمن الجوع . وفى الأصل : « مدافع جرعات =

(روعة جلد الحية)

ولا ثوبَ ولا جناحَ ، ولا سترَ عنكبوتٍ^(١) ، إلا وقشُرُ الحيَّةِ
أَحْسَنُ منه وأرقُّ ، وأخفُّ وَأَنْعَمُ ، وأعجبُ صنعةً وتركيباً . ولذلك وصفَ
كثيرٌ قيصَ ملكٍ ، فشَبَّهه بِسَلَخِ الحيَّةِ ، حيث يقول :

إِذْ مَا أَفَادَ الْمَالَ أَوْدَى بِفَضْلِهِ حَقُوقٌ ، فِكْرَهُ الْعَاذِلَاتِ يُوَافِقُهُ
يَجْرُرُ سِرْبَالاً عَلَيْهِ كَأَنَّهُ سَبِيءٌ لَهْزَلَى لَمْ تَقْطَعْ شَرَانِقُهُ^(٢)

والسَّبِيءُ : السَّلَخُ والجلد . قال الشاعر :

* وَقَدْ نَصَلَ الْأَظْفَارُ وَانْسَبَأَ الْجِلْدُ^(٣) *

= كأن عروقها « ، وصوابه من الاقتضاب ٣٤٧ واللسان (سسم) ، ومعجم
البلدان (سسم) . جعل عروقه كأنها مسارب الحيات ، أى آثارها فى الرمال ، وهى
ملتوية دقيقة . و « سسم » بفتح السينين : اسم موضع . وتسميته : مشين
فيه . وفى الأصل : « يسربن » ، وصوابه من المراجع المتقدمة . ويروى :
« تشرين سسما » بالشين المعجمة . والسسم ، بفتح السينين أيضاً : السم .
أى كثر فيه السم فدقت أجسامهن ، لأن الحية إذا كثر سمها دق خلقها .

(١) المراد بستر العنكبوت : بيته الذى ينسجه . وقد نقل هذا الكلام فى ثمار
القلوب ٣٤٠ . وانظر (٥ : ٤١١) .

(٢) السبىء : جلد الحية تسلخه . وجاءت هنا مهموزة ، يؤيد همزها الشعر بعدها . والهزلى
بالزاي : الحيات . وجاءت فى الأصل بالذال ، وهو تحريف . والشرانق : سلخ
الحية إذا ألقته . ط : « سراقه » س ، ه : « سراقه » ، صوابه من
اللسان (سبى) وما فى (٣ : ٤٨٦) . وانظر المخصص (١ : ٢٤) .

(٣) نصلت أظفاره : خرجت . وانسبأ الجلد : انسلخ .

(صمم النعام والأفعى)

ونزعمُ العربُ أنَّ النَّعَامَ والأَفْعَى صُمٌّ لا تَسْمَعُ ، وكذلك هما من بين جميع الخلق . وسندكرُ من ذلك في هذا الموضع طَرَفًا ، ونؤخر الباقي إلى الموضع الذي نذكر فيه جملة القول في النعام .

(أصحاب الدعاوى الكبيرة)

وقد ابتلينا بضربين من الناس ، ودعواهما كبيرة^(١) ، أحدهما يبلغ من حبه للغرائب^(٢) أن يجعل سمعه هدفًا لتوليد^(٣) الكذابين ، وقلبه قراراً لغرائب الزور . ولكلفه بالغريب ، وشغفه بالطرف ، لا يقفُ على التصحيح والتمييز ، فهو يدخل الغث في السمين ، والممكن في الممتنع ، ويتعلّق بأدنى سببٍ ثمَّ يدفع عنه كلَّ الدّفع .
والصّنف الآخر ، وهو أن بعضهم يرى أنَّ ذلك لا يكون منه عند من يسمعه يتكلّم إلا من خاف التقزّر^(٤) من الكذب .

(قول في صمم الأفعى وعماء)

فزعم ناسٌ أنَّ الدّليلَ على أنَّ الأفاعى صُمٌّ ، قولُ الشاعر :

(١) س ، هـ : « وعودها كثير » ، صوابه في ط .

(٢) ط : « للغريب » .

(٣) هـ : « لتوكيد » ، وجهه ما أثبت من ط ، س .

(٤) ط ، س : « التقذر » هـ : « التقزّر » صوابهما ما أثبت ، وفي العبارة قبله اضطراب .

أَنْعَتُ نَضْنَاضًا مِنَ الْحَيَّاتِ أَصَمٌّ لَا يَسْمَعُ^(١) للرقاة
وقد ذكروا بالصَّمَمِ أجناساً من خبيثات الحيات ، وذهبوا إلى امتناعها
من الخروج عند رُقِيَةِ الرَّاقِي عند رأس الجحر ، فقال بعضهم :
وَذَاتِ قَرْنَيْنِ مِنَ الْأَفَاعِي صَمَّاءٌ لَا تَسْمَعُ صَوْتَ الدَّاعِي
ويزعمون أَنَّ كُلَّ نَضْنَاضٍ أَفْعَى . وقال آخر :

وَمِنْ حَنْشٍ لَا يُجِيبُ الرِّقَاةَ أَرْقَشَ ذِي مُحْمَةٍ كَالرِّشَاءِ^(٢)
أَصَمٌّ سَمِيعٌ طَوِيلُ السُّبَاةِ تِ مُنْهَرَتِ الشُّدُقِ عَارِي النَّسَاءِ^(٣)
فزعم أَنَّهُ أَصَمٌّ سَمِيعٌ ، فجاز له أن يجعله أَصَمَّ بقوله : « وَمِنْ حَنْشٍ
لَا يُجِيبُ الرِّقَاةَ » . وقال الآخر :

أَصَمٌّ أَغْمَى لَا يُجِيبُ الرُّقَى يَفْتَرُّ عَنْ عُصْلٍ حَلِيدَاتٍ^(٤)
والأفغى ليس بأعمى ، وعينه لا تنطبق ، وَإِنْ قَلِعَتْ عَيْنُهُ عَادَتْ .
وهو قائمُ الْعَيْنِ كَعَيْنِ الْجَرَادَةِ ، كَأَنَّهَا مِسْمَارٌ مَضْرُوبٌ . ولها بالليل شعاع
خفيٌ . قال الرَّاعِي يصفُ الأفغى :

(١) الرقاة : جمع راق . ورسمت في الأصل بالتاء المفتوحة خطأ .

(٢) الحمة : إبرة الحية . والرشاء : الحبل . جعل الحمة كالرشاء في الطول ؛ وهي مبالغة
ظاهرة . وروى البيهقي هو الألف .

(٣) منهرت الشدق : واسمه . والنساء ، بالفتح : عرق .

(٤) عصل : جمع أعصل بمعنى الملتوى . س ، هـ : « عصل » صوابه في ط .
وقبله كما سيأتي في ٢٨٢ :

وكم طوت من حنش راصد للسفر في أعنى الثنيات

وَيُدْنِي ذِرَاعِيهِ إِذَا مَا تَبَادَرَا إِلَى رَأْسِ صَيْلٍ قَائِمٍ الْعَيْنِ أَسْفَعُ^(١)
وهذه صفةُ سَلِيمٍ الْأَفْعَى^(٢) فيجوز أن يكون الشاعرُ وصفها بالتمتع من
الخروج بالصَّمَمِ ، كما وصفها بالعمى ؛ لمكان السُّبَاتِ وطُولِ الإطراق .
قال الشاعرُ :

أَصَمَّ سَمِيعٌ طَوِيلُ السُّبَاتِ مُنْهَرَتِ الشَّدَقِ عَارِي الْقَرَا^(٣)
وقال آخر :

مُنْهَرَتِ الشَّدَقِ رَقُودِ الضُّحَى سَارٍ طُمُورٍ بِالْدُّجْنَاتِ^(٤)
وَتَارَةً تَحْسِبُهُ مَيْتًا مِنْ طُولِ إِطْرَاقٍ وَإِخْبَاتِ^(٥)
يُسَبِّتُهُ الصُّبْحُ وَطُورًا لَهُ نَفْخٌ وَنَفْثٌ فِي الْمَغَارَاتِ^(٦)
وَيَعْلَمُ أَنَّهُ وَصَفَ أَفْعَى بِقَوْلِهِ :

أَصَمَّ أَعْمَى لَا يُجِيبُ الرُّقَى يَفْتَرُّ عَنْ عَصْلِ حَلِيدَاتِ^(٧)
مُنْهَرَتِ الشَّدَقِ رَقُودِ الضُّحَى «إِلخ»
ثم ذكر أنيابه ، فقال :

قَدَّمَنَ عَنْ ضِرْسِيهِ وَاسْتَأْخَرَا إِلَى صِمَاخَيْنِ وَلَهَوَاتِ

(١) الأسفع : الأسود . هـ : « أسفع » صوابه في ط ، هـ .

(٢) السليم : المملوغ .

(٣) القرأ : الظهر . وقد سبق نظير هذا البيت في ١٧٩ ص ٧ .

(٤) الطمور : الثوب . طمر : وثب . والدجنات : الظلمات .

(٥) الإخبات : الاطمئنان والسكون .

(٦) يسبته الصبح : ينيمه . ط : « يثبته » صوابه في س ، هـ . والنفث : النفخ

وفي الأصل : « نقب » . وهو تحريف صوابه مما سيأتي ص ٢٨٣ . ولا تنقب

الحيات بل تنفث . والمغارات : جمع مغارة ، وهي الجحر . س : « المغارات »

ولا وجه له .

(٧) مضى هذا البيت في الصفحة السابقة .

فجعله أعصل^(١) الأنياب ، منهت الأشداق ، ثم وصفها بالسُّبَاتِ وطول الإطراق ، وبِسُرْعَةِ النَّشْطَةِ^(٢) ، وخفّة الحركة ، إذا هَمَّتْ بذلك وكانت تعظم^(٣) .

(شعر امرأة جمع صِفَة الحية)

وقد وصفتها امرأة جاهليّة بجميع هذه الصِّفَة^(٤) ، إلا أنها زادت شيئاً .
والشعرُ صحيح . وليس في أيدي أصحابنا من صِفَة الأفاعي مثلها .
وقد رأيتُ عندَ داودَ بن محمد الهاشمي كتاباً في الحيات ، أكثر من عشرة أجلاد ، ما يصحُّ منها مقدارُ جلد ونصف .
ولقد ولّدوا على لسانِ خلفِ الأحمر ، والأصمعيّ ، أرجازاً كثيرة . فما ظنُّك بتوليدهم على السِّنَةِ القَدَماء !
ولقد ولّدوا على لسانِ جَحْشَوَيْهِ في الحُلاَقِ أشعاراً ما قالها جَحْشَوَيْهِ قط . فلو تقدّروا من شيءٍ تقدروا من هذا الباب .
والشعر الذي في الأفعى^(٥) :

قَدْ كَادَ يَقْتَلَنِي أَصَمُّ مَرَقَّشٌ مِنْ حُبِّكُمْ ، وَالْخَطْبُ غَيْرُ كَبِيرٍ^(٦)
خُلِقَتْ هَازِمُهُ عَزِينَ وَرَأْسُهُ كَالْقَرْصِ فَلَطِحَ مِنْ دَقِيقِ شَعِيرٍ^(٧)

(١) أعصل : أخرج . هـ : « أعصل » مصحف .

(٢) نشطت الحية فنشط وتنشط : عفت بناها .

(٣) كذا بالأصل .

(٤) هذا المثلث في س ، هـ أجزل من : « الصفات » المثبتة في ط .

(٥) انظر نسبة الشعر فيما أسلفت في (٢ : ٢١٤) .

(٦) رواية المؤتلف والأصمعيات : « من حب كلمم والخطوب كثير » .

(٧) ط : « أفتح » س : « فصلح » ، تحريف ما أثبت من هـ . وانظر شرح

البيت في (٢ : ٢١٤) .

وَيُدِيرُ عَيْنًا لِلْوَقَاعِ كَأَنَّهَا سَمَرَاءُ طَاحَتْ مِنْ نَفِيسِ بَرِيرٍ ^(١)
وَكَأَنَّ مَلَقَاهُ بِكُلِّ تَنَوُّفَةٍ مَلَقَاكَ كَفَّةً مُنْخَلٍ مَاطُورٍ ^(٢)
وَكَأَنَّ شِدْقَيْهِ إِذَا اسْتَعْرَضَتْهُ شِدْقًا عَجُوزٍ مَضْمَضَتْ لِطُهورٍ ^(٣)

فقد زعمت ^(٤) كما ترى أنها تدير عينا ^(٥) ، وزعم الأول ^(٦) أنها قائمة العين .
إلا أن نزعماً أنها لم ترد بالإدارة أن مقلتها زول عن موضعها ، ولكنها
أرادت أنها جوالّة في إدراك الأشخاص ، البعيدة والقريبة ، والمتيامنة
والمتياسرة .

وقد يجوز أن يكون إنما جعلها سمیعة ^(٧) لدقة الحس ، وكثرة الاكثراث
وجوده الشم ، لا جودة السمع ؛ فإن الذين زعموا أن النعامة صمماً زعموا
أنها تدرك من جهة الشم والعين ، جميع الأمور التي كانت تعرفها [من ^(٨)]
قبل السمع لو كانت سمیعة . وقد قال الشاعر ^(٩) في صفة الحیة :

(١) في الأصل : « اللقاح » ، صوابه من (٢ : ٢١٥) والمؤتلف والأصميات وعيون
الأخبار (٢ : ١٠٢) . وسبق شرح البيت في (٢ : ٢١٥) .
(٢) التنوفة : الأرض الفسيحة المتباعدة الأطراف . كفة المنخل : إطاره المستدير .
والمأطور : ذو الإطار . وفي الأصل : « منجل » ، والأوفق ما أثبت من المؤتلف
ومن الأصل المصور لعيون الأخبار ؛ إذ أن إطار المنجل أصدق تصويراً للاستدارة
والتحوى ، وهما ما توصف به الحيات . انظر لذلك ص ٢٠٠ س ١٢ - ١٤ سامي .
ورواية صدر البيت في المؤتلف :

« وكان مرصده بكل ثنية تلقاك . . . »

(٣) انظر ما سبق في (٢ : ٢١٥) . والظهور ، بالضم : التطهر .

(٤) أي الشاعرة . وفي ط : « زعم » .

(٥) عن الحية هنا . والحية تذكر وتؤنث .

(٦) هو الراعي . انظر ١٧٩ - ١٨٠ .

(٧) هـ : « سمياً » وهما وجهان جائزان . وفي القاموس : وأذن سمعة ويحرك

وكفرحة ، وشريفة وشریف .

(٨) ليست بالأصل .

(٩) هو الزیادی كما سياتي في ص ٢٨١ .

تَهْوِي إِلَى الصَّوْتِ وَالظُّلُمَاءِ عَاكِفَةً تَقْوَرُ السَّيْلَ لَأَقَى الْحَيْدَ فَاطَّلَعَا (١)

هذا بعد أن قال :

إِنِّي وَمَا تَبَتَّغَيْ مَنَى كَلْتَمَسَ صَيْدًا وَمَا نَالَ مِنْهُ الرَّيَّ وَالشُّبْعَا

أَهْوَى إِلَى بَابِ جَحْرٍ فِي مَقْدَمِهِ مِثْلُ الْعَسِيبِ تَرَى فِي رَأْسِهِ نَزْعَا (٢)

الَّلُونُ أَرِيدُ وَالْأَنْيَابُ شَابِكَةٌ

عُضْلٌ تَرَى السَّمَّ يَجْرَى بَيْنَهَا قِطْعَا (٣)

أَصَمَّ مَاشِمٌ مِنْ خَضِرَاءَ أُيْبَسَهَا أَوْشَمٌ مِنْ حَجَرٍ أَوْهَاهُ فَانْصَدَعَا (٤)

فَقَدْ جَعَلَ (٥) لَهَا أَنْيَابًا عُضْلًا ، وَوَصَفَهَا بِغَايَةِ الْحُبِّ وَزَعَمَ أَنَّهَا لَا تَسْمَعُ .

فهؤلاء ثلاثة شعراء .

(الثقة بالعلماء)

فَإِنْ قُلْتُ : إِنَّ الْمَوْلَدَ لَا يُؤْمِنُ عَلَيْهِ الْخَطَأُ إِذْ كَانَ دَخِيلًا فِي ذَلِكَ

الأمر ، وليس كالأعرابي الذي إنما يحكى الموجودَ الظاهرَ له ، الذي عليه ٦١

(١) التقور : التثني . وفي الأصل : « قعود » ، ولم أجد له وجهًا ، وصوابه في

اللسان (قور) : والحيد بفتح الحاء : ما شخص من الجبل . وفي الأصل :

« الجيد » وصوابه مما سيأتى ص ٢٨١ واللسان . واطلع : أشرف . جعل أنساب الحية

في سرعتها وتلوها كأنساب السيل إذا لاقاه حيد تثني وأشرف على طريق آخر .

(٢) في مقدمه : في مقدم الجحر . والعسيب : السعف لم يثبت عليه خصوص .

(٣) ط ، س : « شائكة » والأوجه ما أثبت من هـ . وشابكة : مشبكة .

وعضل : معوجات . هـ : « عضل » مصحف .

(٤) سبق الكلام على هذا البيت في (٢ : ١٣٧ - ١٣٨) . ط : « ثم » موضع

« ثم » في الموضعين ، وهو تحريف .

(٥) في الأصل : « جعلوا » .

نَشَأَ ، وَيَمَعْرِفَتِهِ غَذَى . فالعلماء الَّذِينَ اتَّسَعَوْا فِي عِلْمِ الْعَرَبِ ، حَتَّى صَارُوا إِذَا أُخْبِرُوا عَنْهُمْ بِخَبَرٍ كَانُوا الثَّقَاتِ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ، هُمُ الَّذِينَ نَقَلُوا إِلَيْنَا . وَسَوَاءٌ عَلَيْنَا جَعَلُوهُ كَلَاماً وَحَدِيثاً مَنْشُوراً^(١) ، أَوْ جَعَلُوهُ رَجْزاً وَقَصِيداً موزوناً^(٢) .

وَمَتَى أَخْبَرَنِي بَعْضُ هَؤُلَاءِ بِخَبَرٍ لَمْ أُسْتَظْهِرْ عَلَيْهِ بِمَسْأَلَةٍ^(٣) الْأَعْرَابِ . وَلَكِنَّهُ إِنْ تَكَلَّمَ وَتَحَدَّثَ ، فَأَنْكَرْتُ فِي كَلَامِهِ بَعْضَ الْإِعْرَابِ ، لَمْ أَجْعَلْ ذَلِكَ قُدُوةً حَتَّى أَوْقَفَهُ عَلَيْهِ ، لِأَنَّهُ يَمُنُّ لَا يُؤْمِنُ عَلَيْهِ الْأَحْنُ الْخَفِيُّ قَبْلَ التَّفَكُّرِ . فَهَذَا وَمَا أَشْبَهُهُ حَكْمُهُ خِلَافُ الْأَوَّلِ .

(الرَّقِيَّةُ)

وَالرَّقِيَّةُ تَكُونُ عَلَى ضُرُوبٍ : فَفِيهَا الَّذِي يَدَّعِيهِ الْحَوَاءُ وَالرَّقَاءُ ؛ وَذَلِكَ يُشَبِّهُ بِالَّذِي يَدَّعِي^(٤) نَاسٌ [مِنْ^(٥)] الْعَزَائِمِ عَلَى الشَّيَاطِينِ وَالْجِنِّ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ فِي تِلْكَ الرَّقِيَّةِ عَزِيمَةً لَا يَمْتَنِعُ مِنْهَا الشَّيْطَانُ ، فَكَيْفَ الْعَامِرُ^(٦) ؟ ! وَأَنَّ الْعَامِرَ إِذَا سَثَلَ بِهَا أَجَابَ ، فَيَكُونُ هُوَ الَّذِي يَقُولُ إِخْرَاجَ الْحَيَاتِ مِنَ الصَّخْرِ . فَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا قَالُوا فَهَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ بَيْنَ خُرُوجِ الْأَفَاعِي الصَّمِّ وَغَيْرِهَا فَرْقٌ ، إِذَا كَانَتِ الْعَزَائِمُ وَالرَّقِيَّةُ

(١) ط : « أَوْ حَدِيثاً مَنْشُوراً » .

(٢) ط : « أَوْ قَصِيداً موزوناً » . وَاَنْظُرِ اسْتِدْرَاكَاتِ .

(٣) كَذَا فِي ط ، هـ . وَالْمَسْأَلَةُ : مَصْدَرٌ مِيمِي مِنْ سَأَلَ . وَفِي س :

« بِمَسْأَلَةٍ » .

(٤) ط فَقَطْ : « يَدَّعِيهِ » .

(٥) زِيَادَةٌ يَفْتَقِرُ إِلَيْهَا الْكَلَامُ .

(٦) الْعَامِرُ : مَا يَسْكُنُ بَيْوتَ النَّاسِ مِنَ الْجِنِّ ، فِيمَا يَزْعُمُونَ .

وَالنَّفْسُ لَيْسَ شَيْئاً ^(١) يَعْمَلُ فِي نَفْسِ الْحَيَّةِ ، وَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ يَعْمَلُ فِي الَّذِي يُخْرِجُ الْحَيَّةَ . وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ [كَذَلِكَ] ^(٢) فَالسَّمِيعُ وَالْأَصَمُّ فِيهِ سَوَاءٌ .
وكذلك يقولون في التَّحْيِيْبِ وَالتَّبْغِيزِ ، وَفِي النُّشْرَةِ ^(٣) وَحَلِّ الْعُقْدَةِ
وَفِي التَّعْقِيدِ وَالتَّحْلِيلِ .

(العزِمة)

ويزعمون أَنَّ الْجِنَّ لَا تَجِيبُ صَاحِبَ الْعَزِيمَةِ حَتَّى يَتَوَحَّشَ وَيَأْتِيَ
الْخَرَابَاتِ وَالْبَرَائِيَّ ، وَلَا يَأْتَسُ بِالنَّاسِ ، وَيَتَشَبَّهُ ^(٤) بِالْجِنِّ ، وَيَغْسِلُ
بِالْمَاءِ الْقَرَّاحَ ^(٥) ، وَيَتَبَخَّرُ بِاللُّبَانِ الذَّكْرَ ، وَيِرَاعِي الْمَشْتَرِيَّ ^(٦) . فَإِذَا دَقَّ
وَلَطْفَ ، وَتَوَحَّشَ وَعَزَمَ ، أَجَابَتْهُ الْجِنُّ ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ يَكُونَ بَدَنُهُ يَصْلُحُ
هَيْكَلًا لَهَا ، [وَ ^(٧)] حَتَّى يَلِدَّ دُخُولَهُ وَادِيَّ ^(٨) مَنَازِلَهَا ، وَالْأَيَّكَرَةَ
مَلَابِسَتَهُ وَالْكُونَفِيهِ . فَإِنَّهُ هُوَ أَلَحَّ عَلَيْهَا بِالْعَزَائِمِ ، وَلَمْ يَأْخُذْ لَذَلِكَ أَهْبَتَهُ
خَبَلَتَهُ ، وَرَبَّمَا قَتَلْتَهُ ؛ لِأَنَّهَا تَظُنُّ أَنَّهُ مَتَى تَوَحَّشَ لَهَا ، وَاحْتَمَى ، وَتَنَظَّفَ ^(٩)

(١) هـ ، س : « شئ » بالرفع ، صوابه في ط .

(٢) زدتها مطاوعة لأسلوب الجاحظ .

(٣) النشرة ، بالضم : رقية يعالج بها المجنون والمريض .

(٤) في الأصل : « ويشبه » .

(٥) ماء قراح ، كسحاب : خالص لا يخالطه شيء .

(٦) هو ذاك الكوكب : سماء المنجمون السعد الأكبر ؛ لأنه فوق الزهرة في السعادة

وأضافوا إليه الخيرات الكثيرة ، والسعادة العظيمة . عجائب المخلوقات .

(٧) زيادة يفتقر إليها الكلام .

(٨) كذا على الصواب في س ، هـ . وفي ط : « وأرى » .

(٩) ط : « وتنطق » ، صوابه في س ، هـ .

فقد فرغ . وهى لا تُجيب بذلك فقط^(١) ، حتى يكون المعزّم مشاكلاً لها
فى الطّباع .

فيزعمون أنّ الحياتِ إنما تُخرَجُ إخراجاً ، وأنّ الذى يخرجها هو الذى
يخرِج سمومها من أجسادِ الناس ، إذا عزّم عليها^(٢) .

(التعويد)

والرّقيّةُ الأخرى بما يُعرفُ من التعويد^(٣) . قال أبو عبيدة :
سمعت أعرابياً يقول^(٤) : قد جاءكم أحدكم يسترقّيكُم فارقوه . قال :
فعوّذوه ببعض العوائد^(٥) .

والوجه الآخر مشتقٌّ من هذا ومحمولٌ عليه ، كالرجل يقول : مازال
فلان يرقى فلاناً حتى لان وأجاب .

(قول الشعراء والمتكلمين فى رقى الحيات)

وقد قالت الشعراء فى الجاهليّة والإسلام فى رقى الحيات ، وكانوا
يؤمنون بذلك ويصدقون به ، وسنخبر بأقاويل المتكلمين فى ذلك ،
وبالله التوفيق .

(١) أى أن الجن لا تجيب بالعزيمة فقط ، بل لا بد لها مع ذلك من أن يشاركها المعزّم
فى طباعها . وفى الأصل : « وهو لا يجيب » ، والوجه ما أثبت .

(٢) كذا على الصواب فى ط . وفى هـ ، س : « عليه » .

(٣) س ، « التعويدة » .

(٤) ط ، « وقال سمعت أبا عبيدة يقول » هـ : « وقال أبو عبيدة : سمعت يقول »
وصوابهما ما أثبت من س .

(٥) كذا جاءت هذه الكلمة ، ولم أرها فى غير هذا الموضع ، والمعروف : « التعاوذة »
جمع تعويدة ، و « العوذ » : جمع عوذة بالضم . و « المعاذات » بالفتح :
جمع معاذة .

و [منهم ^(١)] مَنْ زَعَمَ أَنَّ إخراجَ الحَيَّةِ مِنْ جُحْرِها إِلَى الرَّاقِ ، إِنَّمَا كانَ لِلزَّيْمَةِ وَالإِقْسامِ عَلَيْها ، وَلأَنَّها إِذا فَهَمَّتْ ذلِكَ أَجابَتْ وَلَمْ تَمْتنع .
وكانَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ ، لا يَعْرِفُ قَوْلَهُمْ فِي أَنَّ العُمَّارَ هُمُ الَّذِينَ يُجَبِّونَ العِزَّامَ بِإِخراجِ الحَيَّاتِ مِنْ بُيُوتِها ، وَفي ذلِكَ يَقولُ :

وَالْحَيَّةُ الذَّكَرُ الرَّقْشاءُ أَخْرَجَها مِنْ جُحْرِها أَمَناتُ اللَّهِ وَالْقَسَمُ ^(٢)
إِذا دَعَا بِاسْمِها الإِنسانُ أَوْ سَمِعَتْ ذاتُ الإِلَهِ بَدَأَ فِي مِشْيِها رَزَمُ ^(٣)
مَنْ خَلَفَها حُمَةً لَوْلَا الَّذِي سَمِعَتْ قَدْ كانَ ثَبَّتَها فِي جُحْرِها الحِمَمُ ^(٤)
نابُ حديدٌ وَكَفٌّ غَيْرُ وَادِعَةٍ وَالخَلْقُ مُخْتَلَفٌ فِي القَوْلِ وَالشِّمِ ^(٥)
إِذا دُعِيَ بِأَسْمائِها أَجَبْنَ لَها لَنافِثٌ يَعتَديهِ اللَّهُ وَالكَلِمُ
لَوْلَا مَخافَةُ رَبٍّ كانَ عَذَبُها عِرجاءُ تَظَلَّعُ ، فِي أَنيابِها عَسَمُ ^(٦)

(١) لَيْسَتْ بِالأَصْلِ ، وَبِها يَسْتَقِيمُ الكَلَامُ

(٢) فِي اللِّسانِ : « وَوصَفَ أُمَيَّةُ الحَيَّةَ بِالْحَتْفَةِ فَقَالَ :

وَالْحَيَّةُ الْحَتْفَةُ الرَّقْشاءُ أَخْرَجَها مِنْ بَيْتِها أَمَناتُ اللَّهِ وَالكَلِمُ » .

وَهِيَ رِوايةُ الْخَصائِصِ (١ : ١٥٤) ، قالَ : « أَنتُوا المَصْدَرُ لِمَا جَرى وَصفاً عَلَى المَوْثَقِ » ، يَعْنِي الْحَتْفَةَ .

(٣) فِي اللِّسانِ : « رَزَمَ البَعِيرَ وَالرَّجُلَ وَغَيرَهما يَرْزُمُ رِزْوماً وَرِزَاما : إِذا كانَ لا يَقْدِرُ عَلَى التَّهَوُّصِ رِزَاحاً وَهَزالاً » . وَرِوايةُ الدِّيوانِ ٥٧ : « يَرى فِي سَعِيها رِزَمٌ » .

(٤) كَذَا فِي ط ، هـ ، وَالدِّيوانُ ، وَقَدْ اسْتَمْعَلَ المِجازَ فِي « خَلَفَها » كما يَقولُ القائِلُ : « مَنْ خَلَفَها الشَّرُّ وَالْأذى » ، أَيْ هُوَ صَاحِبُ شَرٍّ وَأذى . وَالْحِمَةُ ، بِضَمِّ الحاءِ وَتَشديدِ الميمِ المَفْتُوحَةِ : السِّمُّ ، وَتَجْمَعُ عَلَى حِمَمٍ ، انْظُرِ اللِّسانَ . وَفِي س : « مَنْ خَلَفَها حَيَّةٌ » وَلَا توافِقُ ما سَأَلْتُ مِنْ تَعْقِيبِ الجائِظِ فِي الصَّفْحَةِ التَّالِيَةِ س ٤ .

(٥) نابُ حديدٌ : حادٌ . وَلَيْسَ لِلْحَيَّةِ كَفٌّ ، وَإِنَّمَا أَرادَ كَثْرَةَ ما يَصِيبُ النِّاسَ مِنْ شَرِّها .

(٦) تَظَلَّعُ : تَعَرَّجَ وَتَغَنَزَ فِي سَبِيلِها . وَفِي الأَصْلِ : « تَظَلَّعَ » ، صوابُهُ فِي الدِّيوانِ . وَالْعَسَمُ ، بِالتَّحريكِ : أَصْلٌ مَعْناهُ يَبِسَ فِي المِرْفَقِ تَعَوَّجَ مِنْهُ اليَدُ ، فَهُوَ أَرادَ بِهِ ههنا الأَعْواجَ وَالانْعِفافَ ، وَهُوَ مِنْ صِفَةِ نابِ الحَيَّةِ . وَفِي الأَصْلِ وَالدِّيوانِ أَيْضاً : « غَشِمَ » ، وَأَرادَها تَحْرِيفاً .

وَقَدْ بَلَّتُهُ فَذَاكَتْ بَعْضَ مَصْدَقِهِ فَلَيْسَ فِي سَمْعِهَا ، مِنْ رَهْبَةٍ صَمٌ^(١)
فَكَيْفَ يَأْمَنُهَا أَمْ كَيْفَ تَأْلَفُ وَلَيْسَ بَيْنَهُمَا قُرْبَى وَلَا رَحِمٌ !

يقول : لو أَنَّهَا أُخْرِجَتْ^(٢) حِينَ اسْتُحْلِفَتْ بِاللَّهِ لَمَا خَرَجَتْ ، إِذْ
لَيْسَ بَيْنَهُمَا قُرْبَى وَلَا رَحِمٌ . ثُمَّ ذَكَرَ الْحِمَّةَ^(٣) وَالزَّابَ .

وَقَالَ آخَرُونَ : إِنَّمَا الْحَيَّةُ مِثْلُ الضَّبِّ وَالضَّبَّعِ ، إِذَا سَمِعَ بِاللَّهِ وَالْهَذْمَ
وَالصَّوْتُ خَرَجَ يَنْظُرُ . وَالْحَوَاءُ إِذَا دَنَا مِنَ الْجَحْرِ رَفَعَ صَوْتَهُ وَصَفَّقَ بِيَدَيْهِ ،
وَأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، حَتَّى يُخْرِجَ الْحَيَّةَ ، كَمَا يُخْرِجُ الضَّبَّ وَالضَّبَّعَ .
وَقَالَ كَثِيرٌ :

وَسَوْدَاءُ مِطْرَاقٍ إِلَى مِنَ الصَّفَا^(٤) أُنَى^(٥) إِذَا الْحَاوَى دَنَا فَصَدَّاهَا^(٦)
وَالْتَّصِدِيَّةُ : التَّصْفِيقُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ
الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ﴾ الْآيَةُ . فَالْمُكَاءُ : صَوْتُ بَيْنِ التَّفْفِخِ وَالصَّفِيرِ .
وَالْتَّصِدِيَّةُ : تَصْفِيقُ الْيَدِ بِالْيَدِ .

فَكَانَ الْحَوَاءُ يَحْتَالُ بِذَلِكَ لِلْحَيَّةِ ، وَيُوهِمُ مَنْ حَضَرَ أَنَّهُ بِالرُّقِيَّةِ

(١) بَلَا الشَّيْءُ يَبْلُوهُ : اخْتَبَرَهُ . وَالْمُرَادُ هُنَا عَرَفْتَهُ بَعْدَ الْإِخْتِبَارِ . وَالضَّبِيرُ عَائِدٌ إِلَى
« نَافِثٍ » فِي الْبَيْتِ الَّذِي قَبْلَ السَّابِقِ . س ، هـ : « قَدْ أَبْلَتْهُ » ، وَفِي الدِّيَوَانِ :
« وَقَدْ بَكَتْ » ، صَوَابُهُمَا مَا أُثْبِتَ مِنْ ط .

(٢) س : « خَرَجَتْ » .

(٣) الْحِمَّةُ ، بِالضَّمِّ الْحَاءِ وَفَتْحِ الْمِيمِ ، وَيُقَالُ الْحِمَّةُ ، بِضَمِّ الْحَاءِ وَتَشْدِيدِ الْمِيمِ الْمِفْتُوحَةِ أَيْضاً ،
بِمَعْنَى السَّمِّ .

(٤) الصَّفَا : جَمْعُ صَفَاةٍ ، وَهِيَ الصَّخْرَةُ الْمُلَسَّاءُ الصَّلْبَةُ . ط ، س : « الصَّفَا »
صَوَابُهُ فِي هـ .

(٥) أُنَى ، مِنَ الْأُنَاةِ بِمَعْنَى الْبُطءِ . ط ، هـ : « أُنَى » صَوَابُهُ فِي س .

(٦) ط : « إِذَا الْخَانُوتِ » تَصْحِيحُهُ مِنْ س ، هـ . وَرَسَمْتُ « فَصْدَا » بِالْأَلْفِ
وَهِيَ مِنَ الصَّدْوِ ، بِمَعْنَى التَّصْفِيقِ . وَفِي ط : « فَصْدَا » ، مَصْحُفَةٌ .

أخرجها ، وهو في ذلك يتكلم ويعرض ، إلا أن ذلك صوتٌ رفيع . وهو
لورفعَ صوتهَ بيتِ شعيرٍ أو بخرافةٍ ، لكان ذلك والذي يظهر من العزيمة
عند الحية سواءً . وإنما يُشكر الصوت ، كما يُنكره الضبُّ وغير ذلك
من الوحش .

ثم قال :

كففتُ يداً عنها وأرضيتُ سَمْعَهَا من القولِ حتى صدقتُ ما وعى لها
وأشعرتها نفثاً بليغاً ، فلو ترى وقد جعلت أن ترعى النَّفْثَ بالها^(١)
تسللتها من حيث أدركها الرقي إلى الكفِّ لما سالت ، وانسلها ٦٣
فقال كما ترى :

* كففت يداً عنها وأرضيتُ سَمْعَهَا * (البيت)

ثم قال :

* وأشعرتها نفثاً بليغاً فلو ترى *

وقال الأعشى^(٢) :

أبا مِسْمَعٍ إني امرؤ من قَبِيلَةٍ بنى لي عزاً موتهَا وحياتها
فلا تُلْمَسِ الأفعى يديك تريدها إذا ما سعت يوماً إليها سَفَاتِهَا^(٣)

(١) هـ : « يالها » .

(٢) النسبة في المخصص (١٥ : ١٢٥) إلى أبي ذؤيب الهذلي . وفي معجم المرزبانى ٣٧١ ومجموعة المعاني ١٥٨ إلى خالد بن زهير الهذلي - وهو ابن أخت أبي ذؤيب الهذلي يخاطب معقل بن خويلد الهذلي ، في قصة دخل فيها أبو ذؤيب الهذلي . وهذا هو الصواب في النسبة .

(٣) السقاة ، بالفتح ، سيفسرها الجاحظ بعد . وفي ط ، هـ ، س : « سعى لها » وهو تحريف عجيب يفسد به الكلام ، ولا يستقيم به الشعر ، صوابه في المرجعين المتقدمين وكذا المقصور والمدود ٥٣ والمخصص (١٠ : ٦٣) أيضاً . والرواية =
في الجميع ماعدا معجم المرزبانى :

وقال آخر :

يَدْعُو بِهِ الْحَيَّةَ فِي أَقْطَارِهِ ^(١) فَإِنْ أَبَى شَمَّ سَفَاً وَجَارِهِ ^(٢)
وَالسَفَا : التراب اليابس بين الترين . يقال سَفَاً وَسَفَاةً .

(تمويه الحواء والراقى)

والحواء [و ^(٣)] الرَّاقي يُرَى ^(٤) النَّاسُ أَنَّهُ إِذَا رَأَى جَحراً ^(٥)
لم يَخَفْ عليه : أجحرج حية هو أم جحرج شيء غيره ، فإن كان جحرج حية
لم يخف عليه أمي فيه أم لا . ثمَّ إِذَا رَقَى وَعَزَّمْ فامتنعت من الخروج ،
وخاف أَنْ تَكُونَ ^(٦) أَفْعَى صَمَاءَ لَا تَسْمَعُ ، وَإِذَا أَرَاغَهَا ^(٧) لِيَأْخُذَهَا فَأَخْطَأَ
لم يأمن من أن تنقره نقرَةً ^(٨) لَا يُفْلِحُ بعدها أبداً ، فهو عند ذلك يستبرى ^(٩)
بأن يشمَّ من تراب الجحر ، فلا يخفى عَلَيْهِ : أمي أفعى أم حية من سائر
الحيات . فلذلك قال :

فلا تلمس الأنفى يداك تريدها ودعها إِذَا ماغيتها سقاتها
لكن في مجموعة المعاني : « صفاتها » . وانفرد المرزبانى بروايته :

ولا تبعث الأنفى تداور رأسها ودعها إِذَا ماغيتها سقاتها
(١) ضمير أقطاره عائد إلى الحية ، والحية تذكر وتؤنث . وأقطار الحية : النواحي التي
يسكن فيها . وضمير يدعو ، هو للراقى أو الحادى .

(٢) أى إن أبى الحية أن يخرج ، شم الحادى تراب جحره ، ليعلم : أهو فيه أم لا ؟ .

(٣) ليست بالأصل . وبها يلتئم الكلام .

(٤) كذا على الصواب في ط . وفي س ، هـ : « يرقى » محرفة .

(٥) ط ، س : « جحرج حية » . والوجه حذف : « حية » للتعميم ، كما في هـ .

(٦) ط ، س : « يكون » أى ما فى داخل الجحر . فله وجه . وأثبت ما فى هـ .

(٧) أراغها : طلبها . وفي الأصل : « راعها » والوجه ما أثبت .

(٨) انظر ماسبق في تحقيق هذه الكلمة ص ١١٥ .

(٩) مخففة من يستبرى بمعنى يختبر . وبمعناها الدقيق : يطلب براءة الجحر مما قد يكون
به من الأفاعى الصم والمؤذية .

* يدعو به الحية في أقطاره * (البيت)

والوجار : الجحر .

(ريح الأفعى)

وزعم لى بعضُ الحوَّائين أنَّ للحَيَّاتِ نَتْنًا وسَهَكًا ، وأن رِيحَ الأفعى معروفةٌ . وليس شَيْءٌ أَعْلَقَ ، ولا أَعْنَقَ ^(١) ، ولا أسرعَ أَخْذًا لِرَأْحَةٍ من طِينٍ أو ترابٍ ، وَأَنَّهُ ^(٢) إِذَا شَمَّ من طِينَةِ الجَحْرِ لم يَخْفَ عَلَيْهِ . وقال : اعتبرْ ذلك بهذا الطين السداني ^(٣) والرائهطي ^(٤) إِذَا أَلْقَى في الزَّعْفَرانِ والكافور ، أو غير ذلك من الطَّيِّبِ ، فَإِنَّهُ متى وُضِعَ إلى جنب رَوْثَةٍ أو عَذْرَةٍ ، قَبِلَ ذلك الجسم .

والرَّقاء يوهم النَّاسَ إِذَا دَخَلَ دُورَهُم لاستِخراج الحَيَّاتِ أَنَّهُ يعرف أَمَاكِنَهَا بِرائِحَتِهَا ، فإِذْلك يأخُذُ قَصْبَةً وَيَشْعَبُ رَأْسَهَا ، ثم يَطْعَنُ بِهَا في سَقْفِ البَيْتِ والزَّوَايا ، ثمَّ يَشْمُهَا ويقول مرة : فيها حَيَّاتٌ ؛ ويقول مَرَّةً : بلى ، فيها حَيَّاتٌ ، على قَدَرِ الطَّمَعِ في القومِ ، وفي عقولِهِمْ .

(تأثير الأصوات)

وَأَمْرُ الصَّوْتِ عَجِيبٌ ، وتَصَرُّفُهُ في الوجوه عَجَبٌ . فمن ذلك أَنَّ مِنْهُ

(١) أى أسرع . ط : « أَعَقَ » س ، هـ : « اعنق » ولعل نحوأيها ما أثبت .

(٢) ط ، هـ : « فَإِنَّهُ » والصواب في س .

(٣) كذا بالأصل . ولعله : « السيراني » نسبة إلى سيرا ف . وقد ذكره صاحب

المعتمد في الكلام على (طين قينوليا) .

(٤) الراهطي : نسبة إلى راهط ، وهو موضع في غوطة دمشق ، كانت عنده الوقعة المشهورة : « مرج راهط » .

ما يقتل ، كصوت الصاعقة . ومنها ما يسرُّ النفوس حتى يُفْرِطَ عليها^(١) السُّرُورُ فتقلُّ حتى ترقُص ، وَحَتَّى رُبَّمَا رَمَى الرَّجُلُ بِنَفْسِهِ مِنْ حَالِقِ^(٢) . وذلك مثلُ هذه الأغاني المطربة . ومن ذلك ما يُكْمَد . ومن ذلك ما يزيل العقل حتى يُغْشَى على صاحبه ، كنعو هذه الأصوات الشجية ، والقراءات الملحَّنة^(٣) . وليس يعترهم ذلك مِنْ قِبَلِ المعاني ؛ لأنهم في كثير من ذلك لا يفهمون معانيَ كلامهم . وقد بَكَى ما سرجويه^(٤) من قراءة أبي الخوخ ، فقليل له : كيفَ بكيتَ من كتاب الله ولا تصدِّقَ به ؟ قال : إنما أبكاني الشجا !

وبالأصوات ينوِّمون الصِّبيانَ والأطفالَ .

-
- (١) ط : « عليه » صوابه في س ، ه .
 (٢) الحالق : الجبل المرتفع . والمراد : مكان مرتفع .
 (٣) من التلحين . ولابن قتيبة في المعارف ٢٣٢ بحث جيد في تلحين القرآن ، منه : « وكان القراء كلهم : الهيثم ، وأبان ، وابن أعين ، يدخلون في القراءة من ألحان الغناء ، والحداء والرهبانية . فثم من كان يدس الشيء من ذلك دساً رقيقاً ، ومنهم من كان يحجر بذلك حتى يسلمه . فن ذلك قراءة الهيثم : أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر . سلمه من صوت الغناء كهيئة :
 أما القطاة فإني سوف أنعتها نعتاً يوافق نعتي بعض مافيا
 (٤) ما سرجويه : طبيب بصرى يهودى ، وكان أحد المترجمين من للسريالية إلى العربية وهو الذى فسر كتاب القس أهرن بن أعين ، وزاد عليه مقالتين .
 وكلمة : « بكى » هى فى ط ، س : « بكأى » . وفى ه : « بكأ »
 وقد صححته .

(أثر الأصوات فى الحيوان)

والدَّوَابُّ تَصُرُّ آذَانَهَا (١) إِذَا غَنَّى الْمَسْكَرَى . وَالْإِبِلُ تَصُرُّ آذَانَهَا إِذَا حُدَا فِي آثَارِهَا الْحَادَى ، وَتَزْدَادُ نَشَاطًا ، وَتَزِيدُ فِي مَشْيِهَا (٢) . وَيَجْمَعُ (٣) بِهَا الصَّيَّادُونَ السَّمَكَ فِي حِظَائِرِهِمُ الَّتِي يَتَّخِذُونَهَا لَهُ . وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَضْرِبُونَ بَعْضُيَّ مَعَهُمْ ، وَيُعْطِطُونَ (٤) ، فَتُقْبَلُ أَجْنَاسُ السَّمَكِ شَاخِصَةً الْأَبْصَارِ مَصْغِيَةً إِلَى تِلْكَ الْأَصْوَاتِ ، حَتَّى تَدْخُلَ فِي الْحَظِيرَةِ . وَيُضْرَبُ بِالطَّسَّاسِ لِلطَّيْرِ ، وَتُصَادُ بِهَا . وَيُضْرَبُ بِالطَّسَّاسِ لِلْأَسَدِ وَقَدْ أَقْبَلَتْ ، فَتَرْوَعُهَا تِلْكَ الْأَصْوَاتُ .

وَقَالَ صَاحِبُ الْمَنْطِقِ : الْآيَاتِلُ تُصَادُ بِالصَّفِيرِ وَالْغَنَاءِ . وَهِيَ لَا تَنَامُ مَا دَامَتْ تَسْمَعُ ذَلِكَ مِنْ حَاذِقِ الصَّوْتِ . فَيَشْغَلُونَهَا بِذَلِكَ وَيَأْتُونَ مِنْ خَلْفِهَا فَإِنْ رَأَوْهَا مُسْتَرْخِيَةً الْآذَانَ وَثَبُّوا عَلَيْهَا ، وَإِنْ كَانَتْ قَائِمَةً الْآذِينَ فَلَيْسَ إِلَيْهَا سَبِيلٌ .

وَالصَّفِيرُ تُسْقَى بِهِ الدَّوَابُّ الْمَاءَ ، وَتَنْفَرُ بِهِ الطَّيْرُ عَنِ الْبُذُورِ .

وَزَعِمَ صَاحِبُ الْمَنْطِقِ أَنَّ الرَّعْدَ الشَّدِيدَ إِذَا وَافَقَ سِبَاحَةَ السَّمَكِ

(١) صرَّت للدابة أذنها : نصبتها للاستماع .

(٢) س : « مشيتها » .

(٣) ط ، هـ : « وتجمع » . وتأنث الفعل مع جمع المذكر المكسر جائز ، ولكن جمع التصحيح المذكر كما هنا ، لا يجوز في فعله إلا العذكير ، خلافا للكوفيين الذين احتجوا بقوله تعالى : « إلا الذى آمنتم به بنو إسرائيل » ، ورد عليهم احتجاجهم بأن « بنو » ليس جمع تصحيح .

(٤) العطلطة : تتابع الأصوات واختلاطها .

فِي أَعْلَى الْمَاءِ رَمَتْ بِيَضِهَا ^(١) قَبْلَ انْتِهَاءِ الْأَجْلِ . [وَزَيْدًا تَمَّ الْأَجْلُ ^(٢)]
فَتَسْمَعُ ^(٣) الرَّعْدَ الشَّدِيدَ ، فَيَتَعَصَّلُ ^(٤) عَلَيْهَا أَيَّامًا بَعْدَ الْوَقْتِ .

(قَوْلُ لِأَبِي الْوَجِيهِ الْعَمَكِيِّ)

وَقَالَ أَبُو الْوَجِيهِ الْعَمَكِيُّ : أَحِبُّ السَّحَابَةَ الْخَرَسَاءَ وَلَا أُحِبُّهَا !
فَقِيلَ لَهُ : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : لِأَنَّهَا لَا تَخْرُسُ حَتَّى تَمْتَلِئَ مَاءً وَتَصْبَّ صَبًّا
كَثِيرًا ، وَيَكُونُ غَيْثًا طَبَقًا ^(٥) . وَفِي ذَلِكَ الْحَيَا ^(٦) . إِلَّا أَنَّ الْكَمَاءَ لَا تَكُونُ
عَلَى قَدْرِ الْغَيْثِ . ذَهَبَ إِلَى أَنَّ لِلرَّعْدِ فِي الْكَمَاءِ عَمَلًا .

(دُعَابَةُ جَعْفَرِ بْنِ سَعِيدٍ)

وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ سَعِيدٍ ^(٧) : سَأَلَ كَسْرَى عَنِ الْكَمَاءِ فَقِيلَ لَهُ : لَا تَكُونُ
بِالْمَطَرِ دُونَ الرَّعْدِ ، وَلَا بِالرَّعْدِ دُونَ الْمَطَرِ . قَالَ : فَقَالَ كَسْرَى : رَشُّوا بِالْمَاءِ
وَاضْرِبُوا بِالطَّبُولِ ! وَكَانَ مِنْ جَعْفَرٍ عَلَى التَّمْلِيحِ ^(٨) . وَقَدْ عَلِمَ جَعْفَرٌ أَنَّ
كَسْرَى لَا يَجْهَلُ هَذَا الْمَقْدَارَ .

(أَثَرُ الصَّوْتِ فِي الْحَيَاةِ)

فَالْحَيَاةُ وَاحِدَةٌ مِنْ جَمِيعِ أَجْنَاسِ الْحَيَوَانِ الَّتِي لِلصَّوْتِ فِي طَبْعِهِ عَمَلٌ .

(١) ط . هـ : « بِيَضِهَا » صَوَابُهُ ، فِي س .

(٢) الزِّيَادَةُ مِنْ س ، هـ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « فَيَسْمَعُ » .

(٤) يَتَعَصَّلُ : يَمْسُرُ خُرُوجَهُ . وَفِي الْأَصْلِ : « فَيَتَعَطَّلُ » ، تَحْرِيفٌ .

(٥) طَبَقًا : أَيَّ مَالَنَا لِلْأَرْضِ مَغْشِيًا لَهَا .

(٦) الْحَيَا ، بِالْقَصْرِ ، وَيَمْدُ أَيْضًا : الْخَصْبُ .

(٧) تَقَدَّمَ تَرْجُمَتُهُ فِي (٣ : ٤٦٩) .

(٨) التَّمْلِيحُ : أَنْ يَأْتِيَ بَلْعَى مَلِيحٍ . وَأَصْلُ ذَلِكَ فِي الشَّاعِرِ ، وَقَدْ جَعَلَهُ هُنَا الْمُتَحَدِّثُ
ط : « التَّمْلِحُ » وَهُوَ التَّزُودُ بِالْمَلْحِ ، أَوِ التَّجَارَةُ بِهِ ، وَلَيْسَ يَلِيْقُ بِهَذَا الْمَوْضِعِ ،
وَصَوَابُهُ فِي س ، هـ .

فاذا دنا الحوَاء وصفق بيديه ، وتكلم رافعا صوته حتى يزِيد^(١) ، خرج إليه كلُّ شيء كان في الجحر ، فلا يشكُّ من لا علم له أنَّ الحيَّة خرجت من جهة الطاعة وخوف المعصية ، وأنَّ العامرَ أخرجها تعظيماً للعزيمة ، ولأنَّ المعزم مُطاعٌ في العَمَّار . والعامَّة أسرعُ شيء إلى التصديق .

(شعر في الروح وهيكلها)

وفي [الروح ، وفي^(٢)] أنَّ البدنَ هيكلٌ لها ، يقول سليمان الأعمى^(٣) وكان أخا مسلم بن الوليد الأنصاري . وكانوا لا يشكون بأنَّ سليمان هذا الأعمى ، كان من مُستجِيب^(٤) بشارِ الأعمى ، وأنَّه كان يختلف إليه وهو غلام فقبل عنه ذلك الدِّين . وهو الذي يقول :

إِنَّ فِي ذَا الْجِسْمِ^(٥) مُعْتَبَرًا لِّطُلُوبِ الْعِلْمِ مُقْتَبَسَةً

٦٥

(١) يقال زيده ، بالتشديد ، فزاد وازداد .

(٢) زيادة تقتضيها صحة الكلام وسياق الحديث . وليست بالأصل . انظر الشعر الآتي .

(٣) سليمان الأعمى ، أو الضرير ، جعله الجاحظ أخا لمسلم بن الوليد ، كما هنا وكما في البيان (٣ : ٢٠٢) حيث يقول : « وقال سليمان بن الوليد » . أما ياقوت وكذا الصفدي في نسكت الحميان ١٦٠ فقد جعلوا مسلم بن الوليد أباه . قال ياقوت في ترجمته : « وهو ابن مسلم بن الوليد المعروف بصريع الغواني ، الشاعر المعروف كان كأبيه شاعراً مجيداً . وكان ملازماً لبشار بن برد يأخذ عنه ، ولذا كان متبهماً بدينه . مات سنة تسع وسبعين ومائة » . وأنشد له الشعر الآتي . انظر معجم الأدباء (١١ : ٢٥٥) . وفي عيون الأخبار (٣ : ٦١) : « سليمان الأعجمي » صوابه ما هنا .

(٤) من مستجيبى بشار : أى ممن قبلوا دعوته . ط ، هـ : « محبى » س : « مستحى » صوابهما ما أثبت .

(٥) كلمة « فى » ساقطة من ط ، هـ . وكلمة : « الجسم » هى فى الأصل : « العلم » ولا يتجه بها للشعر ، ولا المعنى الذى سيق من أجله الشعر . وأثبت الصواب من معجم الأدباء ونسكت الحميان ص ١٦٠ . وكلمة « معتبرا » هى فى ط فقط « معتبر » محرفة .

هَيْكَلٌ لِلرُّوحِ يَنْطِقُهُ عِرْقُهُ وَالصَّوْتُ مِنْ نَفْسِهِ (١)
لَا تَعْظُ إِلَّا اللَّيْبَ فَا يُعْدَلُ الضَّلْعُ عَلَى قَوْسِهِ
رُبَّ مَغْرُوسٍ يَعَاشُ بِهِ فَقَدْتَهُ (٢) كَفَّ مُغْتَرِسِهِ
وَكَذَاكَ الدَّهْرُ مَأْمَعُهُ أَقْرَبُ الْأَشْيَاءِ مِنْ عُرْسِهِ

(قول في شعر لأمية بن أبي الصلت)

وكانت العرب تقول : كان ذلك إذ كان كلُّ شيء ينطق ، وكان ذلك
والحجارة رطبة .

قال أمية :

وَإِذْ هُمْ لَا لَبُوسَ لَهُمْ تَقِيهِمْ وَإِذْ صَمُّ السَّلَامِ لَهُمْ رِطَابٌ (٣)
بَابَةٍ قَامَ يَنْطِقُ كُلُّ شَيْءٍ وَخَانَ أَمَانَةُ الدَّيْكَ الْغَرَابُ
وَأُرْسِلَتِ الْحَمَامَةُ بَعْدَ سَبْعِ تَدَلُّ عَلَى الْمَهَالِكِ لَا تَهَابُ
تَلَمَّسُ هَلْ تَرَى فِي الْأَرْضِ عَيْنًا وَعَانِيَتْ بِهَا الْمَاءَ الْعَبَابُ (٤)
فَجَاءَتْ بَعْدَ مَا رَكَضَتْ بِقِطْفٍ عَلَيْهَا الشَّاطُ وَالطَّيْنُ الْكُبَابُ (٥)

(١) عرقه : يشير إلى أوتار الصوت . ط ، هـ ونسكت الهميان : « عرقه » صوابه
في س والمعجم .

(٢) في البيان والمعجم ونسكت الهميان وعيون الأخبار : « عدمته » . ورواية الكامل
٧٧٣ موافقة لرواية الحيوان .

(٣) اللبوس ، بالفتح : الثياب والسلاح ، مذكر . فإن ذهبت به إلى الدرع أنثت .
ويظهر من تأنيث الفعل بعده أن المراد بها هنا الدرع . والسلام ، بالكسر : جمع
سلمة بكسر اللام ، وهي الحجارة .

(٤) كذا في ط ، هـ . وفي س : « وعانيتها بها أبناء العباب » . وانظر ما سبق
من التحقيق في (٢ : ٣٢١) .

(٥) في الأصل : « عليها الناط » . وانظر ما أسلفت من التحقيق والشرح في (٢ : =

فَلَمَّا فَرَّسُوا الْآيَاتِ صَاغُوا لَهَا طَوْفًا كَمَا عَقِدَ السَّخَابُ ^(١)
إِذَا مَاتَتْ تَوَرَّثَهُ بَنِيهَا وَإِنْ تَقَتَّلَ فَلَيْسَ لَهُ انْتِسَابٌ

فذكر رطوبة الحجارة ، وأن كل شيء قد كان ينطق . ثم خبر عن منادمة الديك الغراب ، واشترط الحمامة على نوح ، وغير ذلك مما يدل على ما قلنا . ثم ذكر الحية ، وشأن إبليس وشأنها ، فقال :

كَذَى الْأَفْعَى تَرَبَّيْتُ لَدَيْهِ وَذَى الْجَنَى أَرْسَلَهَا نَسَابُ ^(٢)
فَلَا رَبُّ الْبَرِيَّةِ يَأْمَنُهَا وَلَا الْجَنَى أَصْبَحَ يُسْتَتَابُ

فإن قلت : إن أمية كان أعرابياً ، وكان بدوياً ^(٣) ، وهذا من خرافات أعراب الجاهلية ، وزعمت أن أمية ^(٤) لم يأخذ ذلك عن أهل الكتاب - فإني سأشيدك لعدي بن زيد ، وكان نصرانياً ديانياً ^(٥) ، وترجماناً ، وصاحب كتب ، وكان من ذهاة أهل ذلك الدهر .

قال عدي بن زيد ، يذكر شأن آدم ومعصيته ، وكيف أغواه ، وكيف دخل في الحية ، وأن الحية كانت في صورة جمل ففسخها الله عقوبة لها ، حين طاوعت عدوه على وليه . فقال :

= (٣٢١) . وقد سبقت رواية « عليه الشاط » أي على القطف . وأما صغير « عليها » هنا فمائد إلى الحمامة .

(١) طوق الحمامة ، سبق القول فيه في (٢ : ٣٢١) .

(٢) تربها : ربها . والتريب : التربية . وفي الأصل : « تربها » محرف . وانظر لرواية الشطر الثاني ما سبق في (٢ : ٣٢٢) .

(٣) في الأصل : « مدربا » .

(٤) الكلام من مبدأ كلمة « كان » إلى هنا ساقط من س .

(٥) نسبة إلى الديانة . وفي الأصل : « ديانا » . والديان بمعنى الحاكم ، ولا وجه له هنا .

قَضَى لِسِتَّةِ أَيَّامٍ خَلِيقَتَهُ^(١) وكان آخرها أَنْ صَوَّرَ الرَّجُلَا
دعاه آدمَ صوتاً فاستجاب له

٦٦

بِنَفْخَةِ الرُّوحِ فِي الْجِسْمِ الَّذِي جَبَلَا^(٢)
نُحْمَتَ أَوْرَثَهُ الْفِرْدَوْسَ يَغْمُرُهَا وَزَوْجَهُ صَنَعَتْ مِنْ ضِلْعِهِ جَعَلَا
لَمْ يَنْهَهُ رَبُّهُ عَنْ غَيْرِ وَاحِدَةٍ مِنْ شَجَرٍ طَيِّبٍ : أَنْ شَمَّ أَوْ أَكَلَا^(٣)
فَكَانَتْ الْحَيَّةُ الرَّقْشَاءُ إِذْ خُلِقَتْ كَمَا رَى نَاقَةً فِي الْخُلُقِ أَوْ جَمَلَا
فَعَمَدَا لِلَّتِي عَنْ أَكْلِهَا نَهَيَا بِأَمْرِ حَوَاءَ لَمْ تَأْخُذْ لَهُ الدَّغَلَا
كِلَاهُمَا خَاطَ إِذْ بُزَا لِبُوسَهُمَا مِنْ وَرَقِ النَّيْنِ ثَوْبًا لَمْ يَكُنْ غَزِلَا^(٤)
فَلَا طَهَا اللَّهُ إِذْ أَغْوَتْ خَلِيفَتَهُ طُولَ اللَّيَالِي وَلَمْ يَجْعَلْ لَهَا أَجَلَا^(٥)
تَمَشَى عَلَى بَطْنِهَا فِي الدَّهْرِ مَا عَمِرَتْ وَالتُّرْبُ تَأْكُلُهُ حَزْناوَانِ سَهَلَا^(٦)
فَأَتَعَبَا أَبَوَانَا فِي حَيَاتِهِمَا
وَأَوْجَدَا الْجُوعَ وَالْأَوْصَابَ وَالْعِلَلَا^(٧)

(١) ط ، س : « خَلِيقَتَهُ » صوابه في هـ .

(٢) ط : « فاستجاب له » ، تصحيحه من س ، هـ . وجبل : خلق .

(٣) أى عن شهما وأكلها .

(٤) بزأ لبوسهما : أى سلبا ثيابهما . وفي الكتاب الكريم : « فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما » و : « لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما » . وفي ط ، هـ : « برا » وفي س : « بر » والوجه ما أثبت .

(٥) لا طها : ألصقها . وخليفة الله : آدم : « وإذا قال ربك لللائكة إني جاعل في الأرض خليفة » . وقول عدى : « ولم يجعل لها أجلا » إشارة إلى ما يزعمون من أن الحية لا تموت إلا بعرض يعرض لها من قتل ونحوه .

(٦) عمر ، كفرح ونصر وضرب : بقي زمانا .

(٧) جرى الشاعر على نحو مذهب « أكلوني البراغيث » في « فأتعبا أبوانا » . ط فقط :

« فأبقيا » محرفة . وفي س ، هـ : « ووجد الجوع » .

وأوتيا الملك والإنجيلَ نقرؤه نَشْفِي بِحِكْمَتِهِ أَحْلَامَنَا عَلَلًا^(١)
مِنْ غَيْرِ مَا حَاجَةٍ إِلَّا لِيَجْعَلَنَا فَوْقَ الْبَرِيَّةِ أَرْبَابًا كَمَا فَعَلَا^(٢)

(عقاب حواء وآدم والحية)

فَرَوَوْا أَنَّ كَعَبَ الْأَحْبَارِ قَالَ : مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَةِ أَنَّ حَوَاءَ عِنْدَ
ذَلِكَ عُوقِبَتْ بِعَشْرِ خِصَالٍ ، وَأَنَّ آدَمَ لَمَّا أَطَاعَ حَوَاءَ وَعَصَى رَبَّهُ عُوقِبَ
بِعَشْرِ خِصَالٍ ، وَأَنَّ الْحَيَّةَ الَّتِي دَخَلَ فِيهَا إِبْلِيسُ عُوقِبَتْ أَيْضًا بِعَشْرِ
خِصَالٍ^(٣) .

وَأَوَّلُ خِصَالِ حَوَاءَ الَّتِي عُوقِبَتْ بِهَا وَجَعَ الْإِفْتِضَاضِ ، ثُمَّ الطَّلَقُ ، ثُمَّ
التَّزْنَعُ^(٤) ثُمَّ بَقْنَاعُ الرَّأْسِ^(٥) ، وَمَا يَصِيبُ الْوَحْمَى^(٦) وَالنَّفْسَاءُ مِنَ الْمَكْرُوهِ ،
وَالْقَصْرُ فِي الْبُيُوتِ^(٧) ، وَالْحِيْضُ ، وَأَنَّ الرِّجَالَ هُمُ الْقَوَّامُونَ عَلَيْهِنَّ ، وَأَنَّ
تَكُونَ عِنْدَ الْجَمَاعِ هِيَ الْأَسْفَلُ .

(١) الأحلام ، العقول . وعلا ، بدل من أحلامنا ، والضمير فيها مقدر ، أى :
علا فيها .

(٢) البرية : الخلق . وأربابا : جمع رب ، جاء في اللسان : « الرب يطلق في اللغة على
المالك والسيد والمربي والقيم والمنعم . قال : ولا يطلق غير مضاف إلا على الله
عز وجل . وإذا أطلق على غيره أضيف فقليل رب كذا . قال : وقد جاء
في الشعر مطلقا على غير الله تعالى ، وليس بالكثير ، ولم يذكر في غير الشعر » .

(٣) هذا القول غير مطابق لما في التوراة ، وبينه وبين ما فيها تفاوت . انظر سفر
التكوين ، الأصحاح الثالث الآيات ١٤ - ١٩ . وانظر تنبيه الجاحظ على مرويات
كعب في ص ٢٠٢ .

(٤) أى نزاع الولد .

(٥) أى لبس غطاء الرأس ، وحق هذه الخصاصة أن تكون بعد تاليتها .

(٦) وحمى المرأة : حبلى واشتهت الطعام ، فهى وحى من وحمى ووحاى . ط ،
س : « الوحى » هـ : « وما يصيب الرحم » صوابه ما أثبت .

(٧) أى حبسهن في البيوت . هذا . ومن عد هذه الخصال وجدها تسعا ، فلعله جعل
الخامسة منهن اثنتين .

وأما خصال آدم صلى الله عليه وسلم : فالذى انتقص من ضلوعه ^(١) ،
وبما جعله الله يخاف من الهوام والسباع ، ونكد العيش ، وبتوقع الموت ،
وبسكنى الأرض ، وبالعرى من ثياب الجنة ، وبأوجاع أهل الدنيا ، وبمقاساة
التحفظ من إبليس ، وبالمحاسبة بالطرف ^(٢) ، وبما شاع عليه من اسم العصاة .
وأما الحية فإنها عوقبت بنقص جناحها ، وقطع أرجلها ، والمشي على
بطنها ، وبإعراء جلدتها - حتى يقال : « أعرى من حية » وبشق لسانها -
ولذلك كلما خافت من القتل أخرجت لسانها لتريم العقوبة - وبما ألقى عليها
من عداوة الناس ، وبمخافة الناس ، وبجعله لها أول ملعون من اللحم والدم ،
وبالذى ينسب إليها من الكذب والظلم .

(ظلم الحية وكذبها)

فأما الظلم فقولهم : « أظلم من حية » . وأما الكذب فإنها تنطوى فى الرمل
على الطريق وتدخل بعض جسدها فى الرمل ، فتظهر كأنها طبق خيزران ،
ومنها حيات بيض قصار تجمع بين أطرافها على طرق الناس ، وتستدير كأنها
طوق [أو ^(٣)] خلخال ، أو سوار ذهب أو فضة - ولما تلقى على نفسها من
السبات ^(٤) ، ولما تظهر من الحرب من الناس . وكل ذلك إنما تغرهم
وتصطادهم بتلك الحيلة ، فذلك هو كذبها .

(١) فى الأصل : « من طوله » .

(٢) لعل المراد المحاسبة على ما تجنيه العين من جنائيات النظر . وفى س :

« وبالمحاسبة الطرف » .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) السبات ، بالضم : النوم .

(عقاب الأرض)

قال : وعوقبت الأرض حين شربت دم ابن آدم^(١) بعشر خصال :
أنبت فيها الشوك ، وصير فيها الفياق ، وخرق فيها البحار ، وملح أكثر
ماها ، وخلق فيها الهوام والسباع ، وجعلها قرارا لإبليس والعاصين ،
وجعل جهنم فيها ، وجعلها لا تربي ثمرتها إلا في الحر ، وهي تعذب بهم إلى
يوم القيامة ، وجعلها توطأ بالأخفاف ، والحوافر ، والأظلاف والأقدام^(٢) ،
وجعلها مألحة الطعم .

(شرب الأرض للدم)

ثم لم تشرب بعد دم ابن آدم دم أحد من ولده ، ولا من غير ولده .
قال : وكذلك قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لأبي مریم الحنفى^(٣) :
« لَأَنَا أَشَدُّ لَكَ بُغْضًا مِنَ الْأَرْضِ لِلدَّمِ ! » .

وزعم صاحب المنطق أن الأرض لا تشرب الدم ، إلا يسيرا من دماء
الإبل خاصة .

(اختبار العسل)

وإذا أرادوا أن يمتحنوا جودة العسل من ردايته ، قَطَرُوا على الأرض

(١) هو الذى تسميه التوراة : « هابيل » . الأصحاح الرابع من سفر التكوين ، وقصته فى سورة
المائدة ٢٧ - ٣١ .

(٢) فى الأصل : « القوادم » .

(٣) سبقت ترجمته فى (٣ : ١٣٦) ، حيث تجد كلمة عمر الآتية . وتجدها كذلك
فى عيون الأخبار (٣ : ١٣٠) والبيان (٢ : ٨٩) وبقيّة الحديث فيه : « قال :
أفتستغنى لذلك حقاً ؟ قال لا ! قال : لا خير ؛ إنما يأسف على الحب النساء ! » .

منه قَطْرَةٌ . فإذا استدارت ^(١) كأنها قطعةُ زَبْقٍ ، ولم تأخذ من الأرض ولم تُعْطِهَا ^(٢) فهو المادى الخالص الذهبى . فإن كان فيه غشوشة ^(٣) نفشت القطرة على [قدر] ما فيها ، وأخذت من الأرض وأعطتها . وإن لم يقدروا على اللحم الغريص ^(٤) دَفَنُوهُ وِغْرَقُوهُ فى العسل ، فإنهم متى رجعوا فغسلوه عنه وجدَّوهُ غَضًّا طَرِيًّا ؛ لأنَّه ذهبى الطِّباع ، ليس بينه وبين سائر الأجرام شيء . فهو لا يعطيه شيئاً ولا يأخذ منه . وكذلك الذهب إذا كان مدفوناً .

(زمن الفطحل)

وهذه الأحاديث ، وهذه الأشعار ، تدلُّ على أنَّهم قد كانوا يقولون :
 إِنَّ الصُّخْرَ كَانَتْ رَطْبَةً لَيْتَنَ ، وَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ كَانَ يَعْرِفُ وَيَنْطِقُ ، وَإِنَّ
 الْأَشْجَارَ وَالنَّخْلَ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا شَوْكٌ . وقد قال العجاج ، أو رؤبه ^(٥) :
 أَوْ عُمَرَ نُوحٍ زَمَنَ الْفِطْحَلِ وَالصَّخْرُ مُبْتَلٌ كَطِينِ الْوَحْلِ

(مرويات كعب الأحبار)

وأنا أظنُّ أنَّ كثيراً ممَّا يُحكى عن كعب أنَّه قال : مكتوبٌ فى التوراة
 أنَّه إِنَّمَا قَالَ : « نَجِدُ فى الكُتُبِ » ، وهو إِنَّمَا يعنى كتب الأنبياء ، والذى يتوارثونه
 من كتب سليمان ؛ وما فى كتبهم من [مثل ^(٦)] كتب إشعياء ^(٧) [وغيره ^(٨)] .

(١) ط ، هـ : « فإن استدارت » .

(٢) س ، هـ : « يعطه » ط : « تعطه » وصوابه ما أثبت .

(٣) كذا فى الأصل . والمعروف : غشه غشا .

(٤) اللحم الغريص : الطرى .

(٥) انظر ما سبق من التحقيق فى ص ٨ .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) هو إشعياء ، بكسر أوله وفتح ثانيه وإسكان ثالثه كما ضبط فى العهد القديم .

كان أحد أنبياء بنى إسرائيل . وقد تحدث عنه ابن الأثير فى الكامل (١) :

١٤٣ - ١٤٥) حديثاً طويلاً ، وكتابه يشتمل على ستة وستين أصحاباً .

(٨) بمثل هذه الكلمة يصلح الكلام . وإلا فإن لإشعياء كتاباً واحداً كما مر =

والذين يروون عنه في صفة عُمرَ بن الخطاب رضى الله عنه ، وأشباه ذلك ، فإن كانوا صدّقوا عليه ، وكان الشيخ لا يضعُ الأخبارَ^(١) فما كان وجهُ كلامه عندنا إلا على ما قلتُ لك .

٦٧

(نطق الحية)

وفى أنَّ الحيةَ قد كانت تسمعُ وتنطقُ ، يقول النَّابِغَةُ^(٢) فى المثل الذى ضَرَبَهُ^(٣) ، وهو قوله :

أليس لنا مولى يحبُّ سَراحنا فيعذِرنا من مُرَّةِ المتناصِرة^(٤)
ليهنِكُم^(٥) أنْ قدْ نفِيتُم^(٦) يئوتنا محلَّ عُبيدَانِ المحلِّ باقره^(٧)

= فى التنبية السابق : فن هذه الكتب كتب إرميا ، وحزقيال ، ودانيال ، ويوشع وعاموس ، وغيرهم .

(١) س : « وكان الشيخ يضعُ الأخبار » .

(٢) من قصيدة له يعاتب بها بنى مرة . انظر الخزانة (٣ : ٥٥٦ بولاق) وخسة دواوين العرب ٤٧ . ووهم الديميرى فى نسبة الشعر إلى النابغة الجعلى .

(٣) انظر قصة الشعر فى المصدرين المتقدمين ، والشعراء ١١٢ - ١١٣ والمحاسن والمساوى (٢ : ١٣٤) والديميرى (١ : ٤١٦) وأمثال الميداني (١ : ٨٢) ومروج الذهب (٢ : ١٢٩) . وهى مما وضعه العرب على ألسنة الحيوان .

(٤) س : « يحب سراحنا » .

(٥) كذا فى ه . وفى س : « ليهنكو » وهما كتابتان جازتان ، وفى ط : « ليهنأكم » ، وفى خمسة دواوين العرب واللسان (مادة عبد) : « ليهنأكم » وهذه لغة غريبة .

(٦) فى الأصل : « لقيتم » . وتصحيحه من الديوان واللسان (عبد) .

(٧) فى البيت إقواء . وقال ابن برى : صواب إنشاده : « المحلى باقره » بكسر اللام من المحلى ، وفتح الراء من باقره . وعبيدان : ماء منقطع بأرض اليمن لا يقربه أنيس ولا وحش . أو هو بمعنى الفلاة . أو هو رجل له قصة ، ذكرها صاحب اللسان . والباقر : البقر . س ، ه : « المحلات » محرف . وانظر الاستدراكات .

وإني لللاق من ذوى الضغن نكبة^(١) بلا عثرة^(٢) والنفس لابد عاثره^(٣)
 كما لقيت ذات الصفا من حليفها
 وما انفكت الأمثال في الناس سائرة^(٤)
 فقالت له : أدعوك للعقل وافرًا ولا تعشيني منك للظلم بادرة^(٥)
 فوافقتها بالله حتى تراضيا فكانت تديه الجزع خفيا وظاهره^(٦)
 فلما توفي العقل إلا أقله وجارت به نفس عن الخير جاره^(٧)
 تفكر أني يجمع الله شمله^(٨) فيصبح ذا مال ويقتل واتره
 فظل على فأس يحد غرابها^(٩) ليقتلها، والنفس للقتل حاذرة^(١٠)
 فلما وقاها الله ضربة فأسه والله عين لا تغمض ساهره^(١١)
 فقال : تعالى نجعل الله بيننا على العقل حتى تنجزى لي آخره^(١٢)

- (١) الخزانة : « فإني لألقى من ذوى الضغن منهم » .
 (٢) ذات الصفا : الحية التي كان لها هذا المثل : وسميت بذلك لأنها تسكن في الصفا ،
 وهي الحجارة الملس الصلاب .
 (٣) العقل هنا بمعنى الدية . زعموا أن الحية قتلت أخا ذلك الحليف .
 (٤) تديه الجزع : أى تعطيه دية أخيه من الجزع ، بالفتح ، وهو ضرب من الخرز
 فيه بياض وسواد . هـ : « تديه الجرح » محرف . ورواية الخزانة والديوان :
 « وكانت تديه المال غيا » . والغب بالكسر : أن تعطيه في يوم ولا تعطيه في الثاني . والظاهرة
 أصله من ظم الإبل ، وهى أن تشرب كل يوم نصف النهار .
 (٥) توفي العقل : أى أخذ الدية وافية كاملة .
 (٦) رواية الديوان والخزانة : « تذكر أني يجعل الله جنة » . والجنة بالضم : الوقاية .
 ورواية الشعراء : « تذكر أني يجعل الله فرصة » .
 (٧) غراب الفأس : طرفها . ورواية الميذاني والخزانة والشعراء : « أكب على فأس »
 (٨) والنفس : أى ونفسه . ورواية العجز في الخزانة والميذاني والديوان :
 « مذكرة من المماول بآره » .
 (٩) ط : « ناظره » . ورواية الميذاني : « وللشر عين لا تغمض ناظره » .
 (١٠) قال للحية : تعالى نجعل الله شاهدًا بيننا على دية أخى حتى تنجزىها . هـ : =

فَقَالَتْ : يَمِينُ اللَّهِ ، أَفْعَلُ ؛ إِنَّنِي رَأَيْتُكَ خَتَّارًا يَمِينُكَ فَاجِرُهُ (١)
أَبَى لَكَ قَبْرُ لَا يَزَالُ مُوَاجِهًا وَضْرِبَةً فَأَسِ فَوْقَ رَأْسِي فَاقِرُهُ (٢)
فَذَهَبَ النَّابِغَةُ فِي الْحَيَّاتِ مَذْهَبَ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ ، وَعَدَى
ابْنَ زَيْدٍ ، وَغَيْرَهُمَا مِنَ الشُّعْرَاءِ .

(الصخور والأشجار في ماضى الزمان)

وَأُنْشَدْنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ كَيْسَانَ :
فَكَانَ رَطِيبًا يَوْمَ ذَلِكَ صَخْرُهَا وَكَانَ خَضِيدًا (٣) طَلَحُهَا وَسَيَّأُهَا
فَزَعَمَ كَمَا تَرَى أَنَّ الصُّخُورَ كَانَتْ لَيِّنَةً ، وَأَنَّ الْأَشْجَارَ : الطَّلَحَ وَالسَّيَّالَ
كَانَتْ خَضِيدًا (٤) لَا شَوْكَ عَلَيْهَا .
وَزَعَمَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ وَأَصْحَابُ الْأَخْبَارِ ، أَنَّ الشَّوْكَ إِنَّمَا اعْتَرَاهَا فِي صَبِيحَةِ
الْيَوْمِ الَّذِي زَعَمَتِ النَّصَارَى فِيهِ أَنَّ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ .

= « فَقَالَتْ لَمَلٌ يَجْمَلُ » صَوَابُهُ ، فِي طَوِيلِ الدِّيَوَانِ وَالْخَزَانَةِ وَالْمِيدَانِ . وَيُرْوَى :
« هَلَى الْمَالِ » وَ« عَلَى مَالِنَا » .

(١) يَمِينُ اللَّهِ : قِسْمٌ مِنَ الْإِيمَانِ . وَ« أَفْعَلُ » أَيْ : لَا أَفْعَلُ . وَحُذِفَ « لَا » بَعْدَ
الْقِسْمِ كَثِيرٌ فِي كَلَامِهِمْ . وَفِي الْكِتَابِ : « تَالَهُ تَفْتُو تَذَكَّرُ يَوْسُفَ » أَيْ لَا تَفْتَأُ .
وَانْظُرْ لِهَذَا الْبَحْثِ أَمَالِي الْمُرْتَضَى (٣ : ١٣٧) وَالْمُخَصَّصَ (١٣ : ١١٥)
وَالْأَضْدَادَ ١٤٨ . وَالْخِتَارَ : الْغَدَارَ .

(٢) تَقُولُ : أَبَى لَكَ أَنْ تَكُونَ وَفِيَا مَا أَسْلَفَ إِلَى أَخَوِكَ الَّذِي قَبْرُهُ مُوَاجِهٌ لَنَا
وَكَانَ أَخُوهُ فِيمَا زَعَمُوا - ضَرْبَهَا بِفَأْسٍ ، فَانْتَقَمَتْ مِنْهُ بِأَنْ قَتَلَتْهُ . وَرَوَايَةُ الدِّيَوَانِ
وَالْخَزَانَةِ وَالشُّعْرَاءِ : « أَبَى لِي » أَيْ أَبَى لِي أَنْ أَخْدَعُ أَوْ أَنْ أَضْمِنَ وَفَاءَهُ
وَصَدَقَ التَّعَاهُدَ وَالتَّوَاتُقَ . وَالضَّرْبَةُ الْفَاقِرَةُ : الْقَاطِعَةُ ، كَأَنَّهَا تَقْطَعُ الْفَقَارَ .
(٣) فِي الْأَصْلِ : « نَفْسِيدَا » ، صَوَابُهُ مَا أَثْبَتَ . وَانْظُرْ تَعْقِيبَ الْجَاهِظِ .

(٤) خَضِيدٌ : فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ مِنْ خَضَدَ الشَّوْكَ : أَيْ قَطَعَهُ . وَفِي الْأَصْلِ .
« خَضِيدَةٌ » وَفَعِيلٌ إِذَا كَانَ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ وَذَكَرَ مَعَهُ الْمَوْصُوفُ اسْتَوَى فِيهِ الْمَذَكَّرُ وَالْمَوْثَنُ .

(أثر قدم إبراهيم عليه السلام)

وكان مقاتلٌ يقولُ - حَدَّثَنَا بِذَلِكَ [عنه ^(١)] أبو عقيل السَّوَّاقُ ، وكان أحدَ رواةِ الحاملين عنه - إِنَّ الصُّخْرَ كَانَتْ لَيِّنَةً ، وَإِنَّ قَدَمَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَثَرَتْ ^(٢) فِي تِلْكَ الصُّخْرَةِ ، كَتَأْثِيرَ أَقْدَامِ النَّاسِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ .
 ٦٩ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَوَقَّى تِلْكَ الْآثَارَ ، وَعَقَّى بِهَا ، وَمَسَحَهَا وَمَحَاهَا ، وَتَرَكَ أَثَرَ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَالْحُجَّةُ لِنَامَا هِيَ فِي إِفْرَادِهِ بِذَلِكَ وَنَحْوِ مَا سِوَاهُ مِنْ آثَارِ أَقْدَامِ النَّاسِ . لَيْسَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ وَطِئَ عَلَى صَخْرَةٍ خَلْقَاءَ ^(٣) يَابِسَةٍ فَأَثَرَ فِيهَا .

(فضل المتكلمين والمعتزلة)

وَأَنَا أَقُولُ عَلَى تَثْبِيثِ ذَلِكَ بِالْحُجَّةِ ^(٤) . وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْهَذَرِ وَالتَّكْلِيفِ وَانْتِحَالِ مَا لَا أَقُومُ بِهِ . أَقُولُ : إِنَّهُ لَوْلَا مَكَانُ الْمُتَكَلِّمِينَ هَلَكَتْ الْعَوَامُّ مِنْ جَمِيعِ الْأُمَمِ ، وَلَوْلَا مَكَانُ الْمُعْتَزِلَةِ هَلَكَتْ الْعَوَامُّ مِنْ جَمِيعِ النَّحْلِ . فَإِنْ لَمْ أَقُلْ : وَلَوْلَا أَصْحَابُ إِبْرَاهِيمَ وَإِبْرَاهِيمُ هَلَكَتْ الْعَوَامُّ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ ، فَإِنِّي أَقُولُ : إِنَّهُ قَدْ أَهْجَ لَهُمْ سُبُلًا ، وَفَتَقَ لَهُمْ أُمُورًا ، وَاخْتَصَرَ لَهُمْ أَبْوَابًا ظَهَرَتْ فِيهَا الْمُنْفَعَةُ ، وَشَمَلَتْهُمْ بِهَا النِّعْمَةُ .

(١) الزيادة من س ، هـ .

(٢) ط : « وَإِنْ قَدَمَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَثَرْنَا » ، وَيَكُونُ صَوَابٌ مَا فِي ط :

« وَإِنْ قَدَمَى » لِلخ .

(٣) صخرة خلقاء : ملساء .

(٤) س : « الْحُجَّة » .

(ما يحتاج إليه الناس)

وأنا أزعّم أن الناس يحتاجون بدياً^(١) إلى طبيعة ثم إلى معرفة ، ثم إلى إنصاف . وأوّل ما ينبغي أن يبتدئ به صاحبُ الإنصاف أمره ألا يعطى نفسه فوقَ حقها ، وألا يضعها دونَ مكانها ، وأن يتحفّظَ من شيئين ، فإن نجاته لا تتمّ إلاّ بالتحفظ منهما : أحدهما تهمة الإلف ، والآخر تهمة السابقي إلى القلب - والله الموفق .

(حديث عن تأليف هذا الكتاب)

وما أكثرَ ما يعرض في وقت إكبابي^(٢) على هذا الكتاب ، وإطالتي الكلام ، وإطنابي في القول ، بيتُ ابنِ هرّمة ، حيث يقول :
إنّ الحديثَ تغرّ القومَ خلوته حتّى يُلجّ بهم عيٌّ وإكثارُ^(٣)
وقولهم في المثل : « كلُّ مُجرٍّ في الخلاءِ يُسرُّ »^(٤) .

(١) بدياً : أى بدءاً . وفي الأصل : « ندباً » .

(٢) أكب على الشيء : أقبل عليه ولزمه . وهذه الكلمة محرّفة في الأصل ، فهي في ط : « الباب » و س : « باب » و هـ : « أكبابى » .

(٣) خلوته : أى أن يختل ببعضهم ببعض لمداورته وتبادلته . وفي الأصل : « خلوته » بالخاء المهملّة ، وهو تصحيف صوابه في الجزء الأول ص ٨٨ حيث تجد موضع الاستشهاد بهذا البيت .

(٤) كذا الرواية الجيدة للمثل كما سبق في الجزء الأول ص ٨٨ وأمثال الميداني (٢ : ٧٣) وآمال القائل (٢ : ٨٩) . وأصله أن الرجل يجرى فرسه في المكان الخال لا مسابق له فيه ، فهو مسرور بما يرى من فرسه . يضرب مثلاً للرجل تكون فيه الخلّة يحمدّها من نفسه ، ولا يشعر بما في الناس من الفضائل . وقد روى المثل أيضاً : « كلُّ مجرٍّ في الخلاءِ مسرٌّ » ، يجعل « مسرٌّ » اسم مفعول من « أسره » أى أفرحه . وهو فعل لم تنطق به العرب ، وإنما توهّمه القائل ، كما أنشد الآخر في عكسه :

وأنا أعود بالله أن أغرَّ من نفسى ، عند غيبة خصمى ، وتصفح العلماء لكلامى ، فإنى أعلم أن فتنه اللسان والقلم ، أشد من فتنه النساء ، والحرص على المال .

وقد صادف هذا الكتاب منى حالات تمنع من بلوغ الإرادة فيه ، أول ذلك العلة الشديدة ، والثانية قلة الأعوان ، والثالثة طول الكتاب ، والرابعة أنى لو تكلفت كتاباً فى طوله ، وعدد ألفاظه ومعانيه ، ثم كان من كتب العرّض والجوهر ، والطفرة^(١) ، والتولد^(٢) ، والمداخله^(٣) ، والغرائز^(٤)

- = وبلدة يغضى على النعوت يغضى كإغضاء الروى الميثوت
 أراد : المثبت ، فتوهم : ثبته . انظر اللسان (سرر) وما أسلفت من التحقيق فى (١ : ٨٨) .
- (١) الطفرة : مسألة كلامية تنسب إلى إبراهيم النظام ، كما فى الفصل (٥ : ٦٤) ، وهى قوله : إن المار على سطح الجسم يسير من مكان إلى مكان بينهما أما كن لم يقطعها هذا المار ، ولا مر عليها ، ولا حاذها ، ولا حل فيها . وانظر لذلك أيضاً الفرق بين الفرق ١٢٤ س ٦ — ٧ ، ١٥ وتأويل مختلف الحديث ١٦ س ٢ . وفى الأصل : « الصفرة » تحريف ظاهر .
- (٢) التولد : مبحث كلامى ، وذلك أنهم اختلفوا فيما روى سبها فجرح به إنسانا ، أو غيره ، وفى حرق النار ، وتبريد الثلج ، وسائر الآثار الظاهرة من الجمادات ، فقالت طائفة : ماتولد من ذلك عن فعل إنسان أو حتى ، فهو فعل الإنسان والحى . واختلفوا فيما تولد من غير حى ، فقالت طائفة : هو فعل الله . وقالت طائفة : هو فعل الطبيعة . وقال آخرون : كل ذلك فعل الله . وقد فصل ابن حزم الكلام فيه فى كتابه (٥ : ٥٩ — ٦٠) . وانظر مذهب الجبائى والنظام فى الفرق ١١٥ وبشر ، فى الفرق ١٤٣ . وفى الأصل : « التوليد » وصوابه مما سبق ومن تأويل مختلف الحديث ١٦ س ٣ .
- (٣) المداخله : مقالة كلامية لقوم زعموا أن الألوان ، والطعوم ، والروائح ، والأصوات والخواطر ، أجسام ، وأن تلك الأجسام يزعمهم تتداخل فى حيز واحد . الفصل (٥ : ٦٠ — ٦١) . وقد ذهب النظام إلى ذلك . الفرق ١٢٢ .
- (٤) الغرائز ، أى الطبايع الموجودة فى الأشياء ، كالحر للنار ، والبرد للثلج ، والإشكار =

والتماس^(١) - لكان أسهل وأقصر أياماً ، وأسرع فراغاً ؛ لأنني كنت لأفزع فيه إلى تلقط الأشعار^(٢) ، وتتبع الأمثال ، واستخراج الآي من القرآن ، والحجج من الرواية ، مع تفرق هذه الأمور في الكتب ، وتباعد ما بين الأشكال . فإن وجدت فيه خلافاً من اضطراب لفظ ، ومن سوء تأليف ، أو من تقطيع نظام^(٣) ، ومن وقوع الشيء في غير موضعه^(٤) - فلا تنسكِر ، بعد أن صوّرتُ عندك حالي التي ابتدأتُ عليها كتابي .

٧٠

ولولا ما أرجو من عون الله على إتمامه ؛ إذ كنتُ لم أتمسّ به إلاّ إتمامك مواقع الحجج لله ، وتصارييف تدبيره ، وانذى أودع أصناف خلقه من أصناف حكمته - كما تعرّضتُ لهذا المكروه .

فإن نظرتُ في هذا الكتاب فانظر فيه نظر من يلتبس لصاحبه الخارج ، ولا يذهب مذهب التعنت ، ومذهب من إذا رأى خيراً كتّمه ، وإذا رأى شراً أذاعه .

وليعلم من فعل ذلك أنه قد تعرّض لباب إن أخذ بمثله ، وتعرّض له

= للخمر . أثبت ذلك قوم ، ونفاه آخرون منهم الأشاعرة . الفصل (١٤ - ١٥) .

وللجاحظ كلام طويل فيها في هذا الجزء ٣١٣ - ٣١٩ سمي .

(١) التماس ، ويقال أيضاً : المجاورة . باب من الكلام ، يبحث في اتصال الأجسام بعضها ببعض ، كالماء باللبن ، والدقيق بالماء ، والزيت بالخل . وتجد أقسامه موضحة في الفصل (٥ : ٦١) . وانظر تماس العرش ومالكة في الفرق بين الفرق ٢٠٤ ط ، هـ : « النحاس » س : « النحاس » وهما تحريف ما أثبت .

(٢) أفزع إليه : أي ألجأ . وفي الأصل : « أفزع » محرفة . والتلقط : التقاط الشيء من هنا وهناك . وفي الأصل : « التلقظ » ، وليس صواباً .

(٣) ط ، س : « ومن تقطيع نظام » ، وأثبت ما في هـ .

(٤) هـ : « أو من وقوع » . الخ ، وأثبت ما في ط ، س .

في قوله وكتبه ، أن ليس ذلك إلا من سبيل العقوبة ، والأخذ منه بالظلامة .
فلينظر فيه على مثال ما أذب الله به ، وعرف كيف يكون النظر والتفكير
والاعتبار والتعليم ؛ فإن الله عز وجل يقول : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ
وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾ .

(الحكم الجميلة في دقيق الأشياء)

فينبغي أن تكون إذا مررت بذكر الآية والأعجوبة ، في الفراشة
والجرجسة ^(١) ، ألا تحقر تلك الآية ، وتصغر تلك الأعجوبة ؛ لصغر قدرها
عندك ، ولقلة معرفتهما عند معرفتك ^(٢) ، ولصغر أجسامهما عند جسمك .
ولكن كن عند الذي يظهر لك من تلك الحكم ، [و ^(٣)] من ذلك التدبير ،
كما قال الله عز وجل : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَوَّاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً
وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ قال ثم قال : ﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا
بِأَحْسَنِهَا ﴾ ثم قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ
وَطْنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾ .
وقد قال عامر بن عبد قيس ^(٤) : « الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت
في القلب ، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان » .

(١) الجرجس ، بالكسر : البعوض الصفار . ط : « الحرجسة » ، صوابه
في س ، هـ .

(٢) في الأصل : « عندك معرفتك » ، والوجه ما أثبت .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) س : « عبد القيس » بإثبات « أل » وهو جاز في العربية ، كما أسلفت في (٣ : ٣٨٢) .
وهو عامر بن عبد قيس بن ثابت التيمي العبدي . تابعي ثقة من كبار التابعين =

(حث على الإخلاص والتنبه عند النظر)

وأنا أعيد نفسي بالله أن أقول إلا له ، وأعيدك بالله أن تسمع إلا له .
وقد قال الله عز وجل : ﴿ وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَهْتَدُوا وَتَرَاهُمْ
يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ . فاحذر من أن تكون منهم ، ومن
يَنْظُرُ إِلَى حِكْمَةِ اللَّهِ وَهُوَ لَا يَبْصُرُهَا ، وَمِنْ^(١) يَبْصُرُهَا بَفَتْحِ الْعَيْنِ وَاسْتِمَاعِ
الْأَذَانِ ؛ ولكن بالتوقف من القلب ، والتثبت من العقل ، وبتحفيظه
وتمكينه من اليقين ، والحجة الظاهرة . ولا يراها من يُعْرِضُ عنها . وقد
قال الله عز وجل : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ .
وقال : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الْبِكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ ولو
كانوا صمًّا بُكْمًا وكانوا هم لا يعقلون ، لما عيّرهم بذلك ، كما لم يعيّر من خلقه
معتوها كيف لم يعقل ، ومن خلقه أعمى كيف لم يبصر ، وكما لم يلم^(٢)
الدواب ، ولم يعاقب السباع . ولكنّه سَمِيَ البصير المتعاصي أعمى ، والسميع
المتصائم^(٣) أصم ، والعاقل المتجاهل جاهلاً .

٧١

وقد قال الله عز وجل : ﴿ فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي
الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

= وعبادهم . وكان غاية في الزهد ، روى عنه في ذلك روايات تدخل في حدود المبالغة .
انظر الإصابة ٦٢٨٠ . وكان من الأبناء الفصحاء ، كما ترى ذلك في مواضع كثيرة ،
من بيان الجاحظ . ومات عامر في خلافة معاوية . والخبر في البيان ١ : ٨٣ .

(١) في الأصل : « وأن » ، ولا يستقيم بها الكلام .

(٢) ط ، هـ : « يكرم » صوابه في س .

(٣) كذا جاءت بالفك .

فَانْظُرْ كَمَا أَمَرَكُ اللَّهُ ، وانظرْ من الجهة التي دَلَّكَ مِنْهَا ، وخذْ ذلك بقوة .
قال تعالى : ﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾ ^(١) .

(عود إلى الحيات)

ثُمَّ رَجَعَ بنا القولُ إلى ما في الحيات من العلم والعبرة ، والفائدة والحكمة ؛ ولذلك قال أبو ذَرٍّ الْغِفَارِيُّ : « لقد تَرَكْنَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وما يَمُرُّ بنا طائرٌ إلا وعِنْدَنَا من شأنه عِلْمٌ » . وهذا القولُ مُصَحِّحٌ عن أبي ذر ، ولم يخصَّ أبو ذرَّ خَشَاشَ الطَّيْرِ من بُغَاثِهَا وأَحْرَارِهَا ، ولا ما يدخل في بابهِ ^(٢) الهمج . وقد أَرَيْنَاكَ من تحقيقِ قوله طَرَفًا . ولعلَّكَ إن جمعتَ نظركَ إلى نظرنا ، أن ^(٣) تستمَّ هذا الباب ، فقد قال الشاعر :
خَلِيلِي لَيْسَ الرَّأْيُ فِي رَأْيٍ وَاحِدٍ ^(٤) أَشِيرَا عَلَى الْيَوْمِ مَا تَرَيَانِ
وقال الْأَحْنَفُ : « مَا مِنْ النَّاسِ أَحَدٌ إِلَّا وَقَدْ تَعَلَّمْتُ مِنْهُ شَيْئًا ، حَتَّى مِنْ الْأُمَةِ الْوَرَهَاءِ وَالْعَبْدِ الْأَوْرَةِ ^(٥) » .

(أنواع الحيات)

والحياتُ مختلفاتُ الجهاتِ جدًّا ، وهى من الأمم التي يكثرُ اختلافُ أجناسِها في الضررِ والسمِّ ، وفي الصَّغَرِ والعِظَمِ ، وفي التعرُّضِ للنَّاسِ

-
- (١) ما آتيناكم : أى الكتاب . وأصل الخطاب لبني إسرائيل . بقوة : بجود وعزيمة .
اذكروا ما فيه : ادرسوه ولا تنسوه ، أوتفكروا فيه .
(٢) س ، هـ : « باب ط : « باب هـ » ، وأثبت تصحيح ما في ط .
(٣) في الأصل : « لم » .
(٤) رواية الراغب في المحاضرات (١ : ١٢) : « في صدر واحد » .
(٥) الأورده : الأحق ، والأثني ورهاء .

وفي الحرب منهم . ففنها مالا يؤذى إِلَّا أَنْ يَكُونَ الناس قد آذَوْهَا مَرَّةً .
وَأَمَّا الْأَسْوَدُ فَإِنَّهُ يَحْقِدُ وَيُطَالِبُ ، وَيَكْمُنُ ^(١) في المتاع حتى يُدْرِكَ بَطَائِلَهُ .
وله زمانٌ يقتلُ فيه كلَّ شَيْءٍ نَهْشَهُ .

وَأَمَّا الْأَفْعَى فَلَيْسَ ذَلِكَ عِنْدَهَا ، وَلَكِنهَا تَظْهَرُ فِي الصَّيْفِ مَعَ أَوَّلِ
الليل ، إِذَا سَكَنَ وَهَجُ الرَّمْلِ وَظَاهِرُ الْأَرْضِ ؛ فَتَأْتِي قَارِعَةَ الطَّرِيقِ حَتَّى
تَسْتَدِيرَ وَتَطْحَنَ ^(٢) كَأَنَّهَا رَحَى ، ثُمَّ تُلْصِقُ بَدَنَهَا ^(٣) بِالْأَرْضِ وَتُشْخِصُ
رَأْسَهَا ، لَيْثًا يَدْرِكُهَا السُّبَاتُ ؛ مُعَرَّضَةً ، لَيْثًا يَطَّأُهَا إِنْسَانٌ أَوْ دَابَّةٌ فَتَنْهَشُهُ .
كَأَنَّهَا تَرِيدُ إِلَّا تَنْهَشَ إِلَّا بِأَنْ يُتَعَرَّضَ ^(٤) لَهَا ، وَهِيَ قَدْ تَعَرَّضَتْ
لنَهْشِهِ بِاعْتِرَاضِهَا فِي الطَّرِيقِ وَتَنَاوُضُهَا عَلَيْهِ ! وَهِيَ مِنَ الْحَيَّاتِ الَّتِي تَرُصِدُ ^(٥)
وَتُوصَفُ بِذَلِكَ . قَالَ مَعْقِلُ بْنُ خُوَيْلِدٍ ^(٦) :

أَبَا مَعْقِلٍ لَا تُوطِئَنَّكُمْ بَغَاضَتِي

رُمُوسَ الْأَفَاعِي فِي مَرَاصِدِهَا الْعُرمِ ^(٧)

(١) كُنْ يَكُنْ ، مِنْ بَابِ نَصْرٍ وَسَمِعَ : اسْتَخْفَى . س : « وَيَكُنْ » مُحَرَفَةٌ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « تَنْطَحْنِ » وَصَوَابُهُ مَا أَثْبَتَ . الْجَوْهَرِيُّ : طَحَنَتِ الْأَفْعَى : تَرَحَّتْ
وَاسْتَدَارَتْ ، فَهِيَ مَطْحَانٌ . قَالَ الشَّاعِرُ :

بَخْرُ شَاءَ مَطْحَانٍ كَانَ فَحِيحُهَا إِذَا فَزَعَتْ مَاءَ هَرِيقٍ عَلَى بَحْرِ

(٣) ط : « بَدَنُهَا » ، وَالْوَجْهُ مَا أَثْبَتَ مِنْ س ، ه .

(٤) ط : « يَتَعَرَّضُ » ، وَالْأَشْبَهُ مَا كَتَبَتْ مِنْ س ، ه .

(٥) تَرُصِدُ : أَيُ تَكُنْ . وَالْمَرَاصِدُ : الْمَكَامُنُ .

(٦) مَعْقِلُ بْنُ خُوَيْلِدِ بْنِ وَائِلَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ يَالِيلِ الْهَذَلِيِّ ، شَاعِرٌ مَخْضَرُمٌ أَدْرَكَ
الْجَاهِلِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ ، وَكَانَ أَبُوهُ رَفِيقَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ إِلَى أُبْرَةَ . مَعْجَمُ الْمَرْزُبَانِيِّ
٣٧١ وَالْإِسَابَةُ ٨١٣٠ .

(٧) يُخَاطَبُ أَبَا مَعْقِلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتِيبَةَ ، كَمَا فِي شَرْحِ أَشْعَارِ الْهَذَلِيِّينَ لِلْسَّكْرِيِّ ٣٨٣ تَحْقِيقُ
فِرَاجٍ . وَالْبَغَاضَةُ ، بِالْفَتْحِ : الْبَغْضُ . وَرَوَايَةُ الْأَسَانِ (رُصْدٌ ، بَغْضٌ ، عَرَمٌ)
وَالْمَخْضَرُمُ (٧ : ١٩٤) : « لَا تُوطِئَنَّكَ » .

يريد : الأفاعى فى مراصدها^(١) . وكل منقطة^(٢) فهى عَرَماء ،
من شاةٍ أو غير ذلك .

وقال آخر :

وكم طَوَتْ من حَنْشٍ وراصيدٍ للسَّفرِ فى أعلى البياتِ قاصِدٍ
والأفعى تقتلُ فى كلِّ حالٍ وفى كلِّ زمانٍ . والشُّجاع^(٣) يواثِبُ
٧٢ ويقوم على ذنبه ، وربما بَلَغَ رأسُه رأسَ الفارس .

(ما يقتل الحية والمقرب من الحيوان)

وليس يقتلها — إذا تطوّقت على الطريق وفى المناهج ، أو اعترضتها
لتقطعها عابرةً إلى الجانب الآخر — شىء كأقاطيع الشّيار إذا مرّت بها ،
وكذلك الإبلُ الكثيرة إذا مرّت ، فإن الحية إذا وَقَعَتْ بين أرجلها كان
همّتها نفسها ، ولم يكن لها همةٌ إلّا التَّخَلُّصَ بنفسها ؛ لئلاّ تعجلها بالوطء .
فإن نَجَتْ من وطء أيديها ، لم تنجُ من وطء أرجلها . وإن سلمت من واحدةٍ
لم تسلم من التى تليها ، إلى آخرها .

وقال عمر بن لُجأ ، وهو يصف إبله :

* تعرّض الحياتِ فى خِرشائها^(٤) *

(١) ط : « بافالاعى » س ، هـ : « بالأفاعى » صوابه ما أثبت من الجزء الخامس
من الحيوان ص ٥٧٤ إذ لاداعى للباء . ويعنى الجاحظ أن العرم صفة للأفاعى ،
لا للمراصد . ومراصدها : مكانها .

(٢) فى الأصل : « منقطعة » ، تحريف . وفى المخصص (٨ : ١١١) : « الحية العرماء
التي فيها نقط سود وبيض . وأنشد :

* ردوس الأفاعى فى مرايضها العرم * *

(٣) الشجاع : حية عظيمة .

(٤) فى اللسان (عفر ٢٦٤) : « تفرش » ، وفى الأغاني (٧ : ٦٤) : « تفرس » ، لعل
صوابها « تفرش » . والتفرش : التجمع . والخرشاء : جلد الحية وسلخها . وفى
الأصل : « عسامها » ، صوابه من اللسان والأغاني .

وقال ذو الأهدام^(١) :

* تُعْجِلْهَا عَنْ نَهْشِهَا وَالنَّكَرِ^(٢) *

ومن ذلك أَنَّ العَقْرَبَ تَقَعُ فِي يَدِ السَّنَّورِ ، فِيلْعَبُ بِهَا سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ
وهي في ذلك مسترخيةٌ مستخذيةٌ لا تضربه . والسَّنَانِيرُ مِنَ الْخَلْقِ الَّذِي
لا تسرع^(٣) السُّمُومُ فِيهِ .

(مسألة الأفعى للقائض والراعى)

وربما باتت الأفعى عندَ رأسِ الرَّجُلِ وعلى فراشه فلا تنهشه .
وأكثرُ ما يُوجَدُ ذلك من القَائِضِ^(٤) والرَّاعِي . قال الشاعر^(٥) :
تَبَيْتُ الْحَيَّةَ النَّضْنَاضُ مِنْهُ مَكَانَ الْحَبِّ مَسْتَمِعَ السَّرَارِ^(٦)
قال : الْحَبُّ : الْحَبِيبُ^(٧) . والنضناض من الحيات : الذى يحرك

(١) ذو الأهدام ، هو متوكل بن عياض بن حكم بن طفيل ، ويسمى المتوكل الكلابي .
وهو كذلك لقب لنويع ، أو نافع بن سودة الضبابي ، وقد هجا كل منهما
الفرزدق بشعر ، فرد عليهما الفرزدق بنقيضة طويلة ، في النقائض . وانظر المؤلف
١٧٩ ومعجم المرزبانى ٤١٠ والقاموس المحيط .

(٢) نكزته الحية : لسمته بأنفها . والنكاز : ضرب من الحيات ينكز بأنفه ولا
يعض بفيه . فى الأصل : « والمنكر » .

(٣) س : « تسرح » ، وليست هناك .

(٤) القائض : الصائد . ط : « القاص » ، صوابه فى س ، هـ .

(٥) هو الراعى الشاعر ، كما فى اللسان (حب ، نضض) وأمدى القائل (٢ : ٢٣)
والاشتقاق ٣٠٨ من تحقيقى .

(٦) كذا . وصواب الرواية : « يستمع السرار » . انظر المصدرين المتقدمين
والمختص (٤ : ٤٣ ، ٨ : ١١٠) .

(٧) وقيل الحب ، هنا : القرط . عن الأصمى أنه سأل جندل بن عبيد الراعى ، عن
معنى قول أبيه الراعى :

تَبَيْتُ الْحَيَّةَ النَّضْنَاضُ مِنْهُ مَكَانَ الْحَبِّ يَسْتَمِعُ السَّرَارِ

ما الحب ؟ فقال : القرط . فقال : خذوا عن الشيخ فإنه عالم . وقال صاحب

العين : « الحب والحباب : القرط من حبة » .

لسانه . وعن عيسى بن عمر قال : قلتُ لذي الرُّمَّة : ما النضناض ؟
فأخرجَ لسانه يحرِّكه ^(١) .

وإنما يصف القانص وأنه يبيت بالفقر . ومثله قولُ أبي النجم ^(٢) :
تَحْكِي لَنَا الْقَرْنَائِ فِي عِرْزِهَا جَرَى الرَّحَى تَجْرَى عَلَى ثِفَالِهَا ^(٣)
العِرْزَال ^(٤) : المكان .

وفى ذلك يقول أبو وَجْزة ^(٥) :
تبيت جارتَه الأفعى وسامرَه رُمْدٌ به عاذرٌ منهنَّ كالجرب ^(٦)
وقوله : رُمْد ^(٦) ، يريد البعوض . وعاذر : أثر ^(٧) .

(قصة في مسألة الأفعى)

قال : وبات يحيى بن مناقش مع دارم الدارمى ، فلما أصبح يحيى

(١) فى الخصص : « أبو حاتم : قيل لذي الرمة : وما الحية النضناض ؟ فحرك لسانه فى فيه ، يديره إدارة خفيفة : يحكيه » .

(٢) ويروى للأعشى : كما فى اللسان .

(٣) الحية القرناء : التى لها لختان فى رأسها كأنهما قرنان ، وأكثر ما يكون ذلك فى الأفعى . هـ : « الفرما » س : « الغرما » ط : « الغروال » ، وهو تصحيف ما أثبت من اللسان (عزل ، قرن) . و « لنا » هى فى ط : « بها » وفى اللسان : « له » . و « عزالها » بكسر العين بعدها راء ساكنة وزاى . وفى الأصل : « غروالها » تصحيحه من اللسان . و « جرى » مفعول « تحكى » . وثقال الرحى : الجلد يبسط تحتها ليق الطحين من التراب .

(٤) فى الأصل : « الغروال » تحريف . وفى اللسان : « عزال الحية : جحرها » .

(٥) فى الأصل : « أبو وجرة » بالراء ، وإنما هو بالزى المعجمة . وقد تقدمت ترجمته فى (١ : ٩٦) . وانظر أيضاً المعارف ٢١٥ والأغاني (١١ : ٧٥) .

(٦) فى الأصل : « ريد » بالياء ، صوابه من (٥ : ٤٠٥) .

(٧) العاذر : أثر الجرح . كما فى اللسان .

رأى بينهما أفعى مستوية ، فوثب يحيى ليقتلها ، فقال له دارم . قد اعتقتها
وحررتها ! ولم تقتلها وهي ضجعتى من أول الليل ؟ فقال يحيى :
أعوذُ بربى أن ترى لى صحتى يُطيفُ بنا ليلاً مُحَرَّرُ دارم .
من الخرس لا ينجو صحيحاً سليمها وإن كان معقوداً بحلى التمام^(١)

(مسألة العقارب للناس)

والعقاربُ فى ذلك دون الحيات ، إلا الجرارات ، فإنها ربما باتت
فى لحافِ الرَّجُلِ الليلةَ بأسرها ، وتسكونُ فى قيصه عامةَ يومها ، فلا تلتسه .
فهى بالأفعى أشبه .

فأما سائرُ العقاربِ فإنها تقصدُ إلى الضرر^(٢) ، فإذا ضربتُ إنساناً فرتُ ٧٣
كما يصنع المسمى الخائف للعقاب^(٣) .

والعقرب لا تضرب الميتَ ولا المغمى عليه ، ولا النائم إلا أن يحرك
شيئاً من جسده ، فإنها عند ذلك تضربه .

(مسألة العقارب للخنافس والحيات)

ويقال إنها تأوى مع الخنافس وتسلمها ، ولا تصادق من الحيات
إلا كل أسود سالح .

(عقارب نصر بن الحجاج)

وحدث أبو إسحاق المكي قال : كان فى دار نصر بن الحجاج السلمى

(١) السليم : اللدغ . وأراد معقوداً به حل التمام ، فقلب .

(٢) فى الأصل : « الصوت » .

(٣) ط : «العقارب » ، صوابه فى س ، هـ .

عقاربُ إذا لسعت قتلَتْ ، فذبّ ضيفٌ لهم على بعضِ أهلِ الدارِ فضرِبَتْهُ
عقربُ على مذاكيره ، فقال نصرٌ يعرضُ به :
وَدَارِي إذا نَامَ سَكَّانُهَا أَقَامَ الْحُدُودَ بِهَا الْعُقْرَبُ
إذا غَفَلَ النَّاسُ عَنْ دِينِهِمْ فَإِنْ عَقَرَبَهَا تَضْرِبُ^(١)
قال : فأدخلَ النَّاسُ بِهَا حَوَاءً ، وَحَكَّوْا لَهُ شَانَ تِلْكَ الْعَقَارِبِ ،
فقال : إن هذه العقاربَ تستقي منْ أَسْوَدَ سَالِحٍ . ونظر إلى موضعٍ في الدارِ
فقال : احفِرُوا هَاهُنَا . فحفَرُوا عَنْ أَسْوَدَيْنِ : ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَلِلذَكَرِ خُصِيَّتَانِ
وَرَأَوْا حَوْلَ الذَّكَرِ عَقَارِبَ كَثِيرَةً فَقَتَلُوهَا .

(حديث عقرب والفضل بن العباس)

قال : وقال الفضلُ بنُ عباسٍ حينَ رآه عَقْرَبٌ بِالشَّعْرِ^(٢) ، وقيل
لِسُكْلٍ وَاحِدٍ مِنْهُمَا : لَسْتُ فِي شَيْءٍ حَتَّى تَغْلِبَ صَاحِبِكَ . فقال الفضلُ :
قَدْ تَجَرَّ الْعُقْرَبُ فِي سَوْقِنَا^(٣) لَامَرَحِبًا بِالْعُقْرَبِ النَّاجِرَةِ

(١) في المحاسن والأضداد ١٧١ : « فإن عقاربنا تغضب » . والقصة فيه وفي محاضرات
الراغب (٢ : ١١٥) مخالفة لما هنا . ونقل الديميري ما أثبت الجاحظ هنا . وزاد بعد
هذا البيت :

فلا تأمن سرى عقرب بليل إذا أذنب المذنب
(٢) عقرب هذا ، كان تاجراً من تجار المدينة ، ضرب به المثل في المثل والتسويق ،
فقالوا . « أمطل من عقرب » و : « أنجر من عقرب » . وكان الفضل بن عباس
ابن عتبة بن أبي لهب ، من أشد الناس اقتضاء ، فاتفق أن عقرباً عامل الفضل ،
وماطله ، ولم يستطع الفضل مغالبتة ، حتى اضطر إلى هجاء عرضه بالشعر الآتي .
هـ : « رآه عَقْرَبٌ » ، وإنما هو رجل كما أسلفت . انظر اللسان (عقرب)
وأمثال الميداني (١ : ١٣٣) وعيون الأخبار (١ : ٢٥٦) والمحاسن
والمساوي (١ : ٢٢٨) . و « عقرب » إذا سمى به رجل جاز صرفه ومنعه .
وانظر الاستدراكات .

(٣) في اللسان وأمثال الميداني وشرح شواهد الشافية ٦٥ : « قد تجرت في سوقنا عقرب » .

كل عدوُّ يُتَّقَى مُقْبِلًا وَعَقْرَبٌ تُخْشَى مِنْ الدَّائِرَةِ (١)
كلُّ عدوٍّ كَيْدُهُ فِي اسْتِهِ فَغَيْرُ ذِي أَيْدٍ وَلَا ضَائِرَةٍ (٢)
قَدْ ضَاقَتِ الْعَقْرَبُ وَاسْتَيْقَنَتْ بِأَنَّ لَادُنْيَا وَلَا آخِرَهُ
إِنْ عَادَتِ الْعَقْرَبُ عُدْنَا لَهَا وَكَانَتِ النَّعْلُ لَهَا حَاضِرَهُ

(من سمي بعقرب)

واسم أم حارثة بن بدر (٣)، عقرب . وآل أبي موسى يكتنون بأبي العقارب
ومن هؤلاء الذين يكتنون بالعقرب : ابن أبي العقرب الليثي الخطيب
الفصيح ، الراوية .

(حديث وخبر في العقرب)

وَرَوَوْا أَنَّ عَقْرَبًا لَسَعَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « لَعَنَهَا اللَّهُ ،
فَلَيْسَ لَهَا لَاتِبَالٌ مَنْ ضَرَبْتُ ! » .

وقال الضبي : أنا عقربٌ ، أضرٌ ولا أنفع .

(الجرارات)

وكان الرَّجُلُ تَلْسَعُهُ الْجَرَّارَةُ (٥) بِعَسْكَرٍ مُكْرَمٍ (٦) ، أو بجنديسابور ،

(١) وكذا الرواية في عيون الأخبار . ورواية اللسان والأمثال : « وعقرب يخشى » .

(٢) الأيد : القوة . و : « ضائرة » أي غير ذي ضائرة . والضائرة : ماضية ، أي
تضر . ورواية عيون الأخبار : « لغير ذي كيد ولا نائرة » . والنائرة : الحقد
والعداوة ، والكائنة تقع بين القوم .

(٣) سبقت ترجمته في (٣ : ٧٧) .

(٤) في (٥ : ٣٥٣) : « القيني » .

(٥) الجرارة : ضرب من المقارب الصفار تجرر بأذنانها . ط : « الجرادة » ،
صوايه في س ، ه .

(٦) بضم الميم وفتح الراء ، بلد من بلاد خوزستان . منها أبو هلال العسكري .

فتقتله ؛ وربما تناثر لحمه ، وربما تعفنَ وأتّن ، حتى لا يدنّو منه أحدٌ إلا وهو مُحْضَرٌ أنفه^(١) ، مخافة إعدائه ، ولا سيما إن كان قد نال من اللحم وهو لا يعلم أنَّ الوخْزَةَ التي وُخِزَها كانت من جرّارة .

٧٤ وكانوا إذا شعروا بها دَعَوْا حِجَاماً ، يحجّم ذلك الموضعَ ويمصّهُ ، قبل أن يتفشى فيه السّمُّ ويدخلَ تلك المداخل . فكان الحِجَام لا يجيئهم حتى يقبضَ دنائيرٌ كثيرة . وإنما كانوا يجودون له بذلك ؛ لما كان لصاحبهم في ذلك من الفرج ، وما على الحِجَام في ذلك من الضرر . وذلك أنَّ وجهه ربما اسماًً واربدَّ ، وربما عطّلت مقادير أسنانه وتوجّعت عليه ، فيلقى من ذلك الجهد ، وذلك لما كان يتصل إلى فيه من بُخار الدّم ، ومن ذلك السّمُّ المخالط لذلك الدّم . ثمَّ إنهم بعد ذلك حشّوا أذنان^(٢) المحاجِم بالقُطُن ، فصار القُطُن لا يمنع قوّة المصّ والجذب ، ولم يدعْه يصلُ إلى فم الحِجَام . ثمَّ إنهم بعدَ مدّة سُنَيَاتٍ^(٣) أصابوا نَبْتَةً في بعض الشعب^(٤) ، فإذا عالجوا الملسوعَ بها حَسُنَ حاله .

والجرّارات تألف الأخواء^(٥) التي تكون بحضرة الأتاتين^(٦) ، وتألف الحشوش^(٧) والمواضع الناريّة . وسُمّها نار .

(١) خر أنفه : غطاء .

(٢) ط : « أذباب » ، صوابه في س ، ه .

(٣) جمع سنّية : تصغير سنة .

(٤) الشعب : جمع شعبة بالضم ، وهي المسيل في الرمل ، أو التلعة الصغيرة .

(٥) الأخواء : جمع خوى ، بالتحريك والقصر ، وهو اللين من الأرض . وفي الأصل : « الأخواء » بالمهملة !

(٦) الأتاتين : جمع أتون ، بالفتح وتشديد التاء المضمومة ، وهو أخدود النار ، أو موقدها . وفي الأصل : « الأتاتين » بثنتين بينهما ياء ، محرف .

(٧) الحشوش : مواضع قضاء الحاجة ، جمع حش بالضم .

(قول ماسرجويه في العقرب)

وقيل لماسرجويه : قد نجدُ العقربَ تلسعُ رجلين فتقتلُ أحدهما ويقتلها الآخر^(١) ، وربما نجت ولم تمت ، كما أنه ربما عُقِرَتْ ولم تفت ، ونجدُها تضربُ رجلين في ساعةٍ واحدة ، فيختلفان في سوء الحال . ونجدُها تختلف مواضعُ ضررها على قدرِ الأغذية ، وعلى قدرِ الأزمان ، وعلى قدرِ مواضعِ الجسد . ونجدُ واحداً يتعالجُ بالمسوس^(٢) فيحمده ، ونجدُ آخرَ يدخلُ يده [في (٣)] مدخلِ حارٍّ من غير أن يكون فيه ماءٌ فيحمده ، ونجدُ آخرَ يعالجه بالنخالة الحارة فيحمدها ، ونجدُ آخرَ يحجم ذلك الموضعَ فيحمده ، ونجدُ كلَّ واحدٍ من هؤلاء يشكو خلافَ ما يوافقه ، ثم إننا نجدُ يعاود ذلك العلاج عند لسعةٍ أخرى فلا يحمدُه !

قال ماسرجويه : لما اختلفت السُّمومُ في أنفسها بالجنس والقدر ، وفي الزَّمان ، وباختلاف ما لاقاه^(٤) اختلفَ الذي وافقه على حسب اختلافه .

وكان يقول : إن قولَ القائل في العقرب : شرُّ ما تكون حين تخرج من جحرها ، ليس يعنون من ليلتها - إذ^(٥) كان لا بدَّ من أن يكون لها

(١) انظر الاستدراكات .

(٢) المسوس ، كصبور : الترياق الذي يعالج به الملسوع والملدوغ . ومنه قول كثير :

فقد أصبح الراضون إذ أنتم بها مسوس البلاد يشتكون وبأهلها

ولفظ الترياق مأخوذ من اليونانية : Thériaké . وهذه مشتقة من : Thérion

وهو اسم لما ينهش من الحيوان كالأفاعي ونحوها . انظر مفاتيح العلوم ١٠٣

وقاموس القرن العشرين ١٠٠٦ . وفي الأصل : « بالأمسوس » تحريف .

(٣) الزيادة من س ، هـ .

(٤) ط ، هـ : « ما لقاها » صوابه من س .

(٥) في الأصل : « وإذا » .

نصيبٌ من الشدة - ولكنَّهُمْ إنما يَعْنُونَ : في أوَّل ما تخرج من جحرها عند استقبال الصيف ، بَعْدَ طولِ مُكْثِهَا في غير عَالِمِنَا وَغَدَائِنَا وَأَنْفَاسِنَا ومعايشِنَا .

(زعم العامة في العقرب)

والعامةُ زعم أنها شرُّ ما تكون إذا ضربت الإنسان وقد خرج من الحمام ؛ لتفتح المسام^(١) ، وسعة المجارى ، وسخونة البدن . ولذلك صار سمها في الصيف أشدَّ . هذا قولُ أبي إسحاق . كأنَّهُ كان يَرى^(٢) أنَّ الهواءَ كلما كان أحرَّ ، وكان البدنُ أسخنَ كانَ شرًّا .

ونحن نجدهم يصرون من لسعتها اللَّيْلَ كُلَّهُ ، وإذا طلعت الشمسُ سكن ما بهم . فإذا بقيت فضلةٌ من تلك الجارحة في الشمس فما أكثر ما يسكن .
٧٥ وسمومها بالليل أشدُّ ، إلا أن يزعم أنَّ أجوافَ الناس في برد الليل أسخن وفي حرِّ النهار أقر .

(الدَّسَّاس)

وزعم لي بعضُ العلماء^(٣) ثَمَنٌ قد رَوَى السُّكُتِب ، وهو في إرثٍ منها ، أنَّ الحية التي يقال لها : الدَّسَّاس^(٤) ، تلد ولا تبيض ؛ وأنَّ أنثى النمر لم تَضَعُ نمرًا قط إلاَّ ومعه أفعى .

(١) س : « في تفتح المسام » وهي عبارة جيدة .

(٢) ط : « يروى » ، صوابه في س ، هـ .

(٣) ط : « وزعم لي في بعض العلماء » ، والوجه حذف « في » كما جاء في س ، هـ .

(٤) الدساس : حية خبيثة . وفي القميري : « الدسامة بفتح الدال : حية صماء تندس =

(زعم استحالة الكمأة إلى أفاع)

والأعرابُ زعم أن الكمأة تبقى في الأرض فتُمْطَرُ مَطَرَةً صَفِيَّةً ،
فيستحيل بعضها أفاعى . فسمعَ هذا الحديثَ منى بعضُ الرؤساءِ الطائيين^(١) ،
فزعم لى أنه عاينَ كمأةً ضخمةً فتأملها ، فإذا هى تتحركُ ، فنهض إليها
فقلعها ، فإذا هى أفعى . هذا ما حَدَّثته عن الأعراب ، حتى برئت إلى الله
من عيب الحديث .

(معارف في الحيات عن صاحب المنطق)

وزعم صاحب المنطق أن الوزغة والحيات تأكلُ الأحْمَ والعُشبَ .
وزعمَ أنَّ الحياتِ أظهرُ كلباً من جميع الحيوان ، مع قلة شربِ الماء .
وأنَّ الأسدَ مع نهمه قليلُ شربِ الماء . قال : ولا تضبطُ الحياتُ أنفسها إذا
شمَّت ريحَ السَّذاب ، وربما أصطيدتْ به . وإذا أصابوها كذلك وجدوها
وقد سكرت .

قال : والحيات تبتلع البيض ، والفراخ ، والعُشبَ .
وزعم أن الحياتِ تسلخُ جلودَها في أوَّلِ الرَّبيع ، عند خروجها من
أعشها^(٢) وفي أوَّلِ الخريف .

= تحت التراب اندساساً ، أى تدفن . وفى اللسان : « أبو عمرو : الدساس من
الحيات الذى لا يدرى أى طرفيه رأسه ، وهو أنحيت الحيات ، يندس فى التراب
فلا يظهر للشمس . وهو على لون القلب من الذهب المحلى . » وانظر لولادة الدساس ، مافى
الاستدراكات . ط : « أن حية يقال لها الدساس » ، وأثبت ما فى س ، ه .

(١) جمع طائى ، نسبة إلى قبيلة طيى على الشذوذ . س : « الكبايين » ه :
« الكباين » . وكنت حسبها : « الكيايين » لكن وجدت تعقيب
الجاحظ لايسف بهذا .

(٢) المعروف فى جمع العش : عشاش وأعشاش وعششة — كمنبة — فهذا جمع رابع . =

وزعم أن السِّلَخَ يبتدئ من ناحية عيونها أولاً . قال : ولذلك يظنُّ بعض من يُعانيها^(١) أنها عمياء .

وهي تسَلَخُ من جلودها في يوم وليلةٍ من الرأس إلى الذَّنْب ، ويصير داخل الجلد هو الخارج ، كما يُسَلَخُ الجنينُ من المشيمة ؛ وكذلك^(٢) جميع الحيوان المحزَّز^(٣) الجسد ، وكلُّ طائرٍ لجناحه غِلافٌ مثل الجُعَل والدَّبَر^(٤) وكذلك السَّرطان ، يسَلَخُ أيضاً ، فيضعف عند ذلك عن المشي . وتسَلَخُ جلودها مراراً .

(سَلَخُ الحيوان)

والسِّلَخُ يصيب عامةَ الحيوان : أمَّا الطير فتحسيراها^(٥) ، وأمَّا ذوات الخوافر فسَلَخُها عقائِقُها^(٦) ، [وسَلَخُ الإبل طرْحُ أوبارها ، وسَلَخُ الجراد انسلاخ جلودها^(٧)] ، وسَلَخُ الأيائل إلقاء قرونها ، وسَلَخُ الأشجار إسقاط ورقها

= ولعل من غير المجهود استعمال المش لجر الحية ؛ إذ المش خاص بالطائر . لكن الجاحظ - جملة هنا للحية ، كما جملة أبو حيان التوحيدي للثعلب . قال في الإمتاع والمؤانسة (١ : ١٧١) : « الثعلب يبيئُ عشه ووكره ، ذا سبعة أجمرة » . فقد زاد على الجاحظ باستعمال (الوكر) للثعلب أيضاً .

(١) بتقديم النون على الباء ، أى يقوم عليها ويهيم بشأنها . وفي القاموس : « ما يعانون ما لهم : ما يقومون عليه » .

(٢) ط ، هـ : « ولذلك » صوابه في س .

(٣) كذا في ط ، هـ . وفي س : « المحزَّز » .

(٤) الدبر ، بفتح الدال ويكسر ، المراد به هنا أولاد الجراد . اللسان (دبر ٣٦٠) .

(٥) التحسير : سقوط ريش الطائر . ط : « فحسيراها » س ، هـ : « فحسرها »

والصواب ما أثبت . وانظر ماسبق في (٣ : ٥١٩ س ١٠) .

(٦) العقائق : جمع عقيقة ، وهي شعر المولود .

(٧) هذه التكلفة من س ، هـ .

(أصل الأسروع)

والأسروع : دويبة تنسلخ فتصير فراشة . وقال الطرمّاح شعراً :
وتجرّد الأسروع واطردّ السفا وجرت بجاليها الحذاب القردد^(١)
وانساب حيات الكتيب وأقبلت ورق الفراش لما يشب الموقد^(٢)
يصف الزمان .

والدعوص ينسلخ ، فيصير إما بعوضة وإما فراشة .

(انسلخ البرغوث)

وزعم ثمامة عن يحيى بن برمك^(٣) أن البرغوث ينسلخ فيصير بعوضة ،
وأن البعوضة التي من سلخ دعوص ربّما انسلخت^(٤) برغوئا .
والمل تحدث لها أجنحة ويتغير خلقها ، وذلك هو سلخها . وهلكها
يحين عند طيراتها .

٧٦

(١) الجالان : الجانبان . ط ، هـ : « بجاليها » س : « بحالها » ، وصوابه ما أثبت
من الديوان ص ١٤١ . والحذاب : جمع حذب ، وهو ما أشرف من الأرض
وغلظ . والقردد : المرتفعة الغليظة . وفي الأصل : « الجراد القردد » ، صوابه من
الديوان وما سيأتي ص ٢٥٦ . وقبل هذا البيت :

حتى إذا صهب الجنادب ودعت نور الربيع ولاهن الجدد

(٢) يقول : أقبل ذلك الفراش الذي في لونه سواد وبياض ، إلى النار التي
يشبها موقدها .

(٣) نسبه إلى جده ، وهو يحيى بن خالد بن برمك ، سيد البرامكة ، وكان مؤدب الرشيد
ومعلمه ، وكان الرشيد يدعو به يا أبي ، فلما ولي هارون الخلافة دفع إليه الخاتم
وقلده أمره . وكان جواداً حسن السياسة . ولما نكب الرشيد البرامكة قبض عليه وسجنه
بالرقعة إلى أن مات ، سنة مائة وتسعين .

(٤) في الأصل : « تصلحت » ، والوجه فيه ما أثبت .

(انسلاخ الجراد)

والجراد ينسلخ على غير هذا النوع . قال الرَّاجِزُ (١) :

* مَلْعُونَةٌ تَسْلُخُ لَوْنًا لَوْنَيْنِ (٢) *

(أثر البلدان في ضرر الأفاعى ونحوها)

قال : وعضُّ السَّباعِ ذواتِ الأربع ، ولدغُ الهوامِّ ، يختلفُ بقدر اختلافِ البلدان ؛ كالذى يبلغنا عن أفاعى الرَّمْلِ (٣) ، وعن جَرَّاراتِ قرى الأهواز ، وعقاربِ نَصِيبِينَ (٤) ، وثعابين مصر ، وهِنْدِيَّاتِ (٥) الخرابات .

وفى الشَّبْثَانِ (٦) ، والزَّنَابِيرِ ، والرُّتِيَلَاتِ (٧) ما يقتل . فَأَمَّا الطَّبُوعُ (٨)
فإنَّهُ شديدُ الأذى . وللضَّمَجِ (٩) أذى لا يبلغُ ذلك .

(١) هو عوف بن ذروة ، كافى نوادر أبي زيد الأنصارى ص ٤٨ . وقد روى من الرجز تسعة أبيات .

(٢) رواية النوادر وما ساقى فى (٥ : ٥٥٨) : « تسلخ لونا عن لون » . وقبل البيت :
* من كل سفهاء القفا والحدين *

(٣) الرمل : موضع بعينه ، كافى ياقوت .

(٤) نصيبين : مدينة من بلاد الجزيرة ، كانت عندها وقعة مشهورة . وقد عرفت بكثرة عقاربها . انظر ما كتبت فى (٣ : ٣٥٣) . وفى الأصل : « الصين » ، وهو تحريف .

(٥) الهنديات : ضرب من الأفاعى ، سبق ذكرها فى ١٢١ . ط ، س : « هنديات » وأثبت صوابه من هـ .

(٦) الشبثان : جمع شبث بالتحريك ، وهو ضرب من الرتيلات .

(٧) الرتيلات : نوع من العناكب قتال .

(٨) الطبوع ، كنتور : دوية ذات سم ، أو من جنس اللقردان ، لعضته ألم شديد .

(٩) الضمج : دوية مثثة تلسع ، تسمى فى مصر بالبق . وهى : Gimex . وفى الأصل : « الصخج » محرقة .

(أقوال لمصاحب المنطق)

وقال صاحب المنطق : ويكون بالبلدة التي تسمى باليونانية : « طبقون »
حيّة صغيرة شديدة اللدغ ، إلا أن تُعالج بحجر ، يُخَرَّج من بعض قبور
قدماء الملوك .

ولم أفهم هذا ، ولم كان ذلك .

وإذا أكل بعض ذوات السموم من جسد بعضها ، كانت أردأ ما تكون
سما ، مثل العقارب والأفاعي .

قال . والأَيْلُ إذا أُلقي قُرُونُهُ علم أَنَّهُ قد أَلْقَى سِلَاحَهُ ، فهو لا يظهر . وكذلك
إن سمن علم أَنَّهُ يُطَلَّبُ ، فلا يظهر . وكذلك أَوَّلَ ما يَنْبَت قُرْنُهُ يَعْرِضُهُ
لِلشَّمْسِ ؛ لِيَصْلُبَ وَيَجْفَى . وإن لدغت الأَيْلَ حَيَّةٌ أَكَلَ السَّرَاطِينَ ؛ فَلِذَلِكَ
نَظَنُّ أَنَّ السَّرَاطِينَ صَالِحَةٌ لِلدَّبِغِ مِنَ النَّاسِ .

قال : وإذا وضعت أنثى الأَيْلِ وَلَدًا أَكَلَتْ مَشِيمَتَهَا . فَيُظَنُّ^(١) أَنَّ
المَشِيمَةَ شَيْءٌ يَتَدَاوَى بِهِ مِنْ عِلَّةِ النِّفَاسِ .

[قال] : والدُّبَّةُ إذا هَرَبَتْ^(٢) دَفَعَتْ جِرَاعَهَا^(٣) بَيْنَ يَدَيْهَا ، وَإِنْ
خَافَتْ عَلَى أَوْلَادِهَا غَيَّبَتْهَا ، وَإِذَا مُلِحَتْ^(٤) صَعِدَتْ فِي الشَّجَرِ وَحَمَلَتْ
مَعَهَا جِرَاعَهَا .

(١) كذا على الصواب في س . وفي ط ، هـ : « فتنن » . وانظر السطر السابق .

(٢) ط ، س : « والدبة فإنها إذا هربت » . والأوفق حذف الكلمة الثانية
كأن في هـ .

(٣) كتبت هذه الكلمة ونظيرتها بدون همز في الأصل . والجِراء : جمع جِرو :
وهو ولدها .

(٤) يقال لحقه وألحقه : أدركه . وقرئ في القنوت : « إن عذابك الجد بالكفار =

قال : والفهد إذا عراه الذاء الذى يقال له : « خانيق الفهود » أكل للعدرة فبرى منه ^(١) .

قال ، والسباع تشهى رائحة الفهود ، والفهد يتغيب عنها ، وربما فر بعضها منه فيطمع في نفسه ، فإذا أراد السبع وثب عليه الفهد فأكله .

قال : والتمساح يفتح فاه إذا غمه ما قد تعلق بأسنانه ، حتى يأتي طائر ^(٢) فيأكل ذلك ، فيكون طعاماً له وراحة للتمساح .

قال : وأما السلحفاة فإنها إذا أكلت الأنقى أكلت صغترًا جبليًا . وقد فعلت ذلك مرارًا ، وربما عادت فأكلت منها ثم أكلت من الصغتر مرارًا كثيرة ، فإذا أكثرت من ذلك هلكت .

قال : وأمّا ابن عرس ، فإنه إذا قاتل الحية بدأ بأكل السذاب ، لأن رائحة السذاب مخالفة للحية ، كما أن سام أبرص لا يدخل بيتاً فيه زعفران .

قال : والكلاب إذا كان في أجوافها دود أكلت سنبل القمح .

قال : ونظن أن ابن عرس يحتال للطير بحيلة الذئب للغم ، فإنه يذبجها ^(٣) كما يفعل الذئب بالشاة .

قال : وتتنازل الحيات المشتركة في الطعام .

= ملحوظة : بكسر الحاء ، أى لاحق . قال صاحب القاموس : « والفتح أحسن ، أو الصواب » . ط ، هـ : « ألحقت » وهى اللفظة الضعيفة . وأثبت ما فى س .

(١) وجاء فى كتاب الإمتاع والمؤانسة (١ : ١٦٧) : « الفهد إذا أكل العشب التى تسمى خانيقة الفهود ، يطلب زيل الإنسان فيأكله ويتعالج به » .

(٢) هذا الطائر هو المعروف بالقطقاط ، وهو أرقط صغير فى رأسه شوكة ، إذا أطبق التمساح فيه عليه نخسه بها فيفتحه .

(٣) انظر ما سياتى فى (٥ : ٣٢٠) .

وَزَعَمَ أَنَّ الْقَنَافِدَ لَا يَخْفَى عَلَيْهَا شَيْءٌ مِنْ جِهَةِ الرِّيحِ وَتَحَوَّلَهَا وَهَبُوبَهَا ، ٧٧
وَأَنَّهُ كَانَ يَفْسُطُنْطِينِيَّةُ رَجُلٌ يُقَدِّمُ وَيُعْظَمُ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ هُبُوبَ
الرِّيحِ وَيُخْبِرُهُمْ ^(١) . بَلَدُكَ . وَإِنَّمَا كَانَ يَعْرِفُ الْحَالَ فِيهَا بِمَا يَرَى مِنْ
هَيْئَةِ الْقَنَافِدِ .

(العيون الحمر)

وَالْعُيُونُ الْحُمْرُ لِلْعَرَضِ الْمَقَارِقِ ، كَعَيْنِ الْغَضْبَانِ ، وَعَيْنِ السَّكْرَانِ ،
وَعَيْنِ الْكَلْبِ ، وَعَيْنِ الرَّمْدِ .

(العيون الذهبية)

وَالْعُيُونُ الذَّهَبِيَّةُ : عُيُونُ ^(٢) أَصْنَافِ الْبَزَاةِ مِنْ بَيْنِ الْعُقَابِ ^(٣) إِلَى الزَّرَقِ .

(العيون التي تسرج بالليل)

وَالْعُيُونُ الَّتِي تُسْرِجُ بِاللَّيْلِ : عُيُونُ الْأَسَدِ ، وَعُيُونُ النُّمُورِ ، وَعُيُونُ
السَّنَانِيرِ ، وَعُيُونُ الْأَفَاعِي ^(٤) .

(خبر وشعر في العين)

قال أبو حية :

غَضَابٌ يُشِيرُونَ الدُّحُولَ ، عُيُونُهُمْ كَجَمَرِ الْغَضَى ذَكَيْتُهُ فَتَوَقَّدَا ^(٥)

(١) ط ، ه : « ويخبر » .

(٢) ط ، ه : « وعيون » ، والصواب حذف الواو كما في س .

(٣) ط ، ه : « المقارب » ، صوابه في س .

(٤) سبق مثل هذا الكلام في ص ١١٦ ، وسيأتى مثله في (٥ : ٣٢٩) .

(٥) الدحول : جمع ذحل بالفتح ، وهو النار . س ، ه : « الدحول » صوابه =

وقال آخر^(١) :

وَمَدَجَّجَ يَسْعَى بِشَكَّتِهِ حَمْرَةَ عَيْنَاهُ كَالْكَلْبِ^(٢)
رجع بالكلب إلى صفة المدجج .

وقال معاوية لصُحارِ العبدى : يا أحر ! قال : والذهب أحر ! قال :
يا أزرق ! قال : والبازى أزرق !

وأنشدوا :

ولا عيبَ فيها غيرُ شُكْلَةٍ عَيْنِهَا
كَذَاكَ عِثَاقُ الطيرِ شُكْلُ عُيُونِهَا^(٣)

وقال آخر :

وَشُكْلَةُ عَيْنٍ لَوْ حُيْتُ بِبَعْضِهَا
لَكُنْتُ مَكَانَ الْعَيْنِ مَرَاى وَمَسْمَعَا^(٤)

= فى ط . وذكرى النار : أتى عليها ما تذكوبه وتزيد اشتعالا . ط ، هـ :
« ذكينه » ، ووجهه ما أثبت من س .

(١) انظر ماسبق فى (١ : ٣١٣) .

(٢) المدجج ، بكسر الميم وفتحها ، كما فى المخصص (٨ : ٩٥) نقلا عن العين .
وأراد به القنفذ ، لما عليه من الشوك . المخصص واللسان (دجج) . والشكة :
السلاح . ورواية الكامل ٦٠٩ ليسك :

ومدججا يسمى بشكته حمرة عيناه كالكلب

وهى الصحيحة ؛ لأن قبله فى الأغاني (١٢ : ٥٠) :

إذ لا ترى إلا مقاتلة وعجانسا يرفلن بالركب

(٣) يروى : « غير شهلة عينها » كما فى اللسان (شكل) ، وانظر تحقيقاً دقيقاً فيه .

وسيماد البيت فى (٥ : ٣٣٠) .

(٤) هـ : « لو خييت » ، صوابه فى ط ، س ورسائل الجاحظ ١٩٦ الرحانية .
والعين ، هنا : الشمس . ورواية الرسائل : « مكان النجم » .

(بعض ألوان العيون)

ومن العيون المغرب^(١) ، والأزرق ، والأشكال^(٢) ، والأسجر^(٣) ،
والأشهل^(٤) ، والأخيف^(٥) . وذلك إذا اختلفا .

(عين الفأر)

وعين الفأرة كخلاء ، وهى أبصر بالليل من الفرس والعقاب .

(شعر في حمرة العينين وضيائهما)

وفى حمرة العينين وضيائهما يقول محمد بن ذؤيب العُماني ، فى صفة
الأمسد :

أَجْرَأُ مِنْ ذِي لِبْدَةٍ هَمَّاسٍ^(٦) عَضَنْفَرٍ مُضِبَّرٍ رَهَّاسٍ^(٧)

(١) المغرب ، بفتح الراء : الأبيض . هـ : « الغرب » س : « المذب »
صوابه فى ط .

(٢) الشكلة ، بالضم : حمرة فى بياض العين .

(٣) السجرة ، بالضم : غزالة الحمرة لبياض العين ، فهى نحو الشكلة . ط ، هـ :
« الأسجر » بالخاء ، صوابه فى س .

(٤) الشهلة ، بالضم : الحمرة فى سواد العين .

(٥) الخيف ، بالتحريك : زرقة إحدى العينين وسواد الأخرى . هـ : « والأحتف »
ط : « والأخف » س : « والأخسف » بإهمال الياء . وصواب أولئك
ما أثبت .

(٦) الهماس : الشديد الغمز بفرسه .

(٧) المضبر : الموثق الخلق . وفى الأصل : « مضبر » محرف . والرهاس : الذى يطأ
الأرض وطأ شديداً .

مَنَاعِ أَخْيَاسٍ إِلَى أَخْيَاسٍ ^(١) كَأَنَّهَا عَيْنَاهُ فِي مِرَاسٍ ^(٢)
 * شِعَاعُ مِقْبَاسٍ إِلَى مِقْبَاسٍ ^(٣) *

وقال المرّار :

* مِثْلُ مَا وَقَّدَ عَيْنَيْهِ النَّعْرَ ^(٤) *

أصوات خشاش الأرض

نحو الضَّبِّ ، والورل ، والحَيَّة ، والقنفذ ، وما أشبه ذلك
 يقال للضَّبِّ والحَيَّة والورل : فَحَّ يَفْحُ فَحِيحًا . وقال رؤبة :
 ٧٨ فِحِّي فَلَا أَفْرَقَ أَنْ تَفِحِّي ^(٥) وَأَنْ تَرَحِّي كَرَحِي المَرَحِّي ^(٦)
 أَصْبَحَ مِنْ نَحْنَحَةٍ وَأَحَّ ^(٧) يَحْكِي سَعَالَ النَّشْرِ الْأَبَحَّ ^(٨)

(١) أخياس : جمع خيس ، بالكسر ، وهو الأجمة يكون فيها الأسد . وإلى هنا بمعنى
 مع . ط : « أجناس إلى أجناس » س : « أخياس إلى أجناس »
 صوابهما في ه .

(٢) أى فى أثناء ممارسته الصيد .

(٣) المقباس : شعلة النار تقبّس . وإلى ، بمعنى : مع .

(٤) فى الأصل : « كأنما وقد » ، وصواب روايته من المفصليات ٨٧ . وصدره :

* حنق قد وقدت عيناه لى *

(٥) أفرق : أخاف . والفرق ، بالتحريك : الخوف . ورواية اللسان : « ياحى
 لا أفرق » ، أى ياحية .

(٦) يقال رحى الحية ترحو ، وترحت ترحى : إذا استدارت . وأما رحت ترحى
 بالتشديد فلم أره فى معجم ، وهذا لا يثنى صوابه . والمرحى : الذى يسوى الرحى .
 وهذا البيت وما قبله سيمادان فى (٦ : ٤٢) ، ورواية اللسان : « أو أن » .

(٧) أح يؤح : إذا سعل . وكلمة « أصبح » هى فى الأصل : « أصبح » تحريف .
 ورواية اللسان : « يكاد من تنحنح وأح » . قال : « يصف رجلا بخيلا إذا
 سئل تنحنح وسعل » .

(٨) النشر ، محرّكة : الممن القوى . والأبح : السلى غلظ صوته من داء .

ورواية اللسان :

* يحكى سعال النزق الأبح *

قال : الفحيح : صوتُ الحَيَّةِ مِنْ فِيهَا . والكشيش والكشيش ^(١) : صوتُ جلدها إذا حَكَتْ بعضه ببعض . قال الرَّاجِزُ ^(٢) في صفة الشَّخْبِ والحَلْبِ :

حَلَبْتُ لِلأَبْرَشِ وهو مُغْضٍ حِراءَ منها شَخْبَةٌ بالخض ^(٣)
لَيْسَتْ بِذَاتِ وَبَرٍّ مِيضٌ كَأَنَّ صَوْتَ شَخْبِهَا المَرْفُضُ ^(٤)
* كَشِيشٌ أَفْعَى أَجْمَعْتُ لَعَضُ ^(٥) * .

ويقال للضَّبِّ والورل : كَشَّ يَكْشُ كَشِيشًا . وأنشد أبو الجراح :
رَأَى الضَّبَّ إِنَّمَا يَرْهَبُ الضَّبَّ غَيْرَهُ يَكْشُ لَهُ مُسْتَكْبِرًا وَيُطَاوِلُهُ ^(٦)

باب

من ضرب المثل للرجل الداهية وللحي الممتنع بالحيَّة

قال ذو الإصبع العدواني :

عَذِيرَ الحَيِّ مِنْ عَدَاؤِ نَ كَانُوا حَيَّةَ الأَرْضِ ^(٧)

(١) في الأصل : « الكشيش » ، صوابه من (٦ : ١٣٩) .

(٢) هو معتز بن قطبة ، كما في تاج العروس (كشش) .

(٣) حِراءَ : أى ناقة حِراءَ .

(٤) المرفض : الذى يتتابع سيلانه وترشه . وفي الأصل : « كأن شخب صوتها »

صوابه في المخصص (٨ : ١١٥) والخزانة (٤ : ٧١٠ بلاق) وأدب الكاتب

١٢٥ والاقتضاب ٣٤٥ والسان (كشش) .

(٥) أجمعت : من الإجماع ، وهو الغزم على الشيء . وفي الكتاب : « فاجمعوا أمركم » .

س ، هـ : « جمعت » ، وأثبت ما في ط والمصادر المتقدمة . وبعد هذا البيت :

* فهى تحك بعضها ببعض *

ومثل هذا المعنى قول الآخر في الاقتضاب وأمالى الزجاجى ١٢٠ والسان (فا) :

كأن صوت شخبها إذا همى صوت الأفاعى في غشى أشخبا

(٦) في الأصل : « مستنكرا » صوابه في (٦ : ٦٨ ، ١٣٩) . والبيت لابن ميادة .

(٧) في ثمار القلوب ٤٠٩ : « العرب تقول للرجل المنيع الجانب : حية الأرض » .

بَغَى بَعْضُهُمْ ظُلْمًا فَلَمْ يُرْعَ عَلَى بَعْضٍ^(١)
 وفيهم كَانَتْ السَّادَاتُ وَالْمَوْفُونَ بِالْقَرْضِ^(٢)
 يقال: «فُلَانٌ حَيَّةُ الْوَادِي»، و«مَاهُو إِلَّا صِلٌّ أَصْلَالِ»^(٣). وَالصِّلُّ:
 الدَّاهِيَةُ وَالْحَيَّةُ. قَالَ النَّابِغَةُ:

مَاذَا رُزِّنَا بِهِ مِنْ حَيَّةٍ ذَكَرٍ نَضْنَاظَةً بِالرَّزَايَا، صِلٌّ أَصْلَالِ^(٤)
 وقال آخر:

صِلٌّ صَفًّا تَنْطِفُ أَنْيَابُهُ سِمَامَ ذَيْفَانٍ مَجِيرَاتِ^(٥)
 وقال آخر^(٦):

مُطْرَقٌ يَرْشَحُ سَمًّا، كَمَا أَطْرَقَ أَفْعَى يَنْفُثُ السَّمَّ صِلٌّ
 وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ: «صَمَّى صَمَامَ»^(٧) وَ«صَمَّى ابْنَةَ الْجَبَلِ»^(٨) وَهِيَ الْحَيَّةُ.

(١) روايته في حاشية البحري ١٦٩: «بغى بعضهم بعضاً» فلم يرعوا». (٢) القرض: ما يتجاوز به الناس بينهم من إحسان، أو إساءة. يقول: هم قادرون على مقابلة الإحسان بالإحسان، والإساءة بمثلها. وفي ذلك المروءة، والقدرة. س: «بالعرض»، وأثبت ما في ط، هـ. والشعراء ٦٩٠.

(٣) ويقال ضل أضلال، كما في اللسان (ضلل) والمزهر (١: ٣٢٣). (٤) رزئنا به: أصبنا. وفي ط، هـ: «رأينا» وس: «رأيت»، وصوابه من اللسان (صلل) وثمار القلوب ٣٣٦ وأمثال الميداني (١: ٢٤). من حية: يقول: هو حية. والنضناضة: التي تحرك لسانها. أدتها ناظراً للفظ الموصوف. (٥) تنطف أنيابه: يقطر منها السم. ط: «تنظف»، صوابه في س، هـ. والسام: جمع سم. والذيفان بالفتح والكسر: السم للنائع. (٦) هو تأبط شراً، كما سبق في (٣: ٦٨) والحامسة (١: ٣٤١)، وشرحها (٢: ١٦٠ - ١٦١).

(٧) صم يعصم، بفتح الصاد قهجا. وصلم كقطام: الداهية. والمثل يضرب للرجل يأبى بالداهية. اللسان وأمثال الميداني (١: ٣٦٢).

(٨) ابنة الجبل: الحية. أي لا تجيبى الراقي ودوى على حذائك. يضرب للفريقين إذا أبيا الصلح ولجا في الخلاف. أمثال الميداني. وتكون ابنة الجبل أيضاً الداهية العظيمة، والصدى، أو الصخرة. اللسان (صمم).

قال الكميت :

إذا لَقِيَ السَّفِيرَ لها وناذَى بها : صَمَّى ابْنَةَ الْجَبَلِ ، السَّفِيرُ^(١)

(قولهم : جاء بأم الرُّبَيْقِ على أَرَيْق)

ومن أمثالهم : « جاء بأمَّ الرُّبَيْقِ على أَرَيْق^(٢) » أمَّ الرُّبَيْقِ : إحدى

الحيات . وأَرَيْق : أمَّ الطَّبَق^(٣) . ضربوا به مثلاً في الدواهي . وأصلها ٧٩
من الحيات قال :

إذا وجدتَ بوادِ حَيَّةً ذَكَرًا

فأذهبْ ودَغْنِي أمارسَ حيةَ الوادى^(٤)

(١) يقول : إذا لَقِيَ السَّفِيرَ السَّفِيرَ ، فأخر الفاعل . و « بها » و « لها » يرجعان إلى الحرب . اللسان وأمثال الميداني . والمعنى : إذا قُتِلَ السَّفِيرَانِ المُنْتَدِيَانِ - بكسر الدال - الصلح وفض النزاع ، وتركوا الحرب في شدتها لا يستطيعان لها دفعا . في الأصل : « إذا أتى » ، وتصحيحه من اللسان وأمثال الميداني .

(٢) رواه الفراء : « لقيت منه أم الرُّبَيْقِ على وريق » .

(٣) في الأصل : « وأَرَيْقُ الطَّبَق » وهو كلام ناقص . وأمَّ طبق من كفى الحيات . ومنه قول خلف الأحمر ، حين نعى إليه المنصور :

قد طرقت ببيكرها أم طبق فذمروها وهمة ضخم العنق

انظر اللسان (طبق) وثمار القلوب ٢٠٧ . وسميت أم طبق لتوحيا وتحويا كالطبق ، أو لإطباقها على من تلتعه . و « أَرَيْق » من الحيات ، كما في قول العجاج :

وقد رأى دوني من تهجسى أم الرُّبَيْقِ والأَرَيْقِ الأَزَمِ

بدلالة قوله : « الأَزَمِ » وهو الذى له زُمة من الحيات . اللسان (أَرَق) ، وفيه كلام صرفى خاص بهذه الكلمة .

(٤) حية الوادى : مثل للرجل المنيع الجانب ؛ فإن حية الوادى تحميه فلا يقربه شيء .

ثمار القلوب ٣٣٥ وفيه البيت . وروى في المختص (١٦ : ١٠١) : « [١٥] رأيت ... الخ .

(قولهم : أدرك القويمة لاتأكلها الهويمة)

وفي المثل : « أدرك القويمة لاتأكلها الهويمة » ، يعني ^(١) الصبي الذي يدرج ويتناول كل شيء سنح له ، ويهوى به إلى فيه . كأنه قال لأمه : أدركه لاتأكله الهامة ! وهى الحية . وهو قوله ^(٢) فى التعويد : « ومن كل شيطان وهامة ، ونفس وعين لأمة ^(٣) » :

(شعر للأخطل فى الحية)

وقال الأخطل ، فى جعلهم الرجل الشجاع وذو الرأى ^(٤) الداهية حية - وكذلك يجعلون إذا أرادوا تعظيم شأنها . وإذا أرادوا ذلك فما أكثر ما يجعلون الحية ذكرا . قال الأخطل :

أنبت كلباً تمنى أن يسافهنا وطالما سافهونا ثم ماظفروا ^(٥)

(١) أبى بقوله : « القويمة » ، وهو تصغير « قامة » بتشديد الميم . اللسان (قم ٣٩٥) وفى أمثال الميداني (١ : ٢٤٢) : « ويعنى بها - أى القامة - الصبى ؛ لأنه يقيم كل ما أدرك ، يجعله فى فيه ، فرمى ألقى على بعض الهوام ، كالعقرب وغيرها . . . يضرب فى حفظ الصبى وغيره . والمراد به إدراك الرجل الجاهل لا يقع فى هلكة » .

(٢) أى فى الحديث النبوى . روى ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعوذ الحسن والحسين فيقول : « أعيدكما بكلمات الله التامة » ، من شر كل شيطان وهامة ، ومن شر كل عين لامة » . ويقول : « هكذا كان إبراهيم يعوذ لإسماعيل وإسحاق عليهم السلام » .

(٣) الامة : التى تصيب بسوء .

(٤) ط : « وإذا لرأى » ، ، صوابه فى س ، ه .

(٥) كذا الرواية فى الأصل . وأراد بكلب : القليل ، فذكره . ورواية الديوان ٢٦٨ : « أن تسافهنا » وربما .

كَلَفْتُمُونَا رَجَالًا قَاطِعِي قَرْنٍ مُسْتَلْحِقِينَ كَمَا يُسْتَلْحَقُ الْبِسرُ (١)
 لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ إِذَا عُدَّتْ خِصَالُهُمْ خَصْلٌ وَلَيْسَ لَهُمْ إِجْبَابٌ مَا قَرُّوا (٢)
 قَدْ أُنْذِرُوا حَيَّةً فِي رَأْسِ هَضْبَتِهِ وَقَدْ أَتَتْهُمْ بِهِ الْأَنْبَاءُ وَالنَّذْرُ (٣)
 بَاتُوا رُقُودًا عَلَى الْأَمْهَادِ لَيْلَهُمْ وَلَيْلُهُمْ سَاهِرٌ فِيهَا ، وَمَا شَعَرُوا (٤)
 كُتِّتَ قَالُوا أَمَاتَ الْمَاءُ حَيَّتُهُ وَمَا يَكَادُ يَنَامُ الْحَيَّةُ الذَّكْرُ (٥)

(جِيَّةُ الْمَاءِ)

وَمَا أَكْثَرَ مَا يَذْكُرُونَ حَيَّةَ الْمَاءِ ؛ لِأَنَّ حَيَّاتِ الْمَاءِ (٦) فِيهَا تَفَاوُت .
 إِمَّا أَنْ تَكُونَ لَا تَضُرُّ كَبِيرَ ضَرَرٍ ، وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ أَقْتَلُ مِنَ الْحَيَّاتِ
 وَالْأَفَاعِي .

(١) البسر ، بالتحريك : صاحب القدح من قداح الميسر . وكانوا ربما جاء الرجل بقدحه
 بعد ما فاز منهم الواحد والاثنان ، فيسألهم أَنْ يَدْخُلُوا قَدَاحَهُ فِي قَدَاحِهِمْ ، فيفعلون
 ذلك ، ويسمونه المستلحق . انظر الميسر والقداح ١٥٣ . وقوله : « قاطعي
 قرن » يعنى قيسا . وذلك أَنْ كَلَبَا لَامُوا تَغْلِبَ فَقَالُوا : أَعْتَمَّ قَيْسَا عَلَيْنَا ! فَقَالَ
 الْأَخْطَلُ : حَمَلْتُمُونَا ذَنْبَ هَؤُلَاءِ ، وَأَلْزَمْتُمُونَاهُ ، وَلَيْسُوا مِنَّا وَلَا نَحْنُ مِنْهُمْ ،
 كَمَا يَسْتَلْحَقُ الْأَيْسَارُ رَجُلًا لَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ . ط ، س : « مُسْتَلْحِقِينَ كَمَا يَسْتَلْحَقُ
 السَّرَرُ » ، هـ : « مُسْتَلْحِقِينَ كَمَا يَسْتَلْحَقُ السَّرَرُ » ، صَوَاهِمَا مَا أَثْبَتَ مِنَ الدِّيَوَانِ
 وَالْمَيْسَرِ وَالْقَدَاحِ .

(٢) س ، هـ : « انْجَابَ مَا قَرُّوا » ، صَوَابُهُ فِي طِ وَالِدِّيَوَانِ . وَالرَّوَايَةُ فِيهِ .

لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ دِيَاتٌ يُوْخَذُونَ بِهَا وَلَا يَكُونُ لَهُمْ إِجْبَابٌ مَا قَرُّوا

(٣) س : « بِهَا الْأَنْبَاءُ » ، وَالِدِّيَوَانِ : « بِهِ الْأَخْبَارُ » .

(٤) الْأَمْهَادُ : جَمْعُ مَهْدٍ بِالضَّمِّ ، وَهُوَ النَّشْرُ مِنَ الْأَرْضِ ، أَوْ مَا انْخَفَضَ مِنْهَا فِي سَهْوَةٍ
 وَاسْتَوَاءَ . وَرَوَايَةُ الدِّيَوَانِ : « بَاتُوا نِيَامًا عَلَى الْأَمْطِاطِ لَيْلَهُمْ » وَلَيْلُهُ .

(٥) فِي الدِّيَوَانِ : « هُنَاكَ قَالُوا أَنَّ الْمَاءَ حَيَّتُهُ » .

(٦) هَذِهِ السَّكَلَةُ وَنَظِيرَتُهَا ، هِيَ فِي الْأَصْلِ : « الْمَسَاءُ » مُخْرَفَةٌ . وَفِي الْأَصْلِ : « حَيَّةٌ » .

(الهنديات)

ويقال إِنَّ الهندِيَّات^(١) إنما تصير في البيوت والدُّور ، والإصطبلات ،
والخرابات ، لأنها تُحْمَلُ في القُضْب^(٢) وفي أشباه ذلك .

(علة وجود الحيات في بعض البيوت)

والحيات تأكل الجرادَ أَكْلاً شديداً ، فربما فَتَحَ رأس كَرْزِه^(٣)
وجرابه وجوالقه ، الذي يأتي الجراد^(٤) ، وقد ضَرَبَه بِرُذِّ السَّحَرِ ، وقد
تراكم بعضه على بعض ، لأنها موصوفةٌ بِالصَّرَدِ^(٥) .

والحياتُ تُوصَفُ بِالصَّرَدِ ، وكذلك الحمير ، والماعزُ من الغنم . ولذلك

قال الشاعر^(٦) :

- (١) الهندية : ضرب من الأفاعي ، ذكر في ص ١٢١ . وفي هـ : « الهنديات » مصحف .
- (٢) أى في قُضْبِ الشجر . والقُضْب : الفرع . وذلك أن الخاطب ربما علق الحيات
ببعض ما يجمعه . وقالوا في أمثالهم : « كخاطب ليل » ، فهو يجمع القُضْب والحيات
وقد يصيبه منها الضرر الشديد .
- (٣) الكرز ، بالضم وتقديم الراء : ضرب من الجوالق ، أو هو الخرج الكبير يحمل
فيه الراعى زاده ومناحه . ط ، هـ : « كزره » س : « كنده » وهما
تخريف ما أثبت .
- (٤) كلمة « لذى » هي فاعل « فتح » المتقدمة . وما سيأتي إلى السطر الخامس من الصفحة
الآتية ، استطراد معترض ، وتبدأ صلة الكلام بكلمة : « وربما » الآتية .
- (٥) من صرد ، كفرح : وجد البرد سريعاً .
- (٦) هو صخر بن الجعد الحضري ، كما في نقد الشعر ٤٣ والأغاني (١٩ : ٦٧) ومعجم
البلدان (رسم جنان ، ذروة) . وهو شاعر من مخضري الدولتين الأموية والعباسية .
وكان مغرماً بكأس بنت جبير بن جندب ، وهي ابنة عمه . قالوا : وكانت كأس
تشرب من خدير يقلل له جنان ، وبخضرته أهلها ، فوقف طويلاً عليه يبيكي ، وقال
الشعر الآتي .

بليت كما يبلى الوكاء ولا أرى جَنَاناً ولا أكنافَ ذروة تَخْلُقُ^(١)
 أَلْوَى حَيَازِي مِنْ صَبَابَةٍ كما تَتَلَوَّى الحَيَّةُ المَتَشَرِّقُ^(٢)
 وإنما تَشَرِّقُ إذا أدركها بَرْدُ السَّحَرِ ولم تصرْ بعدُ إلى صلاحها ٨٠
 و [إذا^(٣)] خرجت بالليل تكتسب الطعم كما يفعل ذلك سائر السَّباع .
 وربما اجترِف صاحبُ الكرز الجراد^(٤) ، فأدخله كَرْزَه ، وفيه الأفعى وأسودَّ
 سَالِحٌ ، حتى يُنْقَلَ ذلك إلى الدَّور ، وربما لقي الناسُ منها جهداً .
 وقال بشر بن المعتمر ، في شعره المزاوَج :

ياعجِباً والَّذَهْرُ ذو عجائب مِنْ شَاهِدٍ وَقَلْبُهُ كَالْغَائِبِ
 وَحَاطِبٍ يَحْطِبُ فِي بَجَادِهِ^(٥) فِي ظِلْمَةِ اللَّيْلِ وَفِي سَوَادِهِ
 يَحْطِبُ^(٦) فِي بَجَادِهِ الْأَيْمِ الذَّكْرَ وَالْأَسْوَدَ السَّالِحَ مَكْرُوهَ النَّظَرِ

(شعر في حية الماء)

فمن ذكر حَيَّةِ الماء ، عبد الله بن هَمَّام السُّلُويُّ فقال :
 كَحَيَّةِ الماءِ لَا تَنْحَاشُ مِنْ أَحَدٍ صُلْبُ المَرَّاسِ إِذَا مَا حُلَّتِ النُّطْقُ^(٧)

(١) الوكاء ، بالكسر ، أراد به هنا السقاء ، وهو بالكسر جلد السخلة يتخذ للماء .
 والرواية في المصادر المتقدمة : « كما يبلى للرداء » . وجنان ، كسحاب : جبل أو واد
 بنجد . وفي الأصل : « جنابا » ، صوابه من معجم البلدان . وذروة ، بفتح أوله
 ويكسر : مكان حجازي .

(٢) ط : « يتلوى » . وفي نقد النثر : « تتلوى » . واستشهد ابن رشيق
 في العمدة (٢ : ٤٧) بهذا البيت على ما سماه « الإيفال » ، وهو المبالغة التي يكون
 موضعها قافية البيت .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) في الأصل : « الجراد » وفي س : « وربما احترف » محرفان .

(٥) البجاد ، بالكسر : الكساء .

(٦) ط ، هـ : « يحطب » صوابه في س . حطب الحطب : جمه .

(٧) تنحاش : تنفر . وحلت للنطق : كناية عن اشتداد الأمر . والنطق :
 جمع نطق ، وهو شبه إزار فية تكة .

وقال الشَّامُخُ بْنُ ضِرَارٍ :

خُوصُ الْعَيُونِ تَبَارَى فِي أَرْمَتِهَا إِذَا تَفَصَّدَنْ مِنْ حَرِّ الصَّيَاخِيدِ^(١)
وَكُلُّهُنَّ تَبَارَى ثِنَى مُطَرَّدٍ كَحَبَةِ الْمَاءِ وَلَّى غَيْرَ مَطْرُودٍ^(٢)

وقال الأخطل :

ضَفَادِعُ فِي ظِلْمَاءِ لَيْلٍ تَجَاوَبَتْ فَدَلْ عَلَيْهَا صَوْتُهَا حَيَّةَ الْبَحْرِ^(٣)

وقال أيضاً :

هَلُمَّ ابْنَ صَفَّارٍ فَإِنَّ قَتَلْنَا جِهَاراً وَمَا مِنَّا مَلَاوِذَةُ الْعُدْرِ
فَإِنَّكَ فِي قَيْسٍ لَتَالِ مُذْبَذَبٌ وَغَيْرُكَ مِنْهُمْ ذُو الثَّنَاءِ وَذُو الْفَخْرِ
وَنَحْنُ مِنْغَمَّا مَاءِ دِجْلَةٍ مِنْكُمْ وَنَمْنَعُ مَا بَيْنَ الْعِرَاقِ إِلَى الْبِشْرِ^(٤)
أَلَا يَا ابْنَ صَفَّارٍ فَلَا تَرُمِ الْعَلَى^(٥) وَلَا تَذْكُرْنَ حَيَّاتِ قَوْمِكَ فِي الشَّعْرِ
فَمَا تَرَكْتَ حَيَّاتُنَا لَكَ حَيَّةً نَحْرُكَ فِي أَرْضِ بَرَّاحٍ وَلَا بَحْرِ^(٦)
وقال نَفِيعُ^(٧) [يَعْبُرُهُ^(٨)] بِالْكُحَيْلِ^(٩) :

(١) يقول : تلك الإبل الغائرة العيون تتسابق ، وقد تصيب عرقها من حر الهواجر .
ورواية الديوان ٢٢ : « إذا تفصدن » بالقياف ، والتقصّد أصل معناه الهلاك ،
وأراد به تغييرها بعد السمن .

(٢) أى كل منها يسابق طرف زمامه . س ، هـ : « في مطردة » ، صوابه
في ط والديوان .

(٣) سبق الكلام على هذا البيت في (٣ : ٢٦٨) .

(٤) البشر ، بالكسر : جبل بالجزيرة . هـ : « البشر » ، صوابه في ط ، س .

(٥) لا ترم : لا تطلب . يقول له : ليس ذلك من شأنك .

(٦) البراح ، كسحاب : المتسع من الأرض ، لا زرع به ولا شجر .

(٧) نفيع ، بالفاء وهيئة الصغير ، هو ابن سالم بن صفار الحارثي ، وقد هجاه الأخطل
بالشعر المتقدم ، فقال هو الشعر الآتي . وفي الأصل : « تقيع » مصحف . انظر

المؤتلف والمختلف ١٩٥ .

(٨) ليست بالأصل ، والكلام يشعر بالحاجة إليها .

(٩) الكحيل ، بهيئة التصغير : نهر أسفل الموصل ، كانت عنده وقعة هزمت فيها

تغلب وألقوا بأنفسهم في الماء . الأغاني (١١ : ٥٥) .

فإن تك قتلاكم بدجلة غرقت فما أشبهت قتل حنين ولا بدر
ثووا إذ لقونا بالكحيل كما ثوى شمام إلى يوم القيامة والحشر^(١)
بدجلة حالت حربنا دون قومنا وأوطاننا ما بين دجلة والحضر^(٢)
ولو كنتم حياتٍ بحرٍ لكنتم
غداة الكحيل^(٣) إذ تقومون في الغمر^(٤)

٨١

(ما يشبه بالأيام)

فالأيام الحية الذكر يشبهون به الزمام ، وربما شبهوا الجارية الجدولة
الخميسة الخواصر^(٥) ، في مشيها ، بالأيام ؛ لأن الحية الذكر ليس له غيب ،
وموضع بطنه مجدول غير متراخ . وقال ابن ميادة :

(١) شمام ، كقطام : جبل له رأسان يسميان ابني شمام ، يضرب بهما المثل في البقاء .
قال ليبيد :

فهل نبئت عن أخوين داما على الأحداث إلا ابني شمام
وإلا الفرقدين وآل نعش خوالد ما تحدث بأنهدام

(٢) الحضر ، بالفتح : مدينة بإزاء تكريت في البرية ، بينها وبين الموصل والفرات .
ياقوت . وفي الأصل : « فالحضر » ، وهو تحريف .

(٣) أي لكنتم حيات غداة الكحيل فاستطعمت السباحة . ط : « كذات الكحيل »
س : « كذات الكحيل » صوابه من المؤلف ١٩٥ .

(٤) تقومون : تقفون وتثبتون غير متقدمين ولا متأخرين ، وذلك في الماء ممطبة .
هـ : « تعومون » ولا يصح به المعنى . ورواية الآمدي : « يلبون » من ألْب
بالمكان : أقام به ولزمه . والغمر : الماء الكثير . وفي الأصل : « القمر »
وتصحيفه من المؤلف .

(٥) الخاصرة : مافوق الخصر من الجلدة الرقيقة . وهما خاصرتان . فهو قد جمع وأراد
الانتثيق . انظر المزهري (٢ : ١٢٥) .

قعدت على السَّعلاة تنفض مسحها وتجذب مثل الأيم في بلدٍ قفر^(١)
 تيمم خير الناس من آل حاضر وتحمل حاجات تضمَّنهما صدرى^(٢)
 (شعر في حمرة عين الأفعى)

وقال الآخر في حمرة عين الأفعى :

لولا الهراوة والكفَّات أوردني حوضَ المنية قتالٍ لبني علقا^(٣)
 أصمُّ منهرتُ الشدقين ملتبدٌ لم يُغذَّ إلا المنايا من لدنْ خُلِقا^(٤)
 كأنَّ عينيه مسماران^(٥) من ذهبٍ جلاهما مدوسُ التَّلاقِ فائتلقا^(٦)
 (شعر في حمرة عيون الناس)

قال في حمرة عيون الناس في الحرب وفي الغضب ، ابنُ ميادة :

- (١) السَّعلاة : اسم ناقة ابن ميادة ، كما في الأغاني (٢ : ١١٤) . ومثل الأيم ، عني به الزمام . يقول : هي تجذب زمامها من شدة نشاطها . وفي الأغاني : « في برة الصفر » .
- (٢) رواية الأغاني : « تيمم خير الناس ماء وحاضر » . وبعد البيت خمسة أخرى في الأغاني .
- (٣) الكفَّات : جمع كفة ، بالكسر ، وهي من آلات الصيد . ط ، هـ : « السفاة » ، صوابه في س .
- (٤) منهرتُ الشدقين : واسعهما . ط ، هـ ، « منهرة » ، صوابه في س . في س : « لم يغذ » ، من الغذاء . ط ، س : « يفد » هـ : « يفد » صوابهما ما أثبت .
- (٥) في الأصل : « مسماران » . ولا تصح ؛ فإن المسماك : عود الخباء . وقد ذكر الدميري في كلامه على الحية : « وعينها لا تدور في رأسها ، بل كأنها مسمار مضروب في رأسها » . وانظر ما أسلف الجاحظ في ص ١٧٩ من ١٢ .
- (٦) المدوس ، بالكسر : خشية يشد عليها معن ، يدوس بها الصيقل السيف حتى يجلوه . والتَّلاق : تفعلال من ألح ، بمعنى لمع . وفي الأصل : « التلاق » ! وائتلقا : لمعا وبرقا . وفي الأصل : « فابتلقا » . والوجه ما أثبت . وانظر البيان (٣ : ٦٠) .

وعند الفزاري العراقي عارض كأنَّ عيونَ القَوْمِ في نبضة الجمرِ^(١)
وفي حمرة العين من جهة الحِلقة ، يقول أبو قُرْدُودَة ، في ابنِ عمارٍ^(٢)
حينَ قتله النُّعمان :

إني نهيتُ ابنَ عَمَّارٍ وقلتُ له : لا تَأْمَنَنَّ أَحْمَرَ الْعَيْنَيْنِ والشَّعْرَةَ
إنَّ الملوكَ متى تَنَزَّلَ بِسَاحَتِهِمْ تَطِرُ بناركُ مِنْ نيرانِهِمْ شَرَرَهُ
يا جَفْنَةً كِلْزَاءَ الحَوْضِ قد هُدِمَتْ وَمَنْطِقًا مِثْلَ وَشَى الْيَمْنَةِ الحَبْرَةِ^(٣)

(معرفة في الحية)

وأكثرُ ما يذكرون من^(٤) الحيات بأسمائها دون صفاتها : الأفعى ،
والأسود ، والشجاع ، والأرقم . قال عمر بن لُحَا :
* يلزق بالصَّخْرِ لُزُوقَ الأرقمِ * .

وقال آخر :

ورَقَّعَ أُولَى القومِ وَقَعُ خِرَادِلٍ^(٥) ووقعُ نبالٍ مثلَ وقعِ الأساودِ

(١) ط ، س : « القراري » ، صوابه في ه .

(٢) هو عمرو بن عمار الطائي ، كان شاعراً خطيباً ، فبلغ النعمان حين حديثه فحمله على منادته ، وكان النعمان أحمر العينين والجلد والشعر ، وكان شديد العريضة ، قتلاً للنداء ، فنهأ أبو قردودة عن منادته ، فلما قتله النعمان رثاه بالشعر الآتي .
البيان (١ : ٣٢٢ ، ٣٤٩) والحيوان (٥ : ٣٣٢) ومعجم المرزبان ٢٣٦ ومحاضرات الراغب (١ : ٩٢) .

(٣) كانت العرب تسمى السيد الطعام جفنة ؛ لأنه يضحمها ويطعم الناس فيها . اللسان (جفن) . وإزاء الحوض : مصب الدلو فيه .

(٤) ط : « مز » صوابه في س ، ه .

(٥) لعلها : « خوازق » جمع خازق ، وهو السهم النافذ ، أو السنان . اللسان .

(ذكر الأفاعى فى بعض كتب الانبياء)

وفى بعض كتب الانبياء ، أن الله تبارك وتعالى قال لبنى إسرائيل :
« يا أولاد الأفاعى ^(١) » .

(أمثال وشعر فى الحية)

ويقال : « رَمَاهُ اللهُ بِأَفْعَى حَارِيَةٍ ^(٢) » وهى التى تحرى ^(٣) ، وكلما
كبرت فى السن صغُرَتْ فى الجسم . وأنشد الأصمعى فى شِدَّةِ اسوداد
أسود سالخ :

مُهِرَّتِ الْأَشْدَاقَ عَوْدٍ قَدْ كَمَلَ ^(٤) كَأَنَّمَا قَيْظٌ مِنْ لَيْطٍ جُعِلَ ^(٥)
وقال جرير فى صفة عُرُوقِ بَطْنِ الشَّبْعَانِ ^(٦) :

وأعور من تَبْهَانٍ أَمَّا نَهَارُهُ فَأَعْمَى ، وَأَمَّا لَيْلُهُ فَبَصِيرٌ ^(٧) ٨٢

(١) هذه العبارة التى يشير إليها الجاحظ ، تجدهما فى إنجيل متى (الأصحاح ٣ : ٧)
والنص فيه : « فلما رأى كثيرين من الفريسيين والصدوقيين يأتون إلى معموديته
قال لهم : يا أولاد الأفاعى ! من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتى ؟ ! » . ومثل هذا
النص فى إنجيل لوقا أيضاً (الأصحاح ٣ : ٧) . وضمير (قال) عائد إلى يوحنا
المعمدان — وهو يحيى بن زكريا عليهما السلام — يعظ اليهود مبشراً بهيئى عليه
الصلاة والسلام .

(٢) ط ، هـ : « جارية » صوابه بالخاء المهملة كما فى س .

(٣) حرى يحرى ، كبرى : نقص . وفى ط ، س : « تجرى » ، صوابه فى هـ .

(٤) فى الأصل : « مهروثة » ، والوجه ما أثبت من (٣ : ٥٠٢) .

(٥) كذا . وانظر رواية البيت وشرحه فى (٣ : ٥٠٢) .

(٦) س : « عروق بطن » . ط ، هـ : « عروق بطن السنان » . ولا وجه .

للمبارتين . والصواب ما أثبت .

(٧) الأعور ، هو النهافى ، واسمه على بن أوس ، أو سمحة بن نعيم ، وكان بينه وبين

جرير مناقضة . انظر المؤلف ١٦١ والمرزبانى ٢٥٣ . وصواب رواية

هذا البيت :

رَفَعْتُ لَهُ مَشْبُوبَةً يَلْتَوِي بِهَا يَكَاذُ سَنَاها فِي السَّمَاءِ يَطِيرُ^(١)
 فلما اسْتَوَى جنباه لَاعَبَ ظِلَّهُ عَرِيضُ أَفَاعِي الْحَالِبِينَ ضَرِيرُ^(٢)
 قال : ويقال : « أَبْصَرُ مِنْ حَيَّةٍ » كما يقال : « أَسْمَعُ مِنْ فَرَسٍ » ،
 و : « أَسْمَعُ مِنْ عُقَابٍ » . وقال الراجز :

* أَسْمَعُ مِنْ فَرَخِ الْعُقَابِ الْأَسْحَمِ^(٣) *

وقال آخر^(٤) :

أَسْوَدُ شَرَّى لَاقَتْ أَسْوَدَ خَفِيَّةٍ تَسَاقَوْا عَلَى حَرْدٍ دِمَاءُ الْأَسَاوِدِ^(٥)

- = وأعور من نهبان يعوى ودونه من الليل بابا ظلمة وستور
 كما هو عند الآمدي والمرزباني وفي الديوان ٢٦٥ . والذي أوهم الجاحظ ذلك
 أن في القصيدة بيتا آخر ، يروى بهذه الرواية التي أثبتها ، ولكن موضعه
 في نهاية القصيدة ، ويتضح لك ذلك من مطالعة الديوان ص ٢٦٦ س ٣ ، ٥ .
- (١) مشبوبة : أى ناراً . وكانوا يرفعون النيران لترشد إليهم الضيفان . يلتوى : كذا
 جاءت الرواية هنا . وهى في الديوان والمؤتلف : « يهتدى » .
- (٢) استوى جنباه : أى برزا من امتلائهما . فى الأصل : « استوت » محرفة . لاغب
 ظله : أى جعل ذلك النهاية يلاعب ظله مما طرأ عليه من السرور . وضمير « ظله »
 راجع إلى « عريض » . والحالبان : عرقان أخضران يكتنفان السرة إلى البطن .
 وفى الأصل : « عروض أفاعي الحالتين » ، تصحيحه من النقائص . وانظر الرواية
 فى الديوان .
- (٣) الأسحم : الأسود . وفى الأصل : « الأشجع » ، صوابه فى (٦ : ٤٣٩) . وفى الديميرى
 « فأما العقاب فهنا السود والخوخية والسفع والأبيض والأشقر » .
- (٤) هو الأشهب بن ربيعة ، كما فى البيان (٤ : ٥٥) والكمال ٣٣ ، ٤٣٨
 ليسك والعقد (١ : ٥٣) واللسان (جرد) .
- (٥) شرى : جبل بنجد ، أو تهامة ، مشهور بكثرة السباع . وخفية : أجمة فى سواد
 الكوفة . هـ : « حفية » بالخاء المهملة صوابه فى ط ، س والمراجع المتقدمة
 وكذا الأضداد ١٩٨ والمقصود ٥٨ والمخصص (١١ : ٤٨) . والحرد :
 القصب . وروى فى المقصور : « لوح » . واللوح ، بالضم ، ويفتح : العطش .
 وقبل البيت :

ضَرَبَ المَثَلَ بِمَجْنَسِينَ مِنَ الْأَسْوَدِ ، إِذْ كَانَا ^(١) عِنْدَهُ الْغَايَةَ فِي الشَّدَّةِ
وَالهَوْلِ ، فَلَمْ يَقْنَعْ بِذَلِكَ حَتَّى رَدَّ ذَلِكَ كُلَّهُ إِلَى سَمُومِ الْحَيَّاتِ .

(مَا يَشَبَّهُه بِالْأَسْوَدِ)

وَفِي هَؤُلَ مِنْظَرِ الْأَسْوَدِ يَقُولُ الشَّاعِرُ ^(٢) :

مِنْ دُونِ سَيْبِكَ لَوْ أَنَّ لَيْلٍ مُظْلِمٍ وَخَفِيفٌ نَافِجَةٌ وَكَلْبٌ مُوسِدٌ ^(٣)
وَالضَّيْفُ عِنْدَكَ مِثْلُ أَسْوَدٍ سَالِحٍ لَا بَلَّ أَحَبَّهُمَا إِلَيْكَ الْأَسْوَدُ ^(٤)
وَيَصِفُونَ ذَوَائِبَ النِّسَاءِ ، فَإِذَا بَلَغُوا الْغَايَةَ شَبَّهُوهَا بِالْأَسْوَدِ . قَالَ
جِرَانُ الْعَوْدِ :

أَلَا لَا تَغْرَنَّ أَمْرًا نَوْفَلِيَّةً عَلَى الرَّأْسِ مِنْهَا ، وَالتَّرَائِبُ وَضَحٌ ^(٥)
وَلَا فَاحِجٌ يُسْقَى الدَّهَانَ كَأَنَّهُ أَسْوَدٌ يَزْهَاهَا لَعِينُكَ أَبْطَحُ ^(٦)

= وَإِنَّ الَّذِي حَانَتْ بِفُلْجٍ دِمَاؤُهُمْ هُمُ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا أَمَّ خَالِدٍ
هُمُ سَاعِدُ الدَّهْرِ الَّذِي يَتَّقَى بِهِ وَمَا خَيْرُ كَفٍّ لَاتَنُوهُ بِسَاعِدٍ

- (١) فِي الْأَصْلِ : « كَانَ » ، وَصَوَابُهُ مَا أَثَبَتْ .
- (٢) هُوَ حَسِيلُ بْنُ عَرْقُطَةَ ، الَّذِي تَقَدَّمَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي (٣ : ١٠٢) . انْظُرْ نَوَادِرَ
أَبِي زَيْدٍ ٧٥ وَدِيَوَانَ الْمَعَانِي (١ : ١٠٦) وَالْحَيَوَانَ (١ : ٣٨٣) .
- (٣) النَّافِجَةُ ، بِالْجِيمِ بَعْدَ الْفَاءِ : الرِّيحُ تَبْدَأُ بِقُوَّةٍ . وَفِي الْأَصْلِ وَكَذَا دِيَوَانَ الْمَعَانِي :
« نَافِجَةٌ » ، وَصَوَابُ الرِّوَايَةِ مِنَ النُّوَادِرِ . وَ : « كَلْبٌ » هِيَ فِي الْأَصْلِ :
« قَلْبٌ » صَوَابُهُ مِنَ الْمَرَاجِعِ الْمُتَقَدِّمَةِ .
- (٤) مَكَانٌ : « أَحَبَّهُمَا » بَيَاضٌ فِي س .
- (٥) النَّوْفَلِيَّةُ : ضَرْبٌ مِنَ الْأَمْتِشَاطِ ، وَفَسْرُهُ صَاحِبُ التَّهْذِيبِ بِأَنَّهُ شَيْءٌ يَتَخَذُهُ نِسَاءُ
الْأَعْرَابِ مِنْ صَوْفٍ يَكُونُ فِي غُلْظِ أَقْلٍ مِنَ السَّاعِدِ ، ثُمَّ يَحْشَى وَيُعْطَفُ ، فَتَضُمُّهُ
الْمَرْأَةُ عَلَى رَأْسِهَا ، ثُمَّ تَحْتَمِرُ عَلَيْهِ . وَرَوَايَةُ الدِّيَوَانَ وَاللِّسَانِ : « عَلَى الرَّأْسِ
بَعْدَى » . وَالتَّرَائِبُ . جَمْعُ تَرِيَّةٍ ، وَهِيَ مَوْضِعُ الْقَلَادَةِ . وَضَحٌ : جَمْعٌ وَاضِحَةٌ
بِمَعْنَى مُشْرَقَةٌ .
- (٦) الْأَبْطَحُ : يَطْنُ وَادٍ فِيهِ رَمْلٌ وَحِجَارَةٌ . الدِّيَوَانَ : « لَعِينُكَ » ، وَاللِّسَانُ :
« مَعَ اللَّيْلِ أَبْطَحُ » .

(استطراد لغوى)

قال : والخرشاء^(١) : القشرة الغليظة بعد أن تنقب فيخرج مافيهما ،
وجماعه الخراشي^(٢) ، غير مهموز . قال : وخرشاء الحية : سلعها حين تسلخ^(٣)
وقال . هذا أسود سالخ ، وهذان أسودان سالخان ، وأسود سالخة .
وقال مرقش :

إِنْ يَغْضِبُوا يَغْضَبُ لِيَذَاكُمْ كَمَا يَنْسِلُ عَنْ خِرْشَائِهِ الْأَرْقَمُ

(تعليق الحلى والخلاخيل على السليم)

وكانوا يروون أن تعليق الحلى ، وخشخشة الخلاخيل على السليم ، مما
لا يفيق ولا يبرأ إلا به ، وقال زيد الحلي :
أيم يكون النعل منه ضجيجعه كما علقت فوق السليم الخلاخيل^(٤)
وخبرني خالد بن عقبة ، من بني سلمة بن الأكوع ، وهو من بني
المسيح ، أن رجلاً من حزن ، من بني عذرة ، يسمى أسباط ، قال في تعليقهم
الحلى على السليم :

(١) جاءت هذه الكلمة مقصورة في الأصل ، وصوابها المد .

(٢) جماعه : أى جمعه . وفي ط ، هـ : « جماعه » س : « جماعته » وصوابه
ما أثبت . وكلمة « الخراشي » هى فى ط ، س : « الخراش » وفى هـ :
« الخراش » تحريف ، صوابه من اللسان والقاموس والمقصود ٣٨ .

(٣) س : « تنسلخ » . وخرشاء ، هى مقصورة في الأصل ، والصواب مدها ، كما في المفضليات
٢٤٠ والمقصود والممدود ٣٨ وما سيأتى فى ص ٣٤٠ .

(٤) الخلاخل : جمع خلخل ، وهو الخلخال ، ذاك الحبل . وكان العرب يعلقون الجلاجل
أيضاً على الدبغ ، جمع جلجل ، وهو الجرس الصغير . انظر لذلك بلوغ =

أَرِقْتُ فَلَمْ تَطْعَمْ لِي الْعَيْنُ مَهْجَعًا وَبِتْ كَمَا بَاتَ السَّلِيمُ مُقَرَّعًا (١)
كَأَنِّي سَلِيمٌ نَالُهُ كُلُّ حَيَّةٍ تَرَى حَوْلَهُ حَلَى النِّسَاءِ مُرْصَعًا (٢)
وقال الذُّبْيَانِيُّ :

٨٣

فَبِتْ كَأَنِّي سَاوَرْتَنِي ضَبِيلَةً مِنَ الرُّقْشِ فِي أُنْيَابِهَا السَّمُّ نَاقِعٌ
يُسَهِّدُ مِنْ لَيْلِ التَّمَامِ سَلِيمُهَا لِحَلَى النِّسَاءِ فِي يَدَيْهِ قَعَاقِعُ
(استطرد فيه لغة وشعر)

قال : ويقال لسان طلق ذلق^(٣) . ويقال للسليم إذا لدغ : قد طلق ،
وذلك حين تَرَجَّعَ إِلَيْهِ نَفْسُهُ . وهو قول النابغة :
تَنَادَرَهَا الرَّاقُونَ مِنْ سُوءِ سَمِّهَا تَطْلُقُّهُ طَوْرًا وَطَوْرًا تُرَاجِعُ^(٤)
وقال العبدى^(٥) — إِنْ كَانَ قَالَهُ — :

= الأرب (٢ : ٣٠٤) وما أورد من الشواهد . وجاء في شرح الوزير أبي بكر
لديوان النابغة ٥٢ : « كان الحلّى في الزمان الأول له جلاجل يسمع صوته
من المرأة إذا مشت » .

(١) مقرعا ، بالثباف بعدها راء : من التقرّيع ، وهو الإقلاق .
(٢) مرصعاً : معقوداً . وفي نهاية الأرب (٢ : ٣٠٥) : « موضعاً » وهى صحيحة
من وضع الباني الحجر ، بالتشديد : نضد بعضه على بعض .
(٣) فى القاموس : « وطلق اللسان بالفتح والكسر ، وكأمر . ولسان طلق ذلق —
ضبط كل منهما ككتف ، بالقلم — وطلق ذليق ، رطلق ذلق بضميتين ، وكصرد
وكتف : ذو حدة » .

(٤) تنادرها الراقون : أنذر بعضهم بعضاً ألا يتعرضوا لها . فى الأصل : « تبادرها » ،
وصوابه من الديوان ٥٢ والمخصص (٩ : ٦٥) واللسان (نذر) والسكران
٥٠٧ ليسك . ويروى : « من سوء سمها » بفتح السين ويكسرهما ، بمعنى
الشهرة . تطلقه : أى تطلق « السليم » المذكور فى البيت السابق ، والمعنى
تحف الأوجاع عنه تارة وتشتد أخرى . قال المبرد : « وذلك أن المنهوش إذا ألح
الوجع تارة وأمسك عنه تارة فقد قارب أن يواس من برئه » .

(٥) يعنى بالعبدى هنا ، الممزق العبدى ، صاحب البيه السائر (انظر الشعراء ٣٦٠) :
فإن كنت مأكولاً فكأن أنت آكلٌ وإلا فأدركنى ولما أمزق =

تَبَيَّتْ اَلْهُمُومُ الطَّارِقَاتُ يَعْذُنِي كَمَا تَعْتَرِي اَلْأَهْوَالُ رَأْسَ الْمَطْلَقِ (١)
وَأُنْشِدُ :

تُلَاقِي مِنْ تَذَكُّرِ آلِ لَيْلَى كَمَا يَلْقَى السَّلِيمُ مِنَ الْعِدَادِ (٢)
وَالْعِدَادُ : الْوَقْتُ . يُقَالُ : إِنَّ تِلْكَ الْأَسْعَةَ لَتَعَادَهُ (٣) : إِذَا عَادَهُ الْوَجَعُ
فِي الْوَقْتِ الَّذِي لَسِعَ فِيهِ .

(حَدِيثُ الْحَمْلِ الْمَصْلِيِّ)

وَذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السَّمَّ الَّذِي كَانَ فِي الْحَمْلِ الْمَصْلِيِّ (٤) ،
الَّذِي كَانَتْ الْيَهُودِيَّةُ قَدَّمَتْهُ إِلَيْهِ فَتَالَ مِنْهُ ، فَقَالَ : « إِنَّ تِلْكَ الْأَكْلَةَ
لَتَعَادُنِي (٥) » .

(١) ط : « تعذني » س : « تفدني » هـ : « تعذني » ، وصوابه ما أثبت من
الكامل ٥٠٧ ليسك . وفيه أيضاً : « كما تعتري الأوصاب » .

(٢) الرواية في المخصص (٥ : ٨٨) والأضداد ٩٠ واللسان (عدد) : « يلاق من
تذكر » . وقد أتحم الشاعر كلمة « آل » ، فهي زائدة في الكلام ، وأراد : من
تذكر ليلى نفسها . مثله ما جاء في الحديث : « لقد أعطى مزماراً من مزامير آل
داود » أراد : من مزامير داود نفسه .

(٣) ط : « لتعادته » ، صوابه في س ، هـ .

(٤) المصلي : المشوى . صلى اللحم وغيره صلياً : شواه . والمعروف في الرواية أنها شاة ،
لا حمل . تأويل مختلف الحديث ٢٢٥ ، والسيرة ٧٦٤ جوتنجن ، والتنبية
والإشراف ٢٢٣ . والذي أهدى الشاة هو زينب ابنة الحارث اليهودية ، امرأة
سلام بن مشكم اليهودي ، وقيل : هي أخت مرحب اليهودي . الروض الأنف
(٢ : ٢٤٣) ، وكانت سألت : أي عضو من الشاة أحب إلى الرسول ؟ فقيل
لها : الذراع ، فأكثر فيها من السم . وانظر بقية الخبر في السيرة
(غزوة خيبر) .

(٥) ط : « لتعادني » وصوابه في س ، هـ والروض الأنف ، وتأويل مختلف
الحديث ، والمخصص (٥ : ٨٨) والأضداد ٩٠ واللسان (عدد) . والرواية
في هذه المصادر : « ما زالت أكلة خيبر تعادني فهذا أوان قطعت أبهرى » . =

(جلد الحية)

وفي الحية قشرها ، وهو أحسن من كل ورقة وثوب ، وجناح ،
وطائر ؛ وأعجب من ستر العنكبوت ، وغرقى^(١) البيض .

(ما يشبهه بلسان الحية)

ويقال في مثل ، إذا مدحوا^(٢) الخف اللطيف ، والقدم اللطيفة ، قالوا :
كأنه لسان حية .

(نفع الحية)

وبالحية يتداوى من سم الحية . وللدغ الأفاعى يؤخذ الترياق الذى
لا يوجد إلا بمتون^(٣) الأفاعى . قال كثير :
وما زالت رقاك تسلى ضغني ونخرج من مكامنها ضبابي^(٤)
وترقيسي لك الحاوون حتى أجابك حية تحت الحجاب^(٥)

= وقد قال هذا القول في مرضه الذى توفى فيه . وهو دليل على أنه صلى الله عليه وسلم
مات شهيداً .

(١) الغرقى ، كزبرج : القشرة الملتزمة ببياض البيض .

(٢) في الأصل : « مدح » .

(٣) ط : « لا يؤخذ إلا بمتون » ، س ، ه : « لا يؤخذ إلا بمتون » وصوابهما
ما أثبت . والمتن : الظهر .

(٤) الضباب ، بالكسر : جمع ضب ؛ بالفتح والسكر ، وهو الضغن والعداوة .

وهو يخاطب بهذا الكلام عبد العزيز بن مروان كافي الموشح ١٤٣ والصناعتين

٧٢ وزهر الآداب (٢ : ٦٣) وابن سلام ٤٦٤ . وفيها جميعاً نقد جيد

لهذين البيتين .

(٥) ترقيسى ، كذا في الأصل ، وهى صحيحة . وفى الكتاب : « إلا الذى آمنت به =

(قصة امرأة لدغتها حية)

جوبير بن إسماعيل ، عن عمه ، قال : حَجَجْتُ فَإِنَّا لَنِي وَقَعَةٌ مَعَ قَوْمٍ ^(١) نَزَلُوا مِنزِلَنَا ^(٢) ، وَمَعَنَا امْرَأَةٌ ، فَنَامَتْ ^(٣) فَانْتَبَهَتْ وَحَيَّةٌ مَنطُويَةٌ عَلَيْهَا ، قَدْ جَمَعَتْ رَأْسَهَا مَعَ ذَنْبِهَا بَيْنَ ثَدْيَيْهَا ^(٤) ، فَهَا لَهَا ذَلِكَ وَأَزْعَجَنَا ، فَلَمْ تَزَلْ مَنطُويَةً عَلَيْهَا لَا تَضُرُّهَا بِشَيْءٍ ، حَتَّى دَخَلْنَا أَنْصَابَ الْحَرَمِ ^(٥) ، فَانْسَابَتْ فَدَخَلْتُ مَكَّةَ ، فَقَضَيْنَا نَسْكَنَا وَانصَرَفْنَا ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْمَسْكَانِ الَّذِي انْطَوَتْ عَلَيْهَا فِيهِ الْحَيَّةُ ، وَهُوَ الْمَنْزِلُ الَّذِي نَزَلْنَاهُ ، نَزَلْتُ فَنَامْتُ وَاسْتَيْقَظْتُ ، فَإِذَا الْحَيَّةُ مَنطُويَةٌ عَلَيْهَا ، ثُمَّ صَفَرَتْ الْحَيَّةُ إِذَا الْوَادِي يَسِيلُ حَيَّاتٍ عَلَيْهَا ، فَهَنَشْتُهَا حَتَّى نَقَعْتُ ^(٦) عَظَامَهَا ، فَقُلْتُ لَجَارِيَةٍ كَانَتْ لَهَا : وَيْحَكَ ! ٨٤ أَخْبَرِينَا عَنْ هَذِهِ الْمَرْأَةِ . قَالَتْ : بَغَتْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، كُلَّ مَرَّةٍ تَأْتِي بِوَلَدٍ ، فَإِذَا وَضَعَتْهُ سَجَرَتْ التَّنُّورَ ^(٧) ، ثُمَّ أَلْقَتْهُ فِيهِ .

= بنو إسرائيل . انظر لذلك ما أسلفت في ص ١٩٣ . والرواية في المراجع : « ويريقي » . والحاوون : جمع حاو . وفي ط ، س : « الحادون » . وه : « الحاذن » محرفان ، صوابهما في المراجع المتقدمة .

(١) الوقعة ، بالفتح : النوم في آخر الليل . ط : س : « من قوم » ، صوابه في ه .

(٢) ط ، س : « إِذْ نَزَلُوا مِنزِلَنَا » ه : « إِذْ أَنْزَلُوا ، نَزَلْنَا » ، وكلمة « إِذْ » مقحمة .

(٣) س : « فَنَامْتُ » .

(٤) ط ، ه : « ثَدْيَيْهَا » س : « أَيْدِيهَا » ، وصوابه ما أثبت .

(٥) أنصاب الحرم : حدوده ، كما في القاموس واللسان .

(٦) نَقَى الْعَظْمَ نَقْيًا : استخرج نقيه . والنق بالكسر : مخ للعظام .

(٧) سَجَرَتْ التَّنُّورَ : أحيته وأوقدته . والسجور ، بالفتح : الوقود . وفي الأصل : « شجرت » ، وهو تصحيف . والتنور : ما يخبز فيه .

(قول امرأة في عليّ والزبير وطلحة)

قال : ونظرت امرأة إلى عليّ ، والزبير ، وطلحة ، رضى الله تعالى عنهم ، وقد اختلفت أعناق دوابهم حين التقوا ، فقالت : من هذا الذى كأنه أرقم يتلمظ ؟ قيل لها : الزبير . قالت : فمن هذا الذى كأنه كُسير ثم جبر^(١) ؟ قيل لها : عليّ . قالت : فمن هذا الذى كأن وجهه دينار هرقلى^(٢) ؟ قيل لها : طلحة .

(استطراد لغوى)

وقال أبو زيد : نهشت أنهش نهشاً . والنهش : هو تناولك الشيء بفيك ، فتمضغه فتؤثر فيه ولا تجرحه . وكذلك نهش الحية . وأما نهش السبع فتناوله من الذابّة بفيه ، ثم يقطع ما أخذ منه فوه . ويقال نهشت اللحم أنهشه نهشاً^(٣) ، وهو انتزاع اللحم بالثنايا ؛ للأكل . ويقال نشطت العقد نشطاً : إذا عقدته بأرشوة^(٤) . ونشطت الإبل تنشط نشطاً : إذا ذهبت على هدى أو غير هدى ، نزعاً أو غير نزع . ونشطته الحية فهي

(١) وذلك أن علياً كان قصيراً حادراً ضخماً البطن ، أفضس الأنف ، دقيق الذراعين . المعارف ٩١ .

(٢) الدينار الهرقلى نسبة إلى هرقل . قال الألب أنستاس ماري في حواشي النقود العربية ٢٥ : « وكان ذهبه من أحسن الذهب ، وشكله حسناً بديعاً » . وقد روى ابن قتيبة حديث هذا المرأة في عيون الأخبار (٤ : ٢٥) برواية أخرى .

(٣) فرق بعض اللغويين بين (النهش) و (النهس) فقالوا : نهش اللحم : أخذه بأضراسه . ونهسه : أخذه بأطراف الأسنان . وسوى بعضهم بينهما .

(٤) الأنشطة ، بالضم : عقدة يسهل انحلالها . ط ، هـ « بالأنشطة » ، صوابه في س . وفي اللسان : « ونشطت العقد : إذا عقدته بأنشطة » .

تَنْشِطُهُ نَشْطًا ، وهو أن تَعْضَهُ عَضًا . وَنَكَزَتْهُ الْحَيَّةُ تَنْكَزُهُ نَكَزًا ، وهو طَعْنُهَا الْإِنْسَانَ بِأَنْفِهَا^(١) . فَالْتَّكَزَ مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ سِوَى الْحَيَّةِ الْعَضُّ . وَيُقَالُ : نَشْطَتْهُ شَعُوبٌ نَشْطًا^(٢) وَهِيَ الْمَنِيَّةُ :

قال : وتقول العرب . نشطه الشعوب ، فتدخل عليها التعريف

(علة تسمية النهيش بالسَّامِ)

ويسمون النهيش سليماً على الطيرة^(٣) . قال ابن ميادة :

كَأَنِّي بِهَا لَمَّا عَرَفْتُ رُسُومَهَا قَتِيلٌ لَدَى أَيْدِي الرُّقَاةِ سَلِيمٌ

(شعر في الحية)

وَمِمَّا يَضْرِبُونَ بِهِ الْمَثَلَ بِالْحَيَّاتِ فِي دَوَاهِي الْأَمْرِ ، كَقَوْلِ الْأَقْبِيلِ

الْقَيْنِيِّ^(٤) :

لَقَدْ عَلِمْتُ ، وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَنْفَعُهُ^(٥) أَنْ انْطَلَقَ إِلَى الْحِجَّاجِ نَغِيرٌ

(١) في الأصل : « بفيها » . وهو تحريف ، تصحيحه من اللسان والقاموس .

(٢) شعوب ، بالفتح ومنع الصرف : علم للمنية ، سميت بذلك لأنها تشعب ، أى تفرق .

ودخول (أل) عليها ، مثل دخولها على العباس ، والحسن ، والحارث .

(٣) الطيرة ، كعنة : ما يتشاهم به من الفأل الرديء . فالمنى على تشاؤمهم من تسميته بالنهش .

(٤) هو الأقبيل بن نهران بن خنيف ، شاعر إسلامي كان في زمن الحجاج . وكان الأقبيل مع الحجاج بن يوسف حين خرج إلى ابن الزبير ، فهرب من الحجاج لما رأى البيت يضرب بالمجانيق ، وقال شعراً أغضب الحجاج ، فطلبه فاحتسب بقبر مروان ، فأمنه عبد الملك وكتب إلى الحجاج ألا يرض له ، فقال قومه : إنك إن أتيت الحجاج قتلك ، فطرح الكتاب وهرب ، وقال الشعر الآتي . وفي الأصل ، وكذا الجزء السابع ص ١٠٢ : « المتبى » وصوابه من المؤلف ٢٤ . ومن نسخة كوبرلي الجزء السابع . وهو نسبة إلى بني القين بن جسر .

(٥) رواية الآمدى :

* إني لأعلم والأقدار غالبية *

لَنْ ذَهَبْتُ^(١) إِلَى الْحَجَّاجِ يَقْتُلَنِي إِنِّي لِأَحِقُّ مَنْ تُحْدِي بِهِ الْعِيرُ
مُسْتَحَقًّا صُحُفًا تَدْمِي طَوَائِعَهَا^(٢) وَفِي الصَّحَائِفِ حَيَّاتٌ مَنَاقِيرُ

(استطراد لغوى)

وقال الأصمعيّ : يقال للحَيَّة الذَّكْر أَيْم وأيم ، مثقل ومخفف ، نحو
لَيْن وَلين ، وَهَيْن وَهين . قال الشَّاعر^(٣) :

هَيْنُونَ لَيْنُونَ أَيْسَارُ ذُووِ يَسَرٍ سُؤَاسُ مَكْرَمَةِ أُنْبَاءِ أَيْسَارِ
وَأُنْشِدْ فِي تَخْفِيفِ الْإِيمِ وَتَشْدِيدِهِ^(٤) :

وَلَقَدْ وَرَدَتْ الْمَاءُ لَمْ تَشْرَبْ بِهِ زَمَنَ الرَّبِيعِ إِلَى شَهْرِ الصَّيْفِ^(٥)
إِلَّا عَوَاسِرُ كَالْمِرَاطِ مُعِيدَةٌ بِاللَّيْلِ مَوْرَدَ أَيْمٍ مَتَغَضِّفٍ^(٦)

(١) رواية الآمدي :

* لَنْ حُدِي فِي *

(٢) استحقب الشيء : حلة في مؤخرة الرجل . ط : « مستحليا » س :
« مستخفيا » هـ : « مستحفيا » وهو تحريف ما أثبت من المؤنثف والجزء
السابع . والطوايع ، جمع طابع ، يفتح الباء وكسرهما ، وهو الخاتم الذي يختم
به الرسائل ونحوها . ط ، هـ : « طوائعها » س : « طوالعها » صوابها
من الجزء السابع .

(٣) انظر تحقيق اسمه في (٢ : ٨٩) ، وكذا شرح البيت ورواياته في :
(٢ : ٩٢) .

(٤) قائل البيتين هو أبو كبير الهذلي ، كما في ديوان الهندليين (٢ : ١٠٥) واللسان
(صيف ، غضف) وأماي القائل (٢ : ٨٩) .

(٥) وردت ، بفتح تاء المخاطب ، يخاطب رجلا رثاء من قومه . وقبل البيت ، كما في
تنبيه البكري ٩٩ :

أزهير إن أخا لنا ذا مرة جلد القوى في كل ساعة محرف

فارقته يوما بجانب نخلة سبق الحمام به زهير تلهفي

وفاعل « تشرب » هو « عواسر » في البيت الآتي . وروى في الأمل ، واللسان :
« يشرب » .

(٦) « بالليل » هي في الأصل : « بالعل » وتصحيحه من اللسان (عسر ، صيف ،
غضف) والأمل .

الصَّيْفُ ، يعني مَطَرُ الصيف ^(١) . والعواسر : يعني ذئابا رافعة أذنانها : ٨٥
والمراط : السهام التي قد تمرط ريشها . ومُعيدة : يعني معاودة للورد .
يقول هو مكانُ خلائه ^(٢) يكون فيه الحياتُ ، وتردُّه الذئابُ . ومتغصِّفٌ
يريد بعضُهُ على بعض ، يريد تنفي الحية .

وأُشْد لابن هند ^(٣) :

أودى بأُمَّ سُلَيْمَى لاطى لَيْدٌ كحِيةٍ منطوٍ من بين أحجار ^(٤)
وقال محمد بن سعيد ^(٥) :

قريحة لم تدنَّها السَّياط ولم تورَّدَ عِراكاً ولم تعصر على كَدَرٍ ^(٦)
كنطوى الحية النضناض مكمها في الصَّدر مالم يهيجها على زورٍ
الليث لئس منسوبٌ أظافره ^(٧) والحية الصِّل نجل الحية الذَّكر

(١) في الأصل : « مطرا الصيف » ، وتصحيحه من اللسان (صيف) والأمال .

(٢) في الأصل : « هو مكان الخلاية » ، تحريف ما أثبت . وعبارة القائل : « هذا المكان لخلائه » ، من موارد الحيات » ، أى لكونه خاليا تردم الحيات .

(٣) هو عبد الله بن هند ، كما في العقد (٦ : ١٢٧)

(٤) الحية تذكر وتؤنث . وفي العقد : « بحب سليم » ، وهو الصواب .

(٥) ط ، هـ : « سعد » ، وأثبت ما في س . وقد ذكر المرزباني من اسمه محمد بن سعد الكاتب التيمي ، وهو عربي بغدادى وأُشْد له الأبيات التي أولها :

سأشكر عمراً إن تراخت مني أيادى لم تمن وإن هى جلت

وقد روى الجاحظ الأبيات بعينها ، في الرسائل ٢٣ ساسى ، ونسبها إلى محمد بن سعيد ، قال : « وهو رجل من الجند » . فإن صدق حديثى كان محمد هذا هو صاحب الأبيات المشار إليها بعينه .

(٦) القريح : الخالص . وعنى أن هذه الإبل أو الناقة التي ينتمى خالصه النسب . ويقال أورد إبله العراك وأوردها عراكا : أى أوردها الماء مزدحمة . وجاء فيه قول لبيد (وهو من شواهد النحويين) :

فأوردها العراك ولم يذدها ولم يشفق على نقص الدخال

وفي الأصل : « ولم تردد » ، وصوابه ما أثبت .

(٧) ط : « أظافره » ، صوابه في س ، هـ .

وقال ذو الرمة :

وأحوى كأيام المضال أطرقَ بعدَما حبا تحتَ فينانٍ من الظلِّ وارفٍ (١)

قال : ويقال انبست الحيات (٢) : إذا تفرقت وكثرت . وذلك عند

إقبال الصيف . قال أبو النجم :

* وانبتس حيات الكثيب الأهيل (٣) *

وقال الطرمّاح :

وتجرّد الأسروعُ وأطرّد السّفا وجرتَ بجاليها الحداب القرددُ (٤)

وانساب حيات الكثيب وأقبلتُ ورُق الفراش لما يشبُّ الموقدُ (٥)

قال : ويقال جبا عليه الأسودُ من جحره : إذا فاجأه . وهو يجبا

جبتاً وجبواً .

وقال رجلٌ من بني شيبان :

وما أنا من ريب المنون بجباً وما أنا من سيب الإله بيائس (٦)

(١) الأحوى ، عني به زمام الناقة ، كما في المخصص (١٠ : ٩٥) . والأحوى : الذي يضرب سواده إلى الحمرة . والضال : نبت . وحبا : دنا ، كما في اللسان (حبا) حيث استشهد بالبيت .

(٢) انبتس ، بالسین ، كما في س واللسان . وفي ط ، هـ : « أنبتس » مصحف . وكلمة « الحيات » هي في س ، ط : « الحية » وتصحيحها من هـ .

(٣) ط ، هـ : « وانبتس » صوابه في س . وفي س ، ط : « الكثيب » صوابه في هـ . والكثيب الأهيل : الرمل السائل الذي لا يثبت .

(٤) في الأصل : « وجرت بجالتها » . وانظر ما سبق في ص ٢٢٥ حيث تجد شرح البيت .

(٥) في الأصل : « زرق الفراش » ، وتصحيح الرواية ما سبق ص ٢٢٥ .

(٦) الجباً ، بضم الجيم وتشديد الباء المفتوحة : الحبوب الجبان . وقد وهم أبو عمرو الشيباني في تفسير هذه الكلمة من هذا البيت فجعلها الناجي من الأمر الذي انفلت منه . وقد اعترضه صاحب التنبيهات على أغلاط الرواة . وروى في المخصص =

(ما يشرع في اللبن)

قال : ويقال : اللبن مُحْتَضَرٌ^(١) فَعَطَّ إِنْاءَكَ . كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ الْجَنَّ تَشْرَعُ فِيهِ^(٢) ، على تصديق الحديث في قول المفقود^(٣) لعمر ، حين سأله وقد استهوتَه الجنُّ : ما كان طعامهم ؟ قال : الرَّمَّةُ . يريد العظم البالي . قال : فما شرابهم ؟ قال : الجِلْدَفُ . قال : وهو كلُّ شراب لا يُخَمَّرُ^(٤) .

ونقول الأعراب : ليس ذلك إلَّا في اللَّبَنِ . وأمَّا النَّاسُ فيذهبون إلى أَنَّ الْحَيَّاتِ تَشْرَعُ^(٥) في اللَّبَنِ ، وكذلك سَامُ أَرْص ، وكذلك الْحَيَّاتِ تَشْرَعُ في كثير من المرق .

(حديث في المعصفر)

وجاء في الحديث : « لَا تَبَيِّتُوا فِي الْمَعْصِفِرِ^(٦) ؛ فَإِنَّهَا مُحْتَضَرَةٌ » ، أى يحضرها الجنُّ والعُمَارُ .

= (١٦ : ١٢) : « فَا أَنَا مِنْ رَبِّبِ الزَّمَانِ » . والسيب ، بالفتح : العطاء . وروى في المخصص (٣ : ٧٠) : « وَمَا أَنَا مِنْ سَيْبِ الْإِلَهِ بِأَيِّسَ » ، على القلب . (١) محتضر : يحضره الجن ، والدواب وغيرها من أهل الأرض . س : « فَقَدْ أَنَاكَ » محرف .

(٢) تشرع فيه : تدخل فيه لشرب . وفي الأصل : « تشرع فيه » ، مصحف .

(٣) أى الذى كان قد استهوته الجن : فيما يروون .

(٤) لا يُخَمَّرُ : أى لا يغطى .

(٥) في الأصل : « تشرع » . وانظر ما سبق قريباً .

(٦) المعصفر : المصبوغ بالمعصفر ، وهو زهر القرطم . ط : « المعصفر » ، صوابه في س ، هـ . وقد أعاد إليه ضمير المؤنث لما فيه من معنى الثياب .

وقال الشاعر فيما يمجنون^(١) به ، من ذكر الأفعى :

رَمَاكَ اللَّهُ مِنْ أَيْرٍ بِأَفْعَى وَلَا عَافَاكَ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ^(٢)
أَجْبِنَا فِي الْكَرِيهَةِ حِينَ تَلْقَى وَنَعْظًا مَا تَفْتَرُّ فِي الْخَلَاءِ !!
فَلَوْلَا اللَّهُ مَا أَمْسَى رَفِيقِي وَلَوْلَا الْبُولُ عَوَّجَلُ بِالْخِصَاءِ

وقال أبو النجم^(٣) :

نَظَرْتُ فَأَعْجَبَهَا الَّذِي فِي دِرْعِهَا مِنْ حُسْنِهَا وَنَظَرْتُ فِي سِرِّهَا^(٤)
فَرَأْتُ لَهَا كَفَلًا يَنْوُو بِخَصَرِهَا وَعِثَا رَوَادِفُهُ وَأَخْثَمَ نَاتِيَا^(٥)

(١) يمجنون ، من المجنون . وفي الأصل : « يحكون » ، وصوابه ما أثبت . والشعر الآتي وما بعده مجنون .

(٢) سبقت هذه الأبيات في (١ : ١٧٦) .

(٣) كان أبو النجم قد دخل على هشام بن عبد الملك ، وقد أتت له سبعون سنة ، فقال له : يا أبا النجم ! كيف أنت والنساء ؟ قال : والله يا أمير المؤمنين ، ما أنظر إليهن إلا شزرا ، ولا ينظرن إلى إلا كرها ! وعلى رأس هشام وصيفة تذب عنه ، فقال : يا أبا النجم : خذ هذه الوصيفة فابل بها نفسك ، واغد على بخبرك . فانصرف بها . فلما كان من الغد غدا عليه ، فقال : ما الذى صنعت يا أبا النجم ؟ فقال : لا والذى أكرمتك بالخلافة يا أمير المؤمنين ، ما صنعت شيئا ولا قدرت عليه ! وقد قلت في ذلك أبياتا . ثم أنشده الشعر الآتي . فضحك هشام وأمر له بخمسة آلاف درهم وقال له : خذ هذه فاجعلها عوضاً مما فاتك . الأغاني (٩ : ٧٧) وكتاب المختار من شعر بشار ص ٢٠٩ .

(٤) الدرع : القميص . رواية الأغاني : « من حسنه » والمختار : « خلقها » .

(٥) ينوء بخصرها : أى ينوء خصرها بحمل كفلها ويثقل عليه ذلك . وهذا الضرب من التعبير يسمى القلب . وعثا روادفه : أصل الوعث : المكان السهل النهس تغيب فيه الأقدام . وهذه هى رواية ط والأغاني والمختار . وفى س ، ه : « وعسا » بالسين ، وهى بمعنى الأول . والأختم : المرتفع الغليظ . وناتيا ، أى بارزاً ، وأصله ناتا . ورواية الأغاني والمختار : « جاثيا » .

ورأيتُ منتشرَ العِجانِ مُقَبَّضًا رَخِصُوا حَمائله وجِلْدًا باليا (١)
أدنى له الرِّكَبُ الحَلِيقَ كأنما أدنى إليه عتارياً وأفاعيا (٢)
وقال آخر (٣) :

مريضة أثناء التهادى كأنما تخافُ على أحشائها أن تقطعا (٤)
تسيب انسياب الأيم أخصره الندى يرفع من أطرافه ما ترفعها (٥)

(شعر في العقران)

وقال إياسُ بن الأرت (٦) :

كأنَّ مرعى أمكم سوءة عقربة يَكُومها عقرُبان (٧)

(١) في المختار : « متفخ العجان مقلصا » ، و الأغاني : « رخوا مفاصله » . وبين هذا البيت والذي قبله بيت رواه صاحب المختار ، وهو :

ارفع جبينك فيم أنت منكس أفضحتي وطردت أم عياليا

(٢) الركب ، بالتحريك : الهن . وفي المختار « أدنى لك كما أدنى إليك » على الخطاب . وبعد هذه الأبيات خمسة أخرى في الأغاني ، منها اثنان في المختار .

(٣) بدله في محاضرات الراغب (٢ : ١٣٩) : « ويستحسن للسعدى » ، أى رجل من بني سعد .

(٤) التهادى : مشى في تمايل وسكون . هـ : « التهاوى » صوابه في سن ، ط والمحاضرات والحماسة (٢ : ٩٣) ومجموعة المعاني ٢١٢ . والرواية في المحاضرات والحماسة : « مريضات أبواب التهادى » . ينعبها أو ينعبهن بلبن المشية ودقة الخصر .

(٥) يقول : تتدافع في السير تدافع تلك الحية التي أثر فيها برد الندى ، فهي في مشيتها البطيئة وتدافعها ذلك ، ترفع من أجزائها بعضاً . ورواية المحاضرات والحماسة ومجموعة المعاني : « فرفع من أعطافه » .

(٦) لم أجد له ترجمة إلا ما قال صاحب القاموس في (رتت) : « وإياس بن الأرت ، كبريم ، شاعر » . والأرت اسمه خالد ، كما في ذيل اللآلئ ص ٢٤ .

(٧) مرعى : اسم أهم . يكومها : يخالطها . والعقران ، بالضم : ذكر العقارب ، أو دويبة صفراء طويلة كثيرة القوائم ، تسمى في مصر (أم أربعة وأربعين) =

إكليلها زَوْلٌ وفي شَوِّها وَخَزُ حَدِيدٌ مِثْلُ وَخَزِ السَّنَانِ^(١)
 كُلُّ امرئٍ قَدْ يُتَّقَى مُقْبِلًا وَأُمُّكُمْ قَدْ تُتَّقَى بِالْعِجَانِ^(٢)
 وقال آخر^(٣) لَمْضِيفِهِ :

تَبِيتُ تَدْمَهُ الْقِدَّانَ حَوْلِي كَأَنَّكَ عِنْدَ رَأْسِي عُقْرُبَانُ^(٤)
 فلو أطعمتني حملاً سَمِيناً شَكَرْتُكَ ؛ والطَّعامُ له مكانٌ^(٥)

= ويسمى العرب أيضاً دخال الأذن ، ويسمى علماء الإفرنج : Centipede .
 وعلى الوجه الثاني من التفسير استشهد صاحب اللسان بالبيت . ولست أستجده .
 وقد أسلفت كلاماً على هذا الشعر في (٢ : ٢٨٦) .

(١) كنى عن قرني العقرب بالإكليل . التبريزي (٤ : ٢٤) . والزول : الخفيف
 الحركة ، أو العجب . والشول : رفع الذنب . والوخز ، بالزى : طعن لا يتخذ
 حديد : قوى . س ، هـ . « وخز حديد » ، وصوابه في ط والحاسة .
 وفي س : « مثل وخز » و هـ : « مثل خز » وهما تصحيفان .

(٢) أى إذا أدبرت . ولعله يعنى أنها إذا غابت نمت بين الناس .

(٣) قائل الشعر الآتى هو الهيردان بن اللعين المنقرى . والهيردان ، بفتح الهاء بعدها
 مثناة تحتية وراء مضمومة . وقد ذكره المرزبانى فى معجمه ٤٨٨ . وأما أبوه
 اللعين المنقرى فقد أسلفت ترجمته فى (١ : ٢٥٦) . وكان من قصة الهيردان أنه
 نزل فى البصرة على رجل من الصلحاء يقال له ثبيت ، فأطعمه تمرأ وأسقاه لبناً وقام
 يصل ، فقال الهيردان الشعر الآتى . وقبل البيت الأول :

لخبز يا ثبيت عليه لحم أحب إلى من صوت الأذان

انظر معجم المرزبانى . وقد روى القالى فى أماليه (٣ : ١٧) هذه القصة ،
 ولم يذكر فيها اسم الهيردان ، وقال : إن ثبيتاً هذا نزل به قوم ليلة فلم يعيشهم وقام
 يصل ، فقال رجل منهم الشعر الآتى .

(٤) يدهله : يدحرج أو يقلب بعضه على بعض . والقذان : البراغيث ، واحدها قذة ،
 كقوة . والرواية الجيدة : « تدهور القرآن » ، ودهور كلامه : قحم بعضه فى إثر
 بعض . والعقربان سبق شرحه فى التنبيه السابع من الصفحة السابقة . وقال القالى
 فى شرح هذا البيت : « واختلفوا فى العقربان ، فقال قوم : هو ذكر العقارب ،
 وقال قوم : هو دخال الأذن . وهو الوجه » . وانظر التنبيه المشار إليه .

(٥) كذا الرواية أيضاً فى عيون الأخبار (٣ : ٣٢٠) ، ولم يروه المرزبانى .
 ورواية القالى :

فلو أطعمتني خبزاً ولحماً حمدتك والطعام له مكان

(شعر في الحيات والأفاعى)

وقال النابغة :

فبلو يستطيعون دبَّت لنا مَذَاكى الأفاعى وأطفالها^(١)

وقال رجلٌ من قريش :

ما زالَ أَمْرٌ وُلَاقِ السُّوءِ مُنْتَشِرًا حَتَّى أَظَلَّ^(٢) عَلَيْهِم حَيَّةٌ ذَكَرُ

ذو مِرَّةٍ تَفَرَّقُ الْحَيَّاتُ صَوْلَتَهُ عَفُ الشَّمَائِلِ قَدْ شُدَّتْ لَهُ الْمِرْرُ^(٣)

لَمْ يَأْتِهِمْ خَبْرٌ عَنْهُ يَلِينُ لَهُ حَتَّى أَتَاهُمْ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ الْخَبْرُ

وقال بشار :

تَزِلُّ الْقَوَافِي عَنْ لِسَانِي كَأَنَّهَا حُمَاتِ الْأَفَاعَى رِيْقَهُنَّ قَضَاءُ^(٤)

[وقال^(٥)] :

فَكَمْ مِنْ أَخٍ قَدْ كَانَ يَأْمُلُ نَفْعَكُمْ شَجَاعٍ لَهُ نَابٌ حَدِيدٌ وَمُخْلَبٌ^(٦)

أَخٍ لَوْ شَكَرْتُمْ فَعَلَهُ لَوْ عَصَصْتُمْ رُمُوسُ الْأَفَاعَى عَصَّ لَا يَتَيْبُ^(٧)

٨٧

(١) المَذَاكى : جمع المَذَكى ، بتشديد الكاف المكسورة ، وهو المسمن من كل شيء .

(٢) كَذَا فى الأصل بالطاء المعجمة .

(٣) المرر : جمع مرة ، بالكسر ، وهى القوة . أراد أنه قوى الشكيمة .

(٤) الحَمَات : جمع حمة بضم ففتح ، وهى ما تلدغ به الأفعى . وفى الأصل : « حمة »

محزف . ريقهن قضاء : أى فيه القضاء على من سرى فيه . ط : هـ :

« قضاب » ، صوابه ما أثبت من س والخيار من شعر بشار ص ٩٠ . وقبل

هذا البيت :

وقد علمت عليا معد بأننى إذا السيف أكدى كان فى مضاء

(٥) هذه الكلمة ليست بالأصل . وقد يكون القائل بشاراً ، وقد يكون غيره .

(٦) حديد : قوى .

(٧) فى الأصل : « لمضغتم » ، وبذا يضطرب نبح البيت . والوجه ما أثبت . وقد حذف =

وقال الحارث دعى الوليد، في ذكر الأسود بالسم من بين الحيات :
فإن أنت أقررت الغداة بنسبي عرفت وإلا كنت فقعا بقردر^(١)
ويشمت أعداء ويجذل كاشح عمرت لهم سماً على رأس أسود^(٢)
وقال آخر :

ومعشر منقعه لي في صدورهم سم الأساود يغلى في المواعيد
وسمئهم بالقوافي فوق أعينهم وسم المعيدى أعناق المقاحيد^(٣)
وقال أبو الأسود^(٤) :

ليتك آذنتني بواحدة جعلتها منك آخر الأبد^(٥)

- = جواب الشرط الأول ، اكتفاء بما يدل عليه جواب الشرط الثاني . أى لو شكرتم فعله لشارككم في جميع ما أنتم فيه ، حتى لو تقحمت الصعبة لتتحمها معكم .
- (١) الفقع : كاة رخوة بيضاء . ويقال للذليل : « أذل من فقع بقرقرة » ، وذلك أن الفقع لا يمتنع على من جناه ، أو أنه يوطأ بالأرجل . أمثال الميداني (٢ : ٥٩) .
والقررد : الأرض المستوية . وأما القرقرة في المثل فهي الأرض المطبنة اللينة .
- (٢) عبرت لهم : أى أبقيت للأعداء .
- (٣) أى جعل هجوه إياهم بالشعر السائر كالسمة الظاهرة في جباههم . والمقاحيد : جمع مقحاد ، بالكسر ، وهو ما عظم سنامه من الإبل . و « المعيدى » كذا بالأصل . ولعلها « المعبد » بتشديد الباء الواحدة المسكورة ، وهو الذى يعبد الإبل ، أى يطلها بالقطران ليعالج جربها ؛ فإن المعيدى تصغير المعدى نسبة إلى معد ابن عدنان ، وليس له وجه مناسب .
- (٤) مثل هذه النسبة في عيون الأخيار (٣ : ١٨٩) . ونسبه ياقوت في معجم الأدباء (١ : ١٩٣) إلى إبراهيم الصولى في محمد بن عبد الملك الزيات . وصاحب العمد (٣ : ٢٩٧) إلى أبي زيد . وصواب نسبته أنه لأبي الأسد نباتة بن عبد الله ، كما في طبقات الشعراء لابن المعتز ٣٤٨ والأغانى (١٢ : ١٦٨) وديوان المعاني (٢ : ٢٠٣) إذ يقول في القصيدة :

فصرت من سوء ما رميت به أكنى أبا الكلب لا أبا الأسد

- وأبو الأسود ، قال الجاحظ : اسمه ظالم بن عمرو بن سفيان . وقال عمر بن شبة : اسمه عمرو بن سفيان بن ظالم . المنزه (٢ : ٢٦٣) . وأبو الأسود الدؤلى البصرى ، أول من أسس النحو ، وأول من نقط المصحف . وكان من سادات التابعين ، وكان شيعياً . انظر بقية نعته في بنية اللوعة ٢٧٤ . توفي سنة ٦٧ بطاعون الجارف .
- (٥) آذنه بالأمر : أعلمه . ورواية ابن قتيبة : « تجعلها منك » .

تَحْلِفُ إِلَّا تَبَرَّنِي أَبَدًا فَإِنَّ فِيهَا بَرْدًا عَلَى كَبِدِي (١)
 إِنْ كَانَ رِزْقِي إِلَيْكَ فَارْمِ بِهِ فِي نَاطِرِي حَيَّةً عَلَى رَصْدِ (٢)
 وَقَالَ أَبُو السَّفَّاح (٣) يَرِثِي أَخَاهُ يَحْيَى بْنَ عَمِيرَةَ (٤) وَيُسَمِّيهِ بِالشَّجَاعِ (٥) :
 يَغْدُو فَلَا تَكْذِبُ شِدَّاتُهُ كَمَا عَدَا اللَّيْثُ بَوَادِي السَّبَاغِ
 يَجْمَعُ عَزْمًا وَأَنَاةً مَعًا نُمَّتَ يَنْبَاغُ أَنْبِيَاغِ الشَّجَاعِ (٦)
 وَقَالَ الْمُتَلَمِّسُ :
 فَاطْرُقَ إِطْرَاقَ الشَّجَاعِ ، وَلَوْ يَرَى مَسَاغَا لِنَايِيهِ الشَّجَاعُ لَصَمَمَا (٧)
 وَقَالَ مَعْمَرُ بْنُ لَقِيطٍ (٨) أَوْ ابْنُ ذِي الْقُرُوحِ (٩) :
 شَمُوسٌ يَظُلُّ الْقَوْمَ مَعْتَصِمًا بِهِ وَإِنْ كَانَ ذَا حَزْمٍ مِنَ الْقَوْمِ عَادِيًا

- (١) يقول : ليتك تحلف ألا تبرني ؛ فقد سئمت برك وما تحملني من المن .
 (٢) في معجم الأدباء : « في ماصفاحه » . وصواب ما في المعجم : « في ماضني حية » .
 (٣) كذا في الأصل ومقطعات مراث ص ١١٦ . وكذا في الموفقيات للزبير بن بكار طبعة وستنفلد . واسمه بكير بن معدان بن عميرة بن طارق اليربوعي . والشعر منسوب في المفضليات ١٥٤ إلى السفاح بن بكير الثعلبي . نسبة إلى ثعلبة بن يربوع .
 (٤) وقال أبو عبيدة : هي لرجل من بني قريظ ، يرفى بها يحيى بن ميسرة ، صاحب مصعب بن الزبير ، وكان وفي له حتى قتل معه . انظر شرح المفضليات ٦٣٠ ، وكذا خزنة الأدب (٢ : ٥٢٧ بولاق) .
 (٥) الشجاع : ضرب من الحيات .
 (٦) ينباع : يشب ويسطو .
 (٧) روى : « وأطرق » في حاشية البحري ١٥ ولباب الآداب ٣٩٣ والميداني (١) : (٣٩٥) . وروى في سر الصناعة : « لناباه » . وبه يستشهد التحويون على إلزام المثني الألف في أحوال الإعراب الثلاث عند بعض القبائل . انظر الخزانة (٣ : ٣٤٧ بولاق) ، وقد أخذ هذا البيت عمرو بن شأس فقال (انظر معجم المرزباني ٢١٣) :
 فَاطْرُقَ إِطْرَاقَ الشَّجَاعِ وَلَوْ يَرَى مَسَاغَا لِنَايِيهِ الشَّجَاعُ لَقَدْ أَرَمَ
 (٨) كذا . ولعله : « لقيط بن يعمر » .
 (٩) المعروف في الشعراء : « ذو القروح » ، وهو امرؤ القيس .

أبيت كما بات الشجاع إلى الذرى وأغدو على همى وإن بت طأويًا
ولأنى أهض الضيم منى بصارم رفيف وشيخ ماجد قد بنى ليا^(١)
وهكذا صفة الأفعى ؛ لأنها أبداً نابتة مستوية ، فإن أنكرت شيئاً
فدشنتها كالبرق الخاطف .

ووصف آخر أفعى ، فقال :

وقد أرانى بطوى الحس وذات قرنين طحون الضرس^(٢)
نضاضة مثل انشاء المرس^(٣) تدير عيناً كشهاب القبس
لما التقينا بمضيق شكس^(٤) حتى قنصت قرنها بخمس^(٥) ٨٨
وهم يتهاجون بأكل الأفاعى والحيات . قال الشاعر :

فأياكم والريف لا تقربنه فإن لديه الموت والحتم قاضياً
هم طردوكم عن بلاد أبيسكم وأنتم حلول تبتوون الأفاعياً
وقال عمر بن أبى ربيعة :

ولما فقدت الصوت منهم وأطفئت مصابيح شبت بالعشاء وأنور^(٦)

(١) أهض الضيم : أدفعه . وأصل الهض : الكسر والدق .

(٢) فى الأصل : « كجون الترس » . وأثبت ما عند الديرى .

(٣) المرس ، وأصله المرس بالتحريك : الحبل . وقد سكن الراء للشعر . وفى الأصل :
« الررس » ولا وجه لها .

(٤) شكس : ضيق . وانظر نهاية مادة (شكس) فى اللسان .

(٥) أى بخمس أصابع . س : « حتى قضت » وفى س : ط : « قبوتها »
وصوابهما فى هـ .

(٦) أنور ، بالهمزة : جمع نار . قال المبرد فى الكامل ٣٨٣ ليسك : « وقوله :
وأنور ، إن شئت همزت ، وإن شئت لم تهمز » . ورويت : « أنور » عند
الهيئى (١ : ٣١٨) .

وغاب قميرٌ كنت أرجو مغيبه وروح رعيان وهومٌ سمرٌ
ونفضت عني الليل^(١) أقبلت مشيةً إل حُبابٍ ، ورُكني خيفة القوم أزور^(٢)

(ضرب المثل بسم الأسود)

[و] ^(٣) ضَرَبَ كَلْثُومٌ بَنَ غَمْرُو المثلَ بِسَمِّ الأَسَاوِدِ ، فقال ^(٤) :

تلوم على ترك الغنى ^(٥) باهليّة ^(٦) طوى الدهرُ عنها كلَّ طَرفٍ وتاليد
رأت حولها النّسوان يرفلن في الكسَا ^(٧)

مقلّدةٌ أجيادها بالقلائد

يسرُّكِ أُنّى نلتُ ما نالَ جعفرُ من الملك ، أو ما نال يحيى بن خالد ^(٨)

(١) يروى : « ونفضت عني العين » ، أى احترست منها وأمنتها . وقد أفرد العين وأراد بها العيون . والرواية هنا جيدة أيضا ، بل هى أطيّب وألطف . ورواية العيني : « وغفض عني الصوت » .

(٢) الحباب ، بالضّم : الحية . أزور : مائل ، فهو يتخفى .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) في الأغاني (١٢ : ٨) : « وكانت تحته امرأة من باهلة ، فلامته وقالت : هذا منصور النرى قد أخذ الأموال ، فحل نساءه ، وبني داره ، واشترى ضياعا ، وأنت ههنا كما ترى ! فأنشأ يقول . . . » . وهو بهذا الشعر « يعرض بالبرامكة ، ويذكر عاقبة حجة السلطان ، وأنه ما للمتعلق بها من غدر الزمان أمان » . غرر الخصائص الواضحة للوطواط ٤٠٨ . والشعر متداول في مراجع كثيرة ، منها عيون الأخبار (١ : ٢٣١) والمقد (٢ : ١٣٦) والبيان (٣ : ٣٥٣) ومروج الذهب (٢ : ٤٩٥) وزهر الآداب : (٣ : ٣٩) وحمامة ابن الشجرى ١٤٠ ومحاضرات الراغب (١ : ٩٢ ، ٢١٣) .

(٥) ط ، هـ : « الغناء » ، صوابه في س والمراجع المتقدمة .

(٦) ط : « لأهله » هـ : « بأهلية » ، صوابه في س والمراجع المتقدمة .
وبالاهلية : امرأته .

(٧) الكسا : جمع كسوة . يرفلن : يتبخترن .

(٨) يعنى جعفر بن المهدي ، ويحيى بن خالد الترمكي . أما جعفر وهو ابن يحيى بن خالد =

وَأَنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَعْضَيْتَنِي مَعْصَمًا بِالْمَرْهَقَاتِ الْبَوَارِدِ! (١)
 ذَرْنِي تَجْنُنِي فِيمَتِي مُطْمَئِنَّةً وَلَمْ أَتَقَحَّمْ هَوْلَ (٢) تِلْكَ الْوَارِدِ
 فَإِنْ كَرِيمَاتِ الْمَعَالِي مَشُوبَةٌ بِمَسَوِّدَاتٍ فِي بَطُونِ الْأَسَاوِدِ (٣)

(حیات الجبل)

وفي التشنيع لحیات الجبل ، يقول اللَّعِينُ الْمُنْقَرِيُّ (٤) : لرؤبة
 ابن العجاج (٥) :

= البرمكي فقد قتله الرشيد في قصه مؤسفة ، يرويها المسعودي في مروج الذهب .
 وأما والده يحيى فقد حبسه الرشيد هو والفضل بن يحيى ، حتى ماتا في حبسهما .
 (١) أغضه الشيء : جعله يعضه . ومن عض السيف فقد أهلكه . وروى في البيان
 والفرر وعيون الأخبار وحاسة ابن الشجري والأغاني : « أغصني مضمهما » .
 والمرهقات : السيوف المرققات . والبوارد : التي تثبت في الضريبة ، لا تتثنى .
 وهم يمدحون السيف بذلك ، قال طرفة :

أخى ثقة لا ينثني عن ضريبة إذا قيل مهلا قال حاجزه قلى
 وفي الأصل : « الفوارد » بالفاء ، وصوابه في البيان وعيون الأخبار وحاسة
 ابن الشجري والمروج والزهر . وفي العقد : « الحدائد » .

(٢) كذا في ط وسائر المراجع . وانفردت س ، ه برواية : « حول »
 ووجهها ضعيف .

(٣) كذا الرواية أيضاً في البيان وعيون الأخبار . وفي الزهر : « فإن رفيفات المعالي » ،
 والمروج : « فإن نفيسات الأمور » ، والحاسة : « فإن رفيفات الأمور » ، والعقد :
 « وجدت لذاذاً الحياة » ، والأغاني : « رأيت رفيفات الأمور » ، وديوان المعاني
 (١ : ١٣) : « وإن جسيمات الأمور منوطة » . وهو مثل من أمثلة تصرف
 الرواة ، وروايتهم لبعض الشعر بالمعنى دون اللفظ . وانظر مأخذ البيت في محاضرات
 الراغب (١ : ٢١٣) .

(٤) روى البحري في حماسه ص ٨ البيتين منسوبين إلى المسكبر الضبسي . والعين المنقري
 سبقت ترجمته في (١ : ٢٥٦) .

(٥) أنشد الثاني من البيتين برواية : « خلت اللؤم والخور » في سيبويه ١ : ٦١ والعين ٢ :
 ٤٠٤ منسوباً إلى العين .

إني أنا ابن جلا إن كنت تعرفني يا رُؤبُ ، والحياة الصماء في الجبل^(١)
أبا الأراجيز يا ابن اللوم توعدني وفي الأراجيز جلب اللوم والكسل^(٢)

(خبران في الحيات)

الأصمعي ، قال : حدثنني ابن أبي طرفة^(٣) ، قال : مرّ قومٌ حجاج من أهل
العين مع المساء ، برجل من هذيل ، يقال له أبو خراش ، فسأله القرى ،
فقال لهم : هذه قدر ، وهذه مسقا ، وبذلك الشعب ماء ! فقالوا : ما وقفتنا
حق قرانا ! فأخذ القرية فتقلدها يسقيهم ، فنهشته حية .

قال أبو إسحاق : بلغني وأنا حدث ، أن النبي صلى الله عليه وسلم
« نهى عن اختناث فم القرية ، والشرب^(٤) منه » . قال : فكنت أقول :
إن لهذا الحديث لشأناً ، وما في الشرب من فم قرية حتى يجيء فيها هذا
النهي ؟ ! حتى قيل : إن رجلاً شرب من فم قرية ، فوكمته^(٥) حية فات ،
وإن الحيات تدخل في أفواه القرب . فعلمت^(٦) أن كل شيء لا أعرف^{٨٩}
تأويله من الحديث ، أن له مذهباً وإن جهلته^(٧) .

(١) يقولون للرجل الظاهر لا يخفى مكانه : ابن جلا . وروى للبحري : « إن كنت
تتكرني » . قوله : « والحياة الصماء » أي وأنا الحياة الصماء .

(٢) كذا . والمراد : يا أبا الأراجيز . ورواية للبحري : « أبا لأراجيز » . في س ، ط :
« يوعدني » صوابه في هـ وحامسة للبحري . وروى : « خلت اللوم والفشل » بضع اللوم
والفشل ، على الإقواء . وعند للبحري : « إن الأراجيز رأس النوك والفشل » .

(٣) الخبر في الأغاني (٢١ : ٤٧ - ٤٨) والإصابة ٢٣٤١ .

(٤) اختناث فم القرية والسقاء : ثناء إلى خارج فشرب منه . وفي الأصل : « اختناث »
بدل : « اختناث » وهو تحريف ، صوابه في نهاية ابن الأثير واللسان (مادة
خنث) من كل منها . وانظر الجامع الصغير ٩٤١١ .

(٥) وكمته الحية : لدغته .

(٦) في الأصل : « علمت » ووجهه ما أثبت .

(٧) وعلة أصحاب الحديث أيضاً ، بأن دوام الشرب هكذا مما يغير وجهه ، ويأنه
يجعل الماء يترشش على الشارب لسعة فم السقاء . انظر النهاية واللسان (خنث) .

(شعر في سلخ الحية)

وقال الشاعر في سلخ الحية :

حَتَّى إِذَا تَابَعَ بَيْنَ سَلَخَيْنِ وَعَادَ كَالْمَيْسَمِ أَحْمَاهُ الْقَيْنُ^(١)
أَقْبَلَ وَهُوَ وَاثِقٌ بِثَنَتَيْنِ : بِسَمِّهِ الرَّأْسَ وَنَهَشَ الرَّجْلَيْنِ^(٢)
قال : كَأَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ سَمَّهُ لَا يَكُونُ قَاتِلًا مُجْهَزًا حَتَّى تَأْتِيَ
عليه سنتان .

(قول في سلخ الحية)

وزعم بعضهم أَنَّ السَّلَخَ لِلْحَيَّةِ مِثْلُ الْبَرْزُولِ وَالْقُرُوحِ لِلْخَفِّ وَالْحَافِرِ .
قال : وَلَيْسَ يَنْسَلَخُ إِلَّا بَعْدَ سِنِينَ كَثِيرَةٍ ، وَلَمْ يَقِفُوا مِنَ السِّنِينَ
عَلَى حَدٍّ .

وزعم بعضهم أَنَّ الْحَيَّةَ تَسْلَخُ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّتَيْنِ - وَالسَّلَخُ فِي الْحَيَاتِ
كَالتَّحْسِيرِ مِنَ الطَّيْرِ - وَأَنَّ الطَّيْرَ لَا تَجْتَمِعُ قُوَّةً إِلَّا بَعْدَ التَّحْسِيرِ وَتَمَامِ
نَبَاتِ الرِّيشِ . وَكَذَلِكَ الْحَيَّةُ ، تَضَعُفُ فِي أَيَّامِ السَّلَخِ ثُمَّ تَشْتَدُّ بَعْدَ .

(تأويل رؤيا الحيات)

قال الأصمعي : أَخْبَرَنِي أَبُو رِفَاعَةَ^(٣) ، شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ ، قَالَ :
رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنِّي أَتَخَطَّى حَيَّاتٍ . فَطَرْتُ السَّمَاءَ ، فَجَعَلْتُ أَتَخَطَّى سُبُولًا .

(١) الميسم بالكسر : أداة الوسم . والقين : الحداد .

(٢) في الأصل : « بسمة الرأس » ، والبسة بمعنى العلامة ، وهي لا تلائم نظام الكلام .

(٣) س ، ه : « أبو رفاعه » بالقاف .

وحكى الأصمعيُّ أن رجلاً رأى في المنام في بيوته حَيَّاتٍ ، فسأل من ذلك ابن سيرين أو غيره ، فقال : هذا رجلٌ يدخل منزله أعداء المسلمين . وكانت الخوارجُ تجتمعُ في بيته .

(شعر للعرجي والشمخ في الحيات)

قال العرجيُّ ، في ديبب السمِّ في المنهوش :

وَأَشْرَبَ جِلْدِي حُبَّهَا وَمَشَى بِهِ كَمَشَى حُمَيَّا الكَأْسِ فِي جِلْدِ شَارِبِ
يَدِبُّ هَوَاهَا فِي عِظَامِي وَحُبُّهَا ، كَمَا دَبَّ فِي الْمَسْوَعِ سَمُّ الْعَقَّارِبِ
وقال العرجيُّ في العرماء^(١) من الأفاعي ، وكونها في صُدُوعِ

الصَّخْرِ ، فقال :

تَأْتِي بَلِيلِ ذُو سَعَاءٍ^(٢) فَسَلَّهَا بِهَا حَافِظُ هَادٍ وَلَمْ أَرْقِ سَلَامًا^(٣)
كَمَثَلِ شِهَابِ النَّارِ فِي كَفِّ قَابَسٍ إِذَا الرِّيحُ هَبَتْ مِنْ مَكَانٍ تَضَرَّعًا
أَبْرًا عَلَى الْخَوَاءِ^(٤) حَتَّى تَنَازَرُوا حِمَاهُ^(٥) مَحَامَاةٍ مِنَ النَّاسِ ، فَاحْتَمَى^(٦)

(١) العرماء ، بالفتح : الحية الرقشاء . وفي الأصل : « العرما » . وكلمة « في » قبلها ساقطة من س ، ه .

(٢) السعاء ، بالفتح : التصرف . ط : « سعاده » س : « سعاء » بدون إعجام . وصوابهما في ه .

(٣) كذا جاء هذا الشطر ، وفيه تحريف .

(٤) أبر عليهم : غلبهم واستعصى عليهم . والخواء ، بضم الخاء : جمع حاو . وهذا الجمع ليس قياسياً ولا بما ذكرته المعاجم . وسمع نظيره : غاز وغزاء ، وسار وسراء . انظر مع الموامع (٢ : ١٧٧) . والعرجي ممن يحتج بكلامه ، فانه توفي نحو سنة ١٢٠ . وهو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وكان شاعراً غزلاً ينحو نحو ابن أبي ربيعة ، وكان من الفرسان الظرفاء . ولقب بالعرجي لسكنائه قرية العرج في الطائف . وفي س ، ه : « الجواد » ط : « الأجواد » . وهما تحريف ما أثبت .

(٥) تناذروا حماءه : أئذر بعضهم بعضاً ألا يتعرضوا له . وقد سبق مثل هذا في بيت للنايغة ص ٢٤٨ س ٩ . وفي الأصل : « تبادروا » ، وهو تحريف .

(٦) في الأصل : « فاحتما » .

يَظَلُّ مُشِيحًا سَامِعًا ، ثُمَّ إِنَّهَا إِذَا بُعِثَتْ لَمْ تَأُلْ إِلَّا تَقْدُمًا^(١)
 قال : ويقال : تَطَوَّتْ^(٢) الحَيَّةُ . وأنشد العرجي :
 ذَكَرْتَنِي إِذْ حَيَّةٌ قَدْ تَطَوَّتْ بِرَقَا عِنْدَ عَرْسِهِ فِي الثِّيَابِ^(٣)
 وقال الشَّيْخُ ، أَوِ الْبَيْهْتِ^(٤) :
 وَأَطْرَقَ إِطْرَاقُ الشَّجَاعِ وَقَدْ جَرَى عَلَى حَدِّ نَابِيهِ الدُّعَافُ الْمُسَمُّ^(٥)

(ما ينبج من الحيوان)

٩٠ والأجناس التي تُذَكَّرُ بالنَّبَاحِ : الكلب ، والحَيَّةُ ، وَالظَّبْيُ إِذَا
 أَسَنَّ ، وَالْهُدْهُدُ . وقد كتبنا ذلك مرة ثم^(٦) .
 قال أَبُو الشَّجَمِ :

وَالْأَسَدُ قَدْ تَسْمَعُ مِنْ زَيْرِهَا وَبَاتَتْ^(٧) الْأَفْعَى عَلَى مَخْفُورِهَا
 تَأْسِيرُهَا يَحْتَكُ فِي تَأْسِيرِهَا^(٨) مَرَّ الرَّحَى تَجْرَى عَلَى شَعِيرِهَا

-
- (١) المَشِيحُ : الحَذَرُ . وقد ذكرها مرة وأنشأ أخرى . والحية ما يذكر ويؤنث .
 (٢) س : « انطوت » . والأوفق ما أثبت من ط ، هـ .
 (٣) كذا جاء هذا الشطر في ط ، هـ . وفي س : « عند عريسه » ، وكلا النصين
 محرف . وانظر ديوان العرجي ١١٥ .
 (٤) ليس البيت في ديوان الشَّيْخِ .
 (٥) في الأصل : « ولو جرى » . وانظر مثيل هذا البيت في ص ٢٦٣ .
 (٦) انظر لنجاح الظبي ما سبق في (١ : ٣٤٩) ولنجاح الهدد ما سبق في (١ : ٣٥٠) .
 وأما نباح الحية فلم يسبق له ذكر ، وانظر له الاستدراكات .
 (٧) هـ : « وباتت » بالنون . وانظر بعض أشطار من الأرجوزة في اللسان (عفر) .
 (٨) التَّاسِيرُ : واحد التَّاسِيرِ ، وهي في أصل معناه السيور يؤسر بها السرج ،
 وجعله هنا لجلدها . و « يحتك » هي في الأصل « يحتك » بالنون .
 وصوابه ما أثبت .

كَرْعَدَةِ الْجِرَاءِ أَوْ هَدِيرِهَا (١) تَضَرُّمَ الْقَضْبَاءِ فِي تَنُورِهَا (٢)
تَوْقُرُ النَّفْسِ عَلَى تَوْقِيرِهَا تَعْلَمُ الْأَشْيَاءَ فِي تَنْقِيرِهَا
• فِي عَاجِلِ النَّفْسِ وَفِي تَأْخِيرِهَا •

(قَوْلٌ فِي آيَةٍ)

وَسَنَذَكُرُ مَسْأَلَةً وَجَوَابَهَا . وَذَلِكَ أَنَّ نَاسًا زَعَمُوا أَنَّ جَمِيعَ الْحَيَوَانِ عَلَى
أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ : شَيْءٌ يَطِيرُ ، وَشَيْءٌ يَمْشِي ، وَشَيْءٌ يَبْعَثُ ، وَشَيْءٌ يَنْسَاحُ .
وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ، فَمِنْهُمْ مَنْ
يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي
عَلَى أَرْبَعٍ ، يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ .

وَقَدْ وَضَعَ الْكَلَامَ عَلَى قِسْمَةِ أَجْنَاسِ الْحَيَوَانِ ، وَعَلَى تَصْنِيفِ ضُرُوبِ
الْخَلْقِ ، ثُمَّ قَصَرَ عَنِ الشَّيْءِ الَّذِي وَضَعَ عَلَيْهِ كَلَامَهُ (٣) ، فَلَمْ يَذْكُرْ مَا يَطِيرُ
وَمَا يَبْعَثُ . ثُمَّ جَعَلَ مَا يَنْسَاحُ ، مِثْلَ الْحَيَّاتِ وَالذِّيدَانِ ، ثُمَّ يَمْشِي ، وَالْمَشْيُ
لَا يَكُونُ إِلَّا بِرَجْلٍ ، كَمَا أَنَّ الْعِضَّ لَا يَكُونُ إِلَّا بِفَمٍ ، وَالرَّمَحُ لَا يَكُونُ
إِلَّا بِحَافِرٍ . وَذَكَرَ مَا يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ، وَهَاهُنَا دَوَابُّ كَثِيرَةٌ تَمْشِي

(١) الجراء : جمع جرو ، أراد به ولد الكلب . ورعدتها : صوتها ، وكذلك هديرها .
وفي الأصل : « الجزء » ، ولا وجه له .

(٢) القَضْبَاءُ : جماعة القصب ، ويسمى أيضاً الأباء بالفتح . وبه يضرب المثل في شدة
الصوت عند التضرم . ومنه قول ابن أبي الحقيق :

من سره ضرب يرعبل بعضه بعضاً كمنعة الأباء المحرق

وهذه الكلمة محرفة في الأصل ، فهي في ط : « القضاء » و : ه :

« القضا » و س : « القضاة » . وفي س : أيضاً « تنور » مكان « تضرم » .

(٣) هذا حكاية من الجاحظ لقول المعارضين على الآية الكريمة ، وسيرد عليهم
في السطر الثالث من الصفحة الآتية .

على ثمانِ قوائمٍ ، وعلى ستٍّ ، وعلى أكثرَ من ثمانٍ . ومن تفقّد قوائمَ
السّرطانِ وبناتٍ ورَدانَ ، وأصنافَ العناكب - عرَفَ ذلك .

قلنا : قد أخطأتم في جميع هذا التّأويل وحده . فإلّا الدّليلُ على أنّه
وضع كلامه في استقصاء أصناف القوائم ؟ وبأى حُجةٍ جرّمتُم على ذلك ؟
وقد قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَقَوَّذَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ وَتَرَكَ ذِكْرَ
الشَّيَاطِينِ وَالتَّارُ لَهُمْ آكَلٌ ، وَعَذَابُهُمْ بِهَا أَشَدُّ . فَتَرَكَ ذِكْرَهُمْ مِنْ غَيْرِ
نِسْيَانٍ ، وَعَلَى أَنَّ ذَلِكَ مَعْلُومٌ عِنْدَ الْمُخَاطَبِ . وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ :
﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ (١) ، أَخْرَجَ
مِنْ هَذَا الْعُمُومِ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ، وَقَدْ قَصَدَ فِي مَخْرَجِ هَذَا الْكَلَامِ [إِلَى (٢)]
بِجَمِيعِ وَلَدِ آدَمَ . وَقَالَ : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ
شَيْئًا مَذْكُورًا ﴾ أَدْخَلَ فِيهَا آدَمَ وَحَوَّاءَ . ثُمَّ قَالَ عَلَى صِلَةِ الْكَلَامِ :
﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ ﴾ ، أَخْرَجَ مِنْهَا آدَمَ وَحَوَّاءَ
وعِيسَى بْنُ مَرْيَمَ . وَحَسُنَ ذَلِكَ إِذْ كَانَ الْكَلَامُ لَمْ يُوضَعْ عَلَى جَمِيعِ مَا تَعْرِفُهُ
النُّفُوسُ مِنْ جِهَةِ اسْتِغْصَاءِ اللَّفْظِ . فَقَوْلُهُ : ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ ٩١
وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ﴾ (٣) ، كَانَ عَلَى
هَذَا الْمِثَالِ الَّذِي ذَكَرْنَا . وَعَلَى أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ فَهُوَ مِمَّا يَمْشِي عَلَى
رِجْلَيْنِ ، وَالَّذِي يَمْشِي عَلَى ثَمَانٍ هُوَ مِمَّا يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ، وَعَلَى رِجْلَيْنِ .

(١) مِنَ الْآيَةِ الْحَادِيَةِ عَشْرَةِ فِي سُورَةِ فَاطِرِ .

(٢) الزِّيَادَةُ مِنْ س ، هـ .

(٣) بَيْنَ هَذِهِ الْآيَةِ وَالْكَلَامِ بَعْدُهَا ، جُمْلَةٌ : « فَهُوَ مِمَّا يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ » فِي ط ،
س . وَهِيَ عِبَارَةٌ مُقْتَصَّةٌ لَيْسَ لَهَا وَجُودٌ فِي هـ .

وإذا قلت : لى على فلان عشرة آلاف درهم ، فقد خبّرت أنّ لك عليه ما بين درهم^(١) إلى عشرة آلاف .

وأما قولكم : إنّ المشى لا يكون إلّا بالأرجل ، فينبغى أيضاً أن تقولوا ﴿ فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ : إنّ ذلك خطأ ؛ لأنّ السعى لا يكون إلّا بالأرجل . وفى هذا الذى جهلتموه ضروبٌ من الجواب : أمّا وجهٌ منه فهو قولُ القائل وقول الشاعر : « ما هوَ إلّا كأنه حَيَّةٌ » ، و : « كأنّ مشيته مِشْيَةُ حَيَّةٍ » يَصِفُونَ ذلك ، ويذكرون عندهُ مِشْيَةَ الأيم والحَبَابِ ، وذكر الحَيَّاتِ . وَمَنْ جَعَلَ لِلْحَيَّاتِ مِشْيَةً مِنَ الشعراء ، أكثرُ من أن نقف^(٢) عليهم . ولو كانوا لا يسمّون انسيابها وانسيابها مشياً وسعياً ، لكان ذلك مما يجوزُ على التشبيه والبدل ، وأنّ قامَ الشئُ مقامَ الشئِ أو مقامَ صاحبه ؛ فمن عادة العرب أن تشبّه به فى حالاتٍ كثيرة . وقال الله تعالى : ﴿ هَذَا نُزِّلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ والعذاب لا يكون نزلاً ، وَلَكِنَّهُ أَجْرَاهُ مُجْرَى كلامهم ، كقول حاتمٍ حينَ أمرُوهُ بِقَصْدِ بَعِيرٍ ، وَطَعَنَهُ فى سَنَامِهِ ، وقال : « هذا فَصْدُهُ^(٣) ! »

(١) كلمة « عليه » ساقطة من هـ . وفى هـ أيضاً : « مائتين » بدل « مائين » وهو تحريف .

(٢) هـ : « تقف » بالخطاب .

(٣) أى هذا فصد البعير ، والفصد : شق العرق لاستخراج دمه . وكان أهل الجاهلية فى شدة الأزمان يفصلون الإبل ويسخنون دم الفصد حتى يحمى ويقوى فيطعمونه ويطعمونه الضيفان ، أو يجعلون ذلك الدم فى معى من الأعماء ويشوونه ويأكلونه . ويروى المثل عند الميداني (٢ : ٣١٧) : « هكذا فصلى » وقال : « قيل إنّ أول من تكلم به كعب بن مامة . وذلك أنه كان أسيراً فى عزة فأمرته أم منزله أن يفصل لها ناقة ، فنحراها ، فلامته على نحره إياها فقال : هكذا فصلى ! يريد أنه لا يصنع إلّا ما تصنع الكرام » . عزة : قبيلة . وأم المنزل : ربه .

وقال الآخر :

فقلتُ يا عمرو أطمعني تمرًا^(١) فكان تمرى كهرةً وزبرًا^(٢)

وذم بعضهم^(٣) الفأر وذكر سوء أثرها في بيته ، فقال :

يأعجل الرّحمن بالعقاب لعامرات البيت بالخراب

يقول : هذا هو عمارتها . كما يقول الرجل ، « مانرى من خيرك

ورفدك إلا ما ييلغنا من خطبك^(٤) علينا ، وفتك في أعضادنا^(٥) ! »

وقال النّابغة في شبيه هذا ، وليس به :

ولا عيبَ فيهم غير أن سيوفهم بهنّ فلول من قراع الكتائب

ووجه آخر : أن الأعراب تزعم - وكذلك قال ناس من الحوّاثين

والرقّائين - إن للحية حزوزا^(٦) في بطنه ، فإذا مشى قامت حزوزة^(٧) ،

(١) روى في البيان (١ : ١٥٣) : « فقلت أطمعني عير » ، والحيوان (٥ : ٢٢) :

« قالت ألا فاطم عميرا » . وروى في الخصص (٢ : ١٣٤) : « فقلت أطمعني

عيم تمرًا » ، وهى رواية الأضداد ١٥٢ ، وفيها : « قال أبو بكر : عيم :

تصغير عم . أى ياعمى .

(٢) الكهرة : الانتهاز . ولزبر : الزجر والمنع .

(٣) هو أعرابي دخل للبصرة فاشترى خبزاً فأكله فأر . انظر الحيوان (٥ : ٥ :

٢٥٨) وديوان المعاني (٢ : ١٥١) حيث تجد أيضاً بقية هذه الأرجوزة .

(٤) في القاموس : « حطب في حبلهم يحطب : نصرهم » . وفى اللسان : « وحطب فلان

بفلان : سعى به » : فالمراد هنا : من خطبك علينا بالشر ، وتأليب الناس علينا .

وفى الأصل وكذا في بعض نسخ البيان (١ : ١٥٣) : « خطبك » بالخاء . ولا تتجه إلا

بتكلف . وما ييلغنا : أى ما يصل إلينا .

(٥) نت فى ضده : رام لإضراره بتخونه أهل بيته . وعضد الرجل : أهل بيته .

ط : « وفتك » صوابه فى س ، ه والبيان . وفى ط ، ه : « أعضادنا »

صوابه فى س والبيان .

(٦) ط ، س : « حزوزا » صوابه فى ه .

(٧) ط ، س : « حزوزة » صوابه فى ه .

وإذا تَرَكَ المشيَ راجعتُ إلى مكانها ، وعادتُ تلكَ المواضعُ مُلْساً . ولم
تُوجَدَ بَعِينَ ولا لَمْسٍ ، ولا يَبْلُغُهَا إِلَّا كُلُّ حَوَاءٍ دَقِيقِ الْحِسِّ .

وليس ذلك بأعجبَ من شِقْشِقَةِ الجملِ العربيِّ ؛ فَإِنَّهُ يَظْهَرُهَا كَالدَّلْوِ ،
فإذا هو أعادها إلى لَهَاتِهِ تراجعَ ذلكَ الجلدُ إلى موضعه ، فلا يَقْدِرُ أَحَدٌ
عليه بلمسٍ ولا عَيْنٍ . وكذلك عروقُ الكُلَى^(١) إلى المِثَانَةِ التي يَجْرِي فِيهَا
الْحَصَى المتولِّدُ في الكُلْيَةِ إذا قَدَفْتَهُ^(٢) تلكَ العروقُ^(٣) إلى المِثَانَةِ ، فإذا
بالإنسانِ انضَمَّتْ العروقُ واتَّصَلَتْ بأماكنها ، والتَحَمَّتْ حتى كان
موضعُها كسائرِ ما جاوزَ تلكَ الأماكنَ .

ووجهُ آخر : وهو أَنَّ هذا الكلامَ عربيٌّ فصيحٌ ؛ إذ كانَ الذي جاءَ به
عربياً فصيحاً ، ولولم يكنْ قرآنًا من عندِ الله تبارك وتعالى ، ثُمَّ كانَ كلامَ
الذي جاءَ به ، وكانَ ثَمَّنٌ يجهلُ اللَّحْنَ ولا يعرفُ مواضعَ الأسماءِ في لغته ،
لكانَ هذا - خاصَّةً - ثَمَّنًا لا يجهلُهُ .

فلو أنَّنا لم نجعلْ لِحْمَدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَضِيلَةً في نُبُوَّةٍ ، ولا مَزِيَّةً
في البيانِ والفصاحةِ ، لَكُنَّا لا نجدُ بُدًّا من أنْ نَعْلَمَ أَنَّهُ كَوَاحِدٍ مِنَ الْفَصَحَاءِ .
فهلْ يَجُوزُ عِنْدَكُمْ أَنْ يَخْطِئَ أَحَدٌ مِنْهُمْ فِي مِثْلِ هَذَا فِي حَدِيثٍ ، أو وَصْفٍ ،
أو خُطْبَةٍ أو رِسَالَةٍ ، فَيَزْعُمَ^(٤) أَنْ كَذَا وَكَذَا يَمْشِي أو يَسْعَى أو يَطِيرُ ، وَذَلِكَ
الَّذِي قَالَ^(٥) لَيْسَ مِنْ لُغَتِهِ وَلَا مِنْ لُغَةِ أَهْلِهِ ؟ ! فَعَلُومٌ عِنْدَ هَذَا الْجَوَابِ ،
وَعِنْدَ مَا قَبْلَهُ ، أَنْ تَأْوِيلَكُمْ هَذَا خَطَأً .

(١) ط : « الكِلَى » . س ، هـ : « الكلا » ، صوابه ما أثبت . وهو جمع
كلية ، بالضم .

(٢) ط ، هـ : « تجرى » . والحصى ، كتبت في ط ، س بالألف .
وفي هـ : « الخصى » صوابهما ما أثبت . وفي الأصل : « قذفها » بدل : « قذفته » .

(٣) في الأصل : « في تلك العروق » . والوجه حذف « في » كما أثبت .

(٤) في الأصل : « فزعم » .

(٥) أي الذي قاله من الكلام المتقدم .

وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ ﴾
وأصحابُ الجنة لا يوصفون بالشُّغل ، وإنما ذلك جوابٌ لقول القائل : خبرني
عن أهل الجنة ، بأيِّ شيء يتشاغلون ؟ أم لهم فراغٌ أبداً ؟ فيقول الحبيب : لا ،
ما شغلهم إلَّا في افتضاضِ الأبكار ، وأكلِ فواكه الجنة ، وزيارة الإخوانِ
على نجائب الياقوت !

وهذا على مثالِ جوابِ عامر بن عبد قيس ، حين قيل له وقد أقبل
مِنْ جهة الحلبة ^(١) ، وهو بالشام : مَنْ سَبَقَ ؟ قال : رسول الله صلى الله
عليه وسلم ! قيل : فَمَنْ صَلَّى ؟ قال : أبو بكر ! قال : إِنَّمَا أَسْأَلُكَ عَنْ
الْحَلِيل ! قال : وأنا أجيبك عن الخير !

وهو كقول المفسِّر حين سُئِلَ عن قوله : ﴿ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً
وَعَشِيًّا ﴾ فقال : ليس فيها بُكْرَةٌ وعشيٌّ . وقد صدَّق القرآن ، وصدَّق
المفسِّر ، ولم يتناقرا ، ولم يتنافيا ، لأنَّ القرآنَ ذهبَ إلى المقادير ، والمفسِّرُ
ذهبَ إلى الموجودِ ، مِنْ دَوْرَانِ ذلك مع غروب الشمس وطلوعها .

وعلى ذلك المعنى رَوَى عن عمر أنَّه قال : « مُتَمَتِّعَانِ كَانَتَا عَلَى عَهْدِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَا أَنْتَهَيْتُهُمَا وَأَضْرَبْتُ عَلَيْهِمَا ^(٢) » .

(١) الحلبة ، بالفتح : الدفعة من الخيل في الرهان . وقد روى الجاحظ هذا الحديث في البيان
(٣ : ١٦٠) برواية أخرى مع نسبته إلى عامر . كما رواه في البيان (٢ : ٢٨٢) منسوبا
إلى بلال برواية أخرى .

(٢) المتَمَتِّعَانِ : هما متعة النساء ومتعة الحج ، كما جاء هذا الخبر مفصلا في كتاب العباسية
من رسائل الجاحظ ٣٠٢ الرحمانية .

أما متعة النساء ، فهي ما يسميه رجال الفقه : نكاح المتعة ، وهو الزواج بأجل
مسمى في العقد ، كيوم ، أو شهر ، أو سنة ، أو سنوات . وكان ذلك مباحا
في أول الإسلام ، وفيه نزل قوله تعالى : « فَاِذَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ
أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً » ، ثم نسخ ذلك بنهى الرسول .

قد كان المسلمون يتكلمون في الصلاة ويطبّقون^(١) إذا ركعوا ، فنَهَى
عن ذلك إمامٌ من الأئمّة ، وَضَرَبَ عليه ، بعد أن أظهرَ النَّسخ ، وعرفهم
أن ذلك من المنسوخ ، فكأنَّ قائلًا قال : أتَناهنا عن شيءٍ ، وقد كان على
عهد النبيّ صلى الله عليه وسلم ؟ فيقول : نعم . وقد قدّم الاحتجاجَ ٩٣
في النَّاسخ والمنسوخ^(٢) .

ومن العَجَب أن ناسًا جعلوا هذا القولَ على المنبرِ من عيوبه . فإن
لم يكن المعنى فيه على ما وصفنا ، فما في الأرضِ أَجهلُ من عُمرَ حينٍ يُظهِرُ
الكُفْرَ في الإسلامِ على منبرِ الجماعةِ ، وهو إنما علاه بالإسلام . ثمَّ في شيءٍ
ليس له حُجَّةٌ فيه ولا عِلَّةٌ . وأعجَبُ منه تلك الأئمّة ، وتلك الجماعة [التي^(٣)]
لم تنكِرْ تلك الكلمةَ في حياته ، ولا بعدَ موته ؛ ثمَّ تركَ ذلك جميعُ
التَّابعين وأتباعِ التَّابعين ، حتَّى أفضى الأمرُ إلى أهلٍ دهرنا هذا .
وتلك الجماعة هم الذين قتلوا عُثمانَ على أن سيّرَ رجلاً^(٤) .

= وأما متعة الحج فهو ما يعرف بالتمتع ، وعنى عمر تحريمها على سكان مكة ؛ إذ
قال في حديث آخر : « ليس لأهل مكة تمتع ولا قران » . وأراد الجاحظ أن قوله
عمر : « كانتا على عهد رسول الله » ليس على ظاهره ، بل المراد أنهما كانتا على
عهد رسول الله وحرمتا أيضاً في عهد رسول الله . وكذلك قوله « أنا أنهى
عنهما » ، فالمراد « أنا أنهى عنهما كما أنهى الرسول » .

(١) في الأصل : « يضيعون » ، وهو تحريف صوابه ما في البيان (٢ : ٢٨٢) .
والتطبيق : أن يجمع بين أصابع يديه ويحملهما بين ركبتيه في الركوع والتشهد .
وقد كان ذلك من فعل المسلمين في أول ما أمروا بالصلاة ، ثمَّ أمروا بإلقام الكفين
رأس الركبتين . وانظر لسان العرب (طبق) .

(٢) انظر لتوضيح هذه الفقرة ما جاء في البيان (٢ : ٢٨٢) .

(٣) الزيادة من س ، هـ .

(٤) هذا الرجل الصحابي الجليل ، أبوذر الغفاري . وكانت له ثورة مشهورة على
الأغنياء ، غضب عليه من أجلها عثمان ، وسيره إلى الربرة ، وهي من قرى =

وهذا لا يقوله إلا جاهلٌ أو معاند .

وعلى تأويل قوله : ﴿ هَذَا نَزَلْنَاهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ قال : ﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَسْسَ الْمِهَادُ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ، قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ ، فجعل للنار خزائن ، وجعل لها خزنة ، كما جعل في الجنة خزائن وجعل لها خزنة .

ولو أن جهنم فتحت أبوابها ، ونحى ^(١) عنها الخزنة ، ثم قيل لكل لصٍ في الأرض ، ولكل خائن في الأرض : دونك ؛ فقد أبيحت لك ! لَمَّا دنا منها ، وقد جعل لها خزائن وخزنة . ولَمَّا هذا على مثال ما ذكرنا . وهذا كثير في كلام العرب .

والآي التي ذكرنا في صديق هذا الجواب ، كلها حُجَجٌ على الخوارج في إنكارهم المنزلة بين المنزلتين ^(٢) .

= المدينة على ثلاثة أميال ، قرية من ذات عرق ، فأقام بها إلى أن مات سنة ٣٢ .
واسم أبي ذر جندب بن جنادة . وانظر تفصيل الخلاف بينه وبين عثمان في مروج الذهب (ذكر خلافة عثمان) ، حيث تجد أسبابا آخر لمصرعه ، رضى الله عنهما .

(١) ط ، س : « نحى » ، صوابه في هـ . ونحى : أبعد .

(٢) القول بالمنزلة بين المنزلتين ، أصل من أصول المعتزلة . إذ يقولون إن الفاسق ليس بمؤمن ولا بكافر ، بل هو في منزلة بين الإيمان والكفر . ويقولون : ليس في الآخرة إلا الفريقان : فريق في الجنة وفريق في السعير ، فترسكب الكبيرة إذا لم يبق فهو خالد في النار ، لكنه يخفف عنه العذاب ، وتكون دركته فوق دركة الكفار . ومن أجل ذلك سماهم المسلمون المعتزلة ؛ لاعتزالهم قول الأمة بأسرها . وجمهور الخوارج على أن الفاسق كافر ، لا كما يقول المعتزلة بأنه في منزلة بين المنزلتين .

(شعر خلف الأحمر في الحيات)

وقال خلف الأحمر في ذكر الحيات :

يَرَوْنَ الْمَوْتَ دُونِي أَنْ رَأَوْنِي وَصِلَ صَفًّا لِنَابِيهِ ذُبَابٌ^(١)
 مِنَ الْمُتَحَرِّمَاتِ^(٢) بِكَهْفٍ طَوْدٍ حَرَامٍ مَا يُرَامُ لَهُ جَنَابٌ^(٣)
 أَبِي الْحَاوُونَ أَنْ يَطْنُوا حِمَاهُ وَلَا تَسْرِي بَعْقُوته الذُّنَابُ^(٤)
 كَأَنَّ دَمًا أَمِيرَ عَلَى قَرَاهُ وَقَطْرَانًا أَمِيرَ بِهِ كُيَابٌ^(٥)
 إِذَا مَا اسْتَجْرَسَ^(٦) الْأَصْوَاتُ أَبَدَى لِسَانًا دُونَهُ الْمَوْتُ الضُّبَابُ^(٧)

(١) ذباب الناب : طرفه الحاد .

(٢) المتحرّمات ، من قولهم : تحرم فلان بفلان : إذا دخل في ذمته وحايته . يقول :
 هو من تلك الحيات التي تحرمت بذاك الكهف المنيع ، فلا يستطيع أن يحاولها
 أحد . في الأصل : « المتجربات » . ولا وجه له .

(٣) طود حرام : جبل لا يستطاع القرب منه ، كأنه محرم . وفي الأصل : « عرام » .
 يرَام : يطلب .

(٤) ط : « الحاوون » ، صوابه في س ، هـ . والعقوة ، بالفتح : الساحة ،
 وما حول الدار .

(٥) أمار الدم : أجراه وأسأله . وفي الأصل « أمر » في الموضعين ، بمعنى جعل يمر ،
 وما كتبت أشبه . وجاء في الحديث : « أمر الدم بما شئت » . والمآثرات :
 الدماء . قال رشيد بن رميض :

حلفت بمآثرات حول عوض وأنصاب تركن لدى السعير

والقرا ، بالفتح : الظهر . والكباب ، بالضم : التراب .

(٦) استجرس ، بمعنى طلب الجرس ، وهو بالفتح بمعنى الصوت . وفي الأصل :
 « استجرش » ولم أجد له وجها ، وما يميز هذا التصحيح ما جاء في ص ١٠٢
 من قول عنتره :

رقود صحيات كأن لسانه إذا سمع الإجراس مكحال أرمدا

(٧) كذ وأمله : « الصهاب » بالصاد المضمومة . وفي اللسان : « والموت
 الصهابي : الشديد ، كالموت الأحمر ، قال الجعفي :

فجننا إن الموت الصهابي يهدمنا تجرد عريان من الشر أهدب » .

إذا ما الليلُ ألبسه دُجَاهُ مَرَى أسمى تصيحُ له الشَّعَابُ^(١)

فقلت لحيّان^(٢) بن عتبى^(٣) : [لَمْ^(٤)] قال موسى بن جابر
الحنفي^(٥) :

طَرَدَ الأَرَوَى فما تَقَرَّبُهُ وَتَفَى الحَيَّاتِ عَن بَيضِ الحِجْلِ^(٦)

قال : لَأَنَّ الذَّنَابَ تَأْكُلُ الحَيَّاتِ . [قُلْتُ^(٧)] : فلم قال خلفُ الأحمر :

* ولا تسرى بعقوته الذناب * ؟

قال : لَأَنَّ الذَّنَابَ تَأْكُلُ الحَيَّاتِ . فَظَنَنْتُ أَنَّهُ حَدَسَ^(٨) ولم يقل بعلم .

(١) الأصمى : الشديد الوثاب . ط : « أسمى » صوابه في س ه . و « تصيح » هي في

س : « تصيح » . ولو كانت « تصيح » لزادت حسنا .

(٢) ط : « لحيات » صوابه في س ، ه .

(٣) كذا جاء هذا الاسم . ولم أعر له على تحقيق . وجاء في عيون الأخبار (٢ :

٤٣) من اسمه : (حيان بن غضبان) وهو الذي ورث نصف دار أبيه ،

فقال : أريد أن أبيع حصتي من الدار وأشتري النصف الباقي فتصير كلها لي !

فلعله هذا .

(٤) زيادة يقتضيها السياق . وليست بالأصل .

(٥) هو أحد شعراء بني حنيفة ، يقال له ابن القرينة ، وهي أمه ، كما أن حسان

ابن ثابت يقال له ابن القرينة . المؤتلف ١٦٥ . وقال المرزباني في معجمه ٣٧٦

إنه نصراني جاهل ، يلقب أزريق النيامة . والحق أنه إسلامي ، وأنه قال شعراً

في الإسلام . انظر الأغاني (١٠ : ١٠٧) ، كما أن شعره في الحماسة (١ :

١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠) يشعر بما تقدم . وفي شرح الحماسة للبريزي

(١ : ١٨٩) : « قال أبو العلاء : موسى منقول من العبرية . ولم أعلم أن في العرب

من سمي موسى زمان الجاهلية . وإنما حدث هذا في الإسلام ، لما نزل القرآن

وسمى المسلمون أبنائهم بأسماء الأنبياء ، على سبيل التبرك » .

(٦) ط : « ونفا » ، صوابه في س ، ه .

(٧) ليست بالأصل ، والكلام في حاجة إليها .

(٨) الحدس : الحزر والتخمين .

(منافضة شعرية لازيادی ويحيى بن أبى حفصة)

وقال الزیادی فی يحيى بن أبى حفصة^(١) :

إني ويحيى وما يبغى كملتيسٍ صَيْدًا وما نال منه الرّىّ والشَّبعا ٩٤
أَهْوَى إلى باب جُحْرِ في مقدّمه مِثْلُ العَسِيبِ تَرَى في رأسه قَزَعًا^(٢)
اللَّوْنُ أَرَبْدُ والأنيابُ شابِكَةٌ عُصْلُ تَرَى السَّمَّ يَجْرى بينها قَطْعًا^(٣)
يَهْوَى إلى الصَّوْتِ والظلماء عاكفةٌ تَقْوَرُ السَّيْلُ لاقى الحَيْدَ فاطْلَعًا^(٤)
لو نَالَ كَفْلَكَ آبَتْ منه مخضبةٌ بَيْضَاءُ قد جللت أنيابها قَزَعًا^(٥)
بِيعَتْ بَوَكْسٍ قليلٍ فاستقلَّ بها من الهُزَالِ أبوها بعد ما ركعا
فردّ عليه يحيى فقال :

كَمْ حَيَّةٍ تَرْهَبُ الحَيَّاتُ صَوْلَتُهُ يَحْمَى لِرَيْدِيهِ^(٦) قد غادرتُه قَطْعًا

(١) هو جد مروان بن أبى حفصة الشاعر المشهور ، وقال أبو الفرج فيه (٩ : ٣٧) = « وليحيى أشعار كثيرة » .

(٢) العسب : أصل الذنب ، أو الجريدة المستقيمة الدقيقة من النخل يكشط خوصها . والقزع ، بالتحريك : خفة شعر الرأس .

(٣) شابكة : مشبكة . ط ، س : « شائلة » هـ : « سائلة » . وصوابه ما أثبت . وانظر ماسيأق في (٥ : ٣٣٤) . والعصل : الملتويات . وفي الأصل : « عصلا » صوابه مما سبق ص ١٨٣ .

(٤) الحيد ، بالفتح : ماشخص من الجبل ومن كل شيء . والتقور : التثني . وفي الأصل : « تمود » . وانظر ماسيأق في ١٨٣ . يقول : هذا الحية يتلوى في مشيه كما يتلوى ماء السيل إذا لاقى حيدا فأشرف منه على أرض منخفضة ، فهو أسرع لجره وتلويه .

(٥) كذا ورد هذا البيت . وفي ط : « قلعا » بالذال المعجمة .

(٦) أى تدركه الحمية والأففة إذا اعتلى على ريديه . والريد ، بالفتح : الحرف الناقص من الجبل . س : « لذيه » .

يَلْقَيْنَ حَيَّةَ قَفٍّ ذَا مُسَاوَرَةٍ يُسْقَى بِهِ الْقِرْنُ مِنْ كَأْسِ الرَّدَى جُرْعَاً (١)
تَكَادُ تَسْقُطُ مِنْهُنَّ الْجُلُودُ ؛ لِمَا يَعْلَمَنَّ مِنْهُ إِذَا عَايَنَتْهُ ، قَزَعَاً (٢)
أَصَمَّ مَا شَمَّ مِنْ خَضِرَاءِ أَبِيسْبَا أَوْ مَسَّ مِنْ حَجَرٍ أَوْ هَاهُ فَانْصَدَعَاً (٣)

(شعر في الحيات)

وقال آخر :

وَكَمْ طَوَّتَ مِنْ حَنْشٍ رَاصِدٍ لِلسَّفْرِ فِي أَعْلَى الثَّنِيَّاتِ (٤)
أَصَمَّ أَعْمَى لَا يُجِيبُ الرُّقَى يَفْتَرُّ عَنْ عُصْلٍ حَدِيدَاتِ (٥)
مَنْهَرَتِ الشَّدَقِ رَقُودِ الضَّحَى سَارِ طَمُورٍ فِي الدُّجُنَاتِ (٦)
ذِي هَامَةٍ رَقْطَاءَ مَقْطُوحَةٍ مِنَ الدَّوَاهِي الْجَبَلِيَّاتِ (٧)
صِلُّ صَفًّا ، تَنْطِفُ أَنْيَابُهُ سِمَامَ ذَيْفَانٍ مَجِيرَاتِ (٨)

(١) القف : بالضم : مرتفع حجري . و « يسق » هي في الأصل : « تسق » .
والوجه ما أثبت .

(٢) قزعا : أى قطعاً متفرقة . وأصل القزح : القطع من السحاب . ط ، س :
« قذعا » بالذال المعجمة ، صوابه في هـ .

(٣) سبق الكلام على هذا البيت في (٢ : ١٣٧) وفي هذا الجزء ص ١٨٣ .

(٤) الثنية : الطريق العالي في الجبل .

(٥) الأنياب المصل : الملتوية . هـ : « عضل » ، صوابه في س ، ط .

(٦) منهرت الشدق : واسمه . والطمور ، كصبور : الثواب . ط : « طمورا »
صوابه في س ، هـ .

(٧) مقطوحة ، بالفاء : عريضة . ط : « منطوحة » بالنون ، تصحيحه من س ، هـ .

(٨) تنطف أنيابه ، بكسر الطاء وضمها : تقطر . والسام ، بالكسر : جمع سم .
والذيفان بالفتح والكسر : السم القاتل . و « مجيرات » كذا جاءت بالجم ،
ولعلها « ميرات » بمعنى مهلكات . وقد سبق البيت في ٢٣٤ .

مُطْلَنَ فِي اللَّحْيَيْنِ مَطْلًا إِلَى رَأْسٍ وَأَشْدَاقٍ رَحِيَّاتٍ^(٤)
عَدَمَنَ عَنْ ضِرْسَيْنِ وَاسْتَأَخَّرَا إِلَى سِمَاحَيْنِ وَلَهَوَاتٍ^(٥)
يُسَبِّتُهُ الصُّبْحُ وَطَوْرًا لَهُ نَفْخٌ وَنَفْثٌ فِي الْمَغَارَاتِ^(٦)
وَنَارَةً تَحْسِبُهُ مِيتًا مِنْ طَوْلِ إِطْرَاقٍ وَإِخْبَاتٍ^(٧)
وقال آخر ، وهو جاهليٌّ :

لَا هُمْ إِنْ كَانَ أَبُو عَمْرٍو ظَلَمَ وَخَانَنِي فِي عِلْمِهِ وَقَدْ عَلِمَ
فَابْعَثْ لَهُ فِي بَعْضِ أَعْرَاضِ اللَّحْمِ لَمِيمَةً مِنْ حَنْشٍ أَعْمَى أَصَمٌ^(٨)
أَسْمَرَ زَحَافًا مِنَ الرُّقْطِ الْعُرْمِ^(٩) قَدْ عَاشَ حَتَّى هُوَ لَا يَمْشِي بَدَمٌ ٩٥
فَكَلَّمَا أَقْصَدَ مِنْهُ الْجَوْعُ شَمٌ^(١٠) حَتَّى إِذَا أَمْسَى أَبُو عَمْرٍو وَلَمْ
يَمَسَّ مِنْهُ مَضَضٌ وَلَا سَقَمٌ قَامَ وَوَدَّ بَعْدَهَا أَنْ لَمْ يَقُمْ

(١) سبق هذا البيت في ص ٥٣ .

(٢) ط : « واستأخرت » ، صوابه في س ، هـ . والضمير عائد إلى الضرسين .
والسباح بكسر السين : لغة في السباح بكسر الصاد ، وهو ثقب الأذن . واللهوات
جمع اللهاة ، وهي اللحمة المشرفة على الخلق . وقد سكنت الماء للشعر ، كما أنه
جمعها والمراد بها الواحد ؛ إذ أن له لهاة واحدة .

(٣) س : « المغارات » ، صوابه في ط ، هـ . يسبته الصبح : ينيبه .

(٤) الإطراق : السكوت والنظر إلى الأرض مع إرخاء العينين . وفي الأصل :
« إشراق » بالشين . ولا وجه له . قال :

مطروق ينفث سما كما أطرق أفعى ينفث السم صل
والإخبات : من أخبت بمعنى خشم . وأصله من الخبت ، وهو المظلم
من الأرض .

(٥) سبق في ص ١١٩ .

(٦) العرم : جمع أعرم ، وهو ما كان منقطاً بسواد وبياض ، ومثله الأرقط . وقد
ضمت الراء في (العرم) لضرورة للوزن . وفي الأصل : « القدم » ،
ووجه ما أثبت .

(٧) في الأصل : « فكل ما » ، تحريف . أقصده الجوع : أسابه . وفي الأصل :
« أفضل » ووجه ما أثبت ، كما سبق في ١١٩ . وشم ، أي تسم الهواء
ليفتنى به . وانظر ما سبق في ص ١١٩ .

وَلَمْ يَقُمْ لِإِبْلِ وَلَا غَمٍّ وَلَا لَخُوفٍ رَاعُهُ وَلَا لِيَهُمْ
حَتَّى دَنَا مِنْ رَأْسِ نَضْنَاضٍ أَصَمٍّ ^(١) فَخَاضَهُ بَيْنَ الشَّرَاكِ وَالْقَدَمِ ^(٢)
بِمِذْرَبٍ أَخْرَجَهُ مِنْ جَوْفِ كُمٍّ ^(٣) كَأَنَّ وَخَزَ نَابِهِ إِذَا انْتَضَمَ
* وَخَزَةٌ إِشْفَى فِي عَطُوفٍ مِنْ أَدَمٍ ^(٤) *

وَمُخَالِبِ الْأَسَدِ وَأَشْبَاهِ الْأَسَدِ مِنَ السَّبَاعِ ، تَكُونُ فِي غُلْفٍ ^(٥) ، إِذَا
وُطِئَتْ عَلَى بُطُونِ أَكْفِهَا تَرْفَعَتِ الْمُخَالِبُ ، وَدَخَلَتْ فِي أَكْثَامِهَا . وَهُوَ قَوْلُ
أَبِي زُبَيْدٍ :

بُحْجَنٍ كَالْحَاجِنِ فِي فَتُوخٍ يَقْبِيهَا قِصَّةَ الْأَرْضِ الدَّخِيسِ ^(٦)
وَكَذَلِكَ أُنْيَابُ الْأَفَاعِي ، هِيَ مَا لَمْ تَعُضْ فَصَوْنَةٌ فِي أَكْثَامِ . أَلَا تَرَاهُ
يَقُولُ :

فَخَاضَهُ بَيْنَ الشَّرَاكِ وَالْقَدَمِ بِمِذْرَبٍ أَخْرَجَهُ مِنْ جَوْفِ كُمٍّ ^(٧)

(١) النضناض : الحية ينضنض لسانه ، أى يحركه . ط : « من أس » ، صوابه
في س ، هـ .

(٢) هو من خاضه بالسيف خوضاً : وضعه في أسفل بطنه ، ثم رفعه إلى فوق .

(٣) عني بالمذرب ناب الحية . هـ . « لمذوب » ، صوابه في س ، هـ . والكُم ،
بالضم : غشاء مُخَالِبِ السبع . اللسان (١٥ : ٤٣٠) .

(٤) الإشش : المخرز ، يذكر ويؤنث . والمعطوف ، بالفتح : المعطوف . وإذا أظهر
لأثر المخرز . والأدم ، بالتحريك : الجلد ، أو أحره ، أو مدبوغه .

(٥) غلف : جمع غلاف . ط : « غلق » ، صوابه من س ، هـ .

(٦) الحجن : عني بها مُخَالِبِ الْأَسَدِ . وقد اشتهر أبو زيد بنعته . والمُحَاجِن : جمع
محجن ، وهو العصا المموجة . والفتوخ بضم الفاء ، وبالهاء المعجمة في آخره : هي
من الأسد مفاصل مُخَالِبِهِ ، كما في القاموس . وفي الأصل : « فتوح » بالحاء المهملة
مصحف . والقصة ، بكسر القاف وتفتح ، بعدما ضاد معجمة مشددة : الحصى
الصغار . وفي الأصل : « قصة » بالصاد ، محرف . والدخيس : لحم باطن الكف .

(٧) سبق شرح البيت في التنبيه الثالث من هذه الصفحة . ط : « مخاضه » صوابه
في س ، هـ . هـ : « مذوب » ، محرف .

(رجز وشعر في لعاب الحية)

وقال آخر :

أُنتُ نضناً كَثِيرَ الصَّقَرِ^(١) مولده كمولِدِ ابنِ الدَّهْرِ^(٢)
كاناً جميعاً وُلِدَا في شَهْرٍ يَظَلُّ في مَرَأَى بَعِيدِ القَعْرِ
* بَيْنَ حَوَا فِي سَدِيرٍ وَصَخْرٍ^(٣) *

وقال :

وكيفَ وقد أَسْهَرْتُ عَيْنَكَ تَبْتَغِي عِنَادًا لِنَابِي حَيَّةٍ قد تَرَبَّدَا^(٤)
من الصَّمِّ يَكْفِي مَرَّةً من لُعَابِهِ وما عَادَ إِلَّا كَانَ في العَوْدِ أَحْمَدَا^(٥)
(شعر خلف في الأفعى)

وقال خلف الأهر - وهي مخلوطة فيها شيء ، وله شيء ، من الغبرة^(٦)

-
- (١) الصقر ، أراد به سمه ولعابه . وفي الأصل : « كبير الظفر » ، وليس للحية ظفر .
وصواب الرواية ما أثبت من المخصص (١٣ : ٢٠٨) .
- (٢) ابن الدهر ، فسرهُ ابن سيده بأنه الموت . المخصص (١٣ : ٢٠٨) . وقد
فسره الثعالبي في ثمار القلوب ٢١٤ بأنه النهار ، واستشهد بيت ابن الرومي :
وما الدهر إلا كابنه ، فيه بكرة وهاجرة مسمومة الجو قاتله
في الأصل : « ومولد ابن الظهر » ، وتصحيحه من المخصص . وقد غنى الراجز
أن ذلك الحية متقدم الميلاد ، وذلك مما يزيد في شدة سمه .
- (٣) الحوافي : جمع حافة ، بفتح الفاء المخففة ، وهو من نادر الجمع . والحافة : الجانب .
والسدر ، ككتف : البحر . وحيات المساء معروفة بالجرأة والنكر . وفي
الأصل : « صدر » ، ولعل الوجه فيه ما أثبت .
- (٤) تربد : صار أربد . والربدة : لون إلى الغبرة . وضهير « تربد » عائد إلى الحية ،
والحياة تذكر وتؤنث .
- (٥) ط ، س : « مرة » . هـ : « مرة » ، صوابها ما أثبت . والشطر الثاني
فيه تهكم .
- (٦) كذا جاءت هاتان الكلمتان . وحققهما أن تكونا في صدر الفقرة مسبوقتين بنحو
كلمة : « تربد » ، فتكونا شرحاً لها ، كما أسلفت في التنبيه الرابع من هذه الصفحة .

وما علمتُ أن أحداً وصف عَيْنَ الأفعى على معرفةٍ واختبار غيره -
وهو قوله :

أَفَعَى رَخُوفَ الْعَيْنِ مِطْرَاقَ الْبُسْكَرِ^(١)

داهية قد صغرت من الكبير

صِلَّ صَفًا مَا يَنْطَوِي مِنَ الْقَصْرِ^(٢) طويلة الإطراق^(٣) من غير حسر
كَأَنَّمَا قَدْ ذَهَبَتْ بِهِ الْفِكَرُ شُقَّتْ لَهُ الْعَيْنَانِ طُولًا فِي شَتَرِ
مَهْرُوتَةِ الشَّدَقِينَ حَوْلَاءِ النَّظَرِ جاءَ بها الطُّوفَانُ أَيَّامَ زَخَرِ^(٤)
كَأَنَّ صَوْتَ جَلْدِهَا إِذَا اسْتَدْرَ^(٥) نَشِيشُ جَمْرٍ عِنْدَ طَاهٍ مُقْتَدِرِ

(أحاديث في الوزغ)

هشام بن عروة قال : أخبرني أبي أن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها
كانت تقتل الأوزاغ . ٩٦

يحيى بن أبي أنيسة^(٦) ، عن الزهري ، عن عروة^(٧) ، عن عائشة

(١) الرخوف : من رُخِفَ بمعنى استرخى . ط ، ه ، « زحوف » صوابه في س .
ومطراق البكر : أى يطرق إطراقاً في القدوات . وذلك من صفة الأفعى . أمه
انتباهها فيكون على أشده في الليل .

(٢) صلال الصفا من أخصب الحيات . وقد بالغ الراجز في جعله الصل لا ينطوى من
شدة قصره . في الأصل : « صل صفاء ينطوى » ، و صوابه مما سبق في ص ١١٩ .

(٣) في الأصل : « الأطراف » بالفاء ، والوجه فيه ما أثبت . والإطراق : السكون
مع النظر في الأرض .

(٤) زخر : ارتفع . وقد عي أن تلك الأفعى معمرة ، أدركت أيام نوح عليه السلام !

(٥) استدر : كثرت حركته .

(٦) يحيى بن أبي أنيسة ، بهيئة التصغير ، الجزرى ، ضعيف من السادسة ، مات سنة
ست وأربعين ومائة .

(٧) هو عروة بن الزبير بن العوام ، أحد فقهاء المدينة السبعة . أمه أسماء بنت أبي بكر =

قالت : « سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للوزغ : فويسق » .
قالت : « ولم أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرَ بقتله » .

قال (١) قالت عائشة رضى الله عنها : « سمعت سعداً يقول : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله » .

عبد الرحمن بن زياد قال : أخبرني (٢) هشامٌ عن عروة عن عائشة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للوزغ : الفويسق » .

أبو بكر الهذلي ، عن معاذ عن عائشة قالت : « دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على وفي يدي عُكَّازٌ فيه زُجٌّ ، فقال : يا عائشة ، ماتصنعين بهذا ؟ قلت : أقتلُ به الوزغ في بيتي . قال : إن تفعلين فإنَّ الدَّوابَّ كُلَّها حين ألقى إبراهيم صلى الله عليه وسلم في النَّار ، كانت تُطْفئُ عنه ، وإنَّ هذا كانَ يَنْفُخُ عليه ، فَصَمَّ وَبَرَّصَ » .

وهذه الأحاديثُ كُلُّها يَحْتَجُّ بها أصحابُ الجهالات ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الأشياءَ كُلَّها كانتْ ناطقةً ، وأنها أمٌّ مجراها مجرى الناس .

(تأول آيات من الكتاب)

وتأولوا قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ، وقالوا :

= ومع من عائشة خالته ، وروى عنه الزهري . ولد سنة ٢٢ أو ٢٦ الهجرة . وتوفي سنة ٩٣ أو ٩٤ . وكان عبد الملك يقول فيه : « من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة . فليُنظر إلى عروة بن الزبير ! » .

(١) ليست في س ، ه .

(٢) ط : « وأخبرني » .

قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ وقال (١) تعالى : ﴿ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ (٢) ﴾ وقال : ﴿ وَإِنَّ مِنْ الْجِبَارَةِ لِمَا يُتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لِمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لِمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ .

فذهبت الجهمية ومن أنكر إيجاد الطبائع مذهباً ، وذهب ابن حائط (٣) ومن لف لفه من أصحاب الجهالات مذهباً ، وذهب ناس من غير المتكلمين ، واتبعوا ظاهر الحديث وظاهر الأشعار ، وزعموا (٤) أن الحجارة كانت تعقل وتنطق ، وإنما سلبت المنطق فقط . فأما الطير والسباع فعلى ما كانت عليه .

قال : والوطواط ، والضرد ، والصفدع ، مطيعات ومثابات (٥) . والعقرب ، والحية ، والحداة ، والغراب ، والوزغ ، والكلب ، وأشباه ذلك ، عاصيات معاقبات .

(١) في الأصل : « وقوله » .

(٢) لا خلاف بينهم في نصبه . وما روى عن البصري وعاصم وروح من رفعه وإن كانت له أوجه صحيحة في العربية ، لا يقرأ به ؛ لضعفه في الرواية . السفاقي .

(٣) هو أحمد بن حائط ، صاحب مذهب الحائطية ، وكان من أصحاب النظام وأخذ عنه وأق في مذهبه بمنكرات عجيبة . وما قاله : إن كل نوع من أنواع الحيوان أمة على حيالها ؛ لقوله تعالى : « ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمة أمثالكم » ، وقال : إن في كل أمة منها رسولا من نوعها ؛ لقوله تعالى : « وإن من أمة إلا خلا فيها نذير » . انظر الملل والنحل (١ : ٨٠ - ٨١) والفرق ٢٥٥ - ٢٥٩ حيث تجد قولاً فكها ضارباً في الخيال . وفي الأصل : « ابن حافظ » ، وصوابه ما أثبت .

(٤) هـ : « فزعموا » .

(٥) ط : « مثانات » بالنون ، صوابه في س ، هـ .

ولم أقف^(١) على واحدٍ منهم فأقول له : إِنَّ الْوَزَغَةَ الَّتِي تَقْتُلُهَا عَلَى أَنَّهَا
كَانَتْ تُضْرِمُ النَّارَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، أَمْ هِيَ أَمْ هِيَ مِنْ أَوْلَادِهَا فَأُخَوِّدُ
هِيََ بِذَنْبِ غَيْرِهَا ؟ أَمْ تَزْعُمُ أَنَّهُ فِي الْمَعْلُومِ أَنَّ تَكُونَ تِلْكَ الْوَزَغُ لَا تَلِدُ
وَلَا تَدْبِصُ وَلَا تُفْرِخُ إِلَّا مِنْ يَدَيْنِ بَدِينِهَا ، وَيَذْهَبُ مَذْهَبُهَا ؟ !
وَلَيْسَ هَؤُلَاءِ مِمَّنْ يَفْهَمُ تَأْوِيلَ الْأَحَادِيثِ ، وَأَيُّ ضَرْبٍ مِنْهَا
يَكُونُ مُرْدُوداً ، وَأَيُّ ضَرْبٍ مِنْهَا يَكُونُ مُتَأَوِّلاً ، وَأَيُّ ضَرْبٍ مِنْهَا يَقَالُ ٩٧
إِنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ حِكَايَةُ عَنْ بَعْضِ الْقَبَائِلِ .
وَلِذَلِكَ أَقُولُ : لَوْلَا مَكَانُ الْمُتَكَلِّمِينَ لَهَلَكْتَ الْعَوَامُّ ، وَاخْتِطَفَتْ
وَاسْتَرْقَتْ ، وَلَوْلَا الْمُعْتَزِّلَةُ لَهَلَكَ الْمُتَكَلِّمُونَ^(٢) .

(أَحَادِيثُ فِي قَتْلِ الْوَزَغِ)

شَرِيكُ عَنِ النَّخَعِيِّ ، عَنِ لَيْثٍ ، غَنَ نَافِعٍ ، أَنَّ ابْنَ عَمَرَ كَانَ يَقْتُلُ الْوَزَغَ
فِي بَيْتِهِ وَيَقُولُ : هُوَ شَيْطَانُ !
هَشَامُ بْنُ حَسَّانَ ، عَنِ خَالِدِ الرَّبْعِيِّ ، قَالَ : لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِنْ خَشَاشِ
الْأَرْضِ إِلَّا كَانَ يُطْفِئُ النَّارَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ ، إِلَّا الْوَزَغُ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَنْفُخُ عَلَيْهِ .
حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ ، قَالَ : سَمِعْتُ الْقَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدٍ يَقُولُ : إِنَّ
الْأَوْزَاعَ كَانَتْ يَوْمَ حُرْقِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ تَنْفُخُهُ وَالْوَطَاوِطُ^(٣) بِأَجْنِحَتِهَا .
شَرِيكُ عَنِ النَّخَعِيِّ ، عَنِ جَابِرٍ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : الْوَزَغُ
شَرِيكُ الشَّيْطَانِ .

(١) ط : « أفق » ، وتصحيحه من س ، هـ .

(٢) انظر ماسبق في ص ٢٠٦ .

(٣) يجمع الوطواط على وطواط ووطواط . كما هنا وكذا في القاموس .

أبو داود الواسطي قال : أخبرنا أبو هاشم ، قال : مَنْ قَتَلَ وَزْغَةً حَطَّ
 اللَّهُ عَنْهُ سَبْعِينَ خَطِيئَةً ، وَمَنْ قَتَلَ سَبْعاً^(١) كَانَ كَعَتَقِ رَقَبَةٍ .
 هشامُ بن حسان ، عن واصل مولى أبي عيينة^(٢) ، عن عقيل ،
 عن يحيى بن يعمر ، قال : لَأَنْ أَقْتُلَ مِائَةً مِنَ الْوَزَغِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ
 مِائَةَ رَقَبَةٍ .

وهذا الحديث ليس من شكل الأول ؛ لأنَّ يحيى بن يعمر لم يزعم
 أَنَّهُ يَقْتُلُهُ لِكُفْرِهِ أَوْ لِكُفْرِ أَبِيهِ ، وَلَكِنَهَا دَابَّةٌ تُطَاعِمُ الْحَيَّاتِ وَتُرَاقِبُهَا
 وَتَقَارِبُهَا ، وَرَبَّمَا قَتَلَتْ بَعْضُهَا ، وَتَكْرَعُ فِي الْمَرْقِ وَاللَّبَنِ ثُمَّ تَمُجُّهُ فِي الْإِنَاءِ
 فَيَنَالُ النَّاسَ بِذَلِكَ مَكْرُوهٌ كَبِيرٌ ، مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ . وَقَتْلُهُ فِي سَبِيلِ
 قَتْلِ الْحَيَّاتِ وَالْعُقَارِ .

(صنع السم من الأوزاغ)

وَأَهْلُ السَّجَنِ^(٣) يَعْمَلُونَ مِنْهَا سُمًّا أَنْفَذَ مِنْ سَمِّ الْبَيْشِ^(٤) ، وَمِنْ رَيْقِ

(١) تحتمل الرواية أَنْ تَكُونَ سَبْعاً بِإِسْكَانِ الْبَاءِ ، أَيْ هَذَا الْعَدَدُ مِنَ الْوَزَغِ . وَتَحْتَمِلُ
 أَيْضاً أَنْ تَكُونَ سَبْعاً بِضَمِّ الْبَاءِ ، بِمَعْنَى الْمَقْتَرَسِ مِنَ الْخِيَوَانِ . وَالصَّدْرُ الْأَوَّلُ رَوَاهُ
 الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ ، عَنْ عَائِشَةَ . وَرَمَزَ لَهُ السِّيُوطِيُّ فِي الْجَامِعِ الصَّغِيرِ ٨٩١٥
 بِحَرْفِ (ح) أَيْ حَسَنٌ .
 (٢) واصل مولى أبي عيينة ، بشتاتية مصغر ، قال ابن حجر : صدوق من السادسة
 تقريب التهذيب .

(٣) أَيْ الْقَوَامُونَ بِأَمْرِ السَّجَنِ . وَلَعَلَّهُمْ كَانُوا يَصْنَعُونَ هَذَا السَّمَ لِتَخْلُصُوا مِنْ يَلُونِ
 أَمْرَهُمْ مِنَ الْمَسَاجِينِ ، أَوْ لِتُخَفَّ عَنْهُمْ مَوْثِقَةُ الْمَرَاقِبَةِ ، أَوْ تَنْفِذًا لِمَا يُوحَى بِهِ إِلَيْهِمْ
 أَوَّلُ الْأَمْرِ . وَفِي الْأَصْلِ : « أَهْلُ السَّحَرِ » ، وَالْأَوْفَقُ مَا أَثْبَتَ كَمَا فِي صَوْنِ
 الْأَخْبَارِ (٢ : ٩٩) . وَسَيَأْتِي مِنَ الْكَلَامِ أَنَّ « الْمَسْجُونِ » هُوَ الَّذِي يَطْعَمُ
 هَذَا السَّمَ .

(٤) البَيْشُ ، بِالْكَسْرِ : نَبْتٌ صِينِي وَهِنْدِي ، يَطُولُ إِلَى ذِرَاعٍ ، سَبْطُ الْأَوْرَاقِ .
 وَهُوَ سَمٌ قَتَالٌ ، أَسْرَعَ فَتَكَ بِالْإِنْسَانِ مِنْ سَمِّ الْأَفَاعِي .

الأفاعي ، وذلك أنهم يُدخِلون الوزَّجَ قارورةً ، ثمَّ يصبُّون فيها من الزَّيْتِ ما يغمُرُها ، ويضعونها في الشَّمْسِ أربعين يوماً ، حتَّى تَخْلُطَ بِالزَّيْتِ وتَصِيرَ شيئاً واحداً . فَإِنَّ مَسَّحَ السَّجِّينِ منه على رَغِيفٍ مَسْحَةٌ يَسِيرَةٌ فَأَكَلَ مِنْهُ عَشْرَةُ أَنْفُسٍ ماتوا^(١) . ولا أدري لِمَ تَوَخَّوا من مواضع الدَّفْنِ عَتَبَ الأبواب^(٢) .

(حديث فيه نصائح)

يُحْيِي بن أبي أَنَسَةَ ، عن أبي الزُّبَيْرِ ، عن جابر بن عبد الله ، قال : « أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَرْبَعٍ وَنَهَانَا عَنْ أَرْبَعٍ : أَمَرَنَا أَنْ نُجِيفَ أَبْوَابَنَا ، وَأَنْ نَحْمَرَ آيَاتِنَا ، وَأَنْ نُوَكِّيَ أَسْقِدَتَنَا ، وَأَنْ نُظْفِئَ سُرُجَنَا^(٣) فَإِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا وَجَدَ بَاباً مُجَافاً لَمْ يَفْتَحْهُ ، وَإِنَاءً نَحْمَرّاً لَمْ يَكْشِفْهُ ، وَسَقَاءً مُوَكِّيً^(٤) لَمْ يَحْلِهِ . وَإِنَّ الْقُوسِيقَةَ^(٥) تَأْتِي الْمَصْبَاحَ فَتُضَرِّمُهُ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ . وَنَهَانَا عَنْ أَرْبَعٍ : نَهَانَا عَنْ اشْتِمَالِ الصَّمَاءِ^(٦) ، وَأَنْ يَمْشِيَ أَحَدُنَا فِي النَّعْلِ

(١) ط : « ماتوا » ، صوابه في س ، ه .

(٢) أى دفنهم ما يقتلون من الأوزاع تحت عتب الأبواب .

(٣) أجاف الباب : رده عليه . وتحجير الآنية : تغطيتها . ويقال أوكى السقاء يوكيه : أى شده بالوكاء ، بالكسر ، وهو سير ، أو خيط . والسرَج : جمع سراج ، وهو المصباح .

(٤) ط ، ه : « موكا » ، ووجه كتابته بالياء . وفي س : « موكا » بالهمز . ولعلها لغة .

(٥) المراد بالقوسيقة : الفارة ، تصغير فاسقة .

(٦) اشتمال الصماء : رد الكساء من قبل يمينه على يده اليسرى وعاتقه الأيسر ، ثم رده ثانية من خلفه على يده اليمنى وعاتقه الأيمن فيغطيها جميعاً ، فن ذلك ما قيل للصماء . واللفقهاء تفسير آخر ، وهو أن يشتمل بثوب واحد ليس عليه غيره ، ثم يرفعه من أحد جانبيه فيضمه على منكبيه ، فيبدو منه ما لا يليق أن يبدو . س « الصماء » محرف .

الواحدة أو الخُفُّ الواحد ، وأنَّ يَحْتَبِيَ الرَّجُلُ مِنَّا فِي الثَّوبِ الْوَاحِدِ ^(١) ليس عليه غيره ، وأنَّ يَسْتَلْقَى أَحَدُنَا عَلَى ظَهْرِهِ وَيَرْفَعُ إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الْآخَرَى ^(٢) . وهذا الحديثُ ليس هذا موضعه ، وهو يقع في باب جملة القول في النَّار ، وهو يقع [بعد ^(٣)] هذا الذي يلي القول في النعام .

٩٨

(ما جاء في الحيات من الحديث)

شعبة أبو بسطام ، قال : أخبرني أبو قيس ، قال : جلست إلى علقمة ابن قيس ^(٤) ، وربيع بن خثيم ^(٥) فقال ربيع : قولوا وافعلوا خيراً ^(٦) تُجْزَوْا خيراً . وقال علقمة : مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ إِلَّا يَرَى الْحَيَّةَ ، إِلَّا قَتَلَهَا ، إِلَّا الَّتِي مِثْلُ الْمِيلِ ^(٧) ، فَإِنَّهَا جَانٌّ ^(٨) . وَإِنَّهُ لَا يَضُرُّهُ قَتْلُ حَيَّةٍ أَوْ كَافِرٍ .

(١) أى أن يضم رجله إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشده عليهما ، فربما تحرك ، أو زال الثوب فيقع صاحبه في الحرج . ط : « أن يجتبي الرجل منا في الثوب الواحد » ، وهو على الصواب في س ، ه .
(٢) روى هذا الحديث بروايات مختلفة في (٥ : ٤١) .
(٣) الزيادة من س ، ه .

(٤) هو علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي . ثقة ثبت فقيه عابد . وكان من كبار التابعين . توفي بعد الستين أو بعد السبعين . تقريب التهذيب .
(٥) هو الربيع بن خثيم ، بضم المعجمة الفوقية وفتح المثلثة ، ابن عائذ بن عبد الله الثوري الكوفي . ثقة عابد من كبار التابعين ، قال له ابن مسعود . « لو رآك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحبك » . مات سنة إحدى وقليل ثلاث وستين . عن تقريب التهذيب . وفي الأصل : « خثيم » ، وهو تحريف يتعرض له هذا الاسم كثيراً . وقد نهت عليه في تذييل الجزء الأول ص ٤٢٣ .

(٦) ط : « فقلت افعلوا خيراً » ، وتصحيحه وإكاله من س ، ه .
(٧) الميل ، بالكسر : ذاك الذي يكتحل به . والنص مضطرب في الأصل . فني ط ، س : « إلى مثل الميل » وفي ه : « إلى مثل » بلون ذكر « الميل » . ولعل الصواب فيه ما أثبت . ويؤيده ماورد في نهاية ابن الأثير من الحديث : « أنه نهى عن قتل الجنان » ، قال : « هي الحيات التي تكون في البيوت ، واحدها جان ، وهو الدقيق الخفيف » .
(٨) ه : « فانه جاني » .

إسماعيل المكي^(١) ، عن أبي إسحاق ، عن علقمة قال : قال عبد الله ابن مسعود : من قتل حيّةً فقتل كافراً .

ثم سمعت عبد الرحمن بن زيد^(٢) يقول : من قتل حيّةً أو عقرباً قَتَلَ كافراً .

وهذا ممّا يتعلق به أصحابُ ابن حنّط^(٣) ، وتأويله في الحديث الآخر^(٤) . عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي^(٥) قال : سمعت القاسم بن عبد الرحمن ، يقول : قال عبد الله^(٦) : من قَتَلَ حيّةً أو عقرباً فكأنّما قَتَلَ كافراً . فعلى هذا المعنى يكونُ تأليف الحديث .

سعيد بن أبي عروبة^(٧) ، عن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَا سَأَلْنَا هُنَّ مُذْ حَارَبْنَاهُنَّ »^(٨) .

(١) في الأصل : « المكي » .

(٢) عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوي ، ولد في حياة الرسول ، وولى إمرة مكة ليزيد بن معاوية . ومات سنة بضع وستين . ط ، هـ : « عبد الرحمن بن يزيد » ، من ولد في عهد الرسول أيضا . وترجم له ابن حجر في الإصابة ٦٢٣٠ .

(٣) في الأصل : « ابن حنّط » . وصوابه ما أثبت . وانظر ما سبق في ص ٢٨٨ .

(٤) إشارة إلى ما ذهب إليه ابن حنّط وأتباعه ، من أن الحيوان مكلف ، كما أن الإنسان مكلف ، وأن الله يرسل إليه رسلا منه كما يرسل إلى الناس ؛ فلذلك يكون من الحيوان المؤمن ، والكافر ، والصالح ، والطالح .

(٥) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن مسعود البكوفي المسعودي ، مات سنة ستين أو خمس وستين بعد المائة . في الأصل : « السعدي » ، وصوابه ما أثبت . (٦) يعنى عبد الله بن مسعود .

(٧) سعيد بن أبي عروبة اليشكري — مولاهم — البصرى . وكان من أثبت الناس في قتادة . مات سنة ست أو سبع وخسين ومائة . وأبوه أبو عروبة ، بفتح العين المهملة وضم الراء . واسم أبي عروبة مهران . عن تقريب التهذيب .

(٨) س : « حاويناهن » ، وهو تحريف . وسيعاد هذا الحديث قريبا .

سعيد بن أبي عروبة^(١) عن قتادة ، قالت عائشة : « مَنْ [تَرَكَ]^(٢) قَتَلَ حَيَّةً خَافَةَ أَثَارَهَا^(٣) فعليه لعنة الله والملائكة .
الربيع بن صبيح^(٤) عن عطاء الخراساني^(٥) قال : كان فيما أخذ على الحيات ألا يظهرن . فَمَنْ ظَهَرَ مِنْهُنَّ حَلَّ قَتْلَهُ . وقتلن كقتال الكفار ، ولا يترك قتلهن إلا شاك .

وهذا مما يتعلق به أصحاب ابن حائط .

محمد بن عجلان قال : سمعت أبي يحدث عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما سألناهن مذحار بنائهن » .
ابن جريج قال : أخبرني عبد الله بن عبيد بن عمير^(٦) قال :

(١) ط : « سعيد بن عروبة » ، صوابه ما أثبت من س ، ب . وانظر التنبيه الذي قبل السابق .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . ولا يصح المعنى ولا الرواية بدونها . أما عدم صحة المعنى فلقلوله : « مخافة أثارها » ، فإن خوف من الثأر يقتضي عدم قتلها . وكان أهل الجاهلية يقولون : « إن الجن تطلب بثأر الجان إذا قتل » ، فرما قتل قاتله ، وربما أصابته بخل ، وربما قتل ولده . انظر تأويل مختلف الحديث ١٤٦ .
وأما الرواية فقد رواه ابن قتيبة على هذا الوجه : « من ترك قتل الحيات مخافة الثأر فقد كفر » . وفي محاضرات الراغب : « من قتل حية فخاف أثارها فعليه لعنة الله » .

(٣) ط : « إثارها » ب ، ب « اثارها » ، صوابهما ما أثبت من محاضرات الراغب (٢ : ٣٠٥) . وهي جمع ثأر . وانظر التنبيه السابق .

(٤) الربيع بن صبيح : بفتح المهملة ، السعدى البصرى ، صدوق سيبى الحفظ . قالوا : أول من صنف الكتب بالبصرة ، كان من كبار أتباع التابعين . توفي سنة ستين ومائة .

(٥) هو عطاء بن أبي مسلم ، أبو عثمان ، الخراساني . واسم أبيه ميسرة أو عبد الله . مات سنة خمس وثلاثين ومائة .

(٦) عبد الله بن عبيد بن عمير ، بتصغير الأخيرين ، من الطبقة الوسطى من التابعين ، استشهد غازيا سنة ١١٣ . وفي الأصل : « عبد الله بن عمر » . وليست تصح رواية ابن جريج عن عبد الله بن عمر فإن الأول ولد سنة ٨٠ على حين توفي عبد الله بن عمر سنة ٧٣ . والتصويب مما سبق في (٢ : ٢٩٣) .

أخبرني أبو الطفيل أنه سمع على بن أبي طالب رضى الله عنه يقول : « اقتلوا من الحيات ذا الطفيتين ^(١) ، والكلب الأسود البهم ^(٢) ذا الغرّتين ^(٣) » . قال : والغرة ^(٤) : حوة تكون بعينه .

(طعام بعض الحيوان)

قال صاحب المنطق : الطير على ضربين : أوابد وقواطع . ومنه ما يأكل اللحم لا يأكل غيره وإن لم يكن ذا سلاح . فأما ذو السلاح فواجب أن يكون طعامه اللحم . ومن الطير ما يأكل الحبوب لا يعذوها ، ومنه المشترك الطباع ؛ كالعصفور والدجاج والغراب ، فإنها تأكل النوعين جميعاً ، وكطير الماء ، يأكل السمك ويلقط الحب . ومنه ما يأكل شيئاً خاصاً ، مثل جنس النحل المعسل ^(٥) الذى غذاؤه شيء واحد ، وجنس العنكبوت ؛ فإن طعم النحل المعسل العسل ^(٦) ، والعنكبوت يعيش من صيد الذباب ^(٧) .

(١) الطفيتان ، بالضم : خطان أسودان على ظهر الحية .

(٢) البهم : الذى لا شية فيه .

(٣) فى الأصل : « القرنين » ، وهو تحريف صوابه ما أثبت . وانظر ما أسلفت فى (٢ : ٢٩٣) .

(٤) ط ، ب : « والقرة » س : « والقرة » صوابها ما أثبت . وانظر ما كتبت فى (٢ : ٢٩٣) .

(٥) المعسل : الذى يصنع العسل . وإنما قال ذلك لأن النحل قبل أن يصنع العسل ، يتخذ غذاؤه من مختلف أنواع الأزهار . ط : « المعسل » ، صوابه فى س ، هـ .

(٦) ط ، هـ : « فإن طعم النحل المعسل » س : « فإن طعم النحل المعسل » ، وقد جمعت بينهما .

(٧) هـ : « الذبان » .

(ماله مسكن من الحيوان)

ومن الحيوان ماله مسكنٌ ومأوى ؛ كالتلخد^(١) والفأر ، والنمل ، والنحل ، والضب . ومنه ما لا يتخذُ شيئاً يرجعُ إليه [كالحيات^(٢)] ؛ لأنَّ ذُكُورَ الحياتِ سيارَةٌ ، وإناثُها^(٣) إنما تُقيم في المكانِ إلى تمامِ خروجِ الفِرَاحِ من البيضِ ، واستغناء الفِرَاحِ بأنفسِها . ومنها ما يكونُ يأوى إلى شقوقِ الصُّخُورِ والحِيطانِ ، والمداخلِ الضيقة ، مثل سام أبرص . قال : والحياتُ تألفها كما تألفُ العقاربُ الخنافس . والعظايا تألف المزابيلَ والخراباتِ . والوزغُ قريبةٌ من النَّاسِ .

(زعم زرادشت في العظايا وسوام أبرص)

[وزعم^(٤)] زَرَادَشْتُ^(٥) أنَّ العظايا ليستُ من ذواتِ السُّمومِ ، وأنَّ سامَّ أبرصَ من ذواتِ السُّمومِ ، وأنَّ أهرمن^(٦) لما قعد ليقسيمَ السُّمومَ ،

- (١) التلخد ، بالضم ويفتح : ضرب من الفأر أعمى .
- (٢) ليست بالأصل . والسياق يقتضيها .
- (٣) في الأصل : « وإناها » . والوجه ما أثبت . وعند الدميري : « والذكر لا يقيم بموضع واحد . وإنما تقيم الأنثى على بيضها حتى تخرج فراخها وتقوى على الكسب » .
- (٤) ليست بالأصل .
- (٥) زرادشت : رجل ظهر في عهد كبيبشتاسب من ملوك الفرس الكيانيين ، ودعا إلى دين المجوسية ، وهو صاحب الأبيستا ، وشرحه : الزند بستا ، وقد ظهر قبل الإسكندر بنحو ثلثة سنة ، على ما في التنبيه والإشراف ٨٥ . وقد ظهر من بعده مزدك الموبذ ، فتأول الأبيستا ، وجعل لظاهرها باطناً ، واستخلص من ذلك الديانة المزدكية . في ط ، س : « درادشت » وب : « درادست » ، صوابه ما أثبت .
- (٦) أهرمن ، هو في مذهب زرادشت : رمز لقوة الشر ، كما أن (أرموزد) رمز لقوة الخير . وكان يرى أن الاثنين يظلمان في نزاع دائم ، حتى يتغلب أرموزد على أهرمن في نهاية الأمر . وبديل هذه الكلمة والتي قبلها في كل من ط ، هـ : « لانه » صوابه في س .

كَانَ الْحِظُّ الْأَوْفَرُ لِكُلِّ شَيْءٍ سَبَقَ إِلَى طَلْبِهِ ؛ كَالْأَفَاعَى ، وَالشَّعَابِينَ
وَالْجُرَّارَاتِ . وَأَنَّ نَصِيبَ الْوَزْغِ نَصِيبٌ وَسَطٌ قَصْدٌ ، لَا يَكْمُلُ أَنْ يَقْتُلَ ،
وَلَكِنَّهُ يَزَاقُ الْحَيَّةَ ^(١) ، فَتُمِيرُهُ ^(٢) مِمَّا عِنْدَهَا . وَمَتَى دَبَرَ ^(٣) الْوَزْغُ جَاءَ مِنْهُ
السَّمُّ الْقَاتِلُ ، أَسْرَعَ مِنْ سَمِّ الْبَيْشِ ، وَمَنْ لُعَابُ الْأَفَاعَى . فَأَمَّا الْعِظَايَةُ ^(٤)
فَلَمَّا احْتَبَسَتْ عَنِ الطَّلَبِ حَتَّى نَفِدَ السَّمُّ ، وَأَخَذَ كُلُّ شَيْءٍ قِسْطَهُ ، عَلَى
قَدْرِ السَّبْقِ وَالْبُكُورِ ، فَلَمَّا جَاءَتِ الْعِظَايَةُ وَقَدْ فَنِيَ ^(٥) السَّمُّ ، دَخَلَهَا مِنَ
الْحُسْرَةِ ، وَمِمَّا عَلَاهَا مِنَ الْكَرْبِ ، حَتَّى جَعَلَتْ وَجْهَهَا إِلَى الْخِرَابَاتِ
وَالْمَزَابِلِ . فَإِذَا رَأَيْتَ الْعِظَايَةَ تَمْشِي مَشْيًا سَرِيعًا ثُمَّ تَقِفُ ، فَإِنَّ تِلْكَ
الْوَقْفَةَ إِنَّمَا هِيَ لِمَا يَعْرِضُ لَهَا مِنَ التَّنْكِيرِ وَالْحُسْرَةِ عَلَى مَا فَاتَهَا مِنْ نَصِيبِهَا
مِنَ السَّمِّ .

(رَدُّ عَلَيْهِ)

وَلَا أَعْلَمُ الْعِظَايَةَ فِي هَذَا الْقِيَاسِ إِلَّا أَكْثَرَ شُرُورًا مِنَ الْوَزْغِ ؛ لِأَنَّهَا
لَوْلَا إِفْرَاطُ طَبَاعِهَا فِي الشَّرَارَةِ ^(٦) ، لَمْ يَدْخُلْهَا مِنْ قُوَّةِ الْهَمِّ مِثْلُ الَّذِي دَخَلَهَا

(١) يَزَاقُ الْحَيَّةَ : مِفَاعَلَةٌ ، مِنْ زَقَ الطَّائِرُ فَرَخَهُ : أَطْعَمَهُ . س ، ب : « يَزَاقُ »
صَوَابُهُ فِي ط .

(٢) مَارَهُ يَمِيرُهُ ، وَأَمَارَهُ يَمِيرُهُ : جَلَبَ الطَّعَامَ إِلَيْهِ . س : « فَيَمِيرُهُ » ، صَوَابُهُ
فِي ه ، ط .

(٣) دَبَرَ ، مِنْ بَابِ نَصَرَ : أَدْرَكَهُ الْهَرَمُ وَالشَّيْخُوخَةُ . وَمِنْهُ فِي الْكِتَابِ : « وَاللَّيْلُ
إِذَا دَبَرَ » ، فِي بَعْضِ الْقُرْآنِ .

(٤) الْعِظَايَةُ ، بِالْفَتْحِ : دَوِيَّةٌ كَسَامِ أَيْرَاصٍ . ط : « الْفِظَايَةُ » ، صَوَابُهُ فِي س ، ه .

(٥) ط ، ه : « قَتَى » بِالْقَافِ ، وَلَا وَجْهَ لَهُ . وَتَصْحِيحُهُ مِنْ س .

(٦) يُقَالُ شَرَّ يَشُرُّ وَيَشُرُّ شَرًّا وَشَرَارَةً ، فَهُوَ شَرِيرٌ — يَفْتَحُ الشَّيْنُ وَكَسَرَ الرَّاءَ —
وَشَرِيرٌ ، كَسَكَيْتَ .

ولم يستَبِنَ لِلنَّاسِ ^(١) من اغتباط الوزغ بنصيبه من السمِّ ، بقدر ما استبان من تُشكل العظاية ، وتسألها وإحضارها ^(٢) وبكائها وحزنها ، وأسفها على مافاتهما من السمِّ .

(زعم زرادشت في خلق الفأرة والسنور)

ويزعم زَرَادُشت ^(٣) ، وهو مذهبُ المجوس ^(٤) ، أنَّ الفأرةَ مِنْ خلقِ الله ، وأنَّ السَّنورَ مِنْ خلقِ الشَّيْطان ، وهو إبليس ، وهو أَهرَمَن ^(٥) . فإذا قيل له : كيف تقول ذلك والفأرةُ مُفسِدةٌ ، تجذبُ فتيلةَ المصباح فتحرق بذلك البيتَ والقبائلَ الكثيرةَ ، والمُدنَ العظامَ ، والأرباضَ الواسعةَ ، بما فيها من النَّاسِ والحيوانِ والأموالِ ، وتقرضُ دفاترَ العلمِ ، وكتبَ الله ، دقائقَ الحسابِ ، والصُّكَّالَ ^(٦) ، والشُّروطَ ؛ وتقرضُ الثَّيابَ ، وربما طلبتِ القُطنَ لنا كُلَّ بَزَرِهِ فتدعُ اللَّحافَ غُرْبالاً ، وتقرضُ الجُرْبَ ^(٧) ، وأوْكِيَةَ الأَسْقِيَةِ والأَزْقاقِ والقِرْبِ فتخرجُ جميعَ ما فيها ؛ وتقع في الآنيةِ

(١) في الأصل : « الناس » . وسياق القول يقتضى ما أثبت . واستبان بمعنى ظهر .

(٢) الإحضار : سرعة الجرى .

(٣) في الأصل : « زرادشت » وهو تحريف . وانظر ما سبق في ص ٢٩٦ التنبيه الخامس .

(٤) ذاك الزعم مذهب المجوس ؛ لأن زرادشت صاحب مذهبهم .

(٥) ط : « وهرمن » ، وتصحيحه وإكالة من س ، هـ . وانظر التنبيه السادس من صفحة ٢٩٦ .

(٦) الصك بمعنى الوثيقة ، معرب جك ، وهو بالفارسية : كتاب القاضي . وقيل : الصك عربي . شفاء الغليل .

(٧) الجرب ، بضمين وبضمة أيضاً : جمع جراب ، بالكسر ، وهو الثوعاء ، أو وعاء زاد المسافر .

وفى البئر ، فتموت فيه ، وتُخَوِّج النَّاسَ إِلَى مُوْنٍ عِظَامٍ ، وَرَبَّمَا عَضَّتْ
رِجْلَ النَّاسِ ؛ وَرَبَّمَا قَتَلَتِ الْإِنْسَانَ بَعْضَتَهَا . وَالْفَارُ (١) بِخُرَاسَانَ رَبَّمَا قَطَعَتْ
أُذُنَ الرَّجُلِ . وَجِرْدَانٌ أَنْطَاكِيَّةٌ تَعَجِزُ (٢) عَنْهَا السَّنَائِرُ ، وَقَدْ جَلَا عَنْهَا قَوْمٌ ١٠٠
وَكَرِهَهَا آخَرُونَ لِمَكَانِ جِرْدَانِهَا . وَهِيَ الَّتِي فَجَرَتِ الْمَسْنَةَ (٣) ، حَتَّى كَانَ
ذَلِكَ سَبَبَ الْخَسْرِ (٤) بِأَرْضِ سَبَأٍ ؛ وَهِيَ الْمَضْرُوبُ بِهَا الْمَثَلُ . وَسَيْلُ الْعَرَمِ مِمَّا
تَوَرَّخُ بَزْمَانُهُ الْعَرَبُ . وَالْعَرَمُ : الْمَسْنَةُ . وَإِنَّمَا كَانَ جِرْدَانُ
وَتَقْتُلُ النَّحْلَ وَالْفَسِيلَ (٥) ، وَتَحْرَبُ الضَّيْعَةُ ، وَتَأْتِي عَلَى أَرْزَمَةِ الرِّكَابِ
وَالْخُطْمِ (٦) ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَمْوَالِ .
وَالنَّاسُ رَبَّمَا اجْتَلَبُوا السَّنَائِرَ لِيُدْفَعُوا بِهَا بَوَائِقُ الْفَارِ (٧) — فَكَيْفَ
صَارَ خَلْقُ الضَّارِّ الْمَفْسِدِ مِنَ اللَّهِ ، وَخَلْقُ النَّافِعِ مِنَ الضَّرَرِ مِنْ
خَلْقِ الشَّيْطَانِ ؟ !

-
- (١) أَرَادَ بِالْفَارِ هُنَا الْجَمَاعَةَ . ط : « الْفَارُ » صَوَابُهُ نِي س ، ه .
(٢) ط : « تَفْجَرُ » ، تَصْحِيحُهُ مِنْ س ، ه .
(٣) الْمَسْنَةُ : السَّدُّ الَّذِي يَمْتَرِضُ بِهِ الْوَادِي لِنَتْنِظِيمِ تَدْفِقِ الْمِيَاهِ . وَفَجَرَ ، تَقَالُ بِالتَّخْفِيفِ
وَالْتَشْدِيدِ ، بِمَعْنَى جَعَلَهُ يَنْفَجِرُ وَيَسِيلُ .
(٤) الْخَسْرُ : مَصْدَرُ حَسَرَ الْمَاءَ عَنِ الْأَرْضِ : نَضَبَ حَتَّى يَدَامَاتَحْتَهُ . وَجَاءَ فِي مَعْجَمِ
الْبُلْدَانِ (بِرِسْمِ مُارِبٍ) : « وَجَاءَ السَّيْلُ بِالرَّمْلِ فَطَمَهَا » . وَطَمَهَا : مِنْ قَوْلِهِمْ :
جَاءَ السَّيْلُ فَطَمَ الرِّكِيَّةَ : أَيْ دَفَنَهَا وَسَوَاهَا . ط : « الْخَسْرُ » بِالْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ .
وَأُثْبِتَ مَا فِي س ، ه .
(٥) الْمَسِيلُ : جَمْعُ فَسِيلَةٍ ، وَهِيَ النَّخْلَةُ الصَّغِيرَةُ . س : « النَّحْلُ وَالْمَسِيلُ » ، صَوَابُهُ
فِي ط ، ه .
(٦) الرِّكَابُ ، بِالْكَسْرِ : الْإِبِلُ . وَالْأَرْزَمَةُ : جَمْعُ زِمَامٍ . وَهُوَ مَقْوَدُ الْبَعِيرِ . وَالْخُطْمُ :
جَمْعُ خُطَامٍ ، وَهُوَ مَا يُوضَعُ عَلَى مِخْطَمِ الْبَعِيرِ لِيُقَادَ بِهِ . وَفِي الْأَصْلِ : « عَلَى أَقْرَحَةِ
الرِّكَابِ وَالْخُسْرِ » . وَهِيَ عِبَارَةٌ لَا تَنْجُ . وَالصَّوَابُ مَا أُثْبِتَ .
(٧) بَوَائِقُ : جَمْعُ بَائِقَةٍ ، وَهِيَ الدَّاهِيَةُ ، أَوْ الشَّرُّ .

والسُّنُورُ يُعَدَّى به على كلِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ الشَّيْطَانُ^(١) من الحَيَّاتِ ،
والعقارب ، والجعلان ، وبناتِ وِردان . والفأرةُ لا نَفَعَ^(٢) لها . ومُوْنِها
عظيمة .

قال : لَأَنَّ السُّنُورَ لو بالَ في البحرَ لَقَتَلَ عَشْرَةَ آلَافِ سمكة !
فهلْ سمعتَ بِحُجَّةٍ قَطُّ ، أو بِحيلةٍ ، أو بأضحوكةٍ ، أو بكلامٍ ظهر على
تفقيح مرة^(٣) ، يبلغُ مُوْنُ هذا الاعتلال ؟ !
فالحمد لله الذي كان هذا مقدارَ عقولهم واختيارهم^(٤) .
وأنشد أبو زيد :

والله لو كُنْتُ لهذا خالِصاً لَكُنْتُ عبداً آكل الأبارصا^(٥)
يعنى جماع^(٦) سام أبرص : أبرص .

(١) هذا مجازة من الجاحظ للمجوسى الذى يعارضه .

(٢) فى الأصل : « لا تقع » .

(٣) كذا . والمبارة غير واضحة .

(٤) ظن بعض الناس أن مثل هذا التركيب فاسد ؛ لا نعدم الرابط فى الصلة ، ومنهم
الحريرى فى درة القوص ١٠٠ . وقد رد عليه الخفاجى فى الشرح ٢٠٩ بأن
حذف الرابط فى مثل هذا جائز ، كما هو معروف فى كتب النحو . فالتقدير هنا :
الذى كان هذا منه . . . الخ .

(٥) يصح أن تقرأ : « آكل » قراءة الفعل ، فتكون فعلا مرفوعا . وتجاوز أيضاً
أن تقرأ « آكل » قراءة اسم الفاعل المنصوب ، مع حذف التنوين كما جاء
حذفه فى قوله :

فألفيته غير مستعجب ولا ذاكر الله إلا قليلا

بنصب لفظ الجلالة ، وحذف التنوين مما قبله . انظر ابن السيد فى

الاقتضاب ٣٥٥ .

(٦) الجماع ، بالكسر ، بمعنى الجمع .

(أثر أكل سام أبرص ونحوه)

وسام أبرص ربما قتلَ أكله^(١) ، وليس يؤكل إلا من الجوع الشديد .
وربما قتلَ السنابير وبنات عرس ، والشاهمرك ، وجميع اللقّاطات^(٢) .
وقال آخر^(٣) :

كَانَ الْقَوْمَ عَشُوا لَحْمَ ضَانٍ فَهُمْ نَعِجُونَ قَدْ مَالَتْ طَلَاهِمُ^(٤)
وهو شيء يعرض عن أكل دسم الضأن ، وهو أيضا يلقى على دسمه^(٥)
النعاس . وقد يفعل ذلك الحبق^(٦) ، والحشخاش .

[والحشخاش^(٧) يسمى بالفارسية « أنار كَبُو »^(٨) ، وتأويله رمان الخس .
وإنما اشتق له ذلك إذ كان يورث النعاس ، كما يورثه الخس .

- (١) يصح قراءتها على المصدرية ، أو على أنها اسم فاعل : (أكله) و : (آكله) .
(٢) أى الحيوان الذى يلتقط غذاءه . ط : « الفاهات » ، صوابه ما أثبت من س ، هـ .
(٣) هو ذو الرمة ، كما فى لسان العرب (مادة نعج) .
(٤) فى المخصص (٥ : ٨٠) : « فان أكل لحم ضأن فتقل على قلبه فهو نعج » . ومثل هذا النص فى فقه اللغة ١٣٩ طبعة الحلبي ، ولسان العرب (نعج) ، مع رواية البيت فى كل منها ، وفى الأصل : « يعجون » بالباء ، وهذه الرواية مع احتمال صحتها لا تصلح مع تعقيب الجاحظ للبيت بما سيق من الكلام . والجمع : المتسع البطن .
والطل ، بالضم : الأعناق ، جمع طلية بالضم . وإنما مالت طلاه لما غلب عليه من النوم . س : « كلام » وهو تحريف . وانظر (٥ : ٤٧٩) .
(٥) كذا فى ط ، هـ . وفى س : « رسمه » ، ولعل صوابهما : « يلقى عن دسمه » .

- (٦) الحبق ، بالتحريك : ضرب من الرياحين .
(٧) هذه الكلمة الفارسية ، مركبة من مقطعين ، أحدهما (أنار) ومعناه الزهر . ويقال فيه أيضاً (نلر) . ومته (جلنار) بمعنى زهر الرمان . و (جل) بمعنى زهر =

(أكل السمائي)

وأكل الطعام الذى فيه سمائي يورث الدوار . وزعموا أن صبيًا من الأعراب فيما مضى من الدهر ، ضاد هامة^(١) على قبر ، فظنها سمائي ، فأكلها فغثت نفسه ، فقال :

• نفسى تَمَقَّسُ مِنْ سُمَائِي الْأَقْبَرِ^(٢) •

(استطراد لغوى)

ويقال : غثت نفسه غثياناً وغثياً^(٣) ، ولقيست تلقسُ لقساً ، وتمقست^(٤) تتمقسُ تمقسا : إذا غثيت^(٥) .

(أكل الأعراب للحيات)

وأخبرني صباح بن خاقان ، قال : كنت بالبادية ، فرأيت ناساً حول نارٍ فسألت عنهم ، فقالوا : قد صادوا حياتٍ فهم يشوونها ويأكلونها ، إذ نظرتُ إلى رجلٍ منهم ينهش حيةً قد أخرجها من الجمر ، فرأيتُه إذا

= والثاني (كبو) . ومعناه الخس . وفيه لغات : (كبيو ، كيبو ، كيو ، جيو) .

وهذه الكلمة محرفة في الأصل . فهي في ط ، هـ : «أباركو» وفي س : «أياركو» . واعتبرت في تصحيحها على معجمي بالمروزي وريتشاردسن .

(١) الهامة : ضرب من اليوم .

(٢) الأقبر : جمع قبر . والخبر في اللسان (مقس) بصورة أخرى .

(٣) س : « غثت نفسه غثياناً وغثياً » بالعين المهملة في الكلمة الأولى والثانية ، والمعجمة في الثالثة . صوابه في ط ، هـ .

(٤) في الأصل : « وتمقس » . والوجه ما أثبت .

(٥) س : « غثيت » بحرف .

امْتَنَعَتْ عَلَيْهِ يَمْدُهَا كَمَا يُمَدُّ عَصَبٌ لَمْ يَنْضَجْ . فَمَا صَرَفْتُ بَصْرِي عَنْهُ حَتَّى لَبِطَ
 بِهِ ^(١) ، فَمَا لَيْسَتْ أَنْ مَاتَ ، فَسَأَلْتُ عَنْ شَأْنِهِ ، فَقِيلَ لِي : عَجَّلْ عَلَيْهَا قَبْلَ ١٠١
 أَنْ تَنْضَجَ وَتَعْمَلَ النَّارَ فِي مَتْنِهَا .

(أَكَلُ الْحَوَائِنِ لِلْحَيَاتِ)

وَقَدْ كَانَ فِي بَغْدَادَ فِي الْبَصْرَةِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْحَوَائِنِ ، يَأْكُلُ أَحَدُهُمْ أَىَّ
 حَيَّةٍ أَشْرَتْ إِلَيْهَا فِي جُودَتِهِ ، غَيْرَ مَشْوِيَّةٍ . وَرَبَّمَا أَخَذَ الْمَرَارَةَ ^(٢) وَسَطَ
 رَاحَتِهِ ، فَلَطَعَهَا بِلِسَانِهِ ، وَيَأْكُلُ عِشْرِينَ عَقْرَبَانَةً ^(٣) نِيَّةً ^(٤) بِدَرَاهِمٍ . وَأَمَّا
 الْمَشْوِيُّ فَإِنَّ ذَلِكَ عِنْدَهُ عُرْسٌ ^(٥) .

(شَعْرُ فِي الْحَيَاتِ)

وَقَالَ كَثِيرٌ :

وَمَا زَالَتْ رُقَاكَ تَسْلُ ضِغْنِي فَتُخْرِجُ مِنْ مَكَامِنِهَا ضِيبَانِي ^(٦)
 وَتَرْقِيَنِي لَكَ الْحَاوُونَ حَتَّى أَجَابَتْ حَيَّةٌ خَلْفَ الْحِجَابِ ^(٧)

(١) لَبِطَ بِهِ : صَرَعَ . وَفِي الْأَصْلِ : « لَبِطَ بِهِ » ، بِالْيَاءِ ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) أَى مَرَارَةِ الْحَيَّةِ ، أَوْ لَعْلَهَا « الْجَرَارَةُ » هـ : « النَّوَاهُ » مَحْرَقَةٌ .

(٣) كَذَا فِي الْأَصْلِ . وَلَعْلَهَا : « عَقْرَبَا » .

(٤) النَّيْءُ بِالْكَسْرِ وَالْهَمْزُ : اللَّحْمُ الَّذِي لَمْ يَنْضَجْ . وَفِي اللَّسَانِ : « وَقَدْ يَتْرَكَ الْهَمْزُ

وَيَقْلَبُ يَاءً ، فَيَقَالُ : فَيَ ، مُشَدَّدًا » . فَهُوَ هُنَا صَوَابٌ . وَانْظُرْ (٥ : ٣٥٦) .

(٥) الْعُرْسُ ، بِالضَّمِّ وَبِضْمَتَيْنِ : طَعَامُ الْوَلِيَّةِ .

(٦) س : « وَتَخْرِجُ » . وَفِي الْأَصْلِ : « مِنْ مَكَانِهَا » ، مَحْرَفٌ . وَانْظُرْ مَا سَبَقَ

فِي ص ٢٥٠ .

(٧) انْظُرْ مَا أَسْلَفْتُ مِنَ السَّكَلَامِ عَلَى هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ فِي ص ٢٥٠ .

وقال أبو عدنان^(١) ، وذكر ابن ثروان^(٢) الخارجي ، حين [كان]

صار إلى ظهر البصرة ، وخرج إليه من خرج من بني ثُمير :

حَسِبْتَ ثُمِيرًا يَا ابْنَ ثَرَوَانَ كَالْأَلَى لَقَيْتَهُم بِالْأَمْسِ : ذُهْلًا وَيَشْكُرًا^(٣)

كما ظَنَّ صَيَّادُ الْعَصَافِيرِ أَنَّ فِي

بَجَمِيعِ الْكُؤَى ، جَهْلًا ، فِرَاحًا وَأَطِيرًا^(٤)

فَأَدْخَلَ يَوْمًا كَفَّهُ جُحْرَ أَسْوَدٍ فَشَرَّشَرُهُ بِالْنَّهَشِ حَتَّى تَشَرَّشَرًا^(٥)

أَرَادَ قَوْلَ رُؤْيَةَ :

كُنْتُمْ كَمَنْ أَدْخَلَ فِي جُحْرِ يَدَا فَأَخْطَأَ الْأَفْعَى وَلَا تَقِ الْأَسْوَدَا

لَوْ مَسَّ حَرْفُ حَجَرٍ تَقْصِدًا^(٦) . بِالشَّمِّ لَا بِالسِّمِّ مِنْهُ قَصْدًا^(٧)

فَقَدَّمَ الْأَسْوَدَ عَلَى الْأَفْعَى . وَهَذَا لَا يَقُولُهُ مَنْ يَعْرِفُ مَقْدَارًا^(٨)

سُمُّ الْحَيَاتِ .

(١) سبقت ترجمته في (١ : ١٨٤) . هـ : « أبو صحنان » ، محرف .

(٢) في الأصل : « أبا ثروان » . وأثبت ما يقتضيه الشعر الآتي .

(٣) ط ، هـ : « حسبت غيرا » ، صوابه في س . وذهل ويشكر : قبيلتان .

(٤) الكؤى ، بالضم : جمع كوة بالضم ، وهى الحرق فى الحائط .

(٥) شرشره : قطعه تقطيعاً .

(٦) يقال قصده فتقصده : أى كسره فتكسر . وفى الأصل : « تفصده » ، وتفصده بمعنى سال

لا وجه له هنا .

(٧) كذا فى ط ، هـ فىكون المراد بهذه قصد الحجر — بالقاف — بمعنى كسره وفى

س : « أقصدا » ، من أقصده الحية : بمعنى قتلته مكانه .

(٨) س : « أقدار » . وانظر نقد هذا المعنى فى الصناعتين ٨٨ والوساطة ١٧

والشعراء ٥٧٩ هـ .

وقال عنتره :

حَلَفْنَا لَهُمْ وَالْخَيْلُ تَرْدِي بِنَا مَعًا نَزَائِلُكُمْ حَتَّى تَهْرُوا الْعَوَالِيَا^(١)
عَوَالِي سُمْرٍ مِنْ رِمَاحِ رُدَيْنَةٍ هَرِيرِ الْكِلَابِ يَتَّقِينَ الْأَفَاعِيَا^(٢)

(حديث في الحية)

وقال النبي ﷺ عليه وسلم : « اتَّقُوا ذَا الطَّفَيْتَيْنِ وَالْأُبْتَرَ » .
شبهه الخيطين على ظهره بخوص المقل^(٣) وأنشدت لأبي ذؤيب :
عَفَّتْ غَيْرَ نُؤْيِ الدَّارِ لَا يَأْ أُبَيْنُهُ وَأَقْطَاعَ طُفْيٍ قَدَعَفَتْ فِي الْمَاعِلِ^(٤)

(١) ردت الخيل تردى : رجعت الأرض بخوافرها . نزائلكم ، أى لا نزائلكم .
فحذف الناقى . وهو جائز مع القمم . وفى الكتاب : « تالله تفتؤ تذكر يوسف »
أى لا تفتؤ . وقال امرؤ القيس :

فقلت يمين الله أبرح قاعدا ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى
وانظر لهذه المسألة المخصص (١٣ : ١١٥) وأمالى المرتضى (٣ : ١٣٧)
والأضداد ١٤٨ والصناعتين ١٧٦ . ويقال : هرت إليه الكلاب وهرته : أى نبحته .
انظر أساس البلاغة . والعوالى ، رموس الرماح . وليس المعنى أنهم ينبحونها ،
ولكنه يريد إظهارهم بغضها والخوف منها . والكلب إذا خاف شيئا نبجه ، حتى
إنه لينبح السحاب مما يلق منه من أذى المطر . انظر (٢ : ٧٣ - ٧٤) .

(٢) سمر : أى رماح سمر . وروى فى الديوان والكمال ١٧٥ ليسك : « عوالى زرقا »
فتكون زرقا صفة للعوالى ، أى أسنة زرقا . والسنان الأزرق هو الشديد الصفاء ،
فكانه مرآة ينطبع فيها لون السماء . والبهتان من قصيدة لعنترة يقولها فى يوم
(الفروق) ، وهو يوم كان لبنى عيس على بنى سعد بن زيد نامة ، ومطلع القصيدة :
ألا قاتل الله الطلول البواليا وقايل ذكراك السنين الخواليا

(٣) انظر ما أسلفت فى ص ٢٩٥ .

(٤) النؤى : حفير حول الخباء أو الخيمة يمنع السيل ، والأقطاع : جمع قطع ، بالكسر
يعنى المقطوع . والمعاقل : جمع معقل ، كيجلس ، وهو المكان تعقل فيه الإبل -

والطُّفَى^(١) : خُوص المقل .

وهم يَصِفُونَ بَطْنَ المِرْأَةِ الهِفَاءِ الحَمِيصَةِ البَطْنِ ، ببطن الحَيَّة . وهى^(٢)

الأيمن . وقال العجَّاج :

* وَبَطْنَ أَيْمٍ وَقَوَامًا عُسْلَجًا^(٣) *

(مناقضة شعرية)

وقال أدهم بن أبي الزَّعرَاء^(٤) ، وشبَّه نفسه بِحَيَّة :

١٠٢ وما أسودُّ بالبأس تَرْتَاحُ نَفْسُهُ إِذَا حَلَبَةٌ جَاءَتْ وَيُطْرَقُ لِلْحِسِّ

بِهِ نَقْطُ حَمْرٍ وَسُودٌ كَأَنَّمَا تَنْضَحُ نَضْحًا بِالكُحَيْلِ وَبِالْوَرَسِ^(٥)

= أى تشد ، وفى الأصل : « المعالف » وهو خطأ ؛ إذ أن البيت من قصيدة لامية ، مطلعها :

لمن طلل بالمنتضى غير حائل عفا بعد عهد من قطار ووابل
انظر اللسان (طنى) ومعجم البلدان (المنتضى) . و يروى أيضاً : « فى المنازل » ، و : « فى المنازل » كما فى اللسان .

(١) جمع طفية بالضم ، وتجمع أيضاً على طنى بضم ففتح . قال (انظر اللسان) :
وهم يذلونها من بعد عزتها كما تذل الطنى من رقية الراقي
أى ذوات الطنى ، بمعنى الحيات .

(٢) س : « وهو » ، والحية تذكر وتؤنث .

(٣) قوام عسلج ، بضم العين واللام ، أى ناعم ينثى ويميل .

(٤) أدهم بن أبي الزعراء الطائى ، شاعر محسن ، له أشعار جياذ فى أوصاف الحيات ،

كما ذكر ذلك الأمدى فى المؤتلف والمختلف ٣١ . وهو من شعراء الحماسة .

وهو كذلك شاعر إسلامى له شعر فى وقعة المنهب ، التى كانت فى أيام مروان

ابن محمد آخر خلفاء بنى أمية . انظر شرح التبريزى (٢ : ٨٢) . وفى ط :

« أدهم بن أبي الزبيرى » و س : « أدهم بن أبي الزبيرى » . و ه : « ابن

أبي الزبيرى » ، والصواب فى ذلك ما أثبت .

(٥) الكحيل ، بهيئة التصغير : القطران يطل به الإبل ، وهو أسود اللون .

والورس ، بالفتح : نبت يصبغ به ، فيعطى صفرة إلى حمرة .

أَصْمُ قَطَارِيٌّ يَكُونُ خُرُوجُهُ قُبَيْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ مُخْتَلِطَ الدَّمَسِ (١)
 له منزلٌ ، أنفُ ابنِ قِترَةَ يَغْتَنِذِي بِهِ السَّمَّ ، لم يظهر نهاراً إلى الشَّمْسِ (٢)
 يَقِيلُ إِذَا مَا قَالَ بَيْنَ شَوَاهِقِ تَزَلُّ الْعُقَابُ عَنْ نَفَائِفِهَا الْمَلَسِ (٣)
 بِأَجْرًا مَنِيَّ يَا ابْنَةَ الْقَوْمِ مُقَدِّمًا (٤) إِذَا الْحَرْبُ دَبَّتْ أَوْلَيْسَتْ لَهَا لَيْسَى (٥)
 فَأَجَابَهُ عَنَتَرَةُ الطَّائِي (٦) ، فَقَالَ :

عَسَاكَ تَمْنَى مِنْ أَرَاقِمِ أَرْضِنَا بِأَرْقَمٍ يُسْقِي السَّمَّ مِنْ كُلِّ مَنَظَفٍ (٧)

(١) قطارى ، بالضم : يقطر سمي من كثرته ، أو ضخم . مختلط الدمس : أى عند اختلاط الظلام . وروى هذا البيت فى اللسان (قطر ١٨) منسوباً إلى تأبط شرا برواية :

* بعيد غروب الشمس مختلف الرمس *

(٢) ابن قتره ، بكسر القاف وإسكان التاء : حية خبيثة إلى الصغر ، تنطوى ثم تنقز ذراعاً أو نحوها ، لا تجرى . ط ، هـ : « ابن قتره » س : « ابن قتره » صوابهما ما أثبت . يقول : إن تلك الحية الصغيرة الخبيثة تقصد إلى منزل ذلك الأسود فتغتنذى بأنفها السم . و : « به » بمعنى منه ، وفى الكتاب : « عينا يشرب بها عباد الله » ، أى يشرب منها .

(٣) قال : أمضى وقت القائلة ، أى الظهر . والشوايق : الجبال العالية . والنفائف جمع نفنف ، بفتح النونين ، وهو صقع الجبل الذى كأنه جدار مبنى مستو .

(٤) مقدما ، بضم الميم وفتح الدال ، أى إقديماً . ويصح أن يقرأ « مقدما » بضم الميم وكسر الدال ، نصب على الحال .

(٥) اللبس ، بالكسر : ما يلبس ، والمراد لباس الحرب : من الدرع والبيضة ونحوهما . ط ، هـ : « ليس » صوابه فى س .

(٦) هو عنترة بن عكبرة الطائى ، وعكبرة أم أمه ، وهو عنترة بن الأخرس بن ثعلبة . وساق نسبه الأمدى فى المؤلف ١٥٢ قال : « شاعر محسن وفارس » . والبيت الآتى من أبيات خمسة فى الحماسة (٢ : ٣٨١) . وفى الأصل : « عنترة الصابى » وتصحيحه من المؤلف وشرح التبريزى للحماسة (١ : ١١٨) .

(٧) تمنى ، أراد يقدر لك ، منى الله له الشيء : قدره . ولم أر تضعيف هذه النون إلا فى هذه الرواية . ورواية الحماسة ، وكذا محاضرات الرغاب (٢ : ٣٠٥) . « لعلك تمنى » . والمنظف : الموضع ينظف منه السم ، أى يقطر . وروى : « أنظف » على وزن أفعّل ، قال للتبريزى (٤ : ١٥١) . « وأفعّل يوضع موضع فعل وفاعل » . ونظف يقال من بابي نصر وضرب .

(شعر في الأسود)

وقال عنترة :

أترجو حياة يا ابن بشر بن مُسهرٍ وقد علقت رجلاك في ناب أسودا
أصمَّ جبالي^(١) إذا عضَّ عضَّةً تزايلَ عنه جلده فتبددا^(٢)
يسلَّع صفًا لم يبدُ للشمس قبلها إذا ما رآه صاحب اليمِّ أرعدا^(٣)
له رِبْقَةٌ في عنقه من قيصه وسائرُه عن متنيه قد تقددا^(٤)
رُقودٍ ضحيَّاتٍ ، كأنَّ لسانه إذا سمع الإجراس مكحالُ أرمدًا^(٥)
يُفِيتُ النفوسَ قبل أن يقع الرُّقى وإن أبرق الحاوي عليه وأرعدا^(٦)

(١) كذا . ويقال للحية : « ابنة الجبل » . ورواية اللسان (مادة قطر) : « قطارى » بمعنى ضخم .

(٢) رواية اللسان : « تزيل أعلى جلده فتريدا » .

(٣) السلع ، بالفتح والكسر : الشق . واليم : البحر . وفي اللسان (سلع) : « راكب » بدل « صاحب » . وأرعد ، بالبناء للمجهول : أصابته الرعدة .

(٤) الرِبْقَةُ ، بالكسر : الحبل . وقيصه : جلده المنسلخ . والمتن : الظاهر .

(٥) يقول : هو يتنام في الضحى ، وذلك من شأن الحيات ، وإنما تستيقظ في الظلام . والأجراس : جمع جرس ، بالفتح . وهو الصوت . وتقرأ أيضاً : « الإجراس » بالكسر ، وهو التصويت . ومكحال الأرمد : ما يكتحل به . وجعل لسانه كالملكحال في دقته ، وفي سواده أيضاً . ومكحال الأرمد أشد سوادا من غيره ؛ لكثرة ما يستعمل .

ومن طريق ما جاء في وصف لسان الحية بالسواد ، قول الآخر :

كأنما لسانه على فيه دخان مصباح ذكت ذواكيه

قال أبو العباس ثعلب : « يقال إنه لم يسمع في صفة الحية أحسن من هذا البيت » . انظر ديوان المعاني (٢ : ١٤٦) . وقد سبق الكلام على لسان الحية في ١٦٣ .

(٦) يفيت النفوس : يميته موت الفجاءة . و « يقع الرق » كذا في الأصل . ولعلها : =

(شعر في الحية)

وقال آخر :

لَا يَنْبُتُ الْعُشْبُ فِي وَادٍ تَكُونُ بِهِ ^(١) وَلَا يَجَاوِرُهَا وَحْشٌ وَلَا شَجَرٌ
رَبْدَاءُ شَابِكَةُ الْأَنْيَابِ ذَابِلَةٌ يَنْبُو، مِنَ الْيُبْسِ، عَنْ يَافُوخِهَا الْحَجَرُ ^(٢)
لَوْ سَرَّحْتَ بِالْتَدَى مَا مَسَّهَا بَلَلٌ وَلَوْ تَكَنَّفَهَا الْحَاوُونَ مَا قَدَرُوا ^(٣)
قَدْ حَاوَرُوهَا فَمَا قَامَ الرُّقَاةُ لَهَا وَخَاتَلُوهَا فَمَا نَالُوا وَلَا ظَفِرُوا ^(٤)
تَقْصِدُ الْوَرَلَ الْعَادِي بِضَرْبَتِهَا نَسْكَزًا، وَيَهْرُبُ عَنْهَا الْحَيَّةُ الذَّكْرُ ^(٥)

- = « يسمع الرق » . وأبرق وأرعد : تهدد وأوعد ، بما يتلو من العزائم .
- (١) تكون به : أى تكون تلك الحية به . وليس يعنى أنها تمنع العشب من أن ينبت ، ولكنه يريد أنها تختار موضعها في القفر .
- (٢) ربداء : من الربداء ، وهى الغبرة . شابكة : مشبكة . س ، هـ : « شائكة » وانظر ما سبق في ص ٢٨١ س ٥ . وذابلة : دقيقة . ويعرض للحية الدقة عند الكبر فيكون ذلك أشد لسمها . ينبو : يرتد . س : « يافوخة » ، صوابه في ط ، هـ . واليافوخ : ملتقى عظم مقدم الرأس ومؤخره .
- (٣) يقول : ينزلق عنها التدى لملاستها ، ولو أحاط بها الحاوون ليستخرجوها من جحرها ما أمكنهم ذلك . والحيات الخبيثة لا تستجيب لدعوة الراقي .
- (٤) خاتلوها : خادعوها . س ، هـ : « فاناوا » ، صوابه في ط .
- (٥) الورل : حيوان من الزحافات طويل الأنف والذنب دقيق الخصر لا عقد في ذنبه كعقد ذنب الضب ، وهو أطول من الضب وأقصر من التماسح : Varanus والبادى : الذى يعدو ، أى يجرى . تقصده : تقطعه وتقصله تفصيلا . انظر اللسان (قصد) وما سبق في ص ٣٠٤ . ط ، هـ : « تقصر » ، س : « تذكر » ، والوجه ما أثبت . والنكر : طعن الحية الحيوان بأنفها .

جملة القول في الظلم

فَمَا فِيهِ مِنَ الْأَعَاجِيبِ أَنَّهُ يَغْتَذِي الصَّخْرَ ، وَيَتَلَعُ الْحِجَارَةَ ، وَيَعْمِدُ إِلَى الْمَرْوِ ، [وَالْمَرْوُ] مِنَ الْحِجَارَةِ الَّتِي تُوصَفُ بِالْمَلَّاسَةِ ؛ وَيَتَلَعُ الْحَصَى ، وَالْحَصَى أَصْلَبُ مِنَ الصَّخْرِ ، ثُمَّ يُجْمِعُهُ وَيُذْيِبُهُ فِي قَانَصَتِهِ ^(١) ، حَتَّى يَجْعَلَهُ كَالْمَاءِ الْجَارِي . وَيَقْصِدُ إِلَيْهِ وَهُوَ وَاثِقٌ بِاسْتِمْرَائِهِ وَهَضْمِهِ ، وَأَنَّهُ لَهُ غَدَاءٌ وَقِوَامٌ . وَفِي ذَلِكَ أَعْجُوبَتَانِ : إِحْدَاهُمَا التَّغَذَّى بِمَا لَا يُتَغَذَّى ^(٢) بِهِ . وَالْأُخْرَى : اسْتِمْرَاؤُهُ وَهَضْمُهُ لِلشَّيْءِ الَّذِي لَوْ أُلْقِيَ فِي شَيْءٍ ثُمَّ طَبَخَ أَبَدًا مَا انْحَلَّ وَلَا لَانَ . وَالْحِجَارَةُ هُوَ الْمَثَلُ الْمَضْرُوبُ فِي الشَّدَّةِ . قَالَ الشَّاعِرُ :

* حَتَّى يَلِينُ لِضُرْسِ الْمَاضِغِ الْحَجَرُ *

وَقَالَ آخِرُ ^(٣) :

مَا أَطْيَبَ الْعَيْشَ لَوْ أَنَّ الْفَقِيَّ حَجَرَ تَنْبُو الْخَوَادِثُ عَنْهُ وَهُوَ مَلُومٌ ^(٤)
وَوَصَفَ اللَّهُ قُلُوبَ قَوْمٍ ^(٥) بِالشَّدَّةِ وَالْقَسْوَةِ ، فَقَالَ : ﴿ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ .
أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ ، وَقَالَ فِي التَّشْدِيدِ : ﴿ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ ^(٦) .

(١) فِي الْأَصْلِ : « مِنْ قَانَصَتِهِ » .

(٢) يَدُلُّهُ فِي س : « بِمَا لَا يَغْنُو » .

(٣) هُوَ تَمِيمُ بْنُ أَبِي مِقْبَلٍ ، كَمَا فِي دِيْوَانِهِ ٢٧٣ وَشَرَحَ شَوَاهِدَ الْمَغْنَى ٢٢٧ .

(٤) الْحَجَرُ الْمَلُومُ : هُوَ الْمُجْتَمِعُ الشَّدِيدُ .

(٥) هُمُ بَنُو إِسْرَائِيلَ . انْظُرِ الْآيَةَ الرَّابِعَةَ وَالسَّبْعِينَ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ .

(٦) وَقَعَ تَحْرِيفٌ فِي هَذِهِ الْآيَةِ فِي النُّسخِ الثَّلَاثِ . فِي ط : « النَّار » وَفِي س : هـ : « نَار » . وَهَذِهِ الْآيَةُ هِيَ السَّادِسَةُ مِنْ سُورَةِ التَّحْرِيمِ : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غُلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ » . وَفِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ أَيْضًا : « فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ » .
بِالْآيَةِ ٢٤ .

لأنه حين حذر الناس أعلمهم أنه يُلقَى العصاة في نارٍ تأكلُ الحجارة .
ومن الحجارة ما يتخذها الصفارون^(١) عِلاَةً^(٢) دونَ الحديد ؛ لأنه
أصبرُ على دقِّ عِظامِ المطارق والْفِطِيسَاتِ^(٣) .
فجوفُ النِّعامة يُذيب هذا الجوهر الذي هذه صفته .

(شواهد لأكل النعام الحصى والحجارة)

وقال ذو الرِّمَّة :

أَذَاكَ أُمُّ خَاضِبٍ بِالسَّيِّئِ مَرَّتُهُ أَبُو ثَلَاثِينَ أَمْسِي وَهُوَ مُنْقَلِبٌ^(٤)
شَخْتُ الْجَزَارَةِ مِثْلُ الْبَيْتِ سَائِرُهُ مِنْ الْمُسَوَّحِ خَدْبٌ شَوْقَبٌ خَشَبٌ^(٥)

(١) الصفارون : جمع صفار ، وهو من يعمل الصفر ، وهو بالضم : النحاس الجيد أو
الأصفر . ط ، هـ : « الصائغون » ، والوجه ما أثبت من س ؛ إذ أن السياق يأبى ما في ط ، هـ .
(٢) العِلاَة ، بالفتح : السندان ، وهو بالفتح ما يطرق عليه الحديد ونحوه .

(٣) جمع فطيس ، كسكيت ، وهي المطرقة العظيمة . ط : « الفطيسات » س :
« الفطيسات » ، صوابهما ما أثبت من هـ .

(٤) أذاك : يقول أذاك الثور يشبه ناقى أم خاضب صفته كذا وكذا . والخاضب :
الظلم ، أى ذكر النعام ، الذى أحرقت ساقاه . والسى بكسر السين بعدها ياء
مشددة : ما استوى من الأرض . وجاء فى الأصل بالهمزة ، صوابه فى اللسان
(سى) والمخصص (٨ : ٥٢) وأما فى القالى (٣ : ١٦٤) وديوان ذى الرمة
ص ٢٨ كبرذج . أبو ثلاثين : أى أبو ثلاثين فرخا . والنعام يبيض نحو العشر فا
فوقها ، فأراد بالثلاثين أنه قد حضن أبطنا فعرف ما يصلح البيض وما يفسده ،
فهو حينئذ ينتهى من الرعى يهرع إلى أدحيته . وقال : أمسى ، ليعبر عن جده
فى الحاق قبل الليل ، ولأنه يكون فى ذلك الوقت قد رعى فاشتدت قوته .
منقلب : منصرف . ط ، هـ : « وذاك » ، صوابهما فى س والمخصص والأمالى
والديوان . ط : « مرتمة » صوابه فى جميع المصادر . ط ، هـ : « فهو
منقلب » ، وهى رواية المخصص أيضاً .

(٥) شخت الجزيرة : أى دقيق القوائم . والجزارة ، بالضم : أجر الجزيرة ، كالعالة أجر
العامل . وكانوا يأخذون القوائم فى أجرة الجزار فسميت القوائم جزارة . مثل =

كَانَ رَجُلِيهِ مِسْمَا كَانَ مِنْ عَشْرِ صَقْبَانَ لَمْ يَتَقَشَّرْ عَنْهُمَا النَّجَبُ (١)
أَلْهَاهُ آءٌ وَتَنُومٌ ، وَعُقْبَتُهُ مِنْ لَائِحِ الرُّو ، وَالْمَرْعَى لَهُ عُقْبُ (٢)

وقال أبو النُّجُم :

وَالْمَرْوُ يُلْقِيهِ إِلَى أَمْعَائِهِ (٣) فِي سَرْطَمٍ مَادَّ عَلَى التَّوَاهِ (٤)

= البيت ، هو البيت من بيوت العرب من المسوح . قال المبرد : « يعنى إذا مد جناحيه . وإنما أخذه من قول علقمة بن عبدة :

صعل كان جناحيه وجوجؤه بيت أطافت به خرقاء مهجوم »

والمسوح : جمع مسح ، بالكسر ، وهو الكساء من الشعر . والخدب : الضخم . والشوقب : الطويل . خشب : غليظ خشن . ط : « حذب » صوابه في س ، هـ والديوان والاكامل ٤٤٩ ليسك .

(١) المسالك : عود يكون في الخباء . والعشر : ضرب من كبار الشجر ، له صنع حلوى . صقبان : طويلان . والنجب : لحاء الشجر ، أى قشره . جعل رجله كالمسكين الطويلين الخشنين . وفي الأصل : « كأن عينيه » وهو من عجيب التحريف . وصوابه ما كتبت من الديوان . ط : « لم يتشر » صوابه في س ، هـ والديوان .

(٢) الآء : شجر له ثمر يأكله النعام . والتنوم : شجر له حمل صفار مثل حب الخروع ، وينفلق عن حب يأكله أهل البادية ، وكيفما زالت الشمس تبعها بأعراض الورق . عقبت الماشية في المرعى : رعت الخلة عقبة ثم تحولت إلى الحمض عقبة أخرى ، أو العكس . أى هو بعد أن يأكل هذين يجعل عقبته من لائح المرو . والمرو : الحجارة البيض . واللائح : اللامع .

(٣) المرو فسر قريباً . في الأصل : « والمرو » ، تصحيحه من عيون الأخبار (٢ : ٨٦) . والأمعاء : جمع معى بالتحريك ، وبكسر الأول وفتح الثاني . في الأصل : « معائه » ، تحريف ما أثبت من عيون الأخبار ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٨) .

(٤) السرطم ، كجعفر : البلعوم . في الأصل : « سرطه » ، وصوابه من عيون الأخبار . ماد البلعوم : مال واضطرب . في الأصل : « مار » ويصح بها المعنى ، لكن يستترك بها الرجز لما سيأتى في البيت بعده . وفي عيون الأخبار : « هاد » والوجه ما أثبت . على التواه : أى بسبب التواء بلعوم هذا التظيم .

يَمُورُ فِي الْحَلْقِ عَلَى عِلْبَائِهِ ^(١) تَمْعَجَ الْحَيَّةُ فِي غِشَائِهِ ^(٢)
 * هَادٍ وَلَوْ حَارَ بِحَوْصَلَانِهِ *

(إذابة جوف الظليم للحجارة)

وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ جَوْفَ الظِّلِمِ إِنَّمَا يُذِيبُ ^(٤) الْحِجَارَةَ بَقِيْظِ الْحَرَارَةِ فَقَدْ
 أَخْطَأَ . وَلَكِنْ لَا بُدَّ مِنْ مَقْدَارٍ لِلْحَرَارَةِ [^(٥) وَ] نَحْوِ غَرَائِزٍ أُخْرَى ، وَخَاصِّيَّاتٍ
 أُخْرَى . أَلَا تَرَى أَنَّ الْقُدُورَ الَّتِي يُوقَدُ تَحْتَهَا الْأَيَّامُ وَاللَّيَالَى ، لَا تَذُوبُ .

(القول في الخاصيات والمقابلات والغرائز)

وَسَادُّكَ عَلَى أَنَّ الْقَوْلَ فِي الْخَاصِّيَّاتِ وَالْمَقَابِلَاتِ وَالْغَرَائِزِ حَقٌّ . أَلَا
 تَرَى أَنَّ جَوْفَ الْكَلْبِ وَالذِّبِّ يَذِيبَانِ الْعِظَامَ وَلَا يَذِيبَانِ نَوَى التَّمْرِ ،
 وَنَوَى التَّمْرِ أَرْخَى وَأَلْيَنُ وَأَضْعَفُ مِنَ الْعِظَامِ الْمُصَمَّمَةِ . وَمَا أَكْثَرَ مَا يَهْضِمُ

(١) يمور : أى يضطرب ويتردد ، والضمير للمرو . ط ، س : « تمر » ه :
 « يمر » صوابهما من المخصص (١٦ : ٦٣) وهو ما يقتضيه ارتباط هذا البيت
 بما بعده . والعلاء ، بالكسر : عصب العنق . فى الأصل : « عليائه » بالياء ،
 والوجه ما أثبت موافقاً لما فى المخصص .

(٢) التمعج : التلوى . ورواية المخصص (١٦ : ٢٨ ، ٦٣) : « تمعج » بتقديم
 العين ، وهما بمعنى واحد . وغشاء الحية : غلافه . والمراد جلده الذى يسلخه . والحية
 يذكر ويؤنث ، جعل حركة المرو يتردد فى حلق الظليم كحركة الحية حين تضطرب
 فى جلدها قبل تمام انسلخه . فى الأصل : « عشا » صوابه من المخصص .

(٣) يقول : ذلك المرو ، ولو حار قليلاً فى وصوله إلى حوصلة الظليم ، فهو هادٍ بها فى
 آخر الأمر ، أى مهتد . ط ، ه : « جاد » بحرقه . س : « حاد » .
 والأوفق ما أثبت من المخصص (٨ : ١٢٢) . و « بحوصلاته » : أى هو
 مهتد بحوصلاته ، كأنها علم له . ورواية المخصص والفصول ٤٦٢ : « لحوصلاته » .

(٤) ط ، ه : « تذيب » ، صوابهما فى س .

(٥) ليست بالأصل . والكلام فى حاجة إليها .

١٠٤ العظم . وقد يهضم العظم جوف الأسد وجوف الحية ، إذا ازدردت بضع اللحم^(١) بالشره والنهم ، وفيها بعض للعظام .

والبراذين التي يُجِيلُ^(٢) أجوافها القَتَّ والتَّيْنُ^(٣) رَوْنًا ، لا تستمرى الشعير .

والإبلُ تقبضُ بأَسنانِها على أغصانِ أمَّ غِيلَانَ ، وله شوكٌ كصياصي البقر^(٤) ، والقَضبانُ علكة^(٥) يابسة جرد ، وصلابٌ متينة ، فتستمرُّها^(٦) وتجعلها ثَلْطًا^(٧) ولا تقوى على هضم الشعير المنقع . وليس ذلك إلا بالخصاص والمقابلات .

وقد قدَّر كلُّ شيءٍ لشيءٍ . ولولا ذلك لما نفذ خرطومُ البعوضة والجرجسة في جلد الفيل والجاموس ، ولما رأيت الجاموسَ يهربُ إلى الانغماس في الماء مرةً ومرةً يتلطَّخُ بالطَّينَ ، ومرةً يجعله أهله ربيثَ الدكان^(٨) . ولو دفعوا إليك مسكةً شديدة المثلن ، لما أدخلتها في جلد الجاموس إلا بعد التكلف ، وإلاَّ يَبْغُضُ الاعتماد .

والذي سخرَ جلدَ الجاموسِ حتَّى انفَرَى وانصدع لطفةُ البعوضة ،

(١) البضة ، بالفتح وقد تكسر : القطعة من اللحم ، جمعها بضع بالفتح ، وكعب ، وصحاف ، وتمرّات .

(٢) في الأصل : « يحل » .

(٣) القَت : يابس الفصفصة ، والفصفصة ما يعرف في مصر بالبرسيم . في الأصل : « أَلَقَت » صوابه ما أثبت .

(٤) صياصي البقر : قرونها ، مفردا صيصية .

(٥) علكة : شديدة .

(٦) في الأصل : « تستمرها » .

(٧) الثلَط ، بالفتح : البروث . س ، هـ : « ثلكا » صوابه في ط .

(٨) الربيث : المحبوس . وفي الأصل : « على ربيث » وهذا التصحيح للأب أنساس .

وسخر^(١) جلد الحمار لطعنة الذباب ، وسخر الحجارة لجوف الظليم ،
والعظم لجوف الكلب - هو الذى سخر الصخر الصلب لأذنان الجراد ،
إذا أرادت أن تلتق بيضها ؛ فإنها فى تلك الحال متى عمدت ذنبها فى ضاحى
صخرة^(٢) انصدعت لها . ولو كان انصداعها من جهة الأسر^(٣) ، ومن قوة
الآلة^(٤) ، ومن الصدم^(٥) وقوة الغمز ، لانصدعت لما هو فى الحس أشد
وأقوى . ولكنه على جهة التسخير ، والمقابلات ، والخصائص .

وكذلك^(٦) عود الخلفاء ، مع دقته ورخاوته ولين انعطافه ، إذا نبت
فى عمق الأرض ، وتلقاه الآجر والخزف الغليظ ، ثقب ذلك ، عند نباته
وشبابه ؛ وهو فى ذلك عبقر نصير .

وزعم لى ناس من أهل الأردن^(٧) ، أنهم وجدوا الخلفاء قد خرّق
جوف القار^(٨) .

وزعم لى أبو عتاب الجرّار^(٩) ، أنه سمع الأكرة يخبرون أنهم وجدوه
قد خرّق فلساً^(١٠) بصرياً .

(١) ط : « وسخر » صوابه فى س ، ه .

(٢) ضاحى الصخرة : ظاهرها . س ، ه : « ضاحى » صوابه فى ط .

(٣) الأسر ، بالفتح : القوة .

(٤) س : « الأيد » .

(٥) ط ، ه : « الصدم » صوابه فى س .

(٦) س : « ولذلك » .

(٧) القار : الزفت . ط : « القار » س : « عار » كذا . صوابهما فى ه .

(٨) ط : « الجرار » وأثبت ما فى س ، ه . وانظر ما سبق فى (٣ : ٣٤) .

(٩) الفلس : جزء من أجزاء الدرهم . وقد تحدث عنه المحقق الكبير الأب

انستاس ماري فى حواشى النقود العربية ٦٧ - ٦٨ . ط : « وقد ظلم

فلساً بصرياً » .

وليس ذلك لشدة الغمز وحدة الرأس ، ولكنه يكون على قدر ملاقة الطباع .

ويزعمون أنَّ الصَّاعقة تسقطُ في حانوت الصَّيقل^(١) فتذيب السيوفَ بطبعها^(٢) ، وتدع الأغمادَ على شبيهِ بحالها . وتسقطُ على الرَّجلِ ومعه الدراهمُ فتسبِك الدَّراهمَ ، ولا يصيبُ الرَّجلُ أكثرُ من الموت .

والبحريُّون عندنا بالبصرة والأبلة التي تكون عليها الصَّواعق^(٣) ، لا يدعون في صُحون^(٤) دُورهم وأعلى سطوحهم ، شيئاً من الصُّفر إلا رفعوه ؛ لأنها عندهم تنقُصُ من أصلِ مخارجها ، على مقدارٍ من محاذاة الأرض ، ومقابلةِ المكان ، فإذا كان^(٥) الصُّفر لها صاحياً ، عدلتُ إليه عن سنِّها^(٦) .

وما أنكر ما قالوا . وقد رأيتهم يستعملون ذلك .

وقد يسقط النوى^(٧) في ترابِ المتوضئ ، فإذا صُهرجَ نبت^(٨) ١٠٥ فإذا انتهى إلى الصَّاروج أمسك . وإن كان الصَّاروج رقيقاً فإن قُيرَ ، وجعلَ غِلْظُهُ بقدر طول الإبهام ، نبت ذلك النوى حتى يخرج ذلك القار .

(١) الصيقل : شحاذ السيوف وجلادها .

(٢) س : « وطبعها » .

(٣) في الأصل : « عنها الصواعق » .

(٤) صحن الدار : وسطها .

(٥) في الأصل ، « كائت » .

(٦) السنن : الطريق . ط : « سنِّها » . والوجه ما أثبت من س ، ه .

(٧) في الأصل : « وقد تسقط النواة » ، والسياق يقتضى ما كتبت .

(٨) صهرج المتوضئ : عمل بالصاروج ، وهو النورة أو أخلاطها .

(٩) أى جعل فوقه القار . ط : « وإن كان الصارج » ، صوابه في س ، ه .

ولورام رَجُلٌ خَرَقَهُ بِمَسَارٍ أَوْ سِكَّةٍ^(١) ، لما بلغ إرادته حتى يشقَّ على نفسه .
والذى سَخَّرَ هذه الأمور القويَّة في مذهب الرأى وإحساس الناس ،
هو الذى سَخَّرَ القُمَّمُ ، والطَّيْجَن ، والمرَجَل ، والطَّسْت ، لإبرة العقرب .
فما أَحْصَى عَدَدَ مَنْ أَخْبَرَنِي مِنْ^(٢) الحَوَّاثِينَ ، من أهل التَّجَارِب ، أنها رُبَّمَا
خَرَجَتْ مِنْ جُحْرِهَا فِي اللَّيْلِ لَطَلَبَ الطُّعْم^(٣) ، ولها نشاطٌ وعَرَامٌ^(٤) ،
فتضرب كلَّ مَالَقِيَةٍ ولَقِيهَا : من حيوانٍ ، أو نباتٍ ، أو جمادٍ .

وزعم لى خاقان بن صبيح - واستشهد المثنى بن بشر ، وما كان
يحتاجُ خبرُهُ إلى شاهدٍ ؛ لصدقه - أَنَّهُ سَمِعَ فِي دَارِهِ نَقْرَةً وَقَعَتْ عَلَى قُمَّمٍ
- وقد كان سمع بهذا الحديث - فنهض^(٥) نحو الصوت ، فإذا هو بعقربٍ
فتعاورها هو والمثنى بنعلهما^(٦) حتى قتلاها ، ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ فَصَبَّاهُ فِي الْقُمَّمِ
فِي عَشِيَّتَيْهِمَا ، وهو صحيحٌ لايسيلُ منه شيءٌ .

فمن تعجَّبَ من ذلك فليصرفْ بَدِيًّا^(٧) تعجُّبه إلى الشيء الذى

(١) السكة : الحديدة . وأصلها حذيفة الخواث ط : «سلة» ، وأثبت ما في
س ، ه .

(٢) في الأصل : «عن» .

(٣) ط ، ه : «الطعام» ، وما أثبت من س أشبه بلفظة الجاحظ . والطعم ،
بالضم : الطعام .

(٤) العرام ، بضم العين المهملة : الحدة والشدَّة . وهذه الكلمة محرفة في الأصل ،
فهى في ط ، س : «غرام» و ه : «غرام» .

(٥) ه : «فناهض» ، صوابه في ط ، س .

(٦) التعاور : التداول والتناوب . س ، ه : «بتعلما» وهو وجه جائز . وأثبت
ما في ط .

(٧) بديا : أى يدها وأولا . وجاء في س : «يدما» .

تقذفه بقلبها^(١) العقربُ في بدن الإنسان والحمير والبغال ، فليفكر^(٢) في مقدار ذلك من القلة والكثرة . فقد زعم لي ناسٌ من أهل العسكر^(٣) أنهم وزنوا جرّارة^(٤) بعد أن ألسعوها^(٥) فوجدوا وزنها على تحقيق الوزن على مقدار واحد . فإن كان الشيء المقذوفُ من شكل [الشيء] الحارّ ، فلم قصّرت النارُ عن مبلغ عمله ؟ ! وإن كان من شكل الشيء البارد فلم قصّرت الثلج عن مبلغ عمله ؟ ! فقد وجب الآن أن السمّ ليس يقتل بالحرارة ، ولا بالبرودة إذا كان بارداً . ولو وجدنا فيما أردنا شيئاً بلغ مبلغ الثلج والنار لذكرناه .

فقد دلّ ما ذكرنا على أن جوف النعامة ليس يُذيب الصخر الأملس بالحرارة ، ولكنه لا بدّ على كلّ حالٍ من مقدارٍ من الحرارة ، مع خاصّيات أخر ، ليست^(٦) بذات أسماء ، ولا تعرف إلا بالوهم في الجملة .

(١) ط ، هـ : « بدبها » س : « بدبها » ، ولعل الوجه ما أثبت .

(٢) كذا في س . وفي ط ، هـ : « فيفكر » .

(٣) هو عسكر مكرم ، بضم الميم وسكون الكاف وفتح الراء : بلد من نواحي خوزستان . قال الجاحظ عند ذكر الجرات : « وهي تكون بمسكر مكرم وجنديسابور » . وقال الدميري عند ذكر الجرات : « وهي عقارب صفراء على مقدار ورق الأنجذان . وتكون بمسكر مكرم » .

(٤) الجرارة : واحدة الجرات . وهي ضرب من العقارب صفراء تجرّ أذنابها وفي الأصل : « جرادة » تحريف . انظر التنبيه السابق .

(٥) ألسعوا : أي مكنوها من لسع حيوان . ط ، هـ : « ألتقوها » ، صوابه ما أثبت من س .

(٦) ط ، س : « ليسب » تصحيحه من هـ .

(علة قتل السم)

والسم يقتل بالكم والكيف والجنس . والكم : المقدار . والكيف : الحد . والجنس : عين^(١) الجوهر وذاته .

ونزعم الهند أن السم إنما يقتل بالغرابة ، وأن كل شيء غريب خالط جوف حيوان قتله . وقد أبى ذلك ناس فقالوا : وما باله يكون غريباً إذا لاقى العصب واللحم ، وربما كان عاملاً فيهما جميعاً . بل ليس يقتل إلا بالجنس ، وليس تحس النفس إلا بالجنس . ولو كان الذي يميت حسهما إنما يميته لأنه غريب ، جاز أيضاً أن يكون الحساس إنما حس^(٢) لأنه غريب . ولو كان هذا جائزاً لقبل في كل شيء .

وقال ابن الجهم : لولا أن الذهب المائع ، والفضة المائعة ، يجمدان إذا صارا في جوف الإنسان ، وإذا جمداً لم يجاوزا مكانهما - لكانا^(٣) ١٠٦ من القوائل بالغرابة .

وهذا القول دعوى في النفس ، والنفس تضيق جداً . وما^(٤) قرأت للقدماء في النفس الأجلاد الكثيرة . [و^(٥)] إنما يستدل ببقاء تلك الكتب على وجه الدهر إلى يومنا هذا ، ونسخ الرجال لها أمة بعد أمة ، وعمرًا بعد عمر ، على جهل أكثر الناس بالكلام . والمتكلمون

(١) في الأصل : « غير » ، وصوابه ما كتبت .

(٢) هي صحيحة . وفي القاموس : « وحست الشيء : أحسته » .

(٣) في الأصل : « لكان » . والوجه إلحاق ألف الاثنين .

(٤) لعلها : « وقد » .

(٥) ليست بالأصل .

يريدون أن يَعْلَمُوا كل شيء ، ويأبى الله ذلك . فهذا بابٌ من أعاجيب الظليم .

باب آخر

وهو عندى أعجب من الأول

وهو ابتلاعهُ الجمرِ حتى ينفذَ إلى جوفه ، فيكون جوفه هو العامل في إطفائه ، ولا يكون الجمرُ هو العامل في إحراقه .

وأخبرنى أبو إسحاق إبراهيم بن سيار النّظام - وكنا لارتباب بحديثه إذا حكى عن سماعٍ أو عيان - أنه شهد محمد بن عبد الله ، يلقي الحجرَ في النار ، فإذا عاد كالجرم قذف به قدامه ، فإذا هو يبتلعه كما يبتلع الجمر . وكنت قلت له : إنّ الجمرَ سخيْفٌ سريعُ الانطفاء إذا لقي الرّطوبات ، ومتى أطبقَ عليه شيء يحولُ بينه وبين النّسيم خمد ، والحجر أشدُّ إمساكاً لما يتداخله من الحرارة ، وأثقلُ ثِقَلًا ، وألْزَقُ لزوقاً وأبطأ انطفاءً ، فلو أحميتَ الحجارة ! فأحماها ثم قذف بها إليه ، فابتلع الأولى فارتبت به ، فلما ثنى وثلث اشتدّ تعجبي له ، فقلت له : لو أحميت أواقٍ الحديد ، ما كان منها رُبْع رطلٍ ونصف رطل ! ففعل ، فابتلعه ، فقلت : هذا أعجبُ من الأول والثانى ، وقد بقيت علينا واحدة ، وهو أن ننظر : أيسْتَمْرى^(١) الحديد كما يستمرى الحجارة ؟ ولم يتركنا بعض السفهاء

(١) يستمرى : يستنسخ . وأصلها الهمز .

وأصحاب الخُرْق^(١) أن نَتَعَرَّفَ ذلك على الأَيَّام . وكنتُ عَزَمْتُ على ذنبه وتفتيش جَوْفِهِ وقانصته ، فلعلَّ الحديد يكون قد بقي هناك لا ذائباً ولا خارجاً فعمد بعضُ ندمائه إلى سِكِّين فَأَحْمَى ، ثم ألقاه إليه فابتلعه ، فلم يجاوز أعلى حلقة حتى طلعَ طرفُ السِّكِّين من موضع مَذْبَحِهِ ، ثم خَرَّ مَيِّتاً .
فَمَنَعْنَا بُحْرَقِهِ من استقصاء ما أَرَدْنَا .

(شبه النعامة بالبعير وبالطائر)

وفي النِّعَامَةِ أَهْمَالاً طَائِرٌ ولا بعير . وفيها من جهة المنسَمِ [والوظيف^(٢)]
والْحَرَمَةِ^(٣) ، والشَّقِّ الذي في أنفه ، ما للبعير . وفيها من الرِّيش والجنَاحين
والذَّنَبِ وَالْمِنْقَارِ ، ما للطائر . وما كان فيها من شكل الطَّائِر أَخْرَجَهَا وَنَقَلَهَا
إلى البيض^(٤) ، وما كان فيها من شكل البعير لم يخرجها ولم ينقلها إلى
الْوُلْدِ^(٥) . وسماها أهل فارس : « أَشْتَرُ مُرْغ^(٦) » ، كما تهم قالوا : هوطائر وبعير . ١٠٧

(١) الخرق ، بالضم : الحلق وسوء التصرف .

(٢) الوظيف : مستند الذراع والرجل من الخيل والإبل . وهذه الزيادة من س .
(٣) الحرمة ، بالتحريك : موضع الحرم من الأنف . وفي كل أنف خرمات ثلاث ،
ثنتان خارجتان عن اليمن واليسار ، والثالثة الوتر التي بين المنخرين . ط :
« الحرمة » ، وهي بالسكسر : ما يوضع في خرمة الأنف ، وليست مرادة . س ،
ه : « الحرمة » ، صوابه ما أثبت . وانظر العقد (٦ : ٢٣٧) .

(٤) البيض ، ككتب ، وبالسكسر أيضاً : جمع بائض وبيوض . والعبارة محرفة
في الأصل . ففي جميع النسخ : « وفيها إلى ما فيها من شكل الطائر » ، وبعد كلمة
« الطائر » في كل من ط ، ه : « حذقها » ، وفي س : « حذفها »
وهو تحريف جد مضلل ، وقد هداني إلى تصحيح العبارة ، ما تقتضيه المقابلة بين
هذه الجملة والجملة التي تتلوها .

(٥) الولد ، بالضم وكسكسر : جمع والد بمعنى والدة . وفي اللسان : « وشاة والدة
وولود : بيعة الولاد . ووالد ، والجمع ولد » . وانظر تاج العروس . ط ، ه :
« الواعر » ، وصوابه ما أثبت من س .

(٦) « أشتر » بضم الهمزة والتاء ، ويقال أيضاً : « شتر » بحذف الهمزة ونقل =

(شعر في شبه النعامة بالبعير والطائر)

وقال يحيى بن نوفل :

فَأَنْتَ كَسَاقِطٍ بَيْنَ الْحَشَايَا تَصِيرُ إِلَى الْخَيْثِ مِنَ الْمَصِيرِ^(١)
وَمِثْلُ نَعَامَةٍ تُدْعَى بَعِيرًا تَعَاطُمُهَا إِذَا مَا قِيلَ طَيْرِي^(٢)
فَإِنْ قِيلَ أَحْمَلِي قَالَتْ فَأَيُّيَ مِنَ الطَّيْرِ الْمُرَبَّةِ بِالْوُكُورِ^(٣)
ثُمَّ هَجَا خَالِدًا^(٤) فَقَالَ :

وَكُنْتُ لَدَى الْمَغِيرَةِ عَيْرَ سَوْءٍ تَصُولُ ، مِنَ الْخَافَةِ ، لِلزَّنِيرِ^(٥)

= الضمة إلى الشين : معناه البعير . ومرغ ، بالضم : معناه الطائر .

(١) جعله من يلازم الفراش ، ويقعد عما تقتضيه الشجاعة والرجولة . وجاء في حديث على « من يعذرنى من هؤلاء الضيافة ، يتخلف أحدهم يتقلب على حشاياه ! » . وقال عمرو بن العاص : « ليس أخو الحرب من يضع خور الحشايا عن يمينه وشماله » . الخور : اللينات . « تصير » هى فى الحيوان (٧ : ٢٠) والبيان (٢ : ٢٦٦) : « يصير » .

(٢) تعاطفها : أى ادعاؤها العظيمة والفوق على الطيور . وجاءت الرواية كذلك فى الجزء السابع ، والبيان ، وأصل عيون الأخبار (٢ : ٨٦) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٨) . وروى : « تعاصينا » كما هى عند الديميرى . وروى فى اللسان (مادة نعم) : « تعاطمه » ، أى تعاطم البعير .

(٣) أرب الطائر بوكره : لزمه ولم يفارقه .

(٤) هو خالد بن عبد الله القسرى . وروى الجاحظ فى البيان (١ : ١١٢) بيتين ليحيى بن نوفل فى هجاء خالد بن عبد الله القسرى :

بل السراويل من خوف ومن وهل واستطعم الماء لما جد فى الهرب
والحن الناس كل الناس قاطبة وكان يولع بالتشديق فى الخطب

(٥) المغيرة هذا هو المغيرة بن سعيد ، صاحب فرقة المغيرة ، وهو متنبئ خرج فى إمارة خالد بن عبد الله القسرى ، وكان يقول بإلهية على ، وتكفير أبى بكر ، وعمر وسائر الصحابة إلا من ثبت مع على . وظفر به خالد بن عبد الله آخر الأمر ، فأحرقه وأحرق أصحابه فى سنة ١١٩ من الهجرة . والمير : الحمار الوحشى =

لأَعْلَاجٍ ثَمَانِيَةٍ وَعِلْجٍ كَبِيرِ السِّنِّ ذِي بَصَرٍ ضَرِيرٍ (١)
هَتَفَتْ بِكُلِّ صَوْتِكَ أَطْعِمُونِي شَرَاباً ؛ ثُمَّ بُلَّتَ عَلَى السَّرِيرِ (٢)
وإنما قيل ذلك في النعامة ؛ لأنَّ النَّاسَ يضربون بها المثلَ للرجل
إذا كان يَمُنُّ يعتلُّ في [كُلُّ] شَيْءٍ يكلفونه بعلة ، وإن اختلفَ ذلك
التكليف ، وهو قولهم : « إنما أنت نعامة » ، إذا قيل لها احملی قالت : أنا طائر ،
وإذا قيل لها طيري قالت : أنا بعير .

(قصة أذنى النعامة)

وتزعَّم الأعرابُ أنَّ النعامة ذهبتْ تَطْلُبُ قرنين ، فرجعت مقطوعة
الأذنين ؛ فلذلك يسمونه « الظليم » (٤) ، ويصفونه بذلك .
وقد ذكر أبو العيال (٥) الهدلى ذلك ، فقال :

= جعله عند ملاقاته للمغيرة كالبعير ، إذا سمع زئير الأسد دفعته شدة الجبن والذعر إلى
أن يهاجم هو الأسد ، مما ضاع من صوابه وطار من رشده ، وهذا معروف من
طباع البعير . والبيت محرف في الأصل وفي البيان أيضاً . فهو في الأصل :
« عبسوه تصول من المخافة للزئير » ، وفي البيان : « تبول من المخافة للزئير » .
وصوابهما ما أثبت .

(١) يشير إلى المغيرة وكبار أتباعه . والمرزبانى حديث عن هذا البيت في الموشح ٢٣٥ .

(٢) انظر لتوضيح هذا البيت ما سبق في (٢ : ٢٦٧ من ١٠) والحواشي .

(٣) الظليم ، أى المظلوم ، كقتيل وجريح . وانظر ما سيأتى في ٣٩٨ - ٣٩٩ . وجاء
في هذا قول بشار : كما في محاضرات الراغب (٢ : ٢٩٨) :

وكنتم كالحيق غدا يبتغي قرنا فلم يرجع بأذنين

وانظر مع هذا التذييل في آخر الجزء .

(٤) أبو العيال ، شاعر من شعراء هذيل ، مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام ،

وأسلم فيمن أسلم من هذيل ، وعمر إلى خلافة معاوية . الأغاني (٢٠ : ١٦٧) .

الجمعي : « كان رجلاً من هذيل يسكنان مصر — أحدهما يقال له بدر بن عامر
والآخر يقال له أبو العيال بن أبي غشير . فبينما ابن أخ لأبي العيال قائم عند قوم =

- وإِخَال^(١) أَنْ أَخَاكَمْ وَعِتَابَهُ^(٢) إِذْ جَاءَكُمْ بَتَعُطْفٍ وَسُكُونٍ^(٣)
يُمْسِي إِذَا يُمْسِي بِيْطَنٍ جَانِعٍ صَفْرِ وَوَجْهِ سَاهِمٍ مَذْهُونٍ^(٤)
فَعْدَا يُمْتُ^(٥) وَلَا يَرَى فِي بَطْنِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ موزونٍ^(٦)
أَوْ كَالنَّعَامَةِ إِذْ غَدَتِ مِنْ بَيْتِهَا لِيُصَاغَ قَرْنَاهَا بِغَيْرِ أُذَيْنٍ^(٧)
فَاجْتَثَتِ الْأُذْنَانِ مِنْهَا فَانْثَنَتْ صَلَمَاءُ لَيْسَتْ مِنْ ذَوَاتِ قُرُونٍ^(٨)

= ينتضلون إذ أصابه سهم فقتله . فخاصم في دمه أبو العيال ، وأنه اتهم به بدر ابن عامر ، أن يكون ضلعه مع القوم للذين يخاصهم ، وخاف أن يعينهم عليه .
وقد قال بدر بن عامر يرى نفسه مما قيل لأبي العيال وقرف به ، شعراً روى في (أشعار الهذليين) المطبوع في لندن ١٨٥٤ ، فأجابه أبو العيال مرة فرد عليه بدر أخرى ، وهكذا حتى تجاوزا عدة مرات . انظر أشعار الهذليين ص ١٣٦ .
وهذا الشعر الآتي هو المجاوبة الخامسة من أبي العيال الهذلي . وروى قصة الشعر أبو الفرج في الأغاني (٢٠ : ١٦٧) معزوة إلى الأصمعي وأبي عمرو . وفيها زيادة : أن ذينك الرجلين الهذليين خرجا إلى مصر في خلافة عمر بن الخطاب . وهذا الاسم هو في الأصل : « أبو العباس » وصوابه ما ذكرت .

- (١) س : « وأخاك » ، صوابه في ط ، هـ وبقية أشعار الهذليين .
(٢) في الأصل : « رعشانة » ، تصحيحه من بقية أشعار الهذليين .
(٣) قال ابن حبيب : يقول : جاءكم متمطفا ساكننا يريكم أن باطنه صالح ، وهو باطن سيئ .
(٤) ط : « يمشي إذا يمشي » صوابه في س ، هـ والمرجع المتقدم . والصفر بالكسر : الخالي الذي لا طعام فيه . ساهم : ضامر مهزول . وقد دهن وجهه ليرى الناس أنه مخضب وليخدعهم عن سهومه وتغيره .
(٥) يمت : يرى على سحتته وجلده مثل الدهن . في الأصل : « يموت » ، وهو تحريف صوابه في بقية أشعار الهذليين . والرواية فيه : « فيرى يمت » .
(٦) مِثْقَال : مقدار . وحب الخردل من أصغر الحبوب . يريد مِثْقَال حبة خردل من طعام . وجعله موزوناً مبالغة منه وإظهاراً للمعنى .
(٧) بغير أذنين : أي من غير أن يؤذن لها . في الأصل : « لتصاغ » ، وجهه ما أثبت من بقية أشعار الهذليين .
(٨) اجتثت : قطعت من أصلها . والصلماء : المقطوعة الأذنين .

(تقليد الغراب للعصفور)

ويقولون : ذَهَبَ الْغُرَابُ يَتَعَلَّمُ مِشْيَةَ الْعُصْفُورِ ^(١) ، فلم يتعلَّمْهَا ، ونَسِيَ مِشْيَتَهُ ، فلذلك صارَ يَحْجُلُ ولا يَقْفِزُ قَفْزَانَ الْعُصْفُورِ ^(٢) .

(مشى طوائف من الحيوان)

والْبُرْغُوثُ والجُرَادَةُ ذاتُ قَفْزٍ ، ولا تَمْشِي مِشْيَةَ الدِّيكِ والصَّقِيرِ والْبَازِي ، ولكن تَمْشِي مِشْيَةَ المَقِيدِ أو المَحْجَلِ ^(٣) [خِلْقَةٌ ^(٤)] .

قال أبو عمران الأعمى ^(٥) ، في تحوُّل قضاة إلى قحطان ^(٦)

(١) الشعر الذي رواه اللديري يشير إلى أنهم زعموا أيضاً أنه رام تقليد القطاة . وهو :

إن الغراب وكان يمشي مشية فيما مضى من سالف الأجيال
حسد القطاة ورام يمشي مشيا فأصابه ضرب من العقاب
فأضل مشيته وأخطأ مشيا فلذلك سموه أبا المرقال

(٢) هي صحيحة . يقال قفز يقفز قفزاً وقفزانا وقفازاً — بضم ففتحة خفيفة — وقفوزاً .
والأسير والأعراف : نقر العصفور ينتزق نقزاً ونقزانا .

(٣) المحجل : الذي قيدت قوائمه . وفي الأصل : « الحجل » بحرف .

(٤) هذه الزيادة من س ، هـ . وهي في أصلها : « خلقتة » .

(٥) كذا في ط ، هـ ، وفي س : « أبو عمروان الأعمى » ، تحريف . واسمه يحيى بن سعيد كما في كتاب العقفة والبررة لأبي عبيدة ، في نوادر المخطوطات (٢ : ٣٥٢) :

(٦) قضاة ، هو قضاة بن معد بن عدنان . وقد تحولت إلى حير فعدت في اليمن .
انظر المعارف ص ٢٩ . وقد وضع ابن الكلبي سبب هذا التحول بأن قضاة ليس ولداً شرعياً لمعد بن عدنان ، بل والده هو مالك بن حير من اليمن ، فلما توفي والده قضاة تزوجت أمه — وكان اسمها عكبرة — بمعد بن عدنان ، فبناه حينئذ وتكنى به ، فنسب إليه ، أتى إلى معد ، في أول الأمر . ثم عاد النسب إلى حقيقته فصار يعرف بقضاة بن مالك بن حير . انظر النص في الروض الأنف (١ : ١٦) .

وقد قال عمرو بن مرة يذكر هذا النسب :

نحن بنو الشيخ الهجان الأزهر قضاة بن مالك بن حير =

عَنْ نَزَارٍ (١) :

كَمَا اسْتَوْحَشَ الْحَيُّ الْمَقِيمُ ففَارَقُوا إِلَّا خَلِيطَ فَلَا عَزَّ الَّذِينَ تَحَمَّلُوا
كشَارِكٍ يَوْمًا مِثْلَهُ مِنْ سَجِيَّةٍ لِأُخْرَى ففَاتَتْهُ فَأَصْبَحَ يَحْجِلُ (٢)
(عظام النعمامة)

١٠٨ ومن أعاجيبها أنَّها مع عِظَمِ عظامها ، وشِدَّةِ عُدُوها ، لا مَخَّ فيها .
وفى ذلك يقول الأَعْلَمُ الهذليُّ :

عَلَى حَتِّ الْبُرَايَةِ (٣) زَنْخَرِيٍّ (٤) سَوَاعِدِ (٥) ظَلَّ فِي شَرِّ طُيُوَالِ (٦)
يعنى ظليماً شَبَّهَ [بِهِ (٦)] عُدُوَ فَرَسِهِ . وَالْحَتُّ (٧) : السَّريْع . وَالشَّرِي :

= التَّسَبُّبُ الْمَعْرُوفُ غَيْرُ الْمُنْكَرِ فِي الْحَجَرِ الْمَنْقُوشِ تَحْتَ الْمُنْبَرِ
وَقَالَ الْكَلْبِيُّ يَعَاتِبُ قَضَاعَةَ فِي انْتِسَابِهِمْ إِلَى الْبَيْنِ :
عَلَامَ نَزَلْتُمْ مِنْ غَيْرِ فَقَرَّ وَلَا ضَرَاءَ مَنَزَلَةَ الْحَمِيلِ
وَالْحَمِيلُ : السَّبَبُ يَحْمِلُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ .

(١) أَيْ عَنْ إِخْوَتِهِمْ نَزَارِ بْنِ مَعْدِ بْنِ عَدْنَانَ . وَفِي الْأَصْلِ : « بَنُ نَزَارٍ » وَلَيْسَ
شَيْئاً ؛ فَإِنَّ قَحْطَانَ هُوَ ابْنُ عَابِرٍ ؛ كَمَا اتَّفَقَتْ عَلَى ذَلِكَ كُتُبُ الْأَنْسَابِ .
(٢) الْمِثْلَةُ ؛ بِالْكَسْرِ : الْهَيْئَةُ مِنَ الْمَشْيِ . وَقَدْ فَصَّلَ بَيْنَ التَّضَايُفِ بِالْظَرْفِ ، وَهُوَ
جَائِزٌ . وَفِي الْأَصْلِ : « مِثْلُهُ » وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتَ ؛ لِقَوْلِهِ : « أُخْرَى »
أَيْ لِمِثْلِهِ أُخْرَى . وَانْظُرِ الْعَقَّةَ وَالْبَرَّةَ لِأَبِي عُبَيْدَةَ ٣٥٥ .

(٣) حَتٌّ ، بِحَاءٍ مَفْتُوحَةٍ بَعْدَهَا تَاءٌ مَثْنَاءٌ . وَفِي الْأَصْلِ : « حَتِّ » بِالْمَثْلَةِ ، وَهُوَ
وَهُمْ وَتَحْرِيفٌ ، صَوَابُهُ مِنَ اللِّسَانِ (حَتَّتْ ، زَنْخَرٌ ، بَرَى) وَحَمَاسَةُ الْبَحْتَرِيِّ
٦٦ حَيْثُ يَتَوَسَّلُ الْبَيْتُ خَمْسَةَ آيَاتٍ مَرْوِيَّةٍ هُنَاكَ . س : « الْبَرِيَّةُ » تَحْرِيفٌ .

(٤) الزَنْخَرِيُّ : سَيْفُ السَّرَفِ الْجَاهِظُ . س : « ذَنْخَرِيٌّ » ، صَوَابُهُ بِالزَّيْ كَمَا أَثْبَتَ .
(٥) تَقْرَأُ بِالْكَسْرِ ، جَمْعاً لَطْوِيلٍ . وَبِالنَّضَمِ ، مُفْرَداً بِمَعْنَى الطَّوِيلِ . قَالَ ابْنُ جَنِّي
« يُرِيدُ أَنَّهُمْ إِذَا كُنَ طَوَالاً سَتَرْنَاهُ فزَادَ اسْتِحْشَاهُ . وَلَوْ كُنَ قَصَيراً لَسَرَحَ بَصَرَهُ ،
وَطَابَتْ نَفْسُهُ ، فَخَفَضَ عُدُوهُ » .

(٦) لَيْسَتْ بِالْأَصْلِ .

(٧) ط ، هـ : « الْحَتُّ » س : « الْحَبُّ » ، صَوَابُهُمَا بِالْمَثْنَاءِ . انْظُرِ التَّنْبِيْهَ الثَّالِثَ .

الحنظل . وبرايته : قوته على ما يبريه من السير^(١) . والسواعد : مجارى مخّه
فى العظم وكذلك مجارى عروق الصّرع ، يقال لها السواعد .

قال : ونظنّ أنّما قيل لها ذلك لأنّ بعضها يسعد^(٢) ؛ بعضاً ؛ كأنّه من
التعاون أو من المواساة^(٣) .

قال : والزّمخريّ : الأجوف . ويقال : إنّ قصب عظم الظّليم لا مخّ
له . وقال أبو النجم :

* هاوٍ يظلّ المخّ فى هوائه^(٤) *

وواحد السواعد : ساعد .

وقال صاحب المنطق : ليس المخّ إلّا فى الخوّفة^(٥) ، مثل عظم
الأسد .

وفى بعض عظامه مخّ يسير . وكذلك المخّ قليل فى عظام الخنازير ،
وليس فى بعضها منه شيء البتّة .

(بيض النعام وما قيل فيه من الشعر)

ومن أعاجيبها أنّها مع عظم بيضها تكثرُ عدّد البيض ، ثمّ تضع
بيضها طويلاً حتّى لو مدّدت عليها خيطاً لما وجدت لها منه^(٦) خروجاً عن
الأخرى ، تُعطى كلّ بيضة من ذلك قسطه . ثمّ هى مع ذلك ربّما تركت

(١) ذهب ابن سيده فى تفسير هذا البيت إلى أن « حت البراية » بمعنى منحت الريش

لما ينفض عنه عفاه من الربيع . والبراية : النحاة . وأنا أستحسن ما ذهب إليه .

(٢) أسعده بمعنى أعانه . وفى ط ، ه : « يساعده » ، وأثبت ما فى س .

(٣) ط ، ه : « المعاواة » ، والوجه ما أثبت من س .

(٤) فى القرطين (٢ : ٧٧) : * هاوٍ تفضل الطير فى خوائه *

(٥) أى العظام المخوّفة .

(٦) أى من الخيط . وفى الأصل : « منها » .

بيضا وزهبت تلتمس الطعام ، فتجد بيض أخرى فتحضنه . وربما حضنت
هذه بيض تلك ، وربما ضاع البيض بينهما .

وأما عدد بيضها ورثاها فقد قال ذو الرمة :

أذاك أم خاضبٌ بالسِّي مرتعه أبو ثلاثين أمسى وهو مُنقلبٌ^(١)
وفي وضعها له طولا وعرضا على خطٍ وسطرٍ ، يقول^(٢) :

وَمَا بَيَّضَاتُ ذِي لَبَدٍ هَجَفَ سُقَيْنَ بِزَاجِلٍ حَتَّى رَوَيْنَا^(٣)
وُضِعْنَ فَكُلُّهُنَّ عَلَى غِرَارٍ هِجَانُ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَعْ جَنِينَا^(٤)
يَبِيتُ يَحْفَهُنَّ بِمَرْفَقَيْهِ وَيَلْحَقُهُنَّ هَهَاهُنَا^(٥) ثَنِينَا

(١) سبق الكلام على هذا البيت في ص ٣١١ . س : « أخاك » . ه : « بالثي » ط : « بالسِّي » .
وكل ذلك محرف . س ، ه : « فهو منقلب » .

(٢) القائل هو عمرو بن أحر الباهل ، كما سيأتي في ص ٣٤١ والكامل ٢٥
ليسك وعيون الأخبار (٢ : ٨٧) واللسان (هجف) .

(٣) عنى بالبد هنا الريش . والهجف ، بكسر ففتح : الطويل الضخم ، أو المن .
ط ، ه : « نجف » س : « بنجف » ، صوابه من اللسان والمخصص
(٨ : ٥٥) . والزاجل ، بفتح الجيم ، ويقال بالهمز أيضا : مايسيل من مؤخر
الظلم على البيض إذا حضنه . س : « بداجل » ، صوابه في ط ، ه والمخصص
واللسان (هجف ، زجل) .

(٤) غرار ، بالكسر : أى حد واحد وقالب واحد . وأصل الغرار المثال الذي
يضرب عليه النصل فتخرج النصال متساوية متشابهة . والهجان : البيض اللون .
ولفظه بكسر الهاء يقال لقوحد والجمع . و « لم تقرر » هكذا جاءت في الأصل ،
ورواية البرد : « قد وسقت » ، بمعنى حلت . ولعل سبب تحريف الأصل اشتباه
هذا البيت ببيت عمرو بن كلثوم :

ذراعى حرة أدماء بكر هجان اللون لم تقرأ جنينا

فحدث فيه لذلك الوم ثم التحريف . ثم إن العلامة المرصق وهم أيضا في شرح
هذا البيت من الكامل (رغبة الأمل ١ : ١٤٧) فجعله في صفة نوق ، وإنما
هو في صفة بيض النعام .

(٥) لحفه ، من باب منع : غطاء بالحاف . هههاها ، يعنى به الجناح . وثنينا : أى =

وقال الآخر^(١) :

تهوى بها مُكْرَبَاتٌ فِي مِرَاقِقِهَا قُتِلَ صِلَابٌ مَيَاسِيرُ مَعَاجِلُ^(٢)
يَدَا مَهَاةٍ ، وَرَجُلَا خَاضِبِ سَنَقٍ كَأَنَّهُ مِنْ جَنَاهُ الشَّرَى مَخْلُولُ^(٣)
هَيْتِي هِجَفٍ وَزِفَانِيَّةٍ مَرَطِي زَعْرَاءُ ، رِيشُ جَنَاحِهَا هَرَامِيلُ^(٤)

= تراكب ريشه بمضه فوق بمض . والبيت في الأصل :

تبيت تحفهن بمرفقيها وتلفحن هفهافا ثخيناً
والوجه ما أثبت ، إذ أن الصائغ راجعة إلى الظلم . ورواية اللسان في مادة
(هف) : « يبيت يحفهن بقفقيهن » . وفي مادة (قف) : « فطل يحفهن بقفقيهن » .
وقفقا الظلم : جناحاه .

(١) هو الشباخ ، من قصيدة له في ديوانه ٧٧ - ٨٢ مطلعها :

بانث سعاد فدمع العين ملول وكان من قصر من عهدا طول

(٢) تهوى بها : أي تسرع . والضمير عائده إلى الناقة في بيت سابق . والمكربات :
المشودات ، يعني أن أذرعها مشدودة بمراققها . وقتل : جمع أقتل وفتلاء ، بمعنى
مندحجة شديدة . ط ، هـ : « ملزومات » ، س : « مكربات » ، وهما تحريف
ما أثبت .

(٣) المهاة : البقرة الوحشية . والخاضب : الظلم احمرت ساقه . والسق : الذي أصابه
السق واليشم من الشبع . من جناه الشرى : أي من تناوله الخنظل ، وهو أطيب
طعام عند النعام . يقال جنى الثمر يحنيه جنى ، بالتحريك . والمخلول ، هو الفصيل
يحمل في لسانه عود لينمه من الرضاع . جعل الظلم ، في امتناعه عن الطعام ، مما
شبع ، كالفصيل المخلول الذي لا يستطيع الرضاع . والبيت محرف في الأصل
تحريفاً كبيراً ، ففي الأصل : « أشق » موضع « سنق » ، والأولى لا وجود
لها في اللغة وتصحيحه من الديوان . س : « من حناه » هـ : « من حناه »
صوابه في ط والديوان . س : « مخلول » صوابه في ط ، هـ والديوان .

(٤) الهيق : الطويل . والهيف : الطويل الضخم . وفي الديوان واللسان (هرمل)
والخصص (٨ : ٥١) : « هزف » . والهزف : السريع . والزفانية ، بالكسر
كما في التاموس (زف) - السريعة . ط ، هـ : « زفانية » س : « زفانية » .
محرفتان . وضبطت في الخصص ضبط قلم وكذا في الديوان بالفتح . والمرطى ،
بفتحات : السريعة . وفي الأصل والديوان : « مرطا » صوابه في الخصص واللسان .
(هرمل) . والزعراء : القليلة الريش . والريش الهراميل : المتفرقات .
وفي الأصل : « هذا ميل » ، صوابه في الديوان والخصص واللسان .

كأنما مُنثى أفاعٍ ما هَصَرَتْ مِنْ الْعِصَاءِ بِلَيْتَيْهَا ثَالِثُ^(١)
 تَرَوْحًا مِنْ سَنَامِ الْعِرْقِ فَالتَّبَطَّا إِلَى الْقَيْنَانِ الَّتِي فِيهَا الْمَدَاخِيلُ^(٢)
 ١٠٩ إِذَا اسْتَهْلًا بِشَوْبُوبٍ فَقَدْ فُعِلَتْ بِمَا أَصَابًا مِنَ الْأَرْضِ الْأَفَاعِيلُ^(٣)
 فَصَادَفَا الْبَيْضَ قَدْ أَبَدَتْ مَنَاكِهَا مِنْهَا الرُّثَالُ ، لَهَا مِنْهَا سَرَائِيلُ^(٤)
 فَكَغَبَا يَنْقُفَانِ الْبَيْضَ عَنْ بَشَرٍ كَأَنَّهَا وَرَقُ الْبَسْبَاسِ مَغْسُولُ^(٥)

(١) يقول : كَانَ رُمُوسٌ مَغَارِزُ الرِّيشِ الَّتِي هَصَرَتْ تِلْكَ النِّعَامَةَ وَزَعَتْهُ ، بِثَوْرٍ ظَاهِرَةٍ . وَاللَّيْتُ ، بِالْكَسْرِ : صَفْحَةُ الْعُنُقِ . فِي الْأَصْلِ : « مِنْ الْفَقَارِ » وَتَصْحِيحُهُ مِنَ الدِّيَوَانِ . وَالْعَفَاءُ ، بِالْكَسْرِ : الرِّيشُ . س : « بِلَيْتَيْهَا » ه : « بَلْبِيهَا » بِهَذَا الْإِهْمَالِ . وَصَوَابُهُمَا فِي طِ وَالِدِيَوَانِ .

(٢) تَرَوْحًا : أَيْ سَارًا فِي الرُّوَاكِ . وَسَنَامُ الْعِرْقِ : أَعْلَاهُ . وَالْعِرْقُ ، بِالْكَسْرِ : الْأَرْضُ الْمُرْتَفَعَةُ ، أَوْ الْجَبَلُ الرَّقِيقُ الْمُسْتَطِيلُ مِنَ الرَّمْلِ . س : « الْعِرْفُ » بِالْفَاءِ ، وَهُوَ بِالضَّمِّ : الْأَرْضُ الْمُرْتَفَعَةُ . وَأَثْبَتَ مَا فِي طِ ، هُ وَالِدِيَوَانِ . وَالتَّبَطَّا : تَوَجَّهَا . وَالْقَيْنَانِ : جَمْعُ قَتَّةٍ بِالضَّمِّ ، وَهِيَ الْجَبَلُ السَّهْلُ الْمُسْتَوِيُّ الْمُنْتَسِطُ عَلَى الْأَرْضِ . وَفِي الْأَصْلِ : « الْفَقَارِ » وَأَثْبَتَ مَا فِي الدِّيَوَانِ . وَالْمَدَاخِيلُ : الْمُدَاخِلُ ، وَعَنَى بِهَا الْمُدَاخِلُ الَّتِي تَحْتَ الْجُرْفِ ، الَّتِي تَسْمَى الدِّحَالُ . وَفِي الدِّيَوَانِ : « الْمَدَاخِيلُ » بِالْهَاءِ الْمُهْمَلَةِ .

(٣) أَيْ إِذَا اشْتَدَّ فِي الْجُرَى بِدَفْعَةٍ مِنْهُ فَأَنَّهُمَا يَخْدَدَانِ الْأَرْضَ بِمَنَاكِهُمَا . وَأَصْلُ الْاسْتِهْلَالِ شِدَّةُ انْصِبَابِ الْمَطَرِ . وَالشَّوْبُوبُ : الدَّفْعَةُ مِنْهُ . فِي الْأَصْلِ : « إِذَا اسْتَهْلَ بِمَا أَصَابَ » وَصَوَابُهُ مَا أَثْبَتَ مُوَافَقًا لِمَا فِي الدِّيَوَانِ .

(٤) أَيْ وَجَدَا الْبَيْضَ وَقَدْ أَخْرَجَتْ مِنْهُ الْفَرَاحُ الصَّغَارُ مَنَاكِهَا ، وَقَدْ عَلَاهُنْ بَعْضُ قَشَرِ الْبَيْضِ وَمَانِهِ ، فَكَانَ ذَلِكَ لَهَا كَالسَّرَائِيلِ . فِي الْأَصْلِ : « فَصَادَفَ » وَصَوَابُهُ مَا أَثْبَتَ مِنَ الدِّيَوَانِ . وَفِي الدِّيَوَانِ أَيْضًا : « مِنْهُ الرُّثَالُ لَهَا مِنْهُ » وَهِيَ وَجْهَانِ جَائِزَانِ ؛ إِذْ أَنَّ كُلَّ جَمْعٍ يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَاحِدِهِ إِهَاءٌ نَحْوُ يَقْرُ وَيَقْرَةٌ ، فَإِنَّهُ يَذْكُرُ وَيُؤْنِثُ . الْمَصْبَاحُ ص ٩٦٨ وَهَذَا قَوْلُ الزَّجَّاجِ . وَلَا بَيْنَ سَيِّدِهِ تَفْصِيلٍ طَيِّبٍ فِي هَذَا الْمَعْنَى . الْمُخَصَّصُ (١٦ : ١٠٠) .

(٥) يقول : مَا لَا إِلَى ذَلِكَ الْبَيْضِ يَنْزَعَانِ قَشْرَهُ عَنْ بَشَرِ تِلْكَ الْفَرَاحِ ، وَكَأَنَّ بَشَرَهَا وَرَقٌ ذَلِكَ النَّبْتُ حِينَ يَغْسَلُ . مَكَانُ « عَنْ بَشَرٍ » فِي طِ : « أَعْيُنُهَا » وَفِي س : « عَنْ » فَقَطْ ، وَفِي هُ : « عَنْهَا » وَتَصْحِيحُهُ وَلِإِكْمَالِهِ مِنَ الدِّيَوَانِ . وَالْبَشَرُ : جَمْعُ بَشَرَةٍ ، يَذْكُرُ وَيُؤْنِثُ ، كَمَا فِي التَّنْزِيهِ السَّابِقِ . وَالْبَسْبَاسُ : نَبْتُ لَهُ أَوْرَاقٌ مِثْرَاكَةُ شَقَرٍ . تَذْكُرَةُ دَاوُدَ . وَفِي الدِّيَوَانِ : « كَأَنَّهَا وَرَقُ الْبَسْبَاسِ » .

(تشبيه القدر الضخمة بالنعامة)

والشُعراء يشبّهون القِدْرَ الضَّخْمَةَ التي تكون بِمَنْزِلِ الْعَظِيمِ وَأَشْبَاهِهِ
من الأجواد ، بالنعامة . قال الرَّمَّاحُ ، ابنُ مِيَادَةَ^(١) :

وقلت لها لانهجلى كذلك تقرى الشوك مالم تردد^(٢)

إلى جامع^(٣) مثل النعامة يلتقى عوازيه^(٤) فوق

جامع : يعنى القدر . وجعلها مثل النعامة .

وقال ابن ميادة يمدح الوليد بن يزيد :

نتاج العشار المنقيبات إذا شئت^(٥) روابدُها مثلُ النِّعَامِ العَوَاطِفِ^(٦)

(١) هو الرماح بن أبرد . وهو المعروف بابن ميادة . وميادة : أمه . وهو مخضرم من شعراء
الدولتين . س ، هـ : « الرياحى ابن ميادة » ، صوابه فى ط .

(٢) س : « يقرى » . ط : « مالم تردد » . وفى هذا البيت والذى بعده
نقص وتحريف .

(٣) ط : « جامل » ، وأثبت صوابه من س ، هـ . وفى القاموس : « وقدر جامع وجامعة
وجماع ككتاب : عظيمة » . وفى اللسان : « وقدر جماع وجامعة : عظيمة .
وقيل هى التى تجمع الجزور » .

(٤) س : « غواذيه » ، هـ : « عوازيه » .

(٥) س ، هـ : « انتاج » صوابه فى ط . والمنقيبات : ذوات الشحم . والنقى ، بالكسر :
الشحم . وشئت : دخلت فى الشتاء . ط : « إذا المنقيبات شئت » ، هـ : « العشار إذا شئت »
س : « العشار إذا ثنت » ، وقد وجهته بما ترى .

(٦) الروابد : من ربد ربودا : أقام . وقد غنى بهن القدور المقيمة على النار .
والعواطف : الحانيات على أولادها .

وقال (١) الفرزدق (٢) :

وقدر كحيزوم النعامة أحمشت (٣) بأجذال خشب زال عنها هشيمها (٤)

(الذئب والنعامة)

وضحك أبو كلدة (٥) حين أنشد شعر ابن النطاح (٦) ، وهو قوله :

* والذئب يلعب بالنعامة الشارد *

قال : وكيف يلعب بالنعامة والذئب لا يعرض لبيض النعامة وفراخه حين لا يكونان حاضرين ، أو يكون أحدهما ؛ لأنهما متى ناهضاه ركضه الذكر فرماه إلى الأنثى ، وأعجلته الأنثى فركضته ركضة تلقيه إلى الذكر فلا يزالان كذلك حتى يقتلاه أو يُعجزهما هرباً . وإذا حاول ذلك منه أحدهما لم يقوَ عليه . قال : فكيف يقول :

(١) قبل هذا في هـ : « فضحك أبو عبيدة » ، وهي زيادة لاموضع لها .

(٢) البيت في محاضرات الراغب منسوب إلى مفرس . وهو كذلك ليس في ديوان الفرزدق مع وجود أخواته في ص ٨٠٣ .

(٣) حيزوم النعامة : ما استدار ببطنها وظهرها . ويقال أحش القدر وأحش بها : أشبع وقودها . ط ، هـ : « أحمشت » ، صوابه في س والبخلاء ١٩٠ وأمال المرتضى (٤ : ٢٩) والحماسة (٢ : ٣٢٨) ، وأول البيت فيهما : « غضوباً » . جعل غليانها بمنزلة الغضب .

(٤) الأجذال : جمع جذل ، بالكسر ، وهو أصل الشجرة . وفي الأصل : « أجفال » تحريف ما أثبت من البخلاء ومحاضرات الراغب . ورواية أبي تمام والمرتضى : « بأجواز » أي أوساط . وهى أصلب الخشب وأبقاه ناراً . والحشيم : المتشيم . ط : « هشيماً » ، صوابه في س ، هـ وسائر المراجع . ط ، هـ : « منها » وأثبت ما في سائر المراجع .

(٥) هذه العبارة ساقطة من هـ . وأبو كلدة سبق ذكره في (١ : ٢٣٤) .

(٦) هو بكر بن النطاح ، سبقت ترجمته في (٣ : ١٩٦) .

• وَالذَّبُّ يَلْعَبُ بِالنَّعَامِ الشَّارِدِ •

وهذه حاله مع النعام ؟ !

وزعم أن نعمتين اعتورتا ذنباً فهزمتاه^(١) ، وصعد شجرة ، فجالدهما ،
فنقره أحدهما ، فتناول الذئب رأسه فقطعه ، ثم نزل إلى الآخر
فساوره فهزمه .

(جُبْنُ الظَّالِمِ وَنِفَارُهُ)

وَالظَّالِمُ يُوصَفُ بِالْجُبْنِ ، وَيُوصَفُ بِالنَّفَارِ وَالتَّوْحُشِ .

وقال سَهْمُ بْنُ حَنْظَلَةَ^(٢) ، فِي هِجَائِهِ بَنِي عَامِرٍ :

إِذَا مَا رَأَيْتَ بَنِي عَامِرٍ رَأَيْتَ جَفَاءً وَنُوكًا كَثِيرًا^(٣)
نَعَامٌ تَجُرُّ بِأَعْنَاقِهَا وَيَمْنَعُهَا نُوكُهَا أَنْ تَطِيرَ^(٤)

(ضُرَرُ النِّعَامَةِ)

وَالنِّعَامَةُ تَتَخَذُهَا النَّاسُ فِي الدُّورِ^(٥) ، وَضُرُّهَا شَدِيدٌ ؛ لِأَنَّهَا رَجْمًا
رَأَتْ فِي أُذُنِ الْجَارِيَةِ أَوْ الصَّبِيَّةِ قُرْطًا فِيهِ حَجَرٌ ، أَوْ حَبَّةَ لَوْلُؤٍ ، فَتَخْطِفُهُ

(١) اعتورتاه : قداولتاه . هـ : « فهربتاه » .

(٢) فِي الْإِصَابَةِ ٣٧٠٣ : « سَهْمُ بْنُ حَنْظَلَةَ بْنِ خَاقَانَ — صَوَابُهُ حُلْوَانٌ — بْنُ خُوَيْلِدِ
ابْنِ حَرَمَانَ — كَذَا — الْغَنَوِيُّ . قَالَ الْمَرْزُبَانِيُّ : هَاهُنَا شَأْنٌ مُخْتَصَرٌ » . وَذَكَرَهُ
صَاحِبُ الْمُؤْتَلَفِ وَالْمُخْتَلَفِ ١٣٦ .

(٣) النُّوكُ ، بِالضَّمِّ وَالْفَتْحِ : الْحَقُّ . وَفِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ : « وَنُوكًا كَثِيرًا » .

(٤) الرِّوَايَةُ فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ (٢ : ٨٧) : « تَمْدُ بِأَعْنَاقِهَا » . وَهَذِهِ أَجُودُ .

(٥) الدُّورُ : جَمْعُ دَارٍ . س : « تَتَخَذُ فِي الدُّورِ » .

١١٠ لتأكله . فكم أذن قد خرقتها ! وربما رأيت ذلك في لبّة^(١) الصبي أو الصبيّة .
فتضربه بمنقارها ، وربما خرقت ذلك المكان .

(شعر في تشبيه الفرس بالظليم)

ومما يشبه به الفرسُ ممّا في الظليم ، قولُ امرئ القيس بن حُجر :
وخذ أسيلُ كالمسنِّ وبركة كجوجو هيق دفه قد تموراً^(٢)
وقال عتبة بن سابع^(٣) :
وله بركة كجوجو هيق ولبان مضرّج بالخضاب^(٤)
وقال أبو ذؤاد^(٥) الإيادي :

(١) الية ، بالفتح وتشديد الياء : موضع القلادة من الصدر .
(٢) البركة ، بالكسر : الصدر . والجوجو : الصدر أيضاً . والبيق : الذكر من النعام .
والدف ، بالفتح : صفحة الجنب . وتمور : سقط منه النسيل أى الريش . وإنما
يكون ذلك في أيام الربيع وجودة المرعى . ويحدث مقله أيضاً للحمار حيث يسقط
عنه الشعر . انظر اللسان (مور) . والنعام في ذلك الوقت ينمون نمواً كبيراً . وقد
سبق هذا البيت في (١ : ٢٧٢) وانظر ديوان امرئ القيس ٢٦٧ دار المعارف .
(٣) هو عتبة بن سابع الهزافي ، شاعر من شعراء الأصمعيات (٦ - ٧) . وفي
الأصل : « عتبة بن شاس » ، وصوابه ما أثبت كما جاء باتفاق النسخ في الجزء
الأول ص ٢٧٣ .

(٤) انظر لتفسير صدر هذا البيت ما سبق في تفسير البيت السابق . والرواية في الجزء
الأول : « ولها » . واللبان ، بالفتح : وسط الصدر . مضرّج بالخضاب : ملطخ
بالدم . وكان العرب إذا ساقوا الخيل على الصيد ، فالسابق منها إليه يخضبون نحره
بدم ما يسكونه من الصيد ؛ علامة على أنه سباق غايات . بلوغ الأرب (٣ :
١٨) . وقد يكون المراد أن راكب هذا الجواد أو الفرس يعرض نفسه للمخاطر ؛
فيصيب فرسه نصيب من ذلك .

(٥) في الأصل : « أبو داود » وهو تهريف يتكرر كثيراً . والصواب ما أثبت . وترجمة
أبي ذؤاد تقدمت في (٣ : ٤٢٥) ، وهو أحد نعات الخيل المحيدين .

يَمْشِي كَمْشِي نَعَامَتَيْنِ يُتَابِعَانِ أَشَقَّ شَاخِصٍ^(١)
وقال آخر^(٢) :

كَأَنَّ حَمَاتِهِ كُرْدُوسٌ فَحَلِي مَقْلَصَةٌ عَلَى سَاقِي ظَلِيمٍ^(٣)
وقال أبو ذؤاد الإيادي :

كَالسَّيِّدِ مَا اسْتَقْبَلْتَهُ وَإِذَا وَلَّى تَقُولُ مُلْمَلَمٌ ضَرْبُ^(٤)
لَأُمٍّ إِذَا اسْتَقْبَلْتَهُ وَمَشَى مُتَابِعاً مَا خَانَهُ عَقْبُ^(٥)
يَمْشِي كَمْشِي نَعَامَةً تَبَعَتْ أُخْرَى إِذَا مَا رَاعَهَا خَطْبُ

القول فيما اشتق له من البَيْض اسم

قال العديس^(٦) الكِنَانِي : باضت البُهْمَى^(٧) : أى سقطت نِصَالُهَا^(٨)

(١) أشق : يعنى ظليما واسع ما بين الرجلين . والشاخص : المرتفع . وقد سبق البيت
في (١ : ٢٧٤) .

(٢) في (١ : ٢٧٤) أنه خالد بن عبد الرحمن .

(٣) الحماة : عضلة الساق . والكردوس ، بانضم : واحد الكراديس ، وهى رموس
العظام . وفى الأصل : « نخل » ، صوابه ما أثبت من الجزء الأول ، ط ، هـ :
« على شئ » س : « على سق » ، صوابه ما أثبت من الأول .

(٤) السيد ، بالكسر : الذئب . والململم : المجتمع المدور . والضرب : الخفيف اللحم .
(٥) اللأم : الشديد .

(٦) العديس الكِنَانِي : أعرابي فصيح ، ذكره ابن النديم فى الفهرست ٤٧ ليدن ، ٧٠ مصر .
وفى القاموس (مادة عديس) ، أن العديس رجل كنانى . وفى اللسان (مادة عديس أيضاً) ،
« ومنه سمي العديس الأعرابي الكنانى » . وفى الأصل : « العديس » بالياء ، صوابه ما أثبت
من المراجع المتقدمة .

(٨) البهيمى ، كعجلى : نبت هيئته كالشعير ، ولكنه قصير . ويعرف أيضاً بالشوفان .
فى سوريا . وهو بالانجليزية : Wild - oat . عن معجم النيات ، وتذكره
داود ، والقاموس .

(٨) النصال : جمع نصل ، وهو سنبله البهيمى .

وباض الصَّيْف ، وباض القَيْظ : اشتدَّ الحر وخرج كلُّ ما فيه - من ذلك .
وقال الأسديّ :

فَجِئْنَا وَقَدْ بَاضَ الْكَرَى فِي عَيُونِنَا ^(١) قَتَّى مِنْ عُيُوبِ الْمُقْرِفِينَ مُسْلَمًا ^(٢)
وقال أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ :

رَكِبْتُ بَيْضَةَ الْبَيَاتِ عَلَيْهِمْ لَمْ يُحِسُّوا مِنْهَا سِوَاهَا نَذِيرًا ^(٣)
وقال الرَّاعِي ، يهجو ابنَ الرَّقَاعِ ^(٤) :

لَوْ كُنْتُ مِنْ أَحَدٍ يُهْجَى هَجَوْتُكُمْ
يَا ابْنَ الرَّقَاعِ ، وَلَكِنْ لَسْتُ مِنْ أَحَدٍ
تَأْتِي قُضَاعَةٌ لَمْ تَقْبَلْ لَكُمْ نَسَبًا وَابْنَا زَارِ فَإَنْتُمْ بَيْضَةُ الْبَلَدِ
وفي المديح قولُ عليِّ بنِ أبي طالب رضى الله عنه : « أَنَا بَيْضَةُ الْبَلَدِ »
ومنه بَيْضَةُ الْإِسْلَامِ . وبَيْضَةُ الْقَبَّةِ : أعلاها ، وكذلك الصَّوْمَعَةُ ^(٥) .
والْبَيْضُ : قلانس الحديد .

(١) الكرى : النوم والنعاس . في الأصل : « من عيوننا » . محرف .

(٢) في الأصل : « عيون المقرفين » والصواب ما أثبت . والمقرفين ، إن كسرت الراء كانت من أقرف الرجل : إذا كان مجينا ، بأن تكون أمه عربية وأبوه غير عربي . وإن فتحت الراء كانت من أقرف الرجل غيره : وقع فيه وذكره بسوء .

(٣) البيات ، بالفتح : من بيت العدو القوم : قصدهم في الليل من غير أن يعلموا ، فيأخذهم بغتة . ط والديوان ٣٤ : « سراها » صوابه في س ، ه .

(٤) هو عدى بن الرقاع . وكلمتا : « ابن الرقاع » ساقطة من س . وانظر الكلام على البيتين في الحيوان (٢ : ٣٣٦) واللسان (بيض) وثمار القلوب ٣٩٢ والعمدة (٢ : ١٥٣) .

(٥) الصوامة ، كمجوهرة : بيت للتصاري ، سمي بذلك لدقة في رأسه .

وقال أبو حية النُميرى^(١) :

وصدَّ الغانياتُ البيضُ عني وما إن كان ذلك عن ثَقَالِي^(٢) ١١١
 رأيتُ الشَّيبَ بَاضَ على لِدَاقِي^(٣) وأفسدَ ما على من الجمالِ^(٤) !
 وبَيضُ الجُرحِ والخُراجِ والحَبَنِ^(٥) : الوعاء الذي يجمع فيه الصَّديد ،
 إذا خَرَجَ برئٌ وصلَحَ .

وقد يُسمُّون ما في بطونِ إناثِ السَّمَكِ بَيَضاً ، وما في بطونِ الجرادِ
 بيضاً ، وإن كانوا لا يروُنَ قِشْراً يشتمِلُ عليه ، ولا قَيْضاً يكونُ لما
 فيه حِضْناً^(٥) .

والخِرْشاءُ : قشرة البيض إذا خَرَجَ مافيه . وسلَخَ الحَيَّةَ يقال له
 الخِرْشاء .

(١) اسمه الهيثم بن الربيع ، ونسبته إلى نمير بن عامر بن صمصمة ، وهو شاعر من
 مخضري الدولتين ، وقد مدح الخلفاء فيهما جميعاً ، وكان مقصداً راجزاً من ساكني
 البصرة ، وكانت به لوثة ، وكان من أجبن الخلق ، وله سيف يسميه : لعاب المنية ،
 ليس بينه وبين الخشية فرق . توفي نحو سنة ١٦٠ . الشعراء ٧٤٩ والأغاني
 ١٥ : ٦١ . وفي الأصل : « النمرى » محرف .

(٢) الثَقَالى : المباغضة . هـ : « ثَقَالى » مصحفة .

(٣) لِدَاقى : جمع لدة ، بالكسر . واللدة : من يولد معك .

(٤) الحَبَنِ ، بالكسر : الدمل . ط : « الحَبَنِ » تصحيف سبق مثله في ٢ : ٣٣٦ ،
 وصوابه في س ، هـ .

(٥) القَيْضُ ، بالفتح : القشرة العليا اليابسة على البيضة . والحَضْنُ ، بالكسر :
 بمعنى ما يحيط بالشيء . وأصله من حضن الجبل ، وهو ما يطفئ به .

(شعر فى التشبيه بالبيض)

وقال الأعشى فى تشبيه اللّقاء ^(١) الحسناء بالبيضة :

أو بيضة فى الدّعص مكنونةٍ أو دُرّةٍ سيّقت إلى تاجرٍ ^(٢)
وقال فى بيض الحديد :

كأنّ نعام الدّو باضَ عليهم إذا شام يوماً للصّريخ المنددٍ ^(٣)
وقال الأعشى :

أتتّنّا من البطحاء يبرّق بيضها وقد رُفعت نيرانها فاستقلت ^(٤)

(١) فى الأصل : « اللّقاء » ، وهى القصيرة الأنف الصغيرة . ولا وجه لها هنا . وما أثبت هو أقرب تصحيح للكلمة . واللقاء : الضخمة الفخذين فى اكتناز واجتماع .

(٢) مكنونة فى الدعص : خبأة فى الرمل المستدير . ورواية الديوان ١٠٤ : « أو درة شيفت لدى تاجر » . وشيفت : جلّيت . وضبط « بيضة » و « درة » بالكسر ؛ لأن قبل البيت :

كدمية صور محرابها بمذهب فى مرمر مائر

(٣) الدو : الفلاة . ورواية الديوان ١٣٢ : « إذا ريع شقى للصريخ المندد » .

والبيت فى صفة كتيبة . جعل البيض الذى يحمى رموس الرجال شبيهاً ببيض النعام ؛ لكثرة . فإن كل نعمة تبيض نحو الثلاثين . ولذا يقال لها : أم ثلاثين . ولظلم : أبو ثلاثين . وقبل البيت :

بلمومة لا ينفض الطرف عرضها وخيل وأرماح وجند مؤيد

فضنير « شام » عائد إلى الجنّد . وشام : نظر ، أو سل سيفه . والصريخ : صوت المستصرخ المستغيث . والمندد ، بضم الميم وفتح الدال المشددة ؛ الصوت المبالغ فى رفعه وتشديده . ومنه قول طرفة : « لهجس غنى أو لصوت مندد » ، وفى الأصل : « المندد » ، وصواب الرواية ما أثبت من الديوان .

(٤) فى الأصل : « أتينا » صوابه من أمالى ابن الشجرى (٢ : ١٦٥ حيدر آباد) . ورواية الديوان : « أتتم » . س ، ه وحامسة ابن الشجرى ٤١ : « تبرق » ط ، س : « بيضنا » صوابها فى ه وأملى وحامسة ابن الشجرى وديوان =

وقال زيد الخيل :

كَأَنَّ نَعَامَ الدَّوِّ بَاضَ عَلَيْهِمْ فَأَخَذَاقُمُهُمْ تَحْتَ الْحَدِيدِ خَوَازِرُ^(١)

(استطراد لغوي)

قال : ويقال تَقِيضَتِ الْبَيْضَةُ ، وَالْإِنَاءُ ، وَالْقَارُورَةُ ، تَقِيضًا^(٢) : إذا انكسرت فِلَقًا . فإذا هي لم تَتَفَلَّقْ^(٣) [فِلَقًا] وهي^(٤) متلازمة ، فهي مُنْقَاضَةٌ انْقِيَاضًا . وَقِيضُ الْبَيْضَةِ : قَشْرَتُهَا الْيَابِسَةُ . وَغَرَقْتُهَا : الْقَشْرَةُ الرَّقِيقَةُ الَّتِي بَيْنَ اللَّحْمِ وَبَيْنَ الصَّمِيمِ . قال : وَالصَّمِيمُ : الْجِلْدَةُ .

= الأعرشي ١٧٩ . ورواية العجز في الديوان : « وقد رفعت راياتها فاستقلت » . ورواية ابن الشجري : « وقد بذخت فرسانها وأدلت » . والبيت من قصيدة للأعرشي يذكر فيها وقعة ذي قار ، التي كانت بين العرب والفرس . وهو في صفة جيش الفرس وعظمته . وبعده (في رواية ابن الشجري) :

فَنَارُوا وَثَرْنَا وَالْمَنِيَةَ بَيْنَنَا وَهَاجَتْ عَلَيْنَا هُبُورَةٌ فَتَجَلَّتْ
نَحَاسِيهِمْ كَأَسَا مِنْ الْمَوْتِ مَرَّةً وَقَدْ رَفَعَتْ رَايَاتِهِمْ فَاسْتَقَلَّتْ
وَمِثْلُهُ لِلْأَعْرَشِيِّ فِي تَعْظِيمِ شَأْنِ جَيْشِ الْأَعَاجِمِ حِينَئِذٍ . (الأغاني ٢٠ : ١٤٠) :
لَمَّا أَتَوْنَا كَانَ اللَّيْلُ يَقْدُمُهُمْ مَطْبِقُ الْأَرْضِ تَغْشَاهَا لَهْمٌ سَدَفٌ
بَطَارِقٌ وَبَنُو مَلِكٍ مَرَازِبَةٌ مِنَ الْأَعَاجِمِ فِي آذَانِهَا النُّظْفُ
مِنْ كُلِّ مَرَجَانَةٍ فِي الْبَحْرِ أَحْرَزَهَا تِيَارُهَا وَوَقَاهَا طِينُهَا الصَّدْفُ
وظَهْنُنَا خَلَقْنَا تَجْرَى مَدَامِعُهَا أَكْبَادُهَا وَجَلَا بِمَا تَرَى تَجِفُّ

وَانْظُرْ بَقِيَّةَ الشَّعْرِ فِيهَا . وَلَوْقَعَةُ ذِي قَارِ الْعَقْدِ (٣ : ٣٧٤) وَالْعَمْدَةُ (٢ :

١٦٩) وَالْمِيدَانِي (٢ : ٣٥٢) وَمَعْجَمُ الْبُلْدَانِ .

(١) جمع خازر : وهو من ينظر بلمحظ عينيه ، ويكون ذلك عند ما يراد تحديد النظر .

ورواية الشعراء ٢٢٠ : « وأعينهم تحت الحديد » . ورواية قدامة في نقد الشعر

٣٩ والأغاني ١٠ : ٤٤ : « وأعينهم تحت الحبيك » . ونسب في الأغاني لمعمر بن أوس .

(٢) ط ، هـ : « نقيضاً » ، صوابه في س .

(٣) ط ، هـ : « تنفلق » .

(٤) ط ، هـ . « فهي » ، صوابه في س .

قال : ويقال غرقأت البيضة : إذا خرجت وليس لها قشر ظاهر غير الغرقئة^(١) .

قال الرّدَاد : غرقأت الدّجاجة بيضا ، فالبيضة مُغرّقة^(٢) . والخرشاء : القشرة الغليظة^(٣) من البيضة ، بعد أن تُثقب فيخرج ما فيها من البلل ، وجماعها الخراشي ، غير مهموز .

قال : وقال رّدَاد : خرشاء الحية : سلخها حين تنسلخ^(٤) .
قال : وتغدى أعرابيٌّ عند بعض الملوك ، فدبت على حلقه قلةٌ ، فتناولها فقصّعها بإبهامه وسبّابته ، ثمّ قتلها ، فقالوا له : ويلك ! ما صنعت ؟ ! فقال : بأبي أنتم وأُمي ، ما بقي إلا خرشاؤها !
وقال المرقّش :

إِنْ يَغْضَبُوا يَغْضَبُ لَذَاكُمْ كَمَا يَنْسَلُّ مِنْ خِرْشَائِهِ الْأَرْقَمُ^(٥)

وقال دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ فِي بَيْضِ الْحَدِيدِ^(٦) :

قال : ويقال في الحافر نزا^(٧) ينزو . وأمّا الظليم [فيقال^(٨)] قعا يقعو ، ١١٢

(١) كذا جاءت . والمعروف في المعاجم : « الفرق » بالتذكير .

(٢) ط ، هـ : « غرقأت » صوابه في س .

(٣) ط : « والخرشاء مغرقأت الجلدة الغليظة » ، هـ : « والخرشا الجلدة الغليظة » ، صوابهما في س .

(٤) ط ، هـ : « يسليخ جلدها » . وما أثبت من س أشبه .

(٥) الأرقم من الحيات : الذي فيه سواد وبياض . في الأصل : « خرشائها » ، صوابه من المفضليات ٢٤٠ والمقصود والممدود ٣٨ . وقد سبق البيت في ص ٣٤٠ . ط ، هـ : « تنسل » تصحيحه من س والمقصود .

(٦) بعد هذا بياض في الأصل . ولم اهتم بعد إلى شعر لدريد في بيض الحديد .

(٧) في الأصل : « نزي » بالياء .

(٨) ليست بالأصل .

مثل البعير . يقال قاع يقوعُ قَوْعاً^(١) وقِياعاً ، وقَعاً يقَعُو قَعَوًا . فهذا مايسوون فيه بينه وبين البعير . ويقال : خفّ البعير ؛ والجمع أخفاف . ومنسَمُ البعير ، والجمع مناسم ؛ وكذلك يقال للنعامِ .

وقال الراعي :

ورجل كرجل الأخدرى يُشيلُها وظيفٌ على خفّ النعامِ أروحُ^(٢)
وقال جران العود :

لها مثل أظفار العقاب ومنسَمُ أزجُ كظنبوب النعامِ أروحُ^(٣)
قال : والزَّاجِلُ^(٤) : ماء الظليم ؛ وهو كالسكراضٍ من ماء الفحل .
وأنشد لابنِ أحرمر^(٥) :

وما بيضات ذى لبَدٍ هِجَفٌ سُقِينَ بزَاجِلٍ حتّى رويناً^(٦)
وقال الطِّرِمَاح :

سَوْفَ تُدْنِيكَ مِنْ لَمِيسَ سَبْتَدَا ةُ أَمَارَتِ بِالْبَوْلِ مَاءَ الْكَرَاضِ^(٧)

(١) كذا على الصواب في هـ . وفي ط : « قعيا » و س : « قيعا » .

(٢) الأخدرى : الحمار الوحشى . يشيلها : يرفعها ويحملها . والوظيف : مستند الذراع والساق . وظيف أروح : اتسع ما بينه وبين الوظيف الآخر .

(٣) السكرى : « يقول : أظفارها كخالب العقاب . والمنسم : طرف خف النعام . والأزج : المقوس . والظنبوب : أنف عظم الساق » . فى الأصل : « أظفار الكناء » تصحيحه من ديوان جران العود ص ٦ . والبيت وجملة : « وقال جران العود » ساقطان من س .

(٤) يقال بالهمز وبغير الهمز .

(٥) ط ، هـ : « ابن أحرمر » ، صوابه فى س . وانظر ماسبق فى ص ٣٢٨ .

(٦) سبق شرحه فى ص ٣٢٨ .

(٧) السبتاء : الناقة الجريئة لاتقر للفحل . ورواية الديوان ٨١ : « سبتاء » وهما لغتان يقال بالتاء وبالدال . أمارت : أسالت . وماء السكراض : مافى جوفها =

وربما استعاروا المناسم : قال الشاعر :

توعدني بالسُّجن والآدات^(١) إذا عدت تأظبت أدات^(٢)

* تربط بالحبل أ كَبَرِعات *

قال : ويقال لولد النعام : الرّأل ، والجمع رِئال ورئلان ؛ وحفّان .

وحفّانة للواحدة ، والجمع حفّان ؛ وحسكل . ويقال : هذا خيَطُ نعام

ونخيطان^(٣) . وقال الأسود بن يسفّر^(٤) .

وكأن مرجعهم مناقفُ حنظلٍ لعب الرّئال بها وخيَطُ نعام^(٥)

ويقال : قَطِيعٌ من نعام ، ورَعْلَةٌ من نعام .

= من ماء الفحل . س ، ه : « سوف ينيك » ، وأثبت ماني ط والديوان .

ط ، س : « أمارات » صوابه في ه والديوان . والبيت من قصيدة الطرماح ، مغلطها :

قل في شط نهروان اغتاضى ودعاني هوى العيون المراضى

(١) كذا بالأصل .

(٢) كذا . وفي ط : « غدت » .

(٣) الخيط ، بالفتح ويكسر : الجماعة من النعام .

(٤) الأسود بن يسفّر ، شاعر مقدم فصيح من شعراء الجاهلية ليس بالمكثّر . وكان ينادم

النعيمان بن المنذر . ولما أسن كف بصره ، فكان يقاد . واسمه في أعاشي

العرب : أعشى بنى نهشل . الأغاني (١١ : ١٢٨) والخزانة (١ : ٣٦٦ سلفية)

والمؤتلف والمختلف ١٦ . و (يعفر) بفتح الياء وضم الفاء . وقال يونس

سمعت روبة يقول : أسود بن يعفر بضم الياء - أى وبضم الفاء أيضاً - انظر

الصحاح (عفر) والخزانة والأغاني وابن سلام ١٢٢ . وهو على الوجه الأول

منوع من الصرف ، وعلى الآخر مصروف لزوال شبه الفعل عنه . ط : « يعفر »

صوابه في س ، ه .

(٥) « مرجعهم » لعلها « مربعهم » . ومناقف الحنظل : حيث ينقف أى يشق ليستخرج

حبه المسمى بالهبيد . يقول : قد صار موضع دارهم من وحشته مأوى للنعام .

وقال الأصمعي : الرَّعْلَةُ : القِطْعَةُ مِنَ النَّعَامِ . وَالسَّرْبُ مِنَ الطُّبَاةِ
وَالْقَطَا . وَالْإِجْلُ (١) مِنَ الظَّلْفِ .

وقال طفيلُ الغنويُّ في بيضة الحَيِّ (٢) وما أشبه ذلك :

ضَوَابِعُ تَنْوِي بَيِضَةَ الْحَيِّ بعدما أذاعت برِيعَانِ السَّوَامِ المَعْرَبِ (٣)

قال : ويقال : للظلم إذا رعى في هذا النبات ساعة وفي هذا ساعة :
قد عَقَّبَ يَعْقُبُ تعقيباً (٤) . وأنشدني لذي الرِّمَّة :

أَلْهَاهُ آءٌ وَتَنُومٌ وَعُقْبَتُهُ مِنْ لَانَحِ الْمَرْوِ وَالْمَرْعَى لَهُ عُقْبُ (٥)

قال : ويقال للرجل ، إذا كان صغير الأذنين لاصقتين بالرأس : أصمغ ؛
وامرأة صمغاء . ويقال : خَرَجَ السَّهْمُ مَتَصَمِّعاً (٦) : إذا ابتلَّت قُدْذُهُ (٧) ١١٣

(١) الإجل ، بكسر الهمزة . س : « الأرجل » ، صوابه في ط ، هـ .

(٢) في الأصل : « الحل » ، صوابه ما أثبت . انظر البيت الآتي وشرحه .

(٣) ضوايع : تمد أضياعها في سيرها ، أى أعضادها . ط ، س : « صوانغ »
هـ : « صوانغ » صوابها من الديوان ١١ . تنوى : تقصد . ط ، هـ :
« تنبى » س « تنبى » صوابها من الديوان . وفي الأصل : « الحل » موضع
« الحى » تحريف أيضاً . وفي شرح ديوان طفيل : « وبيضة الحى : معظمهم »
أذاعت : فرقت . وريعان كل شيء : أوله . « والسوام ، كسحاب : ما يشرح من
إبل وبقر وغنم ، ولا واحد له . والمعرب ، بتشديد الزاى المفتوحة : الذى عزب
عن أهله لا يروح عليهم . ط ، س : « الشباب المغرب » هـ : « السقام المغرب » ،
تصحيحه من الديوان .

(٤) ط : « عصب يعضب تعضيياً » صوابه في س ، هـ .

(٥) سبق شرح هذا البيت في ٣١٢ . ط ، هـ : « آء آء » بالتكرار . صوابه
في س .

(٦) ط : « أصمغ » هـ : « صمغاء » س : « صمما » صوابه ما أثبت من القاموس
واللسان . ويدل له الاستشهاد الآتي .

(٧) قذذ السهم : جمع قذة بالسهم ، وهى ريشة السهم .

من الدَّم وانضمت . وقال أبو ذؤيب :

* سَهْمًا فَخَرَّ وَرِيشُهُ مُتَصَمِّعٌ ^(١) *

ويقال : أتاناً بريدةٍ مُصَمَّعَةٌ ^(٢) : إذا دَقَّقَهَا ^(٣) وحدَّدَ رأسَهَا :

وصومعة الرَّاهِبِ منه ؛ لأنها دقيقة الرأس . وفلانٌ أصمَعُ القلبِ : إذا كان

ذكياً حديداً [ماضياً] . وقال طرفة :

لعمري لقد مرَّتْ عواطِسُ جَمَّةٌ وَمَرَّ قُبَيْلُ الصُّبْحِ ظِيَّ مُصَمِّعٌ ^(٤)

أراد : ماضياً .

(شعر في البيض)

وقال الشاعر في بيضة البلد ^(٥) :

(١) عجز بيت في صفة صائِد رى أتاناً يسهم فنَفَذَ فيها بَرِيشَه ثم سقط . وصدره :

* فَرَمَى فَأَنْفَذَ مِنْ نَحْوِ عَاطِطٍ *

في الأصل : « ريشة » ، وصوابه من اللسان (جمع) وديوان الهذليين (١ : ٨) ،
والمفضليات ٤٢٥ حيث تجد القصيدة .

(٢) في الأصل : « متصمعة » صوابه من اللسان والقاموس . ويقال أيضاً :
« مصومعة » كما في القاموس .

(٣) في الأصل : « رققها » بالراء . وليست مرادة ، والمراد دقة الرأس . وانظر
اللسان والقاموس (جمع) .

(٤) البيت من أبيات ثلاثة قالها طرفة ، في أثناء رحلته المشهورة إلى عامل عمرو بن هند
بالبحرين ، وكان قد سحنت له في الطريق ظباءً وعقاب . انظر ديوانه ٩ - ١٠ .

والمعاطس : جمع عاطس ، وهو ما استقيلك من الظباء . ورواية اللسان (مادة
عطس) : « عواطيس » : جمع عاطوس ، وهي دابة يتشام بها . وفي مادة

(جمع) : « عواطس » كما هنا . والمصمغ : بكسر الميم المشددة : الذهاب السريع
كما فسره الجاحظ . ويروى : « مصمغ » بفتح الميم للمشددة ، وهو الصغير

الأذنين . وفي الأصل بدل : « ومر » : « ومنى » تحريف ، صوابه ما أثبت من
اللسان في موضعيه والديوان .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من س . وانظر لبيضة البلد ماسبق في (٢ : ٣٣٦) .

أقبلت تُوضِع بَكْرًا لَا خِطَامَ لَهَا حَسِبْتَ رَهْطُكَ عِنْدِي بَيْضَةَ الْبَلَدِ^(١)
ويشبهه عظام جماجم الرؤوس ببيض النعام . وقال الأعرج القيني^(٢) :

بَكَيْنَا بِالرَّمَا ح غِدَادَ طَرَقَ عَلَى قَتْلَى بِنَاصِفَةِ كِرَامِ^(٣)
جَمَاجِمَ غَوْدِرَتَ بِحَمَامِ عَرَقَ كَنَّا فَرَاشَهَا بَيْضُ النِّعَامِ^(٤)
وقال مقاتل بن طلببة^(٥) :

رَأَيْتُ سَحِيحًا فَاقَدَ اللَّهُ بَيْنَهَا تَذِيكَ بِأَيْدِيهَا وَتَأْنِي أُيُورُهَا^(٦)
وقال السُّحَيْمِيُّ يَرُدُّ عَلَيْهِ :

مُقَاتِلُ ، بَشَّرَهَا بِبَيْضِ نَعَامَةٍ وَإِنْ لَمْ تَبَشِّرْهَا فَانْتَ أَمِيرُهَا
وقال أبو الشَّيْصِ الْخَزَاعِيُّ^(٧) فِي بَيْضَةِ الْخَلْدَرِ :

(١) البكر ، بالكسر : الناقة لم تحمل ، أو التي ولدت بطناً واحداً . والبكر أيضاً ولدها ذكراً كان أو أنثى . وأوضع الناقة يوضعها : جعلها تضع في سيرها ، أى تعدو عدوا خفيفاً . وفي الأصل : « ترضع بكراً » ، وهو تحريف فكه .

(٢) كذا . والمعروف في الشعراء : الأعرج المعنى : نسبة إلى معن طييء . واسمه عدى بن عمرو ابن سويد . وهو شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام . وهو القائل :

تَرَكْتُ لِلشَّعْرِ وَاسْتَبَدَلْتُ مِنْهُ إِذَا دَاعَى صَلَاةَ الصُّبْحِ قَامَا

كِتَابَ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ شَرِيكَ وَوَدَعْتُ الْمَدَامَةَ وَالتَّدَامَا

معجم المرزبانى ٢٥١ والإصابة ٦٤٠٩ ، ٣٧١٣ . والأعرج المعنى شعر فى

البيان (١ : ٢٤٦) .

(٣) ناصفة : موضع . س ، هـ : « بناصية » ، صوابه فى ط .

(٤) الفراش ، بالفتح : كل عظم رقيق .

(٥) هو مقاتل بن طلببة بن قيس بن عاصم ، كما فى عيون الأخبار (٤ : ٩٦) . وطلببة ،

بالتحريك . انظر للقاموس واللسان . هـ : « كلية » محرفة .

(٦) سحيم : بطن من بنى حنيفة . وفاقد الله بينها : جعل بعضهم يفقدون بعضها . ورواية

عيون الأخبار : « وتعيًا » موضع : « وتأنى » .

(٧) اسمه محمد بن عبد الله بن رزّين ، وهو عم دعبل بن على الخزاعى . وكان معاصراً =

وَأَبْرَزَ الْخِدْرُ مِنْ ثِنْيِهِ بَيْضَتَهُ وَأَعَجَلَ الرَّوْعُ نَصْلَ السَّيْفِ يُخْتَرَطُ^(١)
عَثْمٌ تَفْدِيكَ مِنَّا كُلُّ غَانِيَةٍ وَالشَّيْخُ يَفْدِيكَ وَالْوِلْدَانُ وَالشَّمْطُ^(٢)

وقال جحش بن نصيب :

كَأَنَّ فَلَاقَ الْهَامِ تَحْتَ سُيُوفِنَا خَذَارِيفُ بَيْضِ عَجَلِ النِّقْفِ طَائِرُهُ^(٣)

وقال مهلهل في بيضة الخدر :

وَتَجُولُ بِيضَاتُ الْخُدُورِ حَوَاسِرًا يَمَسُحْنَ فَضْلَ ذَوَائِبِ الْأَيْتَامِ^(٤)

وهو وما قبله يدلان^(٥) على أنهم لا يشبهون ببيض النعام إلا الأبقار .

قال الشاعر^(٦) :

= لأبي نواس ومسلم بن الوليد . وذكره الصفي في نكت الحميان ٢٥٧ وذكر أنه توفي سنة مائتين أو قبلها .

(١) الثنى ، بالكسر : واحد الأثناء ، وهي الحافى والمخاطف . وقد ثنى وأراد الجمع ، وهو معروف في كلامهم . س : « من ثنيته بيضة » ، صوابه في ط ، هـ . يختلط : أى يستل من غمده . يقول : استعمل الخوف نصل السيف في حال اختراطه . في الأصل : « مختلط » . ولا يستقيم بها إعراب البيت . فلعل الوجه ما أثبت .

(٢) الشمط ، بالضم : جمع أشط وشمطاء . وهو من اختلط بياض رأسه بسواده . وقد ضم الميم للشعر ، وأصلها السكون .

(٣) الفلاق ، بالضم ، جمع فلاقة بالضم أيضا ، وهي القطعة . والهام : الرؤوس . والخذارييف : جمع خذروف بالضم ، وهي كل شئ مبعثر من شئ . س : « خذارييف » صوابه في ط ، هـ . ونقف الطائر البيضاء : ثقبها ليساعد الفرخ في الظهور .

(٤) حواسرا : كاشفات رهسهن . وفي الأسميات ١٧٦ : « عرض ذوائب » .

(٥) س ، هـ : « يدل » .

(٦) هو ذو الرمة ، كما في الخزاعة (٤ : ٤٥١ بولاق) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٩) وكتاب سيويه (١ : ٥٦) .

وَبَيْضُ أَفْقَنَا^(١) بِالضُّحَى مِنْ مُتُونِهَا سَمَاوَةٌ بَيْضُ^(٢) كَالْحَبَاءِ الْمَقْوُضِ^(٣)
هَجُومٌ عَلَيْهَا نَفْسُهُ ، غَيْرَ أَنَّهُ مَتَى يُرْمَ فِي عَيْنَيْهِ بِالشَّخْصِ يَنْهَضُ^(٤)
يعنى بِالْبَيْضِ بَيْضُ النَّعَامِ . وَسَمَاوَةُ الشَّيْءِ : شَخْصُهُ . لِأَنَّ الظِّلْمَ لَمَّا
رَأَاهُمْ فَزِعَ وَنَهَضَ . وَهَذَا الْبَيْتُ أَيْضاً يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ فَرُوقَةٌ^(٥) . ١١٤

وَقَالَ ذُو الرُّمَّةِ فِي بَيْضِ النَّعَامِ :

تَرَاهُ إِذَا هَبَّ الصَّبَا دَرَجَتْ بِهِ غَرَابِيبُ مِنْ بَيْضِ هَجَانٍ دَرَدَقُ^(٦)
قَالَ : وَالصَّبَا وَالْجَنُوبُ تَهَيَّانِ فِي أَيَّامِ يُبْسِ الْبَقْلِ ، وَهُوَ الْوَقْتُ الَّذِي

(١) كَذَا فِي س ، هـ . وَفِي ط : « فَلَقْنَا » . وَفِي مُحَاضِرَاتِ الرَّاعِبِ : « كَشَفْنَا » وَرَوَايَةُ
الْقَتَالِ (٢ : ٢٩٤) : « رَفَقْنَا »

(٢) كَذَا . وَلَعَلَّهَا : « هَيْق » وَهُوَ الظِّلْمُ . وَرَوَايَةُ الْقَتَالِ : « جُون » بِمَعْنَى ظَلِيمٍ
أَسْوَدَ .

(٣) الْخَبَاءُ ، بِالْكَسْرِ : الْبَيْتُ مِنْ وَرَبٍ أَوْ صَوْفٍ أَوْ شَعْرِ . س ، هـ : « كَالْحَبَاءِ »
صَوَاهِجُ فِي ط ، وَالْمُحَاضِرَاتُ وَالْأُمَالَى . وَالْمَقْوُضُ : الْمَهْدُومُ . وَجَعَلَهُ كَذَلِكَ حِينَ
حَضَنَتْهُ لِبَيْضِ وَرُقُودِهِ عَلَيْهِ .

(٤) هَجُومٌ عَلَيْهَا نَفْسُهُ : أَيْ يَهْجُمُ عَلَى الْبَيْضِ نَفْسُهُ وَيَلْقِيهَا حَاضِنًا لَهَا . وَقَدْ أَنْتَ الْبَيْضُ
هَنَا . وَاسْتَشْهَدَ بِهِ سَبِيوِيهِ عَلَى إِعْمَالِ صِيغَةِ فَعُولٍ عَلَى اسْمِ الْفَاعِلِ . وَفِي الْأَصْلِ :

« هَجُومٌ عَلَيْنَا » وَصَوَابُهُ فِي الْمَصَادِرِ السَّابِقَةِ . وَرَوَى الْقَتَالُ وَسَبِيوِيهِ : « بِالشَّيْخِ »
مَكَانَ : « بِالشَّخْصِ » ، وَهِيَ بِمَعْنَى . وَالشَّيْخُ وَالشَّيْخُ ، بِالْفَتْحِ ، وَبِالتَّحْرِيكِ ، لَفْتَانُ .

(٥) الْفَرُوقَةُ ، بِالْفَتْحِ : لِلْكَثِيرِ الْفَرْعُ ، يُقَالُ لِلْمَذْكَرِ وَالْمُؤَنَّثِ . وَلَهُ نَظَائِرُ فِي
الْمَزْهَرِ (٢ : ١٣٤) وَانْظُرْ شَوَاهِدَ ذَلِكَ فِي الْلسَانِ (فَرْقُ) . وَفِيهِ أَيْضاً أَنَّهُ
يُقَالُ لِلْمُؤَنَّثِ « فَرُوقٌ » بِزَعِ الْمَاءِ . وَفِي أَصْلِ الْكِتَابِ : « رُوحُهُ » وَهُوَ
تَحْرِيفٌ لَا يَسْتَقِيمُ .

(٦) فِي الْأَصْلِ . « ذَرَفَتْ بِهِ » ، وَتَصْحِيحُهُ مِنْ دِيوَانَ ذِي الرُّمَّةِ ٣٩٨ وَمِنْ الشَّرْحِ
الْآتِي لِلْجَاحِظِ . وَ« دَرَدَقٌ » صِفَةُ لِكَلِمَةِ « غَرَابِيبُ » فَهِيَ مَرْفُوعَةٌ . وَالْبَيْتُ
مِنْ قَصِيدَةِ ذِي الرُّمَّةِ ، أَوَّلُهَا :

أَدَارًا بِجَزْوَى هَجَتْ لِلْعَيْنِ عِبْرَةً فَاهِ الْهَوَى يَرْفُضُ أَوْ يَتَرَقَّقُ
وَقَبْلَ الْبَيْتِ :

بِمِثْبَتِهِ الْأَرْبَاءَ يَرَى بَرْكَبَهُ يَبِيسُ الثَّرَى نَائِي الْمَنَاهِلِ أَخَوْقُ

يَنْقُبُ النَّعَامَ فِيهِ الْبَيْضُ . يقول : درجت به رِثْلَانِ سَوْدُ غَرَابِيبَ ، وهى
من بَيْضٍ هِجَانُ : أى بَيْضُ . والدَّرْدَقُ : الصَّغَارُ ، وهو من
صَغَرَ^(١) الرِّثْلَانِ .

(الحصول على بيض النعام)

قال طفيل بن عوف الغنوى^(٢) ، وذكر كيف يأخذون بيض النعام :
عَوَازِبُ لَمْ تَسْمَعْ نُبُوحَ مَقَامَةٍ وَلَمْ تَرَ نَارًا تَمَّ حَوْلَ مَجْرَمٍ^(٣)
سِوَى نَارِ بَيْضٍ أَوْ غَزَالٍ مُعْقَرٍ أَغْنَى مِنَ الْخَنَسِ الْمُنَاجِرِ تَوَامٍ^(٤)

- (١) جمع صغرى . وفي اللسان : « والصغرى تأنيث الأصغر ، والجمع الصغر . قال سيويه :
يقال نسوة صغر ولا يقال قوم أصاغر ، إلا بالالف واللام » .
(٢) طفيل بن عوف الغنوى : شاعر جاهل فحل ، قالوا : وهو أوصف العرب الخيل .
ويقال له : طفيل الخيل ، ويسمى أيضا : المحبر الغنوى . المؤلف ١٨٤ .
(٣) عوازب : عنى إبلا عوازب لا تروح على أهلها ، تبيت بالقفر . وقبل هذا البيت
بأربعة أبيات :

أرى إبلا عافت جدود فلم تذق بها قطرة إلا تحلة مقسم
والنبوح ، بالضم : أصوات الكلاب . والمقامة ، بالفتح : الحى المقيمون .
يريد : أصوات كلاب الحى المقيمين . تم حول مجرم : أى حول تام . س ، ه :
« نبوح » صوابه من الديوان ٤٥ ومما سبق فى (١ : ٣٤٨) . ه :
« حمامة » موضع « مقامة » صوابه فى س ، ط والديوان . ورواية القائل :
« نُبُوحٌ مَقَامَةٌ » قال : « النبوح : أصوات الناس . والمقامة : حيث يقيم
الناس » ، ثم قال : « يقول : هذه الإبل عوازب ، لعز أربابها ، ترضى حيث شئت
لا تمنع ولا تخاف ، فلم تسمع أصوات أهل مقامة ولم تر نارا سنة كاملة سوى
نار بيض نعام يصيبه راعيها فيشويه ، أو غزال يصيده » .

- (٤) معقر : مقتول ممرغ فى العقر . س : « معقر » بالقاف . والأغن : الذى فيه
غنة ، وهو من صفة الطباء . وفى الأصل : « أغر » وصوابه من الديوان ،
والأمالى . والأخنس : القصير الأنف . والتوأم : الذى ولد مع غيره . وذلك أشد
لضوؤك وصغر جسمه .

هذه إبلٌ راعٍ معزِبٍ^(١) صاحب بوادٍ^(٢) وبدوةٍ ، لا يأتي المحاضر والمياه حيث تكون النيران^(٣) . وهو صاحب لبنٍ وليس صاحب بقلٍ ، فإنه لا ترى ناراً سوى نارٍ بيضٍ أو غزالٍ .

(نار الصيد)

وهذه النارُ هي النارُ التي يُصطاد بها الظباء والرثلان وبيضُ النعام^(٤) لأنَّ هذه كلها تعشى إذا رأتُ ناراً ، ويحدثُ لها فكرةٌ فيها ونظر . والصبيُّ الصغير كذلك . وأوَّلُ ما يعاتبُ^(٥) الرضيعُ ، أوَّلُ ما يناغى ، المصباحُ^(٦) . وقد يعترى مثلُ ذلك الأسدُ ، ويعترى الضفدعُ ؛ لأنَّ الضفدعَ ينقُ ، فإذا رأى ناراً سكنت . وهذه الأجناس قد تغترُّ^(٧) بالنار ، ويُختالُ لهاها .

(١) هـ : « معرب » ، صوابه في ط ، س .

(٢) كتبت في الأصل بإثبات الياء . وهو جائز في العربية في حالة الوقف فقط . وفي كتاب سيبويه (٢ : ٢٨٨) : « وحدثنا أبو الخطاب ويونس أن بعض من يوثق بعربيته من العرب يقول : هذا غازي وراي وعي . أظهروا في الوقف ، حيث صارت في موضع غير تنوين » .

(٣) ط ، هـ : « النيران » بالثاء . صوابه بالنون كما في س .

(٤) تسمح الجاحظ في التعبير ؛ فإن بيض النعام ليس مما يصطاد ، بل هو مما يطلب ويبحث عنه . وكان العرب يطلبون بيض النعام في أفاحيصها ومكائنها بالنار . جاء في ثمار القلوب ٤٦٢ ، عند الحديث عن (نار الصيد) : « ويطلب بها أيضا بيض النعام في أفاحيصها ومكائنها » .

(٥) يعاتب ، من المعاتبة ، وهي الملاعبة . وفي الأصل : « يعاتب » محرفة .

(٦) المناغاة : المحادثة والملاعبة . و « المصباح » هي في ط ، هـ : « المصباح » صوابه في س .

(٧) تغتر : تختدع ؛ فالأسد يرى النار فيستعظمها فتشغله عن السابلة ، وكذا الضفدع يشغل عن النقيق . ط ، س : « تغتر » ، صوابه في هـ .

(تشبيه الغيوم بالنعام)

وتوصف الغيوم المتراكمة ^(١) بأن عليها نعاماً . قال الشاعر ^(٢) :

كَأَنَّ الرَّبَابَ دُونِ السَّحَابِ نَعَامٌ تَعَلَّقَ بِالْأَرْجُلِ ^(٣)
وقال آخر :

خَلِيلِي لَا تَسْتَسْلِمَا وَادْعُوا الَّذِي لَهُ كُلُّ أَمْرٍ أَنْ يَصُوبَ رَيْعٌ
حَيًّا لِبِلَادٍ أَبْعَدَ الْمَحَلِّ أَهْلِهَا وَفِي الْعَظْمِ شَيْءٌ فِي شَطَاةٍ صُدُوعٌ ^(٤)
بِمَنْتَضِكٍ ^(٥) عَر ^(٦) النَّشَاصِ كَأَنَّهَا جِبَالٌ عَلَيْهِنَّ النَّسُورُ وَقُوعٌ ^(٧)

(١) المتراكمة : المتكاثفة . ط ، هـ : « المتراكمة » تصحيحه من س .

(٢) هو عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، كان في اللسان (ريب) — عن الأصمعي — ومعجم الأدباء (١٦ : ٢٥٩) عن أبي عبيد . ونسبه الحصري في زهر الآداب (١ : ١٧٧) إلى حسان بن ثابت . والبيت منسوب في الكامل ٤٨٥ ، ٧٥٨ وكذا في شرح المفصليات ٢٤٨ (عن الأصمعي) إلى المازني . قلت : المازني الذي عناه هو زهير بن عروة بن جلهمة المازني ، كان في الأغاني (١٩ : ٣٨٧) ، أو عروة بن جلهمة ، كان في اللسان . وبقية :

إذا الله لم يسق إلا الكرام فأسق وجوه بني حنبل
أجش ملثاغزير السحاب هزير الصلاصل والأزمل
تكركره خضخضات الجنوب وتفرغه هزة الشمال

(٣) الرباب ، بالفتح : السحاب المتعلق .

(٤) الحيا : الخصب . وفي الأصل : « جنا » . والمحل : الجذب وانقطاع المطر .

والشظى : عظيم لاصق بالركبة . هـ : « شطاء » . س : « وفي الفطم في شطاء »

صدوع » وأثبت ما في ط . ولعل صوابه : « وَعَى الْعَظْمُ حَتَّى فِي شَطَاةٍ

صُدُوعٌ » ، أى وعى العظم من المحل حتى ظهرت الشقوق في شطاء . ووعى

العظم : انجبر على عثم ، أى التواء . وهو كناية عن الشدة . والبيت وسابقه في الزهرة ٢٠٣ .

(٥) هـ : « بمنتضك » س : « بمصك » وكلها صور محرفة . ولعلها « معتنك »

وأصله البعير يحبو حبواً ولا يقدر على السير . فيكون قد جعله معتنكاً لثقله وكثرة مائه .

(٦) كذا بالعين المهملة . ولعلها : « غر » .

(٧) النشاص ، بالفتح : السحاب المرتفع بعضه فوق بعض .

(استطراد لغوى)

وقال آخر :

وَضَعَ النَّعَامَاتِ الرَّجَالُ بَرِيدَهَا مِنْ بَيْنِ مَخْفُوضٍ وَبَيْنِ مَظَلٍّ^(١)
والنعائم في السماء^(٢) . والنعائم والنعامتان من آلات البئر^(٣) .
و [النعامة^(٤)] : بيت الصائد^(٥) .

وقال في مثل ذلك عروة بن مُرَّة الهذلي^(٦) :

(١) النعامة : غلة أو علم يتخذ من خشب ، وربما استظل به وربما اعتدى به . المخصص .
(٥ : ١٣٥) . والرجال هنا فاعل (رفع) . والريد ، بالفتح : الحرف الثاني
من الجبل . في الأصل : « برمدها » ، وتصحيحه من المخصص . وشبيهه بلفظه قوله :

لا شيء في رينها إلا نعامتها منها هزيم ومنها قائم باقى

و « مظل » هى في الأصل « مضلل » وصوابه في المخصص .

(٢) هى منزلة من منازل القمر بها ثمانية نجوم أربعة منها فى المجرة وتسمى الواردة ، وأربعة
خارجة تسمى الصادرة .

(٣) النعامتان : خشبتان يضم طرفاهما الأعلىان ويركز طرفاهما الأسفلان فى الأرض ، أحدهما
من هذا الجانب ، والآخر من ذاك الجانب ، يصقمان بحبل ويمد طرفا الحبل إلى وتدين .
مثبتين فى الأرض ، أو حجرين ، وتعلق القامة أى البكرة بين شعبتي النعامتين . قلت :
فقد يضم إلى النعامتين ثالثة فيصرن نعائم . فى الأصل : « المر » وقد كشفت سر هذا
الضم حيف بما أثبت .

(٤) ليست بالأصل .

(٥) ط ، هـ : « الصديد » . صوابه ما أثبت من س .

(٦) البيت الآتى منسوب فى اللسان (سرب) إلى أبى خراش الهذلى . وعروة وأبو خراش
أخوان ، من عشرة إخوة أبوهم مرة الهذلى ، وكانوا جميعاً شعراء دهاة سراعاً
لا يدركون عنوا . أما عروة فقتل فى الجاهلية ورثاه أبو خراش بأبيات ضادية ،
فى الحماسة . وأما أبو خراش — واسمه خويلد بن مرة — فإنه أدرك زمان عمر
ابن الخطاب ، وهاجر إليه ، وغزا مع المسلمين . ومات فى زمن عمر .
الأغاني (٢١ : ٣٨ — ٤٨) والإصابة ٢٤١ والشعراء والخزائن (١١ : ٤٠٠ .
سلفية) .

وذات رَيْدٍ كَزَنْقٍ لِلْفَأْسِ مُشْرِفَةٍ طَرِيقُهَا سَرِبٌ بِالنَّاسِ مَجْبُوبٌ^(١)
 ١١٥ لم يَبْقَ من عَرَسِهَا إِلَّا نَعَامُهَا حَالَانِ مِنْهَزَمٌ مِنْهَا وَمَنْصُوبٌ^(٢)

(مسكن النعام)

وفي المثل : « مَا يُجْمَعُ بَيْنَ الْأَرْوَى وَالنَّعَامِ »^(٣) ؛ لِأَنَّ الْأَرْوَى تَسْكُنُ
 الْجِبَالَ وَلَا تَسْهَلُ^(٤) ، وَالنَّعَامُ تَسْكُنُ السَّهْلَ وَلَا تَرْقَى فِي الْجِبَالِ . وَلِذَلِكَ
 قَالَ الشَّاعِرُ^(٥) :

(١) الريد : ما شخص من الجبل : ط . « وذات فرند » س ، هـ : « وذات
 زند » صوابه ما أثبت من اللسان ، وانظر البيت السابق . والزنق ، بالتخريك :
 أصله أسلة نصل السهم . والأسلة : مستدق النصل . فيكون قد أسكن القنون
 ضرورة الشعر . والمعنى أن ذلك الريد يشبه حد الفأس . ط ، هـ : « بزلف »
 س : « بدلف » . وفي اللسان : « كزلق الرخ » . وصواب الكلمة ما أثبت .
 وأما كلمة « الرخ » في اللسان فصوابها « الزج » . والأرض المشرفة : العالية
 تشرف على ما حولها . والطريق المرب — ككتف — : الذي يتتابع فيه
 الناس . في الأصل : « طويلها » تصحيحه من اللسان . والمجبوب . كأنه المهد
 من قولهم : سنام مجبوب ، أى مقطوع . ط ، س : « مجبوب » صوابه في هـ .
 ورواية اللسان : « دعبوب » بضم الدال ، وهو المذلل الواضح الذي يسلكه
 الناس

(٢) العرس ، بالفتح : حائط يجعل بين حائطي البيت الشتوى لا يبلغ به أقصاه ثم يسقف
 ليكون البيت أدفاً . والنعام : الظلة . حالان أى تلك النعام لها حالان فيعض أجزائها
 منهزم أى متكسر . تقول هزمت القربة فانهزمت : إذا غمزتها فطامنت . ومنسوب :
 أى قائم . انظر مثيل هذا البيت في حواشي الصفحة السابقة . في الأصل : « مصبوب »
 والوجه ما أثبت .

(٣) نص المثل في الميداني (١ : ١٢٦) وكنايات الجرجاني ١١٨ والسميري : « تكلم
 فجمع بين الأروى والنعام » . وقالوا : أى تكلم بكلمتين مختلفتين . وفي اللسان .
 « ومن أمثالهم : من يجمع بين الأروى والنعام ؟ ! » . والأروى : جمع
 أَرْوِيَّةَ ، أو اسم جمع ، وهى أنثى الوعل .

(٤) أسهل : نزل في السهل من الأرض .
 (٥) هو مهلهل ، كما في اللسان (ظهر ، كدس) أو عبيد بن الأبرص ، كما في مختصر
 تهذيب الألفاظ ١٧١ واللسان (كدس) . والبيت يدون نسبة في المقاييس (كدس) .

وَحَيْلٍ تَكْرَدُسُ بِالْدَّارِعِينَ كَمْشَى الْوُعُولَ عَلَى الظَّاهِرَةِ^(١)
وقال كثير :

يَهْدَى مَطَايَا كَالْحَنِيِّ ضَوَامِرًا بِنِيَاطِ أَغْبَرَ شَاخِصِ الْأُمَيَّالِ^(٢)
فَكَانَهُ إِذْ يَغْتَدِي مُتَسِمًا وَهَذَا فَوْهَدًا نَاعِقٌ بَرَّثَالِ^(٣)

(شعر في التشبيه بالنعام)

وقال الأعشى ، في تشبيه النعام بما يتدلَّى من السحاب من قطع
الرباب :

(١) ط : « وتبلى » س ، هـ : « ونبل » ، صوابه من الحيوان (٦ : ٣٠٠)
والمختصص (١٠ : ٦٩) واللسان . وتكردس : تمشى مشية المقيد . ط :
« يكردس » س ، هـ : « مكردس » ، صوابها من سادس الحيوان .
والرواية في المختصص واللسان والمختصر : « تَكْرَدَسُ » أى تتكدس . والتكدس :
أن يمشى الفرس كأنه مثقل . والدارع : لابس الدرع الحديدى . والظاهرة :
أعلى الجبل حيث يسكن الوعل . وفي الأصل : « الطاهر » صوابه من المختصص
واللسان والمختصر . وانظر ما سياتى في (٦ : ٣٠٠) .

(٢) الحنى : كفى : جمع حنية ، وهى القوس . جعلها كالقسي فى نحوها . وانظر
الاستدراكات . ونياط المفازة : بعد طريقها . ط ، س : « نباط » صوابه فى هـ .
والأغبر : الطريق ذو الغبرة . شاخص : قائم . والأيمال : جمع ميل ، بالكسر ، وهو
المنار يبنى للمسافر فى أنشاز الأرض وأشرافها . وفى الأصل : « الأمثال » . ولا وجه له ،
صوابه ما أثبت .

(٣) تسم الشيء : علاه . س : « متسما » صوابه فى ط ، هـ . والوهد ،
بالفتح : الأرض المنخفضة . فعنى تسم الوهد : أشرف عليه من الأنشاز التى حوله .
ط : « وهد فوهد » س ، هـ : « وهدى فوهدى » صوابها ما أثبت .
وناعق : هو من نعى الراعى بالغنم : دعاها وصاح بها . ط : « ناطق » تصحيحه من
س ، هـ .

يا هَلْ تَرَى بَرَقًا عَلَى ٱلْجَبَلَيْنِ يُعْجِبُنِي أَنْجِيَابُهُ (١)
مِنْ سَاقِطِ الْأَكْنَافِ ذِي زَجَلٍ أَرَبَّ بِهِ سَحَابُهُ (٢)
مِثْلِ النَّعَامِ مُعَلَّقًا لَمَّا زَقَا وَدَنَا رَبَابُهُ (٣)
وَقَالَ وَشَبَّهَ نَاقَتَهُ (٤) بِالظَّلِيمِ :

وَإِذَا أَطَافَ لِبَابِهِ بِسَدِيدِهِ (٥) وَمَسَافِرًا وَلَجَابَهُ وَتَزَيَّدَا (٦)
شَبَّهَتْهُ هِقْلًا يُبَارَى هِقْلَةً رَبْدَاعًا فِي خَيْطِ نِقَاقٍ أَرَبْدَا (٧)

(١) ياهل : أى ياصاح هل . حذف المنادى ، كما جاء فى الكتاب : « ألا يا اسجدوا » . فى قراءة الكسافى ، وكقوله :

يا لعنة الله والأقوام كلهم والصالحين على سيمان من جار
برفع « لعنة » . ورواية الديوان ١٩٨ : « بل هل » . والجبلان ، هما جبل
طيسى : أجأ وسلمى . وأنجيابه : انكشافه . ويروى : « انتصابه » . وفى شرح
الديوان : « الناصب من البرق ترى ضوءه ثابتا » . ط ، س : « أنجيابه »
تصحىحه من هـ والديوان .

(٢) من ساقط الأكناف : أى من سحب ساقط النواحي . وفى الأصل : « مقساقط » .
و « الأكناف » هى فى س : « الأكثاف » وصواب هذين التحريفين
من الديوان . والزجل ، بالتحريك : الصوت . أرب به : أقام .

(٣) معلقا ، فى موضع حال من النعام . فى الأصل : « معلق » ووجه ما أثبت من
الديوان . وانظر شبيه هذا المعنى فى البيت الذى سبق فى ص ٣٥٠ . زقا : صاح .
وفى اللسان : « وكل صائح زاق . . . وقد تعدوا ذلك إلى ما لا يحس فقالوا : زقت
البكرة » . ط ، هـ : « رقا » ولا وجه له ، وأثبت ما فى س . ورواية الديوان :

« لَمَادَنَا قَرْدًا رَبَابُهُ » القرد : المجتمع . والرباب : ما تدلى من السحاب .

(٤) كذا . والوجه : « بعيده » أو « جله » . كما يفهم من الشعر . انظر الديوان ١٥٢ .

(٥) رواية الديوان : « وَإِذَا يَلُوثُ لُغَامَهُ بِسَدِيدِهِ » و : « أطاف لغامه » .

(٦) كذا فى ط ، هـ . وفى س : « ومسافر دلجا به » ، وكلاهما محرف . ورواية الديوان :

« ثَنَى فَهَبَّ هِبَابُهُ وَتَزَيَّدَا »

(٧) المحقل ، بالكسر : الفقى من النعام . ط ، س : « شبهته صعلا » . والصعل ،
بالفتح : الطويل من النعام . ورواية الديوان : « وكأنه هقل يبارى هقلة » .
والربداء : الرمادية اللون ، أو السوداء . وروى فى الديوان : « رمدا » =

وذكر زهير^(١) الظَّليمَ وأولاده ، حتى^(٢) شبهَ ناقتهَ بالظَّليم :
 كَأَنِّي وَرَدُّنِي وَالْقِرَابَ وَتَمُرُّقِي عَلَى خَاضِبِ السَّاقِينَ أُرْعَنَ نِقْنَقِي^(٣)
 رَامِي بِهِ حَبُّ الصَّحَارَى وَقَدْ رَأَى سَمَاوَةَ قَشْرَاءِ الْوُظَيْفِينَ عَوْهَقِي^(٤)
 تَحَنُّ إِلَى مِثْلِ الْحَبَابِيرِ جُثْمٍ لَدَى سَكْنٍ مِنْ قَيْضِهَا الْمُتَفَلِّقِ^(٥)
 تَحْطَمَ عَنْهَا [قَيْضُهَا] عَنْ خَرَاطِمٍ وَعَنْ حَدَقِ كَالنَّبِيخِ لَمْ يَتَفَلَّقِ^(٦)
 النَّبِيخُ^(٧) : الْجُدْرَى^(٨) .

= أى رمادية اللون . والخيوط ، بالفتح والكسر : جماعة النعام . ط ، س :
 « نبط » هـ : « نبط » تصحيحه من الديوان . والنقناق : جمع نقنق ونقنقة ،
 وهو الخفيف من النعام . فى الأصل : « تعانق » والوجه من الديوان . و « أربدا »
 صفة لخط ، وجوز بالفتحة لوزن أفعل . هـ والديوان : « أرمدا » وهما بمعنى .

(١) الصواب نسبته إلى كعب بن زهير فى قصة رواها أبو الفرج فى ١٥ : ١٤١ . وفى ديوان
 زهير ٢٤٥ أن زهيراً وكعباً اشتركا فيها .

(٢) لعلها : « حين » ، أو : « حيث » .

(٣) الردف ، بالكسر : الحقيبة ونحوها . والقرباب ، بالكسر : غمد السيف . ويروى :
 « والفتان » وهو غشاء الرجل . والتمرقق : ما يوضع فوق الرجل يقعد عليه الراكب . خاضب
 الساقين : عنى به ظليماً احمرت ساقاه . والنقنق ، النافر أو الخفيف .

(٤) فى الديوان والأغاني : و « تراخى » ، أى تناول . ط ، هـ : « وقد أرى » . وأثبت
 ما فى س ، والديوان والأغاني ، والسماوة : أعلى شخص الشيء . والقشراء : البيئة
 القشر ، وهو شدة الحمرة . أو القشراء : المتقشرة الساق لاريش عليها . والوظيف :
 مستدق الساق . وفى ط ، س : « الوظيفة » وهـ : « قشر الوظيفة » صوابه ما أثبت .
 والموهق : الطويل : يستوى فيه المذكر والمؤنث . ط ، س : « عيق » هـ : « عيق »
 محرفتان عما أثبت .

(٥) فى الأصل : « ميل الجناحين » ، صوابه من الديوان والأغاني . والحبابير : جمع
 حبارى ، يعنى فراخها . والجثم : الجائمة المقيمة فى موضعها . والسكن : حيث
 تسكن . وفى الأصل : « عن بيضها » ، صوابه من الديوان والأغاني . والقيض :
 قشر البيض .

(٦) التكللة من الديوان والأغاني . وفى ط ، هـ : « خراطم أسيج » . والنبيخ : الجدرى .
 س ، ط : « كالمح » ، هـ : « كالمخ » ، صوابهما من الديوان والأغاني واللسان (نبيخ) .

(٧) س : « السح » . ط ، هـ : « السيج » ، محرفتان .

(٨) فى الأصل : « الحدور » ، تحريف ما أثبت .

(النعامة فرس خالد بن فضلة)

وكان اسمُ فرس خالد بن فضلة^(١) : « النعامة » . قال :

تَدَارَكَ إِرْحَاءُ « النِّعَامَةِ » حَنْثَرًا وَدُودَانَ أَدَّتُهُ إِلَى مُكَبَّلَا^(٢)

(تشبيهه مشى الشيخ بمشى الرئال)

وقال عروة بن الورد^(٣) :

أَلَيْسَ وَرَأَى أَنْ أُدَبَّ عَلَى الْعَصَا فَيَأْمَنَ أَعْدَائِي وَيَسَامِنِي أَهْلِي^(٤)

رَهِينَةً قَعَرَ الْبَيْتِ كُلَّ عَشِيَّةٍ يُطِيفُ بِي الْوِلْدَانُ أَهْدِجُ كَالرَّأَلِ^(٥)

(١) خالد بن فضلة الأسدي ، فارس مشهور من فرسانهم ، وله ذكر في يوم النصار ؛ إذ كان رئيس أسد يومئذ . كامل ابن الأثير ١ : ٣٧٧ . س : « فضلة » صوابه في القاموس (نعم) وكامل ابن الأثير ، والبيان ٣ : ٢٥٠ ، ٢٦٩ وبلوغ الأرب ٢ : ١١٨ . وقد قال البيت الآتي يذكر فيه أنه أسر حنثر بن الأصبط ، ودودان ابن خالد . شرح المفضليات ٣٦٦ وبلوغ الأرب ٢ : ١١٨ .

(٢) الإرخاء : شدة العدو . ط : « أحشاء » س ، هـ : « أرحاء » ، والوجه ما أثبت ، كما في بلوغ الأرب . و « حنثراً » هي في الأصل : « جيداً » صوابه في بلوغ الأرب . وانظر التنبيه السابق . وفي الأصل أيضاً : « أردته » صوابه ما أثبت . وفي بلوغ الأرب : « ودودان أدت في الحديد » . مكبلا : مقيداً .

(٣) عروة بن الورد شاعر من شعراء الجاهلية ، فارس ، صعلوك ، جواد . وكان يسمى عروة الصماليك ، لجمعه إياهم ، وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم .

(٤) يقول : أليس ورأى إن سألت الناس ، وتركت مخاطر التصمك ، أن يلحقني الكبير فأهون ويضجر مني أهلي ؟ ! فهو يحتاج للتصمك بما ترى . س ، هـ : « على الصفا » س : « ويأس في » ، هـ : « ويأس أهاني » ، صواب ذلك في ط والديوان ١٠٣ .

(٥) رهينة : أي ملازم لا يبرح . وهديج الشيخ في مشيته : قارب الخطو وأسرع من غير إرادة . والرأل : فرخ النعام .

شِبْهَ هَدَجَانَ ^(١) الشَّيْخَ الضَّعِيفَ فِي مَشِيَّتِهِ بِهَدَجَانَ الرَّألِ .

وَقَالَ أَبُو الزَّحَفِ ^(٢) :

أَشْكُو إِلَيْكَ ^(٣) وَجَعًا بَرَكْبَتِي وَهَدَجَانًا لَمْ يَكُنْ فِي مِشْيَتِي ^(٤)

* كَهَدَجَانَ الرَّألِ حَوْلَ الْمَيْقَتِ ^(٥) *

وَقَالَ آخَرُ ، وَلَسْتُ أَدْرِي أَيُّهُمَا حَمَلَ عَلَى صَاحِبِهِ :

أَشْكُو إِلَيْكَ وَجَعًا بِمَرْفَقِي ^(٦) وَهَدَجَانًا لَمْ يَكُنْ فِي خُلُقِي

* كَهَدَجَانَ الرَّألِ حَوْلَ النَّقْنِقِ *

وَلَمْ يَفْضَحْهُ إِلَّا قَوْلُهُ :

* أَشْكُو إِلَيْكَ وَجَعًا بِمَرْفَقِي *

لَأَنَّ الْأَوَّلَ حَكَى أَنَّ وَجَعَهُ فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَصِيبُ الشُّيُوخَ ، وَوَجَعُ

الْمَرْفُقِ مِثْلُ وَجَعِ الْأُذُنِ ، وَضَرْبَانِ الضَّرْسِ ، لَيْسَ مِنْ أَوْجَاعِ الْكِبَرِ

فِي شَيْءٍ .

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَشِبْهَ هَذَا أَنْ » ، تَحْرِيفٌ مَا أَثْبَتَ .

(٢) أَبُو الزَّحَفِ ، سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي (٢ : ١٩٧) . وَفِي الْأَصْلِ : « أَبُو الْمَرْهَفِ » ،

مَحْرَفَةٌ . وَالرَّجَزُ فِي الشُّعْرَاءِ ٦٦٩ فِي تَرْجُمَةِ أَبِي لِلزَّحَفِ . وَقَدْ نَسَبَ فِي نَوَادِرِ

أَبِي زَيْدٍ ٢٥٥ إِلَى (ابْنِ عُلُقَةَ التَّيْمِيِّ) ، بِرَوَايَةٍ أُخْرَى . وَأَرَاهُ رَجَزًا آخَرَ

اتَّفَقَ خَاطَرَا الْقَاتِلِينَ فِيهِ . وَهُوَ بِغَيْرِ نِسْبَةٍ فِي أَمَالِي الْقَالِي (١ : ١٨٩) . وَنَسَبَ

فِي الْعَقْدِ (٢ : ٥٢) إِلَى أَعْرَابِي .

(٣) فِي الْعَقْدِ : « إِلَى اللَّهِ » .

(٤) فِي الشُّعْرَاءِ وَالنَّوَادِرِ وَالْأَمَالِي : « مِنْ مِشْيَتِي » .

(٥) الْحَقِيقَةُ : النِّعَامَةُ الطَّوِيلَةُ . وَقَدْ أَرَادَ : « الْحَقِيقَةُ » فَصِيرُ هَاءِ التَّأْنِيثِ تَاءٌ فِي الْمُرُورِ

عَلَيْهَا . فِي الْأَصْلِ : « النَّقْنَقُ » وَلَا تَتَّفَقُ مَعَ الرَّجَزِ ، وَتَصْحِيحُهَا مِنَ اللِّسَانِ

(هَلِجٌ ، هَيْقٌ) وَسَائِرُ الْمَصَادِرِ الْمُتَقَدِّمَةِ مَاعِدَا الْعَقْدِ ، فَالرَّوَايَةُ فِيهِ أَشَدُّ تَحْرِيفًا .

وَرَوَى : « خَلْفٌ » مَكَانَ « حَوْلَ » فِي جَمِيعِ الْمَصَادِرِ مَاعِدَا الْعَقْدِ .

(٦) الْمَرْفُقُ ، كَتَبَهُ وَجَمَعَهُ : مُوَصِّلُ الذَّرَاعِ فِي الْمَضِدِّ .

(شعر فيه ذكر النعامة)

وقال ابن ميادة ، وذكر بني نعامة من بني أسد - وقد كان قطريُّ
ابن الفجاءة يكنى أبا نعامة^(١) - :

فهل يَمْنَعُنِي أَنْ أُسِيرَ ببلَدَةٍ نَعَامَةٌ ، مِفْتَاحُ الْخَازِي وَبَابُهَا
وهجا دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ رَجُلًا فِجْعَلُ الْبَيْضَةِ الْفَاسِدَةِ مِثْلًا لَهُ ، ثُمَّ الْحَقُّ
النَّسْرَ بِأَحْرَارِ الطَّيْرِ وَكَرَامِهَا - وَمَا رَأَيْتُهُمْ يَعْرِفُونَ ذَلِكَ لِنَسْرٍ - فَقَالَ :
فَأَنِّي عَلَى رَغْمِ الْعَدُولِ لَنَازِلٌ بِحَيْثُ التَّقَى عَيْطُ وَبَيْضُ بَنِي بَدْرٍ^(٢)
أَيَا حَكَمِ السُّوءَاتِ لَا تَهْجُ وَأَضْطَجِعُ
فهل أَنْتَ إِنْ هَاجَيْتَ إِلَّا مِنْ الْخَضِرِ
وهل أَنْتَ إِلَّا بَيْضَةٌ مَاتَ فَرَخُهَا ثَوَتْ فِي سُلُوكِ الطَّيْرِ فِي بَلَدٍ قَفْرٍ^(٤)
حَوَاهَا بَغَاثٌ : شَرُّ طَيْرٍ عَلِمْتُهَا وَسُلَاءٌ لَيْسَتْ مِنْ عُقَابٍ وَلَا نَسْرِ^(٥)

(١) قطري ، بالتحريك : نسبة إلى موضع بين البحرين و عمان . وهي نسبة غير حقيقية ؛ فإن مولده بلد يقال له الأعدان . والفجاءة كذلك لقب لأبيه ، قالوا : قدم أهله فجاءة فلقب بذلك . واسم قطري جمونة ، واسم أبيه مازن . وأبو نعامة كنيته في الحرب ، ونعامة فرسه ، وكنيته في السلم أبو محمد . خرج قطري في زمن مصعب وكان بينه وبين الحجاج نضال مستمر طويل . وعثر به فرسه فاندقت فخذاه فأتى بجريحه إلى الحجاج سنة ٧٨ . وفيه يقول الحريري في المقامة السادسة : « فقللوه في هذا الأمر الزعامة تقليد الخوارج أبا نعامة » . ابن خلكان والدميري وشرح التبريزي الحماسة .

(٢) كذا . ولعله : « غيظ » أو « عيص » اسما قبائل .

(٣) الخضر : اسم قبيلة . ط ، س : « الحصر » هـ : « الخضر » . ولعل صوابه ما أثبت .

(٤) سلوخ : جمع سلخ ، بالفتح ، وهو ما يسلخه الطائر من ريشه ، فهو يبطن به عشه ليضع فيه البيض . انظر ماسبق من القول في سلخ الطيور ص ٢٢٤ . س : « سلوخ » ، ولا وجه لها .

(٥) السلاء ، كرمات : ضرب من الطير أغبر طويل الرجلين »

(استطراد لغوى)

ويقال للأنثى من ولد النعامة : قلو ص ؛ على التشبيه بالنعام من الإبل .
وهذا الجمع ^(١) إلى ما جعلوه له من اسم البعير ، وإلى ما جعلوا له من الخف^٢
والمنسم^٣ ، والخزامة ^(٤) ، وغير ذلك .

قال عنتره :

تأوى له قُلُوصُ النِّعَامِ كَمَا أَوَتْ حِزْقُ بَيْمَانِيَّةٍ لِأَعْجَمَ طِمَظِمٍ ^(٣)
وقال شِمْاخُ بْنُ ضِرَارٍ ^(٤) :
• قُلُوصُ نَعَامٍ زَفُّهَا قَدْ تَمَوَّرَا ^(٥) •

(وصف الرثال)

ووصف لبيد الرثال فقال :

-
- (١) كذا . ولعلها : « يجمع » .
(٢) الخزامة ، بالتحريك : سبق شرحها في ص ٣٢١ . وفي الأصل :
« الخزامة » محرفة .
(٣) تأوى له : أى تلجأ إليه . والضمير عائد إلى الظليم ، المفهوم من قوله قبل هذا البيت :
وكأنما أقص الإكام بشية بقريب بين المنسمين مصلح
وفي الأصل : « تأوى به » ، صوابه من المعلقة واللسان (قلص) . والقلوص
الشابة من الرثال ، أى فراخ النعام . والحزق : الجماعات . والمراد بها جماعات
الإبل . لأعجم طمطم : أى لإهابة راعيها الأعجم الذى لا يفهم الكلام .
(٤) يصف ناقته ، من قصيدة له في ديوانه ٢٦ — ٣٤ .
(٥) الزف ، بالكسر : صغار الريش . س ، هـ : « زحها » محرفة . وتمور :
سقط . وصدر البيت :
- وقد أنعلتها الشمس نعلا كأنه •

فَأَضَحَتْ قَدْ خَلَتْ إِلَّا عِرَارًا وَعَزَفًا ، بَعْدَ أَحْيَاءِ حَلَالٍ (١)
 ١١٧ وَخَيْطًا مِنْ خَوَاضِبِ مُؤَلَّفَاتٍ كَأَنَّ رِثْلَهَا وَرَقٌ الْإِفَالِ (٢)

(قول في بيت لحسان)

وقال حسان بن ثابت ، رضى الله عنه (٣) :

لَعَمْرُكَ إِنَّ إِلَكَ فِي قُرَيْشٍ كَأَلِّ السَّقْبِ مِنْ رَأْلِ النَّعَامِ (٤)

(١) العرار ، بكسر العين المهملة : صوت الظلم . يقال عرير عرارا ، وعار يعار . معارة وعرارا . ط : « غرارا » ، صوابه في س ، « هـ » واللسان (عرر) . والعزف : صوت الرياح ، وقد يجعله العرب بزعمهم صوت الجن . وفي الأصل : « عرفا » تصحيحه من اللسان . وأحياء حلال : أى أقوام مقيمون ، متجاورون . ينمت تلك الديار بعد ما رحل عنها أهلها .

(٢) الخيط بالفتح والكسر : جماعة النعام . والخواضب : الظلمان قد احمرت سوقها . مؤلفات : ألقت الرمل . وفي الأصل : « مؤلفات » صوابه من الديوان . ورثالها : فراخها . والورق : جمع أورك ، وهو مالونه كلون الرمان . والإفال : جمع أفيل ، كأمير ، وهو الفصيل من الإبل . وفي الأصل : « الإمال » بالميم ، محرفة .

(٣) يهجو أبا سفيان بن الحارث . والبيت أول أبيات أربعة في ديوانه ٤٠٧ - ٤٠٨ . ويعدّه :

فإنك إن تمت إلى قريش كذات البو جائلة المرام

وأنت منوط بهم هجين كما نيط المرائح بالخدام

فلا تفخر بقوم لست منهم ولاتك كاللثام بنى هشام

(٤) الإل : القرابة . والسقب : ولد الناقة ساعة يولد . ط : « الفيل » ، س : « هـ » : « السيف » صوابهما مأثبات من الديوان ، والمخصص (٣ : ١٥١) وأمال القائل (١ : ٤١) والأضداد ٣٤٦ . والرواية فيها جميعاً : « من قريش » وهناك بيت آخر يشبه هذا البيت . وهو :

وأشهد أن إلَكَ من قريش كإل الفيل من ولد الأثان

وصاحبه عبد الرحمن بن الحكم يقوله لمعاوية : كما في الحيوان (١ : ١٤٦)

٧ : ٢٣٥) والخزانة (٢ : ٥١٨ بولاق) . أو صاحبه يزيد بن مفرغ ، كما في

الشعراء ٣٢٢ والموشح ٢٧٣ . أو هو عبد الرحمن بن حسان : كما في العقد

(٤ : ١٨٢) .

وقد عاب عليه هذا البيت ناسٌ ، وظنُّوا أنَّه أراد التباعد ، فذكر
شيثين قد يتشابهان من وجوهٍ . وحسانٌ لم يردَّ هذا ، وإنما أراد ضَعْفَ
نسبه في قُريش ، وأنه حينَ وَجَدَ أدنى نسبٍ ^(١) انتحل ذلك النسب .

(النعامة ، فرس الحارث بن عباد)

وقال الفرزدقُ - وذكرَ الفَرَسَ الذي يقال له : « النعامة » ، وهو
فرسُ الحارث بن عُبَاد ، التي يقول فيها :

قرباً مَرَبِطَ النُّعَامَةِ مِنِّي لَقِحتَ حَرْبُ وائِلٍ عن حِيَالٍ ^(٢)
وقولُ الفرزدقِ ^(٣) :

تُرِيكَ نَجُومَ اللَّيْلِ وَالشَّمْسُ حَيَّةً ^(٤)

كرامُ ^(٥) بناتِ الحارثِ بنِ عبادٍ

نساءُ أبوهنَّ الأغرَّ ، ولم تَكُنْ من الحَتِّ في أَجبالها وهَدَادٍ ^(٦)

(١) كذا بالأصل . ولعلها : « سبب » .

(٢) عن حِيَال ، أى بعد حِيَال . والحِيَال ، بالكسر : ألا تحمل الناقة بولد . وقد قال
الحارث هذا الشعر لمناسبة تجدها في (يوم قضى) من أيامهم .

(٣) يقول له أنوارُ زوجه ، وكان تزوج عليها امرأة من ولد الحارث بن عباد ، فقالت له :-
تزوجتها أعرايبة دقيقة الساقين ! .

(٤) كذا رواية صدر البيت في الموشح ١٠٤ والأغاني (١٩ : ٩) . وروى :
« أرتك » في الأغاني (٨ : ٨٩) ، و : « أراها » في الديوان ١٥٩ . يقول
لها : إن بنات الحارث بن عباد يجلبن إليها الغيرة الممضة حتى يظلم عليها نهارها .
والعبارة مثل ، كما جاء في قول طرفة (ديوانه ٦٥) :

إن تنوله فقد تمتعه وتريه النجم يجرى بالظهر

(٥) روى في الديوان والموشح والأغاني (٨ : ٨٩) : « زحام » . وللمرزابي كلام :
في هذا اللفظ دقيق .

(٦) الحت ، بالضم ، وهداد : قبيلتان من الأزد . ط : « من الأزد في جاراتها ،
وهداد » . ولعله تصرف من المصحح اعتمد فيه على رواية الأغاني (١٩٠ : ٩) =

أبوها الذي آوى النعمة بعد ما أبت وأئل في الحرب غير تمار (١)
وقد مدحوا بنات الحارث بن عباد هذا ، فمن ذلك قوله (٢) :

جاءوا بحارشة الضباب كأنهم جاءوا ببنت الحارث بن عباد (٣)
ويلحق (٤) هذا البيت بموضعه ، من قولهم : باض الصيف (٥) ،
وباض القيظ (٦) . وقال مضرس :

بلماعة قد باكر الصيف ماءها وباضت عليها شمس حراثره (٧)

= لكن في س ، ه : « من الحب في إحاطا » ، وتصحيح هذا التحريف من الديوان .

(١) أبوها ، يعنى أبا زوجته . و « آوى النعمة » إشارة إلى قوله : قريبا مرتبط النعمة . ط : « قاد النعمة » ويظهر أيضاً أنه اعتماد من المصحح على رواية الأغاني (١٩ : ٩) . ورواية الديوان : « أدنى » . والتمادى : اللجاجة . ووائل هو والد بكر وتغلب اللتين أشعلتا نار حرب البسوس ، فكانت إحداهما تحارب الأخرى .

(٢) في (٦ : ١٠٢) : وقائلة هذا الشعر امرأة من بنى مرة بن عباد . ونحوه في ثمار القلوب ٢٣٩ - ٢٤٠ .

(٣) بحارشة الضباب : أى بامرأة تحرش الضباب ، أى تصيها . وقد عدت هذه حرش الضباب لؤما ومسية ، ولكن بعض العرب لا يرى في ذلك شيئا . انظر تفصيل هذا الخلاف في (٦ : ٧٧ - ١١١) . أما بنت الحارث بن عباد فثقل في الكرم والشرف .

(٤) الكلام من مبدا هذا إلى نهاية بيت مضرس سنساقط من س . وربما دل هذا على أنه كلام دخيل من صنع أحد القراء . وكلمة « بموضعه » تشير إلى ماسبق في ص ٣٣٥ - ٣٣٦ .

(٥) في الأصل : وهو هنا ط ، ه : « السيف » . وانظر ماسبق في ٣٣٦ .

(٦) في الأصل : « ومن باض القيظ » ، وكلمة « من » مقحمة .

(٧) لماعة : أى فلاة يلعب فيها السراب . ط : « بداعية » صوابه في ه ، واللسان (حرر) . وفي اللسان أيضاً : « قد صادف الصيف » . واخرائر : جمع حرور ، بالفتح ، وهو الحر . وباضت الشمس : أخرجت كل حرها . ورواية اللسان : « فاضت » .

(ابن النعمامة ، فرس خُزَز بن لُوذَان)

وابن النعمامة : فرس خُزَز بن لُوذَان^(١) . وهو الذى يقول لامرأته حين
أنكرت عليه إيثاره فرسه باللبن :

كَذَبَ الْعَتِيقُ وَمَاءُ شَنْ بَارِدٌ إِنْ كُنْتُ سَائِلَتِي غَبُوقًا فَادْهَبِي^(٢)
إِنِّى لَأَخْشَى أَنْ تَقُولَ خَلِيلَتِي^(٣) هَذَا غِبَارٌ سَاطِعٌ فَتَلَبَّبِ^(٤)

(١) خُزَز بزايين وبوزن عمر ، ابن لُوذَان ، بفتح اللام وبذال معجمة : شاعر قديم جاهل ، كما فى الخزانة (٣ : ١١ بولاق) . وفى الأصل : « حرز » ، صوابه فى القاموس (خُزَز ، لُوذ) والمؤتلف ١٠٢ ، والبيان (٣ : ٣١٧) . ونسبة الشعر الآتى إلى خُزَز ، مثلها فى الخزانة والبيان وأمالى ابن الشجرى (١ : ٢٦٠) . ونسب إلى هنترة فى المخصص (١٣ : ٢٠٦) والعقد (٢ : ٢٥٦) وحاسة ابن الشجرى ٨ وأماليه (١ : ٢٦١) .

(٢) هو مثل صادق من عناية العرب بخيلهم ، وإيثارهم لها على أنفهم وعلى أزواجهم ولو أدى ذلك إلى النزاع مع الحرم . وقال فى مثل هذا ، الأعرج المغمى (الحماسة : ١٣٠) :

أرى أم سهل ماتزال تفجع تلوم وما أدرى علام توجع
تلوم على أن أمنح الورد لقحة وما تستوى والورد ساعة يفزع

أم سهل : امرأته . والورد : اسم فرسه . ولقحة : أى لبن ناقة لقحة . وما تستوى : أى ما تستوى امرأته وذلك الفرس ساعة الفزع للحرب .

(٣) يقول لها : عليك بأكل العتيق ، وهو يابس التمر ، ويشرب الماء البارد الذى فى القرية الخلق ، ولا تتعرضى لغبوق اللبن ، وهو شربه بالعشى ؛ لأن اللبن خصصت به مهرى الذى أنتفع به ويسلمنى وإياك من الأعداء . وكذب كذا ، وكذب عليك كذا : مثلاً غريبان من أمثلة الإغراء ، لكنه جاء مسموعاً كثيراً فى كلامهم . انظر اللسان (كذب) وأمالى ابن الشجرى والمزهر (١ : ٢٢٥) .

(٤) يعنى بحليته زوجته . ط ، س : « خليل » وتصح بالتصغير وإرادة النداء =

إِنَّ الْعَدُوَّ لَهُمُ إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ^(١) إِنَّ يَأْخُذُوكَ تَكْحَلِي وَتَخْضَبِي^(٢)
وَيَكُونُ مَرْكَبُكَ الْقَعُودَ وَحِذْجَهُ^(٣) وَابْنُ النِّعَامَةِ يَوْمَ ذَلِكَ مَرْكَبِي^(٤)

(شعر في النعامة)

وقال أبو كبير الهذلي :

١١٨ وَضَعَ النِّعَامَاتِ الرَّجَالُ بِرَيْدِهَا يُرْفَعْنَ بَيْنَ مُشْعَشَعٍ وَمَهْلَلٍ^(٥)
وقال ذو الإصبع العدواني :

وَلِي ابْنُ عَمٍّ عَلَى مَا كَانَ مِنْ خُلُقٍ مُخَالَفٌ لِي أَقْلَبُهُ وَيَقْلِبُنِي^(٦)
أَزْرَى بَنَا أَنَّنَا شَالَتْ نِعَامَتُنَا فَخَالَتُنِي دُونَهُ بَلْ خِلَّتُهُ دُونِي^(٧)

= وأثبت مافي هـ والبيان واللسان (لب) . ورواية ابن الشجري في الحماسة :

« ظعنيتي » . والظعنيت : المرأة . والغبار الساطع الذي تعني : هو ما يتطاير من
جرى خيل العدو المغير . والتليب : التحزم بالسلاح وغيره .

(١) العدو ، من الكلمات التي تقال للواحد والاثنين والجمع ، والمثنى والمذكر ، بلفظ
واحد . روى ابن الشجري في الأمل : « أن يأخذوك » وقال : « موضعه نصب
بتقدير حذف الخافض ، أي في أن يأخذوك » . ثم قال : « قذفها بإرادتها أن تؤخذ
مسيبة ، فلذلك قال : تكحلي وتخضبي » .

(٢) أي يحملك الأعداء حين تسين على القعود ، وهو الفصيل من الإبل . والحديج
بالكسر : مركب من مراكب النساء . يقول : وأما أنا فأركب للقواء العدو
فرسي المسمى بابن النعامة . وقيل : أراد بابن النعامة باطن القدم ، وقيل أراد الطريق .
وأول الثلاثة أحوها .

(٣) « وضع » هي في الأصل : « وقع » و « بريدها » هي في ط ، س « بريدها »
وفي هـ : « برمدها » . وانظر ما أسلفت من التحقيق في ٣٥١ . و « يرفعن »
هي في الأصل : « يدفنن » . والمشعشع : المتفرق فيه فرج . والمهلل : المتقوس .
وانظر عجز البيت وشرحه فيما سبق ص ٣٥١ .

(٤) أي أبفضه ويبفضني .

(٥) شالت نعامة القوم : تفرقت كلمتهم وذعب عزهم ، أو لم يبق منهم إلا بقية . والبيتان
من قصيدة في المفضليات ١٥٩ - ١٦٤ .

وقال أبو دُوَادٍ الْإِيَادِيُّ فِي ذِكْرِ الصَّيْدِ ، وَذَكَرَ فَرَسَهُ :

وَأَخَذْنَا بِهِ الضَّرَارَ وَقَلْنَا بِحَقِيرٍ بَنَانَهُ أَضْمَارُ^(١)
خَاتَانَا يَسْعَى تَفْرِشَ أُمِّ الْبَيْضِ شَدًّا وَقَدْ تَعَالَى النَّهَارُ^(٢)
غَيْرُ جَعْفٍ^(٣) أَوَابِدٍ وَنَعَامٍ وَنَعَامٍ خِلَالَهَا أَثْوَارُ
فِي حَوَالِ الْعُقَارِبِ^(٤) الْعَمْرِ فِيهَا حِينَ يَنْهَضُ^(٥) بِالصَّبَاحِ عَذَارُ
ثُمَّ قَالَ :

يَتَسَكَّفُنْ مِنْ صَرَائِعِ سِتِّ قَسَمْتُ بَيْنَهُنَّ كَأْسُ عُقَارُ
بَيْنَ رَبْدَاءَ كَالْمِظَلَّةِ أَفْقٍ وَظَلِيمٍ مَعَ الظَّلِيمِ حِمَارُ^(٦)
وَمِهَاتِينَ حَرَبِينَ وَرِثَالٍ وَسَيُوبٍ كَأَنَّهُ أَوْتَارُ^(٧)

(١) كَذَا جَاءَ الْبَيْتُ مُحَرَّفًا فِي الْأَصْلِ . س : « الْفَرَا » . هـ : « فَلَسْنَا » مَوْضِعُ

« وَقَلْنَا » . س : « بِخَقِيرٍ » مَوْضِعُ : « بِحَقِيرٍ » .

(٢) أُمُّ الْبَيْضِ ، عَنَى بِهَا النِّعَامَةُ . وَالتَّفْرِشُ : أَنْ تَرْفُفَ بِمِجْنَانِهَا . فِي الْأَصْلِ :
« وَأَنَّى يَبْتَغِي تَفْرِسَ » ، صَوَابُهُ فِي الْمَعْنَى الْكَبِيرِ ٧٧٥ وَاللَّسَانُ وَالْمُقَابَيْسُ (فَرَسٌ) .

(٣) كَذَا بِالْأَصْلِ .

(٤) كَذَا فِي ط . وَفِي س ، هـ : « فِي حَوَالِ الْقَارِبِ » ، مُحَرَّفَاتَانِ .

(٥) س ، هـ : « يَنْهَضُ » .

(٦) رَبْدَاءُ : أَى نِعَامَةٍ رَمَادِيَةِ اللَّوْنِ . وَالْمِظَلَّةُ : بِالْكَسْرِ وَالْفَتْحِ ، الْكَبِيرُ مِنَ الْأَخْبِيَةِ ،

وَقَدْ جَاءَ مِثْلُ هَذَا فِي قَوْلِ ذِي الرِّمَّةِ ص ٣١١ :

* شَخْتُ الْجَزَارَةِ مِثْلُ الْبَيْتِ سَائِرُهُ *

وَسَيُنَقَى مِثْلُهُ لَذِي الرِّمَّةِ ص ٣٦٨ . ط : « كَالْمِصْلَةِ » س ، هـ : « كَالْمِظَلَّةِ »

صَوَابُهُ مَا أَثْبَتَ . وَالْأَفْقُ ، بِضَمَّتَيْنِ : الرَّائِعُ ، يُقَالُ لِلذِّكْرِ وَالْأُنْثَى ، وَقَدْ سَكَنَ
الْقَاءُ لِلشَّعْرِ .

(٧) كَذَا فِي س ، هـ . وَفِي ط :

وَمِهَاتِينَ حَرَسَ وَرِثَالٍ وَسَيُوفٍ كَأَنَّهُ أَوْتَارُ

وَالنَّصَانُ مُحَرَّفَاتَانِ . وَفِي الْمَعْنَى الْكَبِيرِ ٧٧٦ قِطْعَةً مِنَ الْبَيْتِ فَقَطْ « كَأَنَّهُ أَوْتَارُ » .

بِإِثْنَاءِ الْمُنْشِئَةِ . قَالَ ابْنُ قَتَيْبَةَ : « قِيلَ هُوَ الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ الْمُحْشَوُّ ، وَقِيلَ : الْبَرْدَعَةُ » .

(شعر في تشبيه الناقة بالظلم)

ووصف علقمة بن عبدة ناقته ، وشبهها بأشياء منها^(١) ثم أظن
في تشبيه إياها بالظلم :

تلاحظ السوط شزراً وهي ضامرة كما توجس طاوى الكشح مؤشوم^(٢)
كأنها خاضب زعر قوائمه أجنى له باللوى شرى وتنوم^(٣)
يظل في الحنظل الخطبان ينقفه وما استطف من التنوم مخنوم^(٤)
فوه كشق العصا لأياً تبينه أسك ما يسمع الأصوات مصلوم^(٥)
يكاد منسه يختل مقلته^(٦) كأنه حاذر للنخس مشوم^(٧)

- (١) كذا . وقد تكون هذه الكلمة زائدة ، وقد تكون أصيلة يتلوها كلام سقط .
(٢) نظر شزراً : أى يؤخر عينه . ضامرة : بالزاي : أى ساكنة خائفة . س ، هـ
والديوان ١٣٠ : « ضامرة » وما أثبت من ط ، والمفضليات ٣٩٩ أجود .
والتوجس : التسمع للصوت الخفى . س ، هـ : « تزجر » ، محرف عما أثبت
من ط ، والديوان ، والمفضليات . والموشوم : الذى فى ذراعيه خطوط . وعنى به
الثور الوحشى . س ، هـ : « مرشوم » ، محرف .
(٣) الخاضب : الظلم قد احمرت ساقاه . والزعر : القليلات الريش . هـ : « زعر » .
مصحفة . روى فى المفضليات : « قواده » . والشرى : الحنظل . والتنوم : نبت .
وأجنى : أى أدرك وأمكن من جنيه . س ، هـ : « أجنى » صوابه فى ط :
والديوان وعيون الأخبار (٢ : ٨٧) ، والمفضليات ٣٩٩ حيث القصيدة .
(٤) الخطبان : بالضم والكسر : جمع خطبانة بالضم ، وهى الصفراء فيها خطوط
خضر . فى الأصل : « الخطبان » صوابه فى الديوان والمفضليات واللسان (طلف) .
ينقفه : يشقه ليستخرج ليه . واستطف : أى بدا للاخذ . والمخنوم : المقطوع .
هـ : « مخنوم » وأثبت ما فى ط ، س والمفضليات . ورواية الديوان :
« مخنوم » وهو المقطوع قطعاً وحيأ .
(٥) لأيا تبينه ، أى لا تبينه إلا بعد جهد ومشقة . ط : « لا يأتينه » . س ، هـ :
« لأيا يينه » صوابه من الديوان والمفضليات . والأسك : الأصم . والمصلوم :
الصغير الأذنين أو المقطوعهما .
(٦) المنسم ، كجلس : طرف خف النعامة . يختل مقلته : ينفذ فيها وينظمها .
(٧) المشوم : الفرع . س ، هـ : « موسوم » س : « حازم النحيين » هـ : =

حتى تذكّر بَيْنَاتٍ وَهَيَّجَهُ يَوْمُ رَذَاذٍ ، عليه الرِّيحُ مَغْيُومٌ^(١)
 فلا تزيده في مَشْيِهِ نَفَقٌ^(٢) ولا الرِّيفُ دُونِ الشَّدِّ مَسْثُومٌ^(٣)
 يَأْوِي إلى حِسْكِ زَعْرِ حَوَاصِلِهَا^(٤) كَأَنَّهُنَّ إِذَا بَرَكْنَ جُرْثُومٌ^(٥)
 وضاعةٌ كَعِصَى الشَّرْعِ جُوجُوهٌ كَأَنَّهُ بِنَاهِي الرُّوضِ عُلْجُومٌ^(٦)
 حَتَّى تَلَافَى وَقَرْنَ الشَّمْسُ مَرْتَفَعٌ أُدْحَى عَرَسَيْنِ فِيهِ الْبَيْضُ مَرَكُومٌ^(٧)

= « حارم التبخر » تحريف ما أثبت من ط والديوان والمفضليات .

- (١) في المفضليات : « عليه الدجن » . ه : « معتوم » .
 (٢) التزيد : الزيادة . والنفق ، كفرج : المنقطع . س : « لغوا » . س ، ه :
 « ولا تزيد وفي مشيه » ، صوابه في ط والمصدرين السابقين .
 (٣) الرِّيف : المشى السريع . دوين ، تصغير دون : أى أقل . في الأصل .
 « مَسْثُومٌ » صوابه في المصدرين السابقين . س ، ه : « إلا الرِّيف دون
 السك » ، محرف .
 (٤) الحسكل ، كزبرج : الصغير من ولد النعام . س ، ه : « درحق » صوابهما :
 « دردق » . في الديوان : « حرق » .
 (٥) الجرثوم : أصل الشجرة يجتمع إليه التراب . س ، ه : « إذا ركب
 مرثوم » .
 (٦) الوضاع : الذى يعدو وضما . والوضع : عدو سريع من علو الإبل . وقد زاد
 اللئاء الببالفة ، كما جاءت في علامة ونسابة . والشرع ، بالكسر : جمع شرعة ،
 وهى وتر القوس أو العود . والجوجو : الصدر . والتناهى : جمع تنهية ، وهى
 الأماكن المطمئنة لها من جوانبها ما يمنع الماء أن يخرج منها . والروض : جمع
 روضة . والعلجوم : البعير الطويل المطلق بالقطران . ولعمري لقد دار علقمة على
 رأسه ، فشبه ناقته بالظلم ثم عاد فشبه الظلم بالبعير ، وقد دفعه إلى ذلك إفراطه
 في الاستطراد . س ، ه : « وصاعد كقصى الترع » و « بتناهى الروس » صوابه .
 ما أثبت من ط والمفضليات والديوان .
 (٧) تلاقى ، بالفاء : أى تدارك . س ، والديوان : « تلاقى » صوابه في ط ، ه والمفضليات .
 والسان (عرس) . والأدحى : موضع بيض النعامة . وأراد بالعرسين الذكر والأنثى .
 س : « أرحى عرينين » محرف . ومركوم : راكب بعضه بعضاً . ه :
 « محجوم » ، ولا وجه له .

- ١١٩ يَوْمِي إِلَيْهَا بِإِنْقَاضٍ وَنَقْنَقَةٍ كَمَا تَرَاظُنُّ فِي أَفْدَانِهَا الرُّومُ (١)
صَعْلٌ ، كَأَنَّ جَنَاحَيْهِ وَجُوجُوهُ بَيْتٌ أَطَافَتْ بِهِ خَرْقَاءُ مَهْجُومٌ (٢)
تَحْفُهُ هِقْلَةٌ سَطْعَاءُ خَاضِبَةٌ تَجِبُهُ بَرِمَارٌ فِيهِ تَرْنِيمٌ (٣)

(رُؤْيَا النِّعَامَةِ)

الأصمعيّ ، قال : أخبرني رجلٌ من أهل البصرة قال : أرسل (٤)
شيخ من ثقيف ابنه فلانا - ولم يحفظ اسمه - إلى ابن سيرين ، فكلّمه
بكلام ، وأمّ ابنه هذا قاعدة ، ولا يظنُّ أنّها تَفْطِنُ ، فقال له : يا بنيّ اذهب
إلى ابن سيرين ، فقل له : رجلٌ رأى أنّ له نعمةً تطحن . قال : فقلت له ،

(١) يومى إليها : يشير . س ، ه : « يرحى » صواب هذه : « يوحى » كما في
الديوان والمفضليات . والإنقاض : صوت مثل النقر . والنقنقة : صوت كصوت
الدجاجة للبيض . وتراظن الروم : تكلموا برطاتهم . ويصح أن يكون حذف من
الفعل إحدى التاءين تخفيفاً ، فيكون أصله : تراظن . والأفدان : جمع فدن ،
بالتحريك ، وهو القصر المشيد . ه : « أفرايها » س : « أقرأئها » ، صوابها
في ط والديوان والمفضليات .

(٢) الصعل : الصغير الرأس . والجؤجؤ : الصدر . وخرقاء : أى ريح خرقاء لاتلوم
على حال في هجوها . المخصص (٩ : ٨٧) . وفي الكامل ٤٤٩ : « وخرقاء :
التي لا تحسن شيئاً ، فهي تفسد ما عرضت له » ، وفي اللسان : « وقال المازني في قوله :
أطافت به خرقاء : امرأة غير صناع ، ولا لها رفق ، فإذا بنت بيتا أنهدم سريعاً » .
وتفسير ابن سيده أجود وأقرب . والمهجوم : المهلوم . وهو من صفة البيت
الذى شبه به جناحي الظليم وجؤجؤه .

(٣) الهقلة : النعّية من النعام ، أو الطويلة الخرقاء . س ، ه : « يحفه . قلة » محرف .
والسطعاء : الطويلة العنق . س ، ه : « صعتاء » محرفة . والزمار ،
بالكسر : صوت أنثى النعام .

(٤) س ، ه : « أرسلني » ، صوابه في ط .

فقال : هذا رجلٌ اشترى جاريةً فحَبَّأَهَا في بني حنيفة^(١) . قال : فجئت أبي فأخبرته ، فنافرته أُمِّي ، وما زالت به حتى اعترف أنَّ له جارية في بني حنيفة .

وما أعرفُ هذا التأويل . ولولا أنَّه من حديث الأصمعي مشهور ما ذكرته في كتابي .

(مسيلة الكذاب)

وأما قول الشاعرِ الهذليِّ في مسيلة الكذاب ، في احتياله ونمويه وتشبيهه ما يحتمل به من أعلام الأنبياء ، بقوله :

بَيْضَةُ قَارُورٍ وَرَأْيُهُ شَادِنٍ وَتَوْصِيلُ مَقْصُوصٍ مِنَ الطَّيْرِ جَادِفٍ^(٢)

قال : هذا شعرُ أنشدناه أبو الزُّرقاء سَهْمٌ الخثعمي ، هذا [منذ^(٣)]

أَكْبَرَ من أربعين سنة . والبيتُ من قصيدةٍ قد كان أنشدنيها فلم أحفظُ منها إلا هذا البيت .

فذكر أنَّ مسيلة طاف ، قبلَ التنبُّي ، في الأسواق التي كانت بين دور العجم والعرب ، يلتقون فيها للتسوق والبياعات^(٤) ، كنعو سوق الأبلَّة ، وسوق بَقَّة^(٥) ، وسوق الأنبار ، وسوق الحيرة .

(١) أي في حي بني حنيفة .

(٢) الجادف من الطير : ما يطير وهو مقصوص ، كأنه يرد جناحيه إلى خلفه ، كما يفعل الملاح بمجدافيه . وفي الأصل : « جائف » ، ولا وجه له .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) في اللسان : « تسوق القوم : باعوا واشتروا » . س ، هـ : « فيه » هـ : « للسوق » ، محرفتان عما في ط . والبياعات : الأشياء التي يتبايع بها في التجارة .

(٥) بقَّة : اسم موضع قرب الحيرة كان ينزله جذيمة الأبرش . وفيه المثل : « ببقة خلفت الرأي » . ط ، هـ : « لقة » س : « لفة » ، صوابه من معجم البلدان .

قال : وكان يلتبس تعلم الحيل والنيرجات^(١) ، واختيارات النجوم والمتنبئين . وقد كان أحكم حيل السدنة والحواء^(٢) وأصحاب الزجر والخط^(٣) ، ومذهب الكاهن والعياف^(٤) والساحر ، وصاحب الجن الذي يزعم أن معه تابعة^(٥) .

قال : فخرج وقد أحكم من ذلك أموراً . فمن ذلك أنه صب على بيضة من خل قاطع^(٦) - والبيض إذا أطيل إنقاعه في الخل لأن قشره الأعلى ، حتى إذا مددته استطال واستدق وامتد كما يمتد العلك ، أو على قريب من ذلك - قال : فلما تم له فيها ما حاول وأمل ، طولها ثم أدخلها قارورة ضيقة الرأس ، وتركها حتى جفت ويديست . فلما جفت

(١) كذا في الأصل . قال صاحب القاموس : « والنيرج ، بالكسر : أخذ كالسحر وليس به » ، وعقب عليه الشارح بقوله : « هكذا في سائر النسخ » ، والمنقول عن نص كلام الليث : النيرج ، بإسقاط النون الثانية . وجاء في المعارف ١٧٨ : « وكان صاحب نيرنجات » فهما مذهبان في التعريب . وهو بالفارسية : « نيرنگت » .

(٢) السدنة : جمع سادن ، وهو خادم الكعبة ، أو خادم بيت الصنم . س : « السدانة » صوابه في ط ، هـ . والحواء : جمع حاو . انظر ما سبق في تحقيق هذه الكلمة في التنبيه الرابع من ص ٢٦٩ .

(٣) الخط : ضرب من ضروب الكهانة ، يأتي صاحب الحاجة إلى الخازي فيعطيه حلوانا ، فيقول : اقم حتى أخط لك . وبين يدي الخازي غلام له معه ميل له - أي قضيب - ثم يأتي إلى أرض رخوة ، فيخط الأستاذ خطوطاً كثيرة بالعجلة ، لئلا يلحقها المد ، ثم يرجع فيمحو منها على مهل خطين خطين ، فإن بقي من الخطوط خطان فهما علامة قضاء الحاجة والنجاح ، وإن بقي واحد كان ذلك أمارة للخيبة ، وبينما الخازي يحو يقول الغلام للتفاؤل : ابني عيان ! أسرعا البيان ! .

(٤) العياف ، من العيافة ، بالكسر : وهي زجر الطير ، والتفاؤل بأسمائها ، وأصواتها وعمرها .

(٥) هـ : « تابعة » ، أي جنية تتبعه .

(٦) خل قاطع : أي شديد الحموضة .

انضممت ، وكلما انضمت استدارت ، حتى عادت كهيتها الأولى . فأخرجها إلى مُجَاعَة ^(١) ، وأهل بيته ، وهم أعراب ، وادّعى بها أعجوبة ، وأنها جعلت له آية . فأمن به في ذلك المجلس مُجَاعَة ^(٢) . وكان قد حمل معه ريشاً في لون ريش أزواج حمام ، وقد كان يراهن في منزل مُجَاعَة مقاصيص . فالتفت ، بعد أن أراهم الآية في البيض إلى الحمام ، فقال لمُجَاعَة : إلى كم ١٢٠ تعذب خلق الله بالقص ؟ ! ولو أراد الله للطير خلاف الطير أن لما خلق لها أجنحة ، وقد حرمت عليكم قص أجنحة الحمام ! فقال له مُجَاعَة كالمتمنت : فسأل الذي أعطاك في البيض هذه الآية أن يُنبت لك جناح هذا الطائر الذَّكَرِ السَّاعَة !

فقلت لسهم : أما كان أجود من هذا وأشبه أن يقول : فسأل الذي أدخل لك هذه البيضة فَمَ هذه القارورة أن يخرجها كما أدخلها . قال : فقال : كأن ^(٣) القوم كانوا أعراباً ، ومثل هذا الامتحان من مُجَاعَة كثير . ولعمري إن المتنبئ ليخدع ^(٤) ألفاً مثل قيس بن زهير ^(٥) ، قبل أن يخدع

(١) هو مجاعة ، بضم الميم وتشديد الجيم ، ابن مرارة بن سلمى الحنفي البجلي ، صحابي جليل ، كان من رؤساء بني حنيفة ، وأسلم ووفد . الإصابة ٧٧١٦ . وقد ذكره المرزباني في المعجم ٤٧٢ . وأثبت له الجاحظ بلاغة في البيان (٤ : ٩٠) . وذكر المرزباني أنه عاش إلى خلافة معاوية .

(٢) حدث هذا قبل أن يسلم مجاعة ، فلا تناقض . وكان مجاعة من أسرة خالد بن الوليد يوم النجاة ، فوجهه إلى أبي بكر الصديق ، فقال مجاعة من أبيات :

أترى خالداً يقتلنا اليوم بذنب الأصيفر السكذاب

لم ندع ملة النبي ولا نحن رجعنا فيها على الأعقاب

(٣) ط ، هـ : « كان » ، وأثبت ما في س .

(٤) ط : « يخدع » .

(٥) هو قيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي ، كان يلقب بقيس الرأي ؛ لجموده =

واحداً من آخر المتكلمين ، وإن كان ذلك المتكلم لا يشقُّ غبارَ قيس فيما قيسٌ بسيله .

قال مسيلمة : فإن أنا سألتُ الله ذلك ، فانتبه له حتى يطير وأنتم ترونه ، أتعلمون أنى رسول الله إليكم ؟ قالوا ^(١) : نعم . قال : فإنى أريد أن أناجى ربى ، وللمناجاة خلوة ، فانهضوا عني ، وإن شئتم فأدخلوني هذا البيت وأدخلوه معي ^(٢) ، حتى أخرجهم إليكم الساعة وافى الجناحين يطير ، وأنتم ترونه . ولم يكن القوم سمعوا ^(٣) بتغريز ^(٤) الحمام ، ولا كان عندهم باب الاحتياط في أمر المحتالين . وذلك أن عبداً السكيس ^(٥) ، فإنه ^(٦) المقدم في هذه الصناعة ، لو منعه السر والاختفاء . لما وصل إلى شيء من عمله جلّ ولا دق ؛ ولما كان واحداً ^(٧) من الناس . فلما خلا بالطائر أخرج الريش الذي قد هيأه ، فأدخل طرف كل ريشة مما ^(٨) كان معه ، في جوف ريش الحمام المقصوص ، من عند المقطع والقص . وقصب ^(٩)

= رأيه . وهو صاحب داحس التي راهن عليها حذيفة بن بدر صاحب الغبراء ، فلما سبق قيس تنازعا وشبت نار حرب داحس والغبراء في الجاهلية .

(١) في الأصل : « قال » ، والوجه ما كتبت .
(٢) ط : « فأدخلوه . هذا البيت وأدخلوني معه » ، وأثبت ما في س ، ه . وموداهما واحد .

(٣) ط : « يسموا » ، وتصحيحه من س ، ه .
(٤) تغريز الحمام : أى تغريز الريش في جناحه . وأصله من تغريز النخل ، أى نقله من موضع إلى موضع . وهذا يقابل ما يعرف في اصطلاح زراع مصر بالشتل ، بفتح الشين . ط : « بتغريز » ه : « بتغريز » ، وأثبت الصواب من س .

(٥) كذا في الأصل . وفي أنساب ابن الكلبي من اسمه عبيد بن مالك بن شراحيل بن المكيس . انظر تاج العروس (كيس) .

(٦) ط : « فاته » س : « فاته » ، وصوابه في ه .

(٧) ط : « واجدا » .

(٨) ط : « كما » ، وتصحيحه من س ، ه .

(٩) قصب الريش : أنابيه . في الأصل : « قضيب » محرفة .

الرَّيشُ أَجَوْفٌ ، وَأَكْثَرُ الْأَصُولِ حَدَادٌ وَصَلَابٌ . فلما وَفَّى الطَّائِرُ رِيثَهُ صَارَ فِي الْعَيْنِ كَأَنَّهُ يَرْدُونَ مُوَصُولُ الذَّنْبِ ، لَا يَعْرِفُ ذَلِكَ إِلَّا مِنْ ارْتَابَ بِهِ . والحمام بنفسه قد كان له أصولٌ ريشٌ ، فلما غُرَزَتْ تَمَتْ (١) فلما أرسله من يده طار . وينبغي ألا يكونَ فَعَلَ ذلك بطائرٍ قد كانوا قطوه (٢) بعد أن ثبت عندهم . فلما فعل ذلك ازداد مَنْ كان آمَنَ به بصيرةً وآمَنَ به آخرون لم يكونوا آمنوا به ، ونزع منهم في أمره (٣) كلُّ من كان مستبصرًا في تكذيبه .

قال : ثُمَّ إِنَّهُ قَالَ لَهُمْ — وَذَلِكَ فِي مِثْلِ لَيْلَةٍ مُنْكَرَةِ الرِّيَّاحِ مُظْلَمَةٍ فِي بَعْضِ زَمَانِ الْبُورَاحِ (٤) — إِنَّ الْمَلِكَ عَلَى أَنْ يَنْزِلَ إِلَى (٥) ، وَالْمَلَأُكَّةِ تَطِيرُ ، وَهِيَ ذَوَاتُ أَجْنَحَةٍ ، وَلِحْيَةُ الْمَلِكِ زَجَلٌ وَخَشْخَشَةٌ (٦) وَقَعْقَعَةٌ ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ ظَاهِرًا فَلْيَدْخُلْ مَنْزِلَهُ ؛ فَإِنَّ مَنْ تَأَمَّلَ اخْتِطَفَ بَصَرُهُ ! ثُمَّ صَنَعَ رَايَةً مِنْ رَايَاتِ الصَّبِيَّانِ الَّتِي تَعْمَلُ مِنَ الْوَرَقِ الصَّيْنِيِّ (٧) .

(١) انظر التنبيه (٤) من الصفحة السابقة .

(٢) كذا في الأصل ، بالطاء . وقد تكون : « قصوه » .

(٣) أى صار في مذهبه ، وسار في نصرته .

(٤) البوارح : الرياح الشدائد التي تحمل التراب ، وخصها بعضهم بما كاف منها في القيظ .

(٥) أى على وشك أن ينزل على .

(٦) الخشخشة : صوت كصوت السلاح . هـ : « حشخشة » بمهملتين ، وليس لها وجه .

(٨) من خواص الورق الصيني النعومة والحسن والرفق والرقّة . انظر ثمار القلوب ٤٣١ . قال : « وذكر صاحب المسالك والممالك أنه وقع من الصين إلى سمرقند في سبى سباه زياد بن صالح في وقته أطلق — سنة ١٣٤ — من يصنع الكواغيد ثم كثرت الصنعة ، واستمرت العادة ، حتى صارت متجرا لأهل سمرقند » . وجاء في فهرست ابن النديم ٢١ ليسك ٣١ مصر : « الورق الصيني ويعمل من الحشيش » .

١٢١ ومن الكاغد^(١) ، وتُجْعَلُ لها الأذنان والأجنحة ، وتعلّق في صدرها الجلاجل^(٢) ، وترسل يوم الرّيح بالخيوط الطّوال الصّلاب .

قال : فبات القوم يتوقّعون نزول الملك ، ويلاحظون السّماء ، وأبطأ عنهم حتّى قام جلّ أهل اليمامة ؛ وأطنبت^(٣) الرّيح وقويت ، فأرسلها ، وهم لا يرون الخيوط ، واللّيل لا يُبين عن صورة الرّق^(٤) ، وعن دقّة الكاغد . وقد توهّموا قبل ذلك الملائكة . فلمّا سمعوا ذلك ورأوه تصارخوا وصاح : من صرّف بصره ودخل بيته فهو آمن ! فأصبح القوم وقد أطبقوا على نصرته والدّفْع عنه . فهو قوله :

بِبَيْضَةِ قَارُورٍ وَرَايَةِ شَادِنٍ وتوصيل مقصوص من الطير جادف^(٥)
فقلت لسهم^(٦) : يكون مثل هذا الأمر العجيب ، فلا يقول فيه شاعر ، ولا يشيع به خبر ؟! قال : [أ^(٧)] وكلما كان في الأرض عجب ، أو شيء

(١) الكاغد ، يفتح الغين ، كلمة فارسية أصلها صيني ، بمعنى القرطاس الذي يكتب فيه . والكاغذ لغة فيه . والقرطاس أيضاً معربة من اليوناني : χαρτης وتنطق : « خَارْطِيس » . انظر الألفاظ الفارسية لأدى شير ١٣٦ .

(٢) الجلاجل : جمع جلجل ، بجيمين ، وهو الجرس الصغير . س : « الخلاخل » ، محرفة .

(٣) أطنبت الرّيح إطناباً : اشتدت في غبار . اللسان والقاموس . والكلمة محرفة في الأصل فهي في ط : « طلبت » ، وفي س ، هـ : « طابت » . أما الأولى فظاهرة التحريف ، وأما الثانية فإن معناها يناقض ما بعدها ، وهو « وقويت » إذ أن الرّيح الطيبة هي اللينة غير الشديدة .

(٤) الرّق ، بالفتح ، ويكرر : الصحيفة البيضاء .

(٥) في الأصل : « جائف » . وانظر شرح هذه الكلمة وتحقيقتها في ص ٣٦٨ حيث أنشد هذا البيت .

(٦) س : « لم » محرفة . وسيترجم الجاحظ « سهما » في ص ٣٧٩ .

(٧) ليست بالأصل .

غريبٌ ، فقد وجبَ أن يشيع ذكرُهُ ، ويقالَ فيه الشُّعْرُ ، ويجعلَ زمانُهُ تاريخاً ! أَلَسْنَا معشَرَ العربِ نَزْعُ أن كسرى أبريز ، وهو من أحرار فارسَ ، من الملوكِ الأعظم ، وسليلُ ملوكٍ ، وأبو ملوك ، مع حَزْمِهِ ورأيه وكِماله ، خطبَ إلى النُّعْمان بن المنذر ، وإلى رجلٍ يرضى أن تكونَ امرأتهُ خِثراً لبعض ولدِ كسرى ، وهو عامله ، ويسمُّيه كسرى عبداً ، وهو مع ذلكَ أَحَبُّهم أَقْبَشُ ، إِمَّا من أَشْلاء قصى بن معد ، وإِما من عُرضِ لحم . وهو الذى قالوا : تَزَوَّجَ مومسةً — وهى الفاجرةُ ؛ ولا يقالَ لها مومسةٌ إلاَّ وهى بذلك مشهورة — وعرفها بذلك ، وأقامَ عليها ، وهجىَ بها ولم يحفلْ بهجائهم . ومَّا زاد فى شهرتها قصَّةُ المرقش^(١) . وناكها قُرَّة بن هُبيرة^(٢) حين سبها . فعلم بذلك وأقامَ عليها ، ثمَّ لم يرضَ حتَّى قال لها : هل مَسَّكَ ؟ قالت : وأنت والله لو قَدَر عليك لَمَسَّكَ ! فلم يَرْضَ بها حتَّى قال لها : صِفِيهِ لى . فوصَفَتْهُ حتَّى قالتْ : كَأَنَّ شَعْرَ خَدَيْهِ حَلَقَ الدَّرْعَ ! وبال على رأسه خلف بن نوالَةَ الكِنَانى عامَ حَجِّ ، ونَصَّرَهُ عدىُّ بنُ

(١) هو المرقش الأصغر ، واسمه ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك ، أو عمرو ابن حنظلة بن سعد بن مالك، وهو ابن أخى المرقش الأكبر . واسمه عمرو — أو عوف — ابن سعد بن مالك . والمرقش الأصغر أشعر المرقشين وأطولهما عمراً . والمعروف أنه عشق فاطمة بنت المنذر ، أخت النعمان لا زوجه . وقصتهما فى الأغاني (٥ : ١٨٣ - ١٨٤) . وفيها يقول — من قصيدة مفضلية مطلعها (انظر المفضليات ٢٤٤) — :

ألا يا أسلمى لا صرم لى اليوم فاطما ولا أبداً مادام وصلك دائماً

(٢) قرة بن هيرة ، أحد بني قشير ، وقد على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأسلم . الإصابة ٧٠١٠ .

زيد بأحق سبب^(١) . وخطب أخوه المنذر إلى عبدة بن همام ، فردّه
أقبح الردّ ، وقال^(٢) :

أَتَوْنِي وَلَمْ أَرْضَ مَا بَيَّتُوا^(٣) وَقَدْ طَرَقُونِي بِأَمْرِ نُكْرٍ
لَأُنْكِحَ أَيْمَهُمْ مُنْذِرًا وَهَلْ يُنْكِحُ الْعَبْدَ حُرٌّ لَحْرٌ^(٤)
ثمّ مع ذلك خطب إليه كسرى بعض بناته فرغب بها عنه ، حتّى
كان ذلك سبب هربه وعِلَّةَ لِقَتْلِهِ — فهل رأيت شاعرًا في ذلك الزّمان
مع كثرة الشعراء فيه ، ومع افتخارهم بالذّي^(٥) كان منهم في يوم جُلُوتى^(٦)
ويوم ذى قار ، وفي وقائع المثنى بن حارثة ، وسعد بن أبي وقاص — فهل
سمعت في ذلك بشعرٍ صحيحٍ طريف^(٧) المخرج ، كما سمعته في جميع مفاخرهم
مما لا يداني هذا المفتخر^(٨) ؟ !

(١) نصره تنصيراً: أدخله في النصرانية . وانظر خبر تنصير على بن زيد للنعمان بن المنذر
في الأغاني (٢ : ٣٢ — ٣٣) .

(٢) البيتان بدون نسبة في الكامل ٤٤٦ ليسك . ونسباً في اللسان (نكر) إلى الأسود
ابن يعفر .

(٣) ما بيتوا : أى ما دبروه وفكروا فيه ليلاً . هـ : « بينوا » ، محرفة .

(٤) جعل أخا المنذر عبداً ، فقال : وهل زوج الحر عبداً مثل أخى المنذر حر مثل المرأة التي
خطبها . في الأصل : « حرا بحر » ، وصوابه من الكامل .

(٥) س ، هـ : « في الذّي » .

(٦) المعروف : « جلولا » بالمد ، لكنها قد قصرت في الشعر ، فنه قول التمتع
ابن عمرو :

ونحن قتلنا في جلولا أثابرا ومهران إذ عزت عليه المذاهب
ويوم جلولا الواقعة أنيت بنو فارس لما حوتها الكتائب

قال ياقوت : « فقصرها مرة ومدها أخرى » . وهى طسوج من طساسيج
السواد . وبها كانت الواقعة المشهورة على الفرس للمسلمين سنة ١٦ وقتلوا منهم
مائة ألف فيما يروون .

(٧) س ، هـ : « ظريف » بالمعجمة .

(٨) ط ، س : « المفتخر » .

ولقد خَطَبَ بَعْضُ إِخْوَتِهِ^(١) إلى رجالٍ من زرار ، من غير أهل البيوتات ، فرغبوا عنهم .

وأمّ النعمان سلمى بنت الصّائع^(٢) : يهودى من أنباط الشام ، ثمّ كان نجله^(٣) لفعلٍ غير محمود .

وقد قال جبلة بن الأيهم^(٤) ، لحسان بن ثابت : قد دَخَلْتَ عَلَى ورأيتنى ، فأين أنا من النعمان ؟ قال : والله^(٥)

[فالنعمان^(٦)] مع هذه المثالب كلّها قد رَغِبَ بنفسه^(٧) عن مصاهرة كِسْرَى ، وهو من أنبّه الكسور^(٨) . وكما^(٩) كان أبرويزُ أعظمَ خطراً ،

(١) ط ، هـ : « إخوانه » . ولم يفصل صاحباً القاموس والمصباح بين الاثنين ، لكن جاء في اللسان : « وأكثر ما يستعمل الإخوان في الأصدقاء ، والإخوة في الولادة » .

(٢) اسمه عطية ، كما في الأغاني (٩ : ١٥٨) . وفي البيان (٣ : ٢٤٦) : « سلمى بنت عقاب » .

(٣) نجله ، أى ولادته . ط ، هـ : « نجله » ، صوابه في س .

(٤) هو جبلة بن الأيهم الغساني ، آخر ملوك الغساسنة بالشام . أسلم ثم تنصر في أيام عمر بن الخطاب . وحديثه مع حسان معروف . الأغاني (١٤ : ٢) والعمدة (٢ : ١٧٨) والخزانة (٤ : ٢٩٧ — ٣٠٣ سلفية) . وفي الأصل : « خلف » محرف عما أثبت .

(٥) في الكلام نقص ، تقديره كما في الأغاني (١٤ : ٣) : « ... لقفاك خير من وجهه ، ولشمالك خير من يمينه ، ولأخصك خير من رأسه ، ولخطوك خير من صوابه ، ولصمتك خير من كلامه ، ولأملك خير من أبيه ، ولخدمك خير من قومه » . كما أن صاحب الحديث (في الأغاني) هو عمرو بن الحارث الأعرج ، لاجبلة .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) س : « قد ترغّب بنفسه » .

(٨) الكسور : جمع كسرى : اسم للملك الفرس ، معرب « خَسْرَوَ » أى واسع الملك . ويجمع كسرى أيضاً على أكاسرة ، وكساسرة ، وأكاسر ، انظر القاموس . وجاء في س فقط : « الأكاسرة » . وكسرى الذى يعنيه الجاحظ ، هو كسرى أبرويز . وانظر (٧ : ١١٢) .

(٩) في الأصل : « وكلما » .

كَانَتْ أَنْفَتُهُ^(١) أَفْخَرَ لِلْعَرَبِ ، وَأَدْلٌ عَلَى مَا يَدَّعُونَ مِنَ الْعُلُوِّ فِي النِّسَبِ .
وَكَانَ الْأَمْرُ مَشْهُودًا ظَاهِرًا ، وَمُرَدَّدًا^(٢) عَلَى الْأَسْمَاعِ مُسْتَفِضًا . فَإِذَا قَدْ
سَهِيَ أَنْ يَكُونَ مِثْلُ هَذَا الْأَمْرِ الْجَلِيلِ ، وَالْمَفْخَرِ الْعَظِيمِ ، وَالْعَرَبُ أَفْخَرُ
الْأُمَمِ ، وَمَعَ ذَلِكَ قَدْ أَغْفَلُوهُ - فَشَأْنُ مُسَيْلِمَةَ أَحَقُّ بِأَنْ يَجُوزَ ذَلِكَ عَلَيْهِ .

وَأَنْشَدَنِي يَوْسُفُ لِبَعْضِ شُعَرَاءِ بَنِي حَنِيفَةَ ، وَكَانَ^(٣) يُسَمَّى مُسَيْلِمَةَ
. وَيُكْنَى أَبَا مُنَمَّامَةَ :

لَهْفَى عَلَيْكَ أَبَا مُنَمَّامَةَ لَهْفَى عَلَى رُكْنِي شَمَامَةَ^(٤)
كَمْ آيَةٍ لِأَيْمٍ - مُ^(٥) كَالشَّمْسِ تَطْلُعُ مِنْ غَمَامَةِ

وَقَدْ كَتَبْنَا قِصَّتَهُ وَقِصَّةَ ابْنِ النَّوَّاحَةِ (فِي كِتَابِنَا الَّذِي ذَكَرْنَا فِيهِ فَصْلٌ
مَّا بَيْنَ النَّبِيِّ وَالْمُنْتَبِي) وَذَكَرْنَا جَمِيعَ الْمُنْتَبِينَ ، وَشَأْنَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ
عَلَى حَدِّثِهِ ، وَبِأَيِّ ضَرْبٍ كَانَ يَحْتَالُ ، وَذَكَرْنَا جَمْلَةً أَحْتِيَالَاتِهِمْ ،
وَالْأَبْوَابَ الَّتِي تَدُورُ عَلَيْهَا مَخَارِقُهُمْ^(٦) . فَإِنْ أُرِدْتَ أَنْ تَعْرِفَ هَذَا الْبَابَ
فَاطْلُبْ هَذَا الْكِتَابَ ؛ فَإِنَّهُ مُوجُودٌ .

(١) أَى أَنْفَةِ النِّعْمَانِ مِنْ مِصَاهِرَةِ كَسْرَى . ط ، هـ : « أَلْفَتَهُ » ، س : « الْفَتْنَةُ » .

وَالْأَوْضَحُ مَا أَثْبَتَ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَمُورَدًا » . وَلَا تَنْجَهْ .

(٣) أَى كَانَ مُسَيْلِمَةَ .

(٤) فِي الْمَعَارِفِ ١٧٨ : « عَلَى رُكْنِي شَمَامَةَ » .

(٥) كَذَا . وَرَوَايَةُ الْمَعَارِفِ : « كَمْ آيَةٍ لَكَ فِيهِمْ » .

(٦) الْمَخَارِقُ : يَرَادُ بِهَا تِلْكَ الْأَلَاغِيبُ الَّتِي يُلْجَأُ إِلَيْهِمْ الْمَشْعُودُونَ . وَاحِدَاهَا مَخْرَاقٌ .

قَالَ التَّبْرِيزِيُّ فِي شَرْحِ الْمُلَاقَاتِ ٢٢١ : « قِيلَ الْمَخَارِقُ : مَا مِثْلُ بِالشَّيْءِ وَلَيْسَ بِهِ

نَحْوُ مَا يَلْعَبُ بِهِ الصَّبِيَّانِ » . وَانْظُرِ التَّنْبِيْهَ وَالْإِشْرَافَ ٢٤٠ س ١٩ وَالْحَيَوَانَ

(١٠ : ١) .

(هجاء النعمان)

وقد هجا عبدُ القيس بنُ خُصافِ البرُجمي^(١) ، النُّعْمَانُ بنَ المنذر ،
في الجاهليَّةِ ، وذكر ولادة الصائغ^(٢) [له] فقال :

لَعَنَ اللَّهُ ثُمَّ ثَنَى بِلَعْنِ ابْنِ ذَا الصَّائِغِ ، الظُّلُومَ الْجُهُولَا^(٣)
يَجْمَعُ الْجَيْشَ ذَا الْأُلُوفِ وَيَغْزُو ثُمَّ لَا يَرْزَأُ الْعَدُوَّ فَتَيْلَا^(٤)

(سَهْمُ الحَنْفَى)

وكان سَهْمُ الحَنْفَى يُبْلَى طَبْرَسْتَان^(٥) ، لمعن بن زائدة^(٦) ، مع حداثة
سنه يومئذ ، وكان له مروءةٌ وَقَدَّرُ في نفسه .

« (١) عبد القيس بن خُصاف البرجمي ، نسبة إلى البراجم : قبيلة من تميم . شاعر جاهلي ، وله
خبران مع حاتم الطائي والناطقة الذبياني . والخبر الأول في الأغاني (١٤٥ : ١٤٦)
ومعجم المرزباني ٣٢٥ . وأما خبره مع الناطقة فهو أنه هو ومرة بن سعد بن قريع عملا
هجا في النعمان على لسان الناطقة — وهما البيتان الآتيان مع ثالث متوسط بينهما — فأفسد
ذلك على الناطقة أمره عند النعمان . الأغاني (٩ : ١٥٨) . وقد ذكره المرزباني باسم
(قيس) حيث ذكره في من اسمه قيس . والمعروف عبد القيس كما في الأغاني
ونواذر أبي زيد ١١٣ ، ١١٤ ، ١٢٦ والمفضليات ٣٨٣ والخماسة (١ :
١١٣) . وفي الأصل : « عبد القيس خُصاف » ، بإسقاط « بن » ، وصوابه ما أثبت .
ويقال فيه أيضاً : « عبد قيس » .

« (٢) ط : « والده الصائغ » ، س : « ولادة الصائغ » ، صوابهما في هـ .

« (٣) روى ابن قتيبة في الشعراء ١١٢، ١١٧ « قبح الله » . وروى هو وصاحب الأغاني
(٩ : ١٥٨) : « وارث الصائغ الجبان الجهولا » .

« (٤) يرزؤه : ينقصه . ط : « يرزء » س : هـ « يرز » ، صوابهما ما أثبت من
الأغاني . والفتيل : الهنة التي في شق النواة . هـ ، س : « قليلا » . والأجود ما أثبت
من ط والأغاني .

« (٥) طبرستان بفتح الطاء والباء وراء مكسورة : بلاد جنوبي بحر طبرستان ، المعروف أيضاً
ببحر الخزر . انظر خريطة الممالك الإسلامية .

« (٦) ممن بن زائدة الشيباني ، أحد أجواد العرب وفرسانهم . وكان في أيام بني أمية =

(كثرة الشعر وقلته في بعض قبائل العرب)

وبنو حنيفة مع كثرة عددهم ، وشِدَّةِ بأسهم ، وكثرة وقائعهم ، وحَسَدِ العربِ لهم على دارهم وتَحُومهم وَسَطُ أعدائهم ، حتى كأنهم وَخَدَهُمْ^(١) يعدلون بِكَرَّ أكلها - ومع ذلك لم نَرِ قَبِيلَةً قَطُّ أَقَلَّ شعراً منهم . وفي إخوتهم ١٢٣ عَجَلٌ قَصِيدٌ وَرَجَزٌ ، وشُعراء وَرَجَّازون . وليس ذلك لمكان^(٢) الخِصْبِ وأُتَمُّهم أهلُ مَدَر ، وأَكَّالو تمرٍ^(٣) ؛ لأنَّ الأوسَ والخزرجَ كذلك ، وهم في الشعر كما قد علمت . وكذلك عبدُ القيس النَّازلة قريَ البحرين^(٤) ، فقد تعرفُ أن طعَامهم أَطْيَبُ^(٥) من طعام أهل اليمامة .

وثَقِيفُ أهلُ دارِ نَاهِيك بها خِصْباً وَطِيْباً ، وهم وإن كان شعرُهم أَقَلَّ ، فَإِنَّ ذلك القليلَ يدلُّ على طَبْعٍ في الشعر عَجِيب . وليس ذلك مِنْ

= منتقلا في الولايات، ومنقطعا إلى يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري ، أمير العراقين ، فلما انتقلت الدولة إلى بني العباس ، وجرى بين أبي جعفر المنصور وبين يزيد ابن عمر ما جرى ، من محاصرة واسط ، أبلى معن مع يزيد بلاء حسنا . فلما قتل يزيد هرب معن خوفا من المنصور ، ثم دخل معن في شيعة المنصور وصار من خواصه . وقتل معن بسجستان ، إذ كان واليا عليها ، سنة اثنتين ، أو ثمان وخمسين ومائة . ورثاه مروان بن أبي حفصة بمرثية ، هي من عيون الشعر العربي . وفيات الأعيان والأغاني وتاريخ بغداد ٧١٢٧ .

(١) ط : « وأحدهم » ، صوابه في س ، ه .

(٢) ط : « المسكان » ، صوابه في س ، ه .

(٣) أَكَّالو تمر : أى لهم نخيل يأكلون تمرها . ط : « آكَّالو تمر » ، وتصحيحه من س ، ه .

(٤) البحرين ، تلك البلاد الواقعة على بحر فارس . ط : « البحر » ، والوجه ما أثبت من س ، ه .

(٥) في الأصل : « أخبث » . وهو عكس المراد .

قَبِيلِ رِداءَةِ الغِذاءِ ، ولا من قِلَّةِ الحِصْبِ الشَّاعِلِ والغِنَى ^(١) عن النَّاسِ ؛
وإنَّمَا ذلك عن قَدَرٍ ما قَسَمَ اللهُ لهم من الحِطَوطِ والغِرائِزِ ، والبِلادِ
والأَعراقِ مِكانَها .

وبنو الحارث بن كعب قَبِيلٌ شَريفٌ ، يَجرون مِجارِيَ ملوكِ اليَمَنِ ،
ومِجارِيَ ساداتِ أَعْرابِ أَهْلِ نَجْدٍ ، ولم يكنْ لهم في الجاهليَّةِ كَبِيرٌ حَظٌّ
في الشَّعرِ . ولهم في الإسلامِ شُعراءُ مَفْلِقُونَ .

وبنو بَدْرِ كانوا مَفْحَمِينَ ^(٢) ، وكان ما أَطْلَقَ اللهُ بِهِ ألسِنَةَ العَرَبِ ^(٣)
خيراً لهم من تَصْيِيرِ الشَّعرِ في أَنفُسِهِمْ .

وقد يَحْطِئُ ^(٤) بالشَّعرِ نَاسٌ وَيُخْرِجُ ^(٥) آخَرُونَ ، وإن كانوا ^(٦) مِثْلَهُمْ
أَوْ فَوْقَهُمْ . ولم تُمْدَحْ ^(٧) قَبِيلَةٌ في الجاهليَّةِ ، من قُرَيْشٍ ، كما مُدِحَتْ

(١) في الأصل : « والغنا » .

(٢) في القاموس : « المفتح ككرم : العيى ومن لا يقدر يقول شعراً » ، كذا
جاءت العبارة .

(٣) أى ما أَطْلَقَ بِهِ ألسِنَةَ الشُّعراءِ في مديحِهِمْ ، فن ذلك قول حاتم الطائي (الأغاني ١٦ : ١٠٤)
والديوان ١١٦) :

إن كنت كارهة معيشتنا هاتا فحلى في بنى بدر

جاورتهم زمن الفساد فتعـم الحى في العوصاء واليسر

فسقيت بالماء النير ولم ينظر إلى بأعين خزر

انضاربين لدى أعنتهم والطاعنين وخيلهم تجرى

والخالطين نحييتهم بنضارهم وذوى الغنى منهم بذى الفقر

وانظر مديح دريد بن الصمة لهم في ٣٥٨ .

(٤) ط ، هـ : « يحظا » ، س : « يخطأ » ، صوابهما ما أثبت .

(٥) كذا في س ، ط ؛ وفى هـ : « يجرح » ، وربما كانت : « يحد » أى
يسوء حظه .

(٦) س ، هـ : « كان » ، صوابه في ط .

(٧) س ، هـ : « يمدح » .

مخزوم . ولم يتهياً من الشاهد والمثل لمادح في أحدٍ من العرب ، ما تهياً
لبنى بدر .

وقد كان في ولد زُرارة^(١) لصلبه ، شعر كثير ، كشعر لقيط^(٢)
وحاجب^(٣) وغيرهما من ولده . ولم يكن لحذيفة ولا حصن ، ولا عيينة
ابن حصن ، ولا لحمل بن بدر - شعرٌ مذكور .

(حظوة الخلفاء والولاة بالشعر)

وقد كان عبدُ العزيز بن مروانَ أخطى^(٤) في الشعر من كثير من
خلفائهم . ولم يكن أحدٌ من أصحابنا ، من خلفائنا وأئمتنا ، أخطى.

(١) هو زُرارة بن عدس ، بضمّتين ، ابن زيد . جد جاهلي . بنوه بطن من بني دارم .
وكان حكيماً من قضاة تميم .

(٢) لقيط بن زُرارة ، شاعر فارس من فرسانهم ، وله خبر في يوم رحرحان ، وكان من
الرؤساء في يوم جبلة ، وقتل في ذلك اليوم وجعل يقول عند موته :

ياليت شعري عنك دختنوس إذا أتاك الخبر المرموس
أخلق القرون أم تميم لابل تميمس لأنها عروس

دختنوس : بنته . وكان جبلة قبل الإسلام بتسع وخمسين سنة . الأغاني

(١٠ : ١٩ - ٤٤) . ط : « شعراء كلقيط » ، س : « شعراء كثير آ كشعر لقيط » .

ه : « شعراً كثيراً لقيط » ، وقد وجهت القول بما ترى .

(٣) وكان حاجب بن زُرارة من رؤساء يوم جبلة . وقد عاش إلى أن وفد على

الرسول وأسلم وبعثه على صلقات بني تميم . وهو الذي رهن قوسه عند كسرى على

مال عظيم ووفى به . الإصابة ١٣٥٥ . وانظر قصة (قوس حاجب) في بلوغ

الأرب (١ : ١٢٥) فهي منعمة . وعين رهن من العرب قوسه أيضاً ، سيار

ابن عمرو بن جابر الفزاري ، احتمال للأسود بن المنذر دية ابنه الذي قتله

الحارث بن ظالم ، ألف بعير ، وهى دية الملوك ، ورهنه بها قوسه . انظر العقد

(٣ : ٣١١ - ٣١٢) .

(٤) إشارة إلى المدائح الكثيرة الجيدة التي مدحه بها نصيب الشاعر ، وكذا عبد الله بن قيس

الرقيات . ط ، س « أخطأ » ، ه : « أخطأ » ، صوابهما ما أثبت من العمدة (٢ : ١٤٨)

حيث نقل عن الجاحظ نقلاً كاملاً .

في الشعر من الرشيد^(١) . وقد كان يزيد بن مزيّد^(٢) وعمه^(٣) ، ممن أخطأه^(٤) الشعر .

وما أعلم في الأرض نعمة بعد ولاية الله أعظم من أن يكون الرجل ممدوحاً .

الصَّمُّ من الحيوان

تقول العرب : ضربان من الحيوان لا يسمعان الأصوات . وذلك عام في الأفاعي والنعام .

واعتمد من ادعى للنعام الصمم بقول علقمة :

فَوْهُ كَشَقِّ الْعَصَا لَايَأُ تَبَيَّنُهُ أَسْكُ مَا يَسْمَعُ الْأَصْوَاتَ مَصْلُومٌ^(٥)

(١) وأما هارون الرشيد فقد أظن في مدحه أبو العتاهية ، وإبراهيم الموصلي ، وإسحاق الموصلي ، ومروان بن أبي حفصة ، والعتابي ، وابن منذر ، وأشجع السلمي ، ومنصور النخعي ، ونصيب الأصغر وغيرهم . ط ، س : « أخطأ » ه : « أخطأ » . والوجه فيهما ما كتبت .

(٢) يزيد بن مزيّد بن زائدة الشيباني : أمير شجاع ، نديه هارون الرشيد لقتال الوليد . ابن طريف الشاري الخارجي ، فقتله وعاد إلى أرمينية ، حيث كان والياً عليها . توفي سنة ١٨٥ .

(٣) عمه ، هو معن بن زائدة الشيباني ، الذي سبقت ترجمته في ص ٣٧٩ - ٣٨٠ .

(٤) حظي يزيد بن مزيّد بمديح مسلم بن الوليد ومنصور النخعي . ورثاه أبو موسى التيمي بمراثية سمها الرشيد فبكي بكاء اتسع فيه ، حتى لو كانت بين يديه سكرجة ملأها من دمعه . الأغاني (١٨ : ١١٦ - ١١٧) . وأما عمه فقد حظي بمديح مروان بن أبي حفصة ، ومطيع بن إياس ، وعلى بن خليل ، والحسين ابن مطير ، وغيرهم . في الأصل : « أخطأ » ، صوابه ما أثبت . وأخطأه : جعله ذا حظوة .

(٥) تقدم شرح هذا البيت في ص ٣٦٦ . ه : « يبينه » . س : « أسد » ه : « أشد » كل منهما بدل « أسك » محرف .

قال ^(١) : ولا يصلح أن تكون « ما » في الموضع الذي ذكر ^(٢) لأن ذلك يصير كقول القائل : التمر حلو ، والثَّلج بارد ، والنَّار حارَّة .
[و ^(٣)] لا يحتاج إلى أن يُخبر أنَّ الذي يُسمَعُ هذا الصَّوت ؛ لأنه لا مسموعَ إلا الصَّوت .

قال خصمه : فقد قال عَلْقَمَةُ بن عَبْدَةَ
حَتَّى تَلَا فِي وَقْرِنِ الشَّمْسِ مَرْتَفَعٌ أَدْحَى عِرْسَيْنِ فِيهِ الْبَيْضُ مَرْكُومٌ ^(٤)
يُوحِي إِلَيْهَا بِانْقِاضٍ وَنَقْنَقَةٍ كَمَا تَرَاظُنُ فِي أَفْدَانِهَا الرُّومُ ^(٥)
ثم قال : ١٢٤

تَحْفُهُ هِقْلَةٌ سَفْعَاءُ خَاذِلَةٌ تَجِيهُ بِزِمَارٍ فِيهِ تَرْنِيمٌ ^(٦)
وَاحْتِجَّ مَنْ زَعَمَ أَنَّهَا تَسْمَعُ ، بِقَوْلِهِ ^(٧) :
وَصُحْمٌ صِتَامٌ بَيْنَ صَمْدٍ وَرِجْلَةٍ وَبَيْضٌ تُوَامٍ بَيْنَ مِثٍّ وَمِذْنَبٍ ^(٨)

-
- (١) القائل هو الجاحظ ، ينقد البيت .
(٢) س : « في موضع الذي » ، مع حذف كلمة « ذكر » . ط : « في الموضع الذي ذكر » ، صوابهما ما أثبت من ه .
(٣) ليست بالأصل .
(٤) سبق شرح هذا البيت في ص ٣٦٧ . س : « أرخى » ه : « أرحى » محرفتان .
(٥) سبق شرحه في ص ٣٦٨ . س : « في أنداها » . وهي صحيحة ؛ فالأنداء : جمع النادى ، وهو مجتمع القوم . انظر اللسان . ه : « أبدأها » ، محرفة عن سابقتها .
(٦) سبق شرحه في ص ٣٦٨ . والسفعاء : السوداء . ه : « صفعاء » س : « صنعا » ، محرفتان عما في ط . وخاذلة : مقيمة على ولدها .
(٧) هو ليبيد . اللسان (صحم) .
(٨) الصحم : جمع أصحم ، وهو ما في لونه غبرة . وقد عني بها الحمير ، كما في اللسان . ط ، ه : « ضخم » س : « صخم » محرفتان . والصتام : جمع صتم ، بالفتح ، وهو الغليظ الشديد ، وفي الأصل : « صنم » بالنون . وفي اللسان : =

مَتَى مَا تَشَأْ تَسْمَعُ عِرَارًا بِقَفْرَةٍ يُجِيبُ زِمَارًا كَالرَّاعِ الْمُثْقَبِ^(١)
وقال الطَّرمَّاح :

يَدْعُو الْعِرَارُ بِهَا الزِّمَارَ كَأَنَّهُ أَلَمٌ تَجَاوِبُهُ النِّسَاءُ الْعُودُ^(٢)
قال : وصَوَّتْ النِّعَامَةُ الذَّكَرَ : الْعِرَارُ^(٣) . وصوت الأنثى : الزِّمَارُ .
وأشَدُّ الَّذِي زَعَمَ أَنَّهَا لَا تَسْمَعُ^(٤) ، قول أسامة بن الحارث
الهذلي^(٥) :

تَذَكَّرْتُ إِخْوَانِي فَبِتُّ مُسَهِّدًا كَمَا ذَكَرْتُ بَوًّا مِنَ اللَّيْلِ فَاقْدُ^(٦)

- = « صيام » . وأثبت تصحيح ما في الأصل . و « صمد » بالفتح ، و « رجلة »
بالكسر : موضعان . وفي الأصل : « بين ضمير ورجله » تصحيحه من اللسان .
وبيض تَوَّام : أى أزواج . والميث ، بالكسر : جمع ميثاء ، وهى الأرض السهلة .
والمثنب ، كثر : مسيل الماء .
(١) « العرار ، بالكسر : صياح الظليم . وفي الأصل : « عوارا » محرفة . والزمار
بالكسر : صوت أنثى النعام . فى الأصل : « تجيب زمارا » ، صوابه ما أثبت .
وسيماد البيت فى ص ٤٠٠ .
(٢) « يدعو ، هنا ، بمعنى يجيب ، كما فى شرح الديوان ٨٩ . وفى الأصل : « العوار »
صوابها فى الديوان . والألم : الذى أصابه الألم . يقال رجل ألم ووجع - كلاهما
كفرج - وفى الأصل : « أيم » ، تصحيحه من الديوان .
(٣) « فى الأصل : « العوار » محرفة .
(٤) « فى الأصل : « الذى زعم الهذلي أنها لا تسمع » . وكلمة « الهذلي » مقحمة بلا زيب .
(٥) ذكره المرزباني فى معجبه وقال : مخضرم . الإصابة ٤٤٢ .
(٦) « مسهد : من السهاد ، وهو الأرق . والبو : ولد الناقة . والفاقد : التى فقدت
ولدها . س : « ذكر برأ » ه : « ذكرت برا » ط : « ذكرت بردا »
وفى الجميع : « فاقدًا » بالنصب . وكل ذلك تحريف ، صوابه ما أثبت موافقا
لما بقية أشعار الهذليين (٢ : ١٠٦) .

لعمري لقد أمهلتُ في نهى خالدٍ عَنِ الشَّامِ إِمَّا يَعْصِيَنَّكَ خَالِدٌ^(١)
وَأْمَهَلْتُ فِي إِخْوَانِهِ فَكَأَنَّمَا تَسْمَعُ بِالنَّهْيِ النَّعَامُ الْمَشْرَدُ^(٢)
وقال الذي زعم أنها تسمع : فقد قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ
لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ﴾ . ولو عني أَنَّ عَمَاهُمْ كعمى العُمَيَّانِ ،
وصمَّهم كصمَّ الصَّمَّانِ ، لما قال : ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى
قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ . وإنما ذلك كقوله : ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا
تَسْمِعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ . وكيف تسمعُ المدبرَ عنك !
ولذلك يقال : « إِنَّ الْحَبَّ يُعْمَى وَيُصَمُّ » . وقد قال الهذلي :

* تَسْمَعُ بِالنَّهْيِ النَّعَامُ الْمَشْرَدُ^(٣) *

والشارد النافر عنك لا يوصف بالفهم . ولو قال : تسمع بالنهي ،
وسكت - كان أبلغ فيما يريد . وهو كما قال الله تعالى : ﴿وَلَا تَسْمِعُ
الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ . قال الرَّاجِزُ :
رِدِي رِدِي وَرِدَ قِطَاةٍ صَمًّا^(٤) كُذْرِيَّةٍ أَعْجَبَهَا بَرْدُ الْمَاءِ^(٥)

(١) في الأصل : « خالداً » ، صوابه ما أثبت من اللسان . وفي الأصل أيضاً : « إلى
الشَّامِ » ، تصحيحه من اللسان (مهل) وبقية أشعار الهذليين . وأول البيت في هـ :
« وإني قد أمهلت » . وأمهلت : بالغت . يقول : إن عصافى فقد بالغت في نهيه .

(٢) تسمع : أى أصغى ليسمع . ويروى : « يُسْمَعُ » . والنعام المشرّد لا يصنى إلا ربيته
يشرد ، وذلك لفوره وتوحشه . في الأصل : « المشرّد » ، وصوابه ما أثبت .

(٣) في الأصل : « المشرّد » . وانظر التنبيه السابق .

(٤) يخاطب ناقته . والرجز في الوساطة ٣٠١ حيث استشهد به على أن المتنبي سرق
منه قوله : * ورود قطاصم تشايخن في ورد * وانظر الاستدراكات .

(٥) الكدرية : واحدة الكدرى ، وهو ضرب من القضا غير الألوان ، رقص
الظهور ، صفر الخلق . س ، هـ : « كدرية » ، تحريف طيب ، صوابه في ط -

أى لأنها [لا^(١)] تسمع صوتاً يثنيها ويرُدُّها^(٢) .

وأنشد قول الشاعر :

دَعَوْتُ خُلَيْدًا دَعْوَةً فَسَكَتَا^(٣) دعوت به ابن الطَّودِ أَوْ هُوَ أَمْرَعُ

وَالطَّودُ : الجبل . وابْنُهُ : الحجر الذي يَتَدَهَّدُهُ^(٤) منه ، كقوله^(٥) :

* كَجَلْمُودٍ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ^(٦) مِنْ عَلِيٍّ *

وقال الرَّاجِزُ :

وَمَنْهَلٍ أَعْوَرَ إِحْدَى الْعَيْنَيْنِ^(٧) بِصِيرِ الْأُخْرَى وَأَصَمَّ الْأُذُنَيْنِ^(٨)

= والوساطة واللسان (صمم) وشرح محب الدين أفندي لشواهد الكشاف .
استشهد به للزخشرى عند قوله تعالى : « ونسوق المحجرين إلى جهم وردا » من
سورة مريم .

(١) ليست بالأصل ، وبها يستقيم الكلام .

(٢) وفي اللسان : « لسكك أذنيها . وقيل لصممها إذا عطشت » ، ووجهه محب الدين أفندي
بأنها لا تسمع صوت القانص حتى تنفر . وهو تعليل جيد .

(٣) في اللسان (مادة طود) : « جليداً » . وفي أساس البلاغة : « كليبا » س ،
ط : « وكأنا » ، وأثبت مافي ه واللسان والاساس .

(٤) يتدهده : يتدحرج . س ، ه : « يمد هذا » ، ولعل هذه الأخيرة محرفة عن
« يتدهلى » ، وهي لغة في يتدهده .

(٥) هو امرؤ القيس ، من معلقته . وصدره :

* مكر مفر مقبل مدبر معا *

(٦) ط : « السيد » ، وهو على الصواب في س ، ه .

(٧) المنهل : منزل السفار على الماء . أعور إحدى العينين : أى فيه بئران
غاضت إحدىهما .

(٨) بصير الأخرى : أى أن البئر الأخرى بها ماء . وفي الأصل : « بصيرة » تصحيحه
من اللسان (عور) . والرواية فيه : « بصير أخرى » . وأصم الأذنين : أى ليس
يسمع فيه صدى الصوت . في الأصل : « أصم » بدون واو ، وهي ضرورة لوزن الشعر .
والبيت من مشطور السريع .

١٢٥ كَأَنَّهُ كَانَ فِي ذَلِكَ الْمَهْلِ بَيْرَانٌ ^(١) ، وَالْأَبَارُ أَعِينٌ ، فَغَوَّرَتْ إِحْدَى الْبَيْرَيْنِ ^(٢) وَتَرَكْتَ الْأُخْرَى .

وقوله : « أَصَمُّ الْأُذُنَيْنِ » لِمَا ^(٣) أَنْ كَانَ عِنْدَهُ ^(٤) فِي الْأَرْضِ فَضَاءً وَخَلَاءً ^(٥) ، حَيْثُ لَا يَسْمَعُ فِيهِ صَوْتٌ ، جَعَلَهُ أَنْ ^(٦) كَانَ لَا يَسْمَعُ صَوْتًا أَصَمٌّ ؟ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ لِفَقْدِ الْأَصْوَاتِ .

(شَاهِدُ مِنَ الشُّعْرِ لِسَمْعِ النِّعَامَةِ)

قال : وقد قال الحارثُ بْنُ حِلْزَةَ ^(٧) قولاً يدلُّ على أَنَّهَا تَسْمَعُ ^(٨) ،
حَيْثُ قَالَ :

وَلَقَدْ أَسْتَعِينُ يَوْمًا عَلَى اللَّهِ مَّ إِذَا خَفَّ بِالثَّوِيِّ الثَّوَاءُ ^(٩)

(١) كَذَا جَاءَتْ فِي الْأَصْلِ ، بِتَسْهِيلِ الْهَمْزَةِ .

(٢) كَذَا بِالتَّسْهِيلِ .

(٣) ط : « لَا » ، وَصَوَابُهُ فِي س ، هـ .

(٤) أَمَّا عِنْدَ الْمَهْلِ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « فَضْلٌ وَخَلَاءٌ » ، وَصَوَابُهُ مَا أَثْبَتَ .

(٦) أَيْ لِأَنَّ . وَحَذَفَ الْجَارُ مَطْرُودٌ فِي مِثْلِ هَذَا . ط : « إِذَا » ، وَأَثْبَتَ مَا فِي س ، هـ .

(٧) الْحَارِثُ بْنُ حِلْزَةَ ، شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ مِنْ بَنِي يَشْكُرَ . وَالْأَبْيَاتُ الْآتِيَةُ مِنْ مَعْلَقَتِهِ الْمَشْهُورَةِ ، الَّتِي قَالَ فِيهَا أَبُو عُبَيْدَةَ : « أَجُودُ الشُّعْرَاءِ قَصِيدَةً وَاحِدَةً جَيِّدَةً طَوِيلَةً ، ثَلَاثَةَ نَفَرٍ : عَمْرُو بْنُ كَلْفُومٍ ، وَالْحَارِثُ بْنُ حِلْزَةَ ، وَطَرْفَةُ بْنُ الْعَبْدِ » .

(٨) فِي الْأَصْلِ : « لَا تَسْمَعُ » ، وَهُوَ خِلَافُ الْمُرَادِ .

(٩) الثَّوِيُّ : الْمَقِيمُ . وَالثَّوَاءُ ، هَكَذَا جَاءَتْ بِالْأَصْلِ . وَالصَّوَابُ : « النَّجَاءُ » ، وَهِيَ السَّرْعَةُ . وَأَمَّا « الثَّوَاءُ » فَهِيَ قَافِيَةُ لِمَطْلَعِ الْمَعْلَقَةِ :

أَذْنَتْنَا بَيْنَهَا أَسْمَاءُ رَبِّ ثَاوٍ يَمْلُ مِنْهُ الثَّوَاءُ

زَفُوفٍ كَانَهَا هِقْلَةٌ أَمْ رِثَالٍ دَوِيَّةٌ سَفْعَاءُ^(١)
 ثُمَّ قَالَ :

آنَسْتُ نَبَأَةً وَأَفْزَعَهَا الْقُنَّاصُ عَصْرًا وَقَدْ دَنَا الْإِمْسَاءُ^(٢)
 فَتَرَى خَلْفَهُنَّ مِنْ سُرْعَةِ الْمَذَى مَنِينًا كَأَنَّهُ إِهْبَاءُ^(٣)
 وَلَوْ قَالَ : « أَفْزَعَهَا »^(٤) الْقُنَّاصُ وَلَمْ يَقُلْ : « آنَسْتُ نَبَأَةً » - وَالنَّبَأَةُ
 الصَّوْتُ - لَكَانَ لَكُمْ فِي ذَلِكَ مَقَالٌ^(٥) .

(شعر في معنى الصمم)

وقال امرؤ القيس :

وَصُمُّ صِلَابٌ مَا يَقِينُ مِنَ الْوَجَى كَانَ مَكَانَ الرَّدْفِ مِنْهُ عَلَى رَالٍ^(٦)

(١) زفوف ، بالفتح : أى ناقة سريعة . والحقلة : النعامة . والريثال : أولادها .
 دوية : منسوبة إلى الدو ، وهى الأرض المتراصة الأطراف . والسفعاء : السوداء .
 س : « صفعاء » هـ : « صفعاء » محرفتان . ورواية المعلقات : « سفعاء »
 أى عالية .

(٢) آنست نبأة : أحست صوتا خفيا .

(٣) قال التبريزى : « خلفهن : خلف الإبل ؛ لأن الناقة الموصوفة ، تسير مع غيرها ،
 فحمل الضمير على المعنى » . والمئين ، بالفتح : الغبار الدقيق . و « إهباء » روى
 بالفتح : بمعنى للغبار المرتفع فى الجو . وروى بالكسر : مصدر أهبط يهبط إهباء :
 أثار التراب .

(٤) فى الأصل : « أفزع » ، وهو يخالف لنص الشعر السابق .

(٥) فى الأصل : « فقال » ، والوجه ما أثبت .

(٦) يقول : ولذلك القرس حوافر صم صلاب ما يضعفن فى سيرهن من الوجى . والوجى :

أن يجد القرس فى حافره وجعا يشتكيه ، من غير أن يكون فيه صدع أو غيره .

ط ، س : « تعين » هـ : « تعين » ، صوابهما من الديوان ٦٦ واللسان

(وقى) . ط : « الوجا » س ، هـ : « الرجا » صوابهما من المصدرين

السابقين . والردف : الذى تردفه ، ومكانه الذى يقعد فيه يسمى القطاة ، ويستحب =

وإنما يعنى أنها مُصَمَّتَةٌ غير جَوَاء . وقال الآخر :

قُلْ ما بَدَأَ لَكَ مِنْ زُورٍ وَمِنْ كَذِبٍ حِلْمِي أَصَمُّ وَأُذُنِي غَيْرُ صَمَاءٍ
يريد أن حلمه ليس بسخيف متخلخل ، وليس بخفيف سارٍ ، ولكنه
مصمت . وقال الشاعر :

• وأَسألُ ^(١) من صَمَاءٍ ذاتِ صَليْلِ •

وإنما يريد أرضاً يابسة ، ورملةً نشافةً ، تسألُ ^(٢) الماء : أى تريده
وتبتلعه ، وهى فى ذلك صَمَاء .

(ذكر الصَّمِّ فى القرآن الكريم)

وقد قال الله لناسٍ يسمعون : ﴿ صُمُّ بُكْمٌ عُمٌّ فَهْمٌ لَا يُرْجِعُونَ ^(٣) ﴾
وذلك على المثل . وقال : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا
لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكْمٌ عُمٌّ فَهْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ^(٤) ﴾ . وذلك
كله على مافسرنا . وقال : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا

= إشرافها ؛ فذلك شبهها بعمز الرأى . والرأى ، أصله الهمز ، وخففه لمكان
القافية . وقبل البيت :

سليم الشظى عبل للشوى شنج النساء له حجبات مشرفات على الفال
(١) س ، هـ : « وأسل » ، صوابها فى ط . وهى من السؤال ، كما سيأتى فى شرح الجاحظ ،
وكما فى اللسان . وصدر البيت فى اللسان :

• أَجَلَ لَا ، وَلَكِنْ أَنْتَ أَلَامٌ مِنْ مَسَى •

(٢) ط ، هـ : « تسأل » ، صوابه فى س .

(٣) الآية الثامنة عشرة من سورة البقرة .

(٤) الآية ١٧١ من سورة البقرة .

عَلَيْهَا صُمًّا وَعَمِيَانًا^(١) ، وقال أيضا : ﴿ إِنَّمَا أَنْذَرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصَّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ^(٢) 》 .

(شعر في معنى الصمم)

وقال عنتره :

ظَلَلْنَا نَكْرُ الْمَشْرِفَةَ فِيهِمْ وَخُرْصَانَ صُمِّ السَّمْهَرِيِّ الْمُثَقَّفِ^(٣)
وقال العجبر السلولي :

وقد جَذَبَ الْقَوْمُ الْعَصَائِبَ مُؤَخَّرًا فَفِيهِنَّ عَنْ صَلْعِ الرِّجَالِ حُسُورُ^(٤)
فَظَلَّ رِدَاءُ الْعَصَبِ مُلْقَى كَأَنَّهُ سَلَى فَرَسَ تَحْتَ الرِّجَالِ عَقِيرُ^(٥)
لَوْ أَنَّ الصُّخُورَ الصَّمَّ يَسْمَعْنَ صَلَاقَنَا لَرُحْنَ وَفِي أَعْرَاضِهِنَّ فَطُورُ^(٦) ١٢٦
وقال زهير^(٧) :

(١) الآية ٧٣ من سورة الفرقان .

(٢) الآية ٤٥ من سورة الأنبياء ، وأولها : « قل إنما . . . » .

(٣) المشرفة : ضرب من السهوف ، منسوب إلى مشارف الشام . والخرصان ، بالكسر والصم : جمع خرص بالصم ويكسر ، وهو سنان الرمح . والسهمري من الرماح : هو الصليب المود . والمثقف : المعدل المسوى بالثقاف . هـ : « المثقب » تحريف ، صوابه في س ، هـ والديوان ١٦١ ، والرواية فيه :

ظَلَلْنَا نَكْرُ الْمَشْرِفَةَ فِيهِمْ وَخُرْصَانَ لَدُنِ السَّمْهَرِيِّ الْمُثَقَّفِ

(٤) حُور : انكشاف .

(٥) العصب ، بالفتح : ضرب من البرود . وفي الأصل : « نداء العصب » ، صوابه من مجالس ثعلب ٥٩٣ . والسلي بالتحريك : الجلدة التي يكون بها الولد . وتكتب بالياء . وفي الأصل بالآلف . والعقير : التي عقرت ، أي قطعت قوائمها . وفي الأصل : « حقور » صوابه من المجالس . وفي البيت إلقاء .

(٦) يقول : لو أن تلك الصخور سمعن صوتنا الشديد في تلك الحرب ، لرحن وقد تشققت أعراضهن . والأعراض : الجوانب والتسواحى . ورواية الأغاني (١١ : ١٥٠) :

لَوْ أَنَّ الْجِبَالَ الصَّمَّ يَسْمَعْنَ وَقَعَهَا لَعَدْنَ وَقَدْ بَازَتْ بَيْنَ فَطُورِ

(٧) والبيتان ليسا في ديوان زهير .

لَيْتَنِي خُلِقْتُ لِلْأَبَدِ صَخْرَةً صَمَاءَ فِي كَيْدٍ (١)
لَا تَشْكِي (٢) شَرَّ جَارَتِهَا خُلِقَتْ غَلِيظَةً الْكَبَدِ
وَقَالَتْ جُمْلُ بِنْتُ جَعْفَرٍ :

بَنِي جَعْفَرٍ لَا سِلْمَ حَتَّى تَزُورَكُمُ بِكُلِّ رُدِينِي وَأَبْيَضَ ذِي أَثَرٍ (٣)
وَحَتَّى تَرَوْا وَسَطَ الْبُيُوتِ مُغْيِرَةً تُصِمُّكُمْ بِالضَّرْبِ حَاشِيَةَ الذُّعْرِ (٤)
تَبِينُ لِدِي الشُّكَّ الَّذِي لَمْ يَكُنْ دَرَى وَيُبْصِرُهَا لَا عَمَى وَيَسْمَعُ ذُو الْوَقْرِ (٥)
وَقَالَ دَرِيدُ :

مَتَى كَانَ الْمُلُوكُ لَكُمْ قَطِينًا (٦) عَلَى وَلَايَةِ صَمَاءَ مِنِّي (٧)
(مثل وحديث في الصمم)

وَمِنَ الْأَمْثَالِ قَوْلُهُمْ : « صَمَّتْ حَصَاةٌ بِدَمٍ » (٨) ، قَالَ : فَأَصْلُهُ أَنْ

- (١) كَيْدٌ ، بَفَتْحٍ فَكسر : اسم جبل . في الأصل : « كَبْدَى » !
(٢) في الأصل : « تَشْكِي » ، وبذلك يَنْكسرُ الْوِزْنُ ؛ إِذَ الْبَيْتُ مِنْ بَحْرِ الْمَدِيدِ .
(٣) الرَّدِينِي : الرَنْجُ الْمَسْبُوبُ إِلَى امْرَأَةٍ تَدْعَى رَدِينَةً ، كَانَتْ هِيَ وَزَوْجُهَا سَمْعَرًا يَقُومَانِ الْقِتْلَةَ بِحُطٍّ هَجْرٍ . وَعَنْتُ بِالْأَبْيَضِ : السَّيْفُ . وَالْأَثَرُ ، بِالْفَتْحِ : فَرْقَةُ السَّيْفِ . ط ، س :
« أَثَرٌ » هـ : « أَسَرٌ » ، صَوَاهِمَا مَا أُثْبِتَ .
(٤) مُغْيِرَةٌ : أَيْ غِيْلًا مُغْيِرَةً هَاجِمَةً بِأَرْبَابِهَا . ط : « خَاشِيَةُ الذُّعْرِ » . وَأُثْبِتَ صَوَابَهُ
مِنْ س ، هـ . وَلِلْعَرَبِ مَجَازٌ فِي مِثْلِ هَذَا . يَقُولُونَ : حَشَى الرَّجُلَ غِيظًا ، وَكِبْرًا ،
كَأَنَّ الْمَرَارَ :

وَحَشَوْتُ الْغِيظَ فِي أَضْلَاعِهِ فَهُوَ يَمْشِي حِطْلًا كَالنَّقْرِ
وَكَمَا قَالَ الْمَسْعُودِيُّ :

وَلَا تَأْتِنَا أَنْ تَرْجِمَا فَنَسْلَمَا فَحَشَى الْإِنْسَانَ شَرًّا مِنَ الْكَبْرِ

(٥) تَبِينُ : تَطْهَرُ هـ . وَالْوَقْرُ ، بِالْفَتْحِ : ثِقَلُ الْأُذُنِ ، أَوْ ذَهَابُ السَّمْعِ كُلِّهِ .

(٦) الْقَطِينُ : تَبِعَ الرَّجُلَ وَمَالِيكَهُ وَخَدَمَهُ .

(٧) كَذَا جَاءَ هَذَا الشُّطْرُ .

(٨) يُضْرَبُ مِثْلًا فِي الْإِسْرَافِ فِي الْقَتْلِ وَكَثْرَةِ الدَّمِ . الْمِيدَانِي (١ : ٣٥٩) .

يَكْثُرُ الْقَتْلُ وَسَفْكُ الدِّمَاءِ ، حَتَّى لَوْ وَقَعَتْ حَصَاةٌ عَلَى الْأَرْضِ لَمْ يُسْمَعْ لَهَا صَوْتُ ، لِأَنَّهَا لَا تَلْقَى صَلَابَةَ الْأَرْضِ .

وقد جاء في بعض الحديث : « إذا كانت تلك الملاحم بلغت الدَّمَاءُ الثَّنَّ (١) » ، يعنى ثَنَنَ (٢) الخيل ، وهو الشَّعْر الذى خلف الحافر .

(صمت السيف)

وقال الزبير بن عبد المطلب (٣) :

وَيَذِي نَخْوَةً الْمُخْتَالُ عَنِّي جُرَّازُ الْحَدِّ ضَرْبَتُهُ صَمُوتٌ (٤)

لَأَنَّ السَّيْفَ إِذَا مَرَّ فِي الْعِظَمِ مَرًّا (٥) سَرِيعاً فَلَمْ يَكُنْ لَهُ صَوْتُ - كان في معنى الصامت (٦) .

(١) الثَّنَن ، بضم الثاء وفتح النون : جمع ثَنَة ، بضم الثاء وتشديد النون ؛ الشعرات التي في مؤخر رِسع الدابة . ط ، هـ : «السن» س : «الس» ، صوابهما ما أثبت ، موافقا لما جاءت في أمثال الميداني في أثناء الكلام على المثل السابق . وانظر : «بلغت الدماء الثَّنَن» في أمثال الميداني (١ : ٨٣) . والملاحم : جمع ملحمة ، بالفتح ، وهي الحرب ذات القتل الشديد .

(٢) ط ، هـ : «سن» س : «بين» محرفتان . وانظر التنبيه السابق .

(٣) هو الزبير بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ؛ سيد كريم وشاعر محسن . وكان من رجالات قريش في الجاهلية . وهو أكبر أعمام الرسول الكريم العشرة . وهو القائل :

ولولا الحبس لم يلبس رجال ثياب أئزة حتى يموتوا

المؤتلف (١٣٠ - ١٣١) والمعارف ٥٢ والروض الأنف (١ : ٧٨) .

(٤) يغنى : يبعد . ونخوة المختال : تكبر المتكبر وتعظمه . وسيف جراز الحد ، بضم الجيم : ماضيه ونافذه . وانظر ما سيأتى في (٦ : ٤٣٧) . ورواية اللسان (صمت) :

ويذِي الجاهل المختال عَنِّي رِقَاقُ الْحَدِّ ضَرْبَتُهُ صَمُوتٌ

وأنشده عن ثعلب على هذه الصورة :

ويذهب نخوة المختال عَنِّي رِقِيقُ الْحَدِّ ضَرْبَتُهُ صَمُوتٌ

(٥) ط ، س : «مر» ، صوابه في هـ .

(٦) وقيل : لرسوبه في الضريبة ، وإذا كان كذلك قل صوت خروج الدم . انظر اللسان .

(شعر في مجاز الصمم)

سوقال ابن ميادة :

متى أدعُ في قَيْسِرِ بنِ عَيْلَانَ خائفاً إلى فَرْعٍ تُرَكَّبُ إِلَى حَيُولِهَا^(١)
 بملومة كالطُّودِ شهباءَ فَيَلْقَى رَدَاحَ يَصُمُّ السَّامِعِينَ صَلِيلُهَا^(٢)
 لأنَّ الصَّوْتِ إِذَا اشْتَدَّ جَدًّا لم يُفْهَمْ معناه ، إن كان صاحبه أراد أن
 يخبر عن شيء . ومتى كثرت الأصواتُ صارت وَغًى^(٣) ، ومنع بعضها بعضاً
 من الفهم . فإذا لم يفهمها^(٤) صار في معنى الأصمِّ ، فجاز^(٥) أن يسمَّى
 بجاسم الأصمِّ .

وعلى ذلك قال الأضبط بن قريع ، حين آذوه^(٦) بنو سعدٍ فتحول من
 جوارهم في آخرين فأذوه ، فقال : « بِكَلِّ وادٍ بَنُو سَعْدٍ^(٧) » .

(١) المراد بالحيول هنا الفرسان الذين يركبون الحيول . ومنه في الحديث : « يا خيل
 الله اركبي » . انظر البيان (٢ : ٢٧) . ويصح أن تقرأ « تركب » بالبناء للمفعول
 فلا يكون فيها مجاز .

(٢) ملومة : أى كتيبة عظيمة مجمعة . والطود : الجبل العظيم . والشهباء : البيضاء ،
 لما فيها من بياض السلاح . والكتيبة الفيلقى : الكثيرة السلاح . والرداح ،
 بالفتح : الكثيرة الفرسان الثقيلة السير لكثرتها .

(٣) الوغى : للصوت والجلبة في الحرب . ط ، س : « رغاء » ، وإنما للرغاء ، بالضم : صوت
 ذوات الخلف . هـ : « وما » ، صوابهما ما أنبت .

(٤) س : « نفهمها » ، صوابه في ط ، هـ .

(٥) س ، هـ : « لجاز » !

(٦) كذا في س ، هـ . عل لغة أكلوه البراغيث . ط : « آذاه » .

(٧) سبق المثل في (١ : ٣٥٨) و (٣ : ١٠٤) .

وقال جران العود :

وَقَالَتْ لَنَا وَالْعَيْسُ صُعْرٌ مِنَ الْبَرَى وَأَخْفَافُهَا بِالْجَنْدَلِ الصَّمُّ تَقْدِفُ^(١)

(قول منكر صمم النعام)

وقال الذى ينكر صمم شئ من الخلق : اعتلتم فى صمم النعام بقول

زهير :

[أَصَكَّ مُصَلِّمَ الْأُذُنَيْنِ أَجَنَى لَهُ بِالسَّى تَنُومٌ وَآءٌ^(٢)]

ويقول أوس بن حجر :

وَيَنْهَى دَوَى الْأَحْلَامِ عَنِّي حُلُومُهُمْ وَأَرْفَعُ صَوْتِي لِلنَّعَامِ الْخَزَمِ^(٣) ١٢٧

يريد خرق^(٤) أنفه ، وهو فى موضع الحرمة^(٥) من البعير :

وأما قوله : « وَأَرْفَعُ صَوْتِي لِلنَّعَامِ » فإنما خص بذلك النعام لأنها

تَجْمَعُ الشُّرُودَ وَالنَّفَارَ ، إلى الموق وسوء الفهم . ولو قال : وأرفع صوتي

للحمير والدواب لكان كذلك . والمصلحة : السك التى ليس

لأذانها حجم .

(١) العيس ، بالكسر : الإبل الخالصة البيضاء . صعر من البرى : موائل من جذب البرى :

جمع برة ، وهى الحلقة توضع فى أنف البعير . والجندل : الحجارة .

(٢) هذا البيت ليس بالأصل . وبه يلتئم الكلام ويتم . وقد أثبتته اعتياداً على ما سياتى

فى ص ٣٩٨ .

(٣) المراد بالأحلام هنا ، الألباب والمقول . وفى اللسان : « والخزم من نعت النعام ، قيل

له خزم لثقب فى منقاره . » وعجز البيت فى المقاييس (خزم) .

(٤) فى الأصل : « عرض » . وانظر التنبيه السابق .

(٥) فى موضع الحرمة ، أى ذلك الخرق بمكانة الحرمة ، شبه بها . والحرمة ، بالتحريك ،

سبق شرحها فى ص ٣٢١ . فى الأصل : « الخزامة » . ولا تصح ، فإن الخزامة هى

الحلقة التى توضع فى الحرمة . وانظر ما سبق فى ص ٣٢١ .

(رد عليه)

قال : [قول^(١)] الذى زعم أنها ليست بصماء لا يجوز ؛ لأن الدوابَّ تسمع وتفهم الزجر ، وتجب الدعاء . بل لو قال : وأرفع صوتى للصخور والحجارة ، كان صواباً ، وكان ليرفع صوته معنى ؛ إذ^(٢) كان الرفع والوضع^(٣) عند الصخور سواءً . وليس كذلك الدوابُّ . ولو كان إنما جعله مصلاً ، وجعل آذان النعام مصلومة ؛ لأنه ليس لآذانها حجم فالطيء كله كذلك إلا الخفاش^(٤) . وكل شئ يبيض من الحيوان فليس لها حجم آذان . ففي قصدهم بهذه الكلمة إلى النعام ، بين جميع ما ليس لأذنيه حجم ، دليل على أن تأويلكم خطأ . قال علقمة بن عبدة :

فوه كشق العصا لأياً تبينه أسك ما يسمع الأصوات مظلوم^(٥)
وقالت كبشة بنت معديكرب^(٦) :

-
- (١) ليست بالأصل . وبمثلها يستقيم للكلام .
(٢) فى الأصل : « إذ لو » . وكلمة « لو » لوجه لوجودها .
(٣) أى رفع الصوت ووضع . والوضع بمعنى التخفيض .
(٤) س : « لا الخفاش » ط : « الألفاش » . وأثبت الوجه من هـ .
(٥) كذا على الصواب فى هـ . وفى س : « لأياً يبينه » ، و ط : « الا يأتينه » وسبق شرحه فى ٣٦٦ ، وإنشاده كذلك فى ٣٨٣ .

(٦) كبشة ، هى أخت عمرو بن معديكرب . وكذلك جاءت النسبة فى حماسة أبى تمام (١ : ٧١) والبحترى ٣٠ وأمدى القالى (٢ : ٢٢٦ ، ٣ : ١٩٠) والشعراء ٣٣٥ والخزانة (٣ : ٧٧ بولاق) . ونسبت فى لباب الآداب ١٨٢ إلى ريحانة أخت عمرو بن معديكرب . قال التبريزى : « كبشة اسم مرتجل علماء . وليس بتأنيث كبش لأن ذلك لا مؤنث له من لفظه ، إنما هى نعمة » . وقد قالت الشعر حينما قتل أخوها عبد الله ، ولم يأخذ عمرو بثأره ، بل أخذ دية أخيه ، ففضبت هى وقالت الشعر تحضضه على الأخذ بالثأر ، فى أسلوب حسن بدیع .

وَأَرْسَلَ عَبْدُ اللَّهِ إِذْ حَانَ يَوْمُهُ إِلَى قَوْمِهِ أَلَّا تَغْلُوا لَهُمْ دِمِي^(١)
وَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُمْ إِفَالًا وَأَبْكَرًا وَأَتْرَكَ فِي بَيْتٍ بِصَعْدَةِ مُظَلِّمٍ^(٢)
جَدَعْتُمْ بَعْدَ اللَّهِ أَنْفَ قَوْمِكُمْ^(٣) بَنِي مَازَنٍ أَنْ سُبَّ رَاعِي الْخَزَمِ^(٤)
فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَثَارُوا لِأَخِيكُمْ فَشَوْا بِأَذَانِ النَّعَامِ الْمَصْلَمِ^(٥)
فَلَوْ كَانَتْ إِتْمَا تَرِيدُ أَنَّهُ لَيْسَ لِمَسَامِعِهَا حَجْمٌ ، كَانَتْ الدُّنْيَا لَهَا مُعْرَضَةٌ .
وقال عنبرة :

«(١) تغلوا : تخونوا . كذا جاءت الرواية في هـ . وفي س : « ألا تغلوا » بحرفة .
وفي ط : « لا تغلوا » ، ومعناه لا تأخذوا بدل دمي عقلا . والعقل ، بالفتح :
الدية . وهي رواية الحماسة وأمالى القائل (٢ : ٢٢٦) ولباب الآداب . وروى في الأمالى
(٣ : ١٩٠) : « ألا تغلوا » . وفي حماسة البحرى : « ألا يعلوا » تحريف
رواية هـ .

«(٢) الإفال : جمع أفيل ، وهو من أولاد الإبل ما أقي عليه سبعة أشهر أو ثمانية . والأبكر :
جمع بكر بالفتح ، وهو ولد الناقة . وصعدة : مخلاف من مخاليف اليمن . وجعلت قبره
مظلمًا لما يزعمون من أن المقتول إذا ثاروا به أضاء قبره ، فإن أهدر دمه أو قبلت ديته
أظلم . التبريزى . وإنما ذكرت الإفال والأبكر ، والديات لا تكون منها ، لما أرادت
من معنى تحقير الدية .

«(٣) جدعتم : قطعتم . أنف : جمع أنف . والمراد : أذلتهم قومكم . ورواية الأمالى :
« قومه » ، وفي الخزانة : « سيد قومه » .

«(٤) بنى مازن ، أى يابى مازن . والخزم ، كذا جاء هنا بإعجام الخاء والزاي . وكذا في الأمالى .
لكن ضبطه صاحب الخزانة بتشديد الزاي المفتوحة والحاء قبلها مهملة . ومهما يكن فهو ،
كما قالوا — : رجل من بنى مازن ، كان له عبد يرعى ، وجلس عبد الله مع بنى مازن
فشرب ، فتغنى ذاك العبد الحبشى بشعر ، فيه تشبيب بامرأة من بنى زبيد ، فطمه عبد الله
وسبه ، فنادى الحبشى : يالمازن ! فقاموا إلى عبد الله فقتلوه . عن الأمالى والأغاني
(١٤ : ٣٢) . والرواية في الأغاني :

أَيَقْتُلُ عَبْدُ اللَّهِ سَيِّدَ قَوْمِهِ بَنُو مَازَنٍ أَنْ سُبَّ رَاعِي الْخَزَمِ
«(٥) هـ : « لم تغلوا » بحرفة . وروى : « لم تثاروا واتديتم » و : « لم تقتلوا واتديتم » .
و : « لم تغلوا بأخيك » .

وَكأنما أَقْصُ الإِكامَ عَشِيبَةً بِقَرِيبِ بَيْنِ المَنسَمِينَ مُصَلِّمٌ ^(١)
تَأْوِي لَهُ حِزْقُ النِّعامِ كما أَوَتْ حِزْقُ يَمَانِيَةٍ لَأَعْجَمَ طَمَطَمٌ ^(٢)
ولو كان عنترة إنمّا أراد عَدَمَ الحِجَمِ ، لقد كانت الدُّنيا له معرضة .
وقال زهير :

بَارِزَةُ الفَقَّارَةِ لم يَخْنِها قِطَافٌ في الرِّكابِ ولا خِلَاءٌ ^(٣)
كَأَنَّ الرِّحْلَ مِنْهَا فَوْقَ صَعْلٍ مِنَ الظُّلَمَانِ جُوجُوهَ هَوَاءٍ ^(٤)
أَصَكَّ مُصَلِّمِ الأُذُنِينَ ، أَجْنَى لَهُ بِالسَّيِّئِ تَنُومٌ وآءٌ ^(٥)

(رد منكر صمم النعام)

قال القوم : فإنّا لا نقول ذلك ، ولكنّ العرب في أمثالها تقول : إِنَّ
النَّعَامَةَ ذَهَبَتْ تَطْلُبُ قَرْنَيْنِ فَقَطَعُوا أُذُنَيْهَا ^(٦) . ليجعلوها مثلاً في الموقِ
وسوء التدبير . فإذا ذكر الشَّاعِرُ الظُّلَمَ ، وذكر أَنَّهُ مُصَلِّمُ الأُذُنِينَ ،

(١) يقول : كأنما أكر الإكام بظلم قريب بين المنسمين . والمنسم ، كجلس :
الظفران المقدمان في الخف . وقرب المنسمين مما يجعل الخف صلباً . و « بين »
تقرأ بالجر . ورواها بعض اللغويين بالنصب على تقدير « ما » ، وهو وجه
ضعيف .

(٢) سبق شرح هذا البيت في ص ٣٥٩ .

(٣) الفقارة ، بالفتح : واحدة فقار الظهر ، بالفتح أيضاً . آرزة : متداخلة مدمجة .
س : « بيارزة » ، ه : « الفقارة لم يجبا » ، صوابه في ط وديوان
زهير ٦٧ والسان (أرز ، قطف ، خلا) والمخصص (٧ : ١٦٢) والمقصود
٣٨ . والقطاف : اسم من قطفت الدابة تقطف - من باقى ضرب ودخل - :
أسادت السير وأبطأت . والخلاء ، بالكسر : مصدر خلأت الناقة تخلأ : حرنت
من غير علة .

(٤) جوجوه هواء : أى صدره فارغ لاقب فيه ، فهو كالمدعور يسرع المدوهرى .

(٥) الأصك : المتقارب للعرويين . وأجنى الشجر : أدرك . والتنوم والآء : نبتان .

(٦) انظر ما سبق في ٣٢٣ .

فإنما يريد هذا المعنى . فكثُرَ ذلكَ حتى صار قولهم : مصلم الأذنين ، مثل قولهم صمكاء . وسواءُ قال صمكاء ، أو قال نعامه ، كما أنه سواءُ قال خنساء أو قال مهاة ونعجة وبقرة وظبية ؛ لأنَّ (١) الطَّباءَ والبقرَ كلها فُطُسُ خُنَسٍ . وإذا سَمُوا امرأةً خنساءً فليسَ الخنَسَ والفطسَ يُريدون ، بل كأنهم قالوا : مهاة وظبية . ولذلك قال المسيَّبُ بنُ علسٍ (٢) في صفة الناقة :

صمكاء ذِعْلَبَةٍ إذا استقبلتْها حَرَجٌ إذا استدبرتها هُلُوعٌ (٣)

فتفهَّمْ هذا البيت ، فإنه قد أحسنَ فيه جدًّا .

والصمكُ في الناس ، والاصطكاك في رجلٍ الناقة عيب (٤) . فهو لم يكن ليصفها بما فيه عيب (٥) ، ولكنه لا يفرق بين قوله [صمكاء ، وبين

(١) من مبدل : « قال صمكاء » إلى هنا ، ساقط من ه .

(٢) المسيب ، كمظم ، بهذا ضبطه صاحب القاموس والأنباري في شرح المفضليات ٩٢ . جاء فيها : قال مؤرج : إنما لقب زهير بن علس بالمسيب ، حين أوعد بني عامر بن ذهل ، فقالت له بنو عامر بن ضبيعة : قد سينتك والقوم ! وضبطه صاحب الخزنة بصورة اسم الفاعل . واسمه زهير بن علس كما تقدم . وهو جاهل لم يدرك الإسلام . انظر الخزنة (٣ : ٢١٧ سلفية) .

(٣) الذعلبة ، بكسر الذال واللام : الناقة السريمة . والخرج : الجسيمة الطويلة . والهلواع : ذات النزق والخفة . وهكذا ورد البيت في الأصل : وضواب إنشاده ، كما في اللسان (هلع) والمفضليات ١٦ :

صمكاء ذعلبة إذا استدبرتها حرج إذا استقبلتها هلواع
إذ أن جسامتها وطولها ونزقها ، إنما تبين عند الاستقبال . وقبل
هذا البيت :

فتقبل حاجتها إذا هي أعرضت بخبيصة سرح اليمين وساع
(٤) كذا في ط . وفي س : « واصطكاك رجل الناقة » . وفي ه : « واصطكاك رجل الناقة » . وهذه محرفة .
(٥) كذا على الضواب في ط ، س . وفي ه : « فلم يكن يصفها » . الخ .

قوله^(١) [نعامة^(٢)] ، وكذلك لا يفرقون بين قولهم : أعلم ، وبين قولهم :
بغير^(٣) . قال الراجز :

إني لمن أنكر أو توسما أخو خناير يقود الأعلما^(٤)
كأنه يقول : يقود بغيراً . وهو كقول عنزة :

وحليل غانية تركت مجذلاً تمكو فربصته كشدق الأعلم^(٥)
(رد مدعى الصمم)

فقال من ادعى للنعام الصمم : أمّا قولكم : من الدليل على أن النعامة
تسمع قول الشاعر :

• تدعو النعام به العرار^(٦) •

وقوله :

مضى ما تشاء^(٧) تسمع عراراً بقفرة يجب زماراً كاليراع المثقب
وقوله^(٨) :

آنست نبأة وأفزعها القنص عصراً وقد دنا الإماء
فليس ذلك أراد . وقد يراك الأخرس من الناس - والأخرس أصم -

(١) ليست هذه الزيادة بالأصل . وبها يلتئم الكلام .

(٢) هذه ساقطة من س .

(٣) في الأصل : « نعم » . تحريف ، انظر له السطر الرابع .

(٤) الخناير : الدواهي . والرجز رواه الجاحظ مرة أخرى في (٦ : ٤١٢) .

(٥) انظر ما أسلفت من شرح هذا البيت ونقده في (٣ : ٣٠٩) . هـ : « وحليل »
بالهاء المعجمة .

(٦) سبق البيت بتمامه في ٣٨٥ برواية أخرى .

(٧) في الأصل : « متى تأتانا » . وصوابه مما سبق في ٣٨٥ .

(٨) هو الحارث بن حلزة الليشكري ، من معلقته . وانظر ص ٣٨٩ .

فيعرف ماتقول ، بما يرى مِنْ صُورَةِ حَرَكَتِكَ^(١) ، كما يعرف معانيك من إشارتك ، ويدعوك ويطلبُ إليك بصوتٍ ؛ وهو لم يسمعَ صوتك قطُّ فيقصدَ إليه ، ولكنه يريد تلك الحركة ، وتلك الحركة تولّد الصوت ، أرادَه هو أو لم يردَه^(٢) . وَيُضْرَبُ فيصيح ، وهو لم يقصدَ إلى الصَّياح ، ولكنه متى أدار لسانَه في جَوْبَةٍ^(٣) الفم بالهواء الذي فيه ، والنفس الذي يُحضِرُه جُماع الفم^(٤) ، حدث الصوت . وهذا إنما غايَتُه الحركة فيعرف صورة تلك الحركة .

والآخرس يرى^(٥) النَّاسَ يصفقون بأيديهم ، عند دعاء إنسانٍ ، أو عند الغضب والحدِّ^(٦) ، فيعرف صورة تلك الحركة ؛ لطول تردّادها على ١٢٩ عينيه ، كما يعرف سائر الإشارات . وإذا تعجّبَ ضربَ يديه كما يضربون . فالنعامة تعرف^(٧) صورة إشارة الرُّنلان وإرادتها ، فتعقل^(٨) ذلك ، وتجاوبها بما تعقل عنها من الإشارة [والحركة] ، وغدت^(٩) لحركتها أصواتٌ . ولو كانا يسمعان لم تزد حالهما^(١٠) في التفاهم على ذلك .

(١) في الأصل : « حركة » .

(٢) س ، هـ : « أم لم يردَه » .

(٣) الجوبة : الحفرة . والمراد باطن الفم . س : « حوجة . ط ، هـ : « جوحة » ، وأثبت ما سبق في مثل هذا الموضع في (١ : ٧٠) مطابقاً لما في نسخة كوبريل .

(٤) الجماع ، كerman : مجتمع الأصل .

(٥) ط : « والآخرس من يرى » . هـ : « والآخر من يرى » ، صوابهما ما أثبت من س .

(٦) الحد ، بفتح الحاء : الحدة والغضب . وفي الأصل ، « الجد » بالميم ، محرف .

(٧) ط : « تعرق » ، صوابه في س ، هـ .

(٨) س : « فتعقل » ، صوابه في ط ، هـ .

(٩) س : « ويحدث » .

(١٠) س : « حالتهما » .

(شَمُّ النَعَامَةِ)

والعرب تقول : « أَشْمُ مِنْ نَعَامَةٍ » و : « أَشْمُ مِنْ ذَرَّةٍ » . قال الراجز :

* أَشْمُ مِنْ هَيْقٍ وَأَهْدَى مِنْ جَمَلٍ ^(١) * .

وقال الحرّمازى ، فى أرجوزته :

* وهو يَشْتَمُّ اشْتِامَ الهَيْقِ ^(٢) * .

قال : وأخبرنا ابن الأعرابى أن أعرابيا كلم صَاحِبَهُ ، فراه لا يفهم عنه .

ولا يسمعُ كلامَهُ فقال : « أَصْلَخُ كَصَلَخَ ^(٣) النِّعَامَةُ » !

(شَمُّ الْفَرَسِ وَالذَّنْبِ وَالذَّرِّ)

وقد يكون الْفَرَسُ فى الموكب وخلفه ، على قابِ غَلوتين ، حِجْرُ أو

رَمَكَة ^(٤) ، فَيَتَحَصَّنُ ^(٥) تحتَ رَاكِبِهِ ، من غير أن تكونَ صَهْلَتِ :

والذَّنْبُ يَشْتَمُّ ويستروحُ مِنْ مِيلٍ ، والذَّرَّةُ تَشْتَمُّ ما ليسَ لَهُ رِيحٌ ، مما

لو وضَعْتَهُ على أَنْفِكَ ما وَجَدْتَ لَهُ رَائِحَةً وإنْ أَجَدْتَ التَّشْمَمَ ، كَرَجَلٍ

(١) سبق هذا البيت فى ١٣٣ . والهيقي ، بالفتح : الظليم . وأهدى ، من الهداية . وذلك أنه يعرف مكان الماء فى الصحراء ، فيعجه إليها بنفسه .

(٢) سبق البيت فى ١٣٣ .

(٣) الصلخ ، بالتحريك : الصمم وذهاب السمع . والوصف منه أصلخ . قال :

لو أبصرت أبكم أعمى أصلخا إذا لسى واهتدى أفى ونهى

وفى اللسان : « وإذا دعى على الرجل قيل : صلخاً كصلخ النعامه ! » . ط :

« أصلم كصلم » ، صوابه فى س ، ه .

(٤) الحجر ، بكسر الحاء : الأنثى من الخيل . والرَمَكَة ، بالتحريك : البرفونة .

تتخذ للنسل .

(٥) يتحصن : يبدو منه أمارات الذكورة . وقد سبق نحو هذا التعبير فى (٢ : ١٤١ ص ٨) .

ط ، س : « فيشخص » وليس بذلك . والأوفق ما أثبت من ه والبيان (٢ : ٢٥٧) .

الجرادة تَنْبِذُهَا ^(١) من يدك في موضعٍ لم ترفيه ذرّة قطّ ، فلا تلبث أن ترى
الذّرّ إليها كالخيط الأسود الممدود .

وقال الشاعر ، وهو يصف استرواح الناس :

وجاء كمثل الرّأل يتبع أنفه ^(٢) لعقبه من وقع الصّخور قعاقع^(٣)
فإن الرّأل يشتم ^(٤) رائحة أبيه وأمه والسبع والإنسان من مكان بعيد .
وشبه به رجلاً جاء يتبع الريح فيشتم .

(استطراد لغوى)

وقال الآخر :

والمرء لم يغضب لمطلب أنفه أو عرسه لكريمة لم يغضب ^(٥)
ومطلب أنفه : فرج أمه ؛ لأنّ الولد إذا تمت أيامه في الرحم ، فلا
مكانه ^(٥) وكرهه ، وضاق به موضعه ، فطلب بأنفه موضع المخرج ممّا
هو فيه من الكرب ، حتّى يصير أنفه ورأسه على فم الرّحم ، تلقاء فم المخرج .
فالأناء ^(٦) والمكان يرفعانه في تلك الجهة ، والولد يلتبس تلك الجهة بأنفه

(١) نبذ ، من باب رمى : بمعنى ألقى ورمى . ط : هـ : « ينفذها » ، صوابه في س وفي أمثاله
الميداني (١ : ٣٥١) حيث نقل كلام الجاحظ ولم يصرح بذلك .

(٢) الرّأل : فرخ النعام . هـ : « لعقبه » محرقة .

(٣) س : « يشتم » .

(٤) كذا جاء . وروى صدره في كُنَايَات الجرجاني ٢٧ : « من كان لا يغضب لمطلب
أنفه » ، وكنَايَات الثعالبي ٧ : « وإذا الكريم أضاع مطلب أنفه » ، واللسان
(أنف) : « وإذا الكريم أضاع موضع أنفه » . وعجزه عند الجرجاني « من
أمه أو عرسه » ، والثعالبي : « أو عرسه لكريمة » أى كاعند الجاحظ . واللسان :
« أو عرضه لكريمة » .

(٥) قلاه ، كرماء ورضيه ، قلى وقلاءً ومقلية : أبغضه وكرهه غاية الكراهة .

(٦) الأناء ، بالفتح : أن يحين الشيء .

ولولا أَنَّهُ يطلبُ الهواءَ من ذاته ، ويكرهُ مكانَهُ من ذاته ، ثم خرج إلى عالمٍ آخَرَ خلافِ عالمه الذى رُبِّي فيه ، لَمَاتَ ؛ كما يموت السَّمَكُ إذا فارقه الماء . ولكنَّ الماءَ لما كانَ قابلاً لطباعِ السمك [غاذياً ^(١)] لها ، والسَّمَكُ ^(٢) [مريداً له ، كان فى مفارقتهِ له عطْبُهُ . وكان فى مفارقة الولد لجوفِ البطنِ واغتذائه فضلاتِ الدَّمِ ، [مَلاً يَنْقُضُ ^(٣)] شيئاً من طباعِهِ وطباعِ المكانِ الذى كان له مَرَّةً مَسْكناً . فلذلك قال الشاعر الجاهلى :

والمرءُ لم يغضبِ لمطلبِ أنفه أو عِرسه لكِريهةٍ لمْ يغضبِ ^(٤)

يقول : متى لم يَحْمِ فرجَ أمِّه وامراته ، فليس يَمْنُ يغضب من شيء يؤول إليه .

(قول المتكلمين فى صمم الأخرس)

١٣٠ وزعم المتكلمون أَنَّ الأخرسَ أصمُّ ، وأنَّه لم يوتَ من العجزِ عن المنطق لشيءٍ فى لسانه ، ولكنَّه إنما أتى فى ذلك ؛ لأنَّه حين لم يسمع صوتاً قطُّ ، مؤلفاً أو غير مؤلف ، لم يعرف كيفيته فيقصد إليه . وأنَّ جميع الصَّمِّ ليس فيهم مُصَمَّت ^(٥) ، وإنما يتفاوتون ^(٦) فى الشَّدَّةِ واللَّينِ ؛ فبعضهم يسمع الهدَّةَ والصَّاعقةَ ، ونهيق ^(٧) الحمار إذا كان قريباً منه ،

(١) س : « عاريا » صوابه فى ه .

(٢) الزيادة من س ، ه .

(٣) ليست بالأصل . وبمثلها يتم الكلام .

(٤) سبق هذا البيت فى ٤٠٣ . وموضع عجزه فى كل من ط ، ه كلمة : « البيت » .

(٥) مصمت : أى قام الصمم خالصه .

(٦) فى الأصل : « يتقاربون » .

(٧) ط ، ه : « ونهيق » ، وإنما التعميق للغراب واليوم . وصوابه فى س .

والرَّعْدَ الشَّدِيدَ ، لا يَسْمَعُ غير ذلك . ومنهم من يَسْمَعُ السَّرَّارَ ^(١) ، وإذا رَفَعَتْ له الصَّوْتُ لم يَسْمَعُ . ومتى كَلَّمْتَهُ وَقَرَّتِ الشَّكَايَةُ ^(٢) في أذنه ، فَهَمَّ عَنْكَ كُلَّ الْفَهْمِ . وإن تَكَلَّمْتُ على ذلك المقدارِ في الهواءِ ، ولم يكن يَنْفُذُ في قَنَازَةٍ تَحْصُرُهُ وتَجْمَعُهُ ، حَتَّى تُؤَدِّيَهُ إلى دِمَاغِهِ - لم يفهمه .

فالأَصَمُّ في الحقيقة إِنَّمَا هو الأَخْرَسُ ، والأَخْرَسُ إِنَّمَا سُمِّيَ بذلك على التشبيه والقراءة . ومتى ضَرَبَ الأَصَمُّ من النَّاسِ إنساناً أو شيئاً غيرَه ، ظَنُّ أَنَّهُ لم يَبَالِغْ ، حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتَ الضَّرْبَةِ . قال الشَّاعِرُ ^(٣) :

أَشَارَ بِهِمْ لَمَعَ الْأَصَمِّ فَأَقْبَلُوا عَرَانِينَ ، لا يَأْتِيهِ لِلنَّصْرِ مُخْلَبٌ ^(٤)
وقال الأَسْلَمِيُّ :

وَأَوْصِيكُمْ بِطِعَانِ الْكُمَاةِ فَقَدْ تَعْلَمُونَ بَأْنَ لَا خُلُوداً ^(٥)

(١) السَّرَّارُ ، بالكسر : مصدر سارَه يساره : حدثه في أذنه .

(٢) كَذَا في ط . وفي س : « وطرت السكابة » ، هـ : « وطرت الشكاية » .

(٣) هو بشر ، كما في اللسان (صمم) . يعنى بشر بن أبي خازم . وهو شاعر جاهل قديم . وبشر بكسر الموحدة وسكون الشين المعجمة . و خازم بالخاء والزاي المعجمتين . الخزانة (٤ : ٣٣٦ سلفية) .

(٤) في اللسان : « ويقال للنذير إذا أُنْذِرَ قوماً من بعيد ، وألَمَّ لهم بثوبه : ألَمَّ بهم لمع الأصم . وذلك أنه لما كَثُرَ إلماعه بثوبه كان كأنه لا يسمع الجواب ، فهو يديم اللمع » . وعرانين الناس : وجوههم وسادتهم وأشرفهم ، مأخوذ من عرَّين الأنف ، وهو رأسه . والمخلب : من يعين المرء من غير قومه . يقول : هو لا يعينه أحد من غير قومه . في الأصل : « مخلب » وتصحيحه من اللسان (حلب) . ويروى أيضاً : « مجلب » بالجيم ، كما في اللسان (صمم) وفي اللسان (جلب) : « وأجلبه : أعانه » . والرواية بالخاء المهملة أجود وأصح . وقبل البيت :

وينصره قوم غضاب عليكم متى تدعهم يوماً إلى الروع يركبوا

(٥) رواية اللسان (صمم) : « فأوصيكم » . وقبل هذا البيت :

فأبلغ بنى أسد آية إذا جئت سيدهم والمسودا

وَضَرَبَ الْجَمَاجِمَ ضَرْبَ الْأَصَمِ - مَّ حَنْظَلَ شَابَةً يَحْنَى الْهَبِيدَا (١)
وقال الهذلي (٢) :

فَالطَّغْنُ شَغْشَغَةٌ وَالضَّرْبُ مَعْمَعَةٌ ضَرَبَ الْمُعُولَ تَحْتَ الدَّيْمَةِ الْعَصِيدَا (٣)
وإنما جعله تحت الدَّيْمَةِ ؛ لأنَّ الأغصانَ والأشجارَ نصيرُ الدَّنِ
وأغلكَ ، فيحتاج الذي يضربُ تلكَ الأصولَ قبلَ المطرِ ، إلى عشرِ ضَرَبَاتٍ
حتى يقطعَ ذلكَ المضروبَ ؛ فإذا أصابه المطرُ احتاجَ إلى أكثرَ من ذلك .

(١) وضرب الجماجم : أى وأوصيك بضرب رموس الأعداء . والأصم الذى غنى ، هو الظلم
من النعام . وشابة : موضع بنجد . وفى الأصل : « شانه » ، وصوابه من اللسان (شوب
وصم) . والهبيد : حب الحنظل ، وهو أحب طعامٍ إليه . وفى الأصل : « الوليدا »
وهو تحريف . وفى اللسان : « هبيدا » .

(٢) هو عبد مناف بن ربيع الجري ، شاعر جاهل من شعراء هذيل . و (ربيع) بكسر الراء
بعدها باء موحدة ساكنة . والجري ، كقرشى : نسبة إلى جريب ، كقريش ، وهو
بطن من هذيل . والبيت من قصيدة ذكر قصتها البغدادى فى الخزانة (٣ : ١٧٢ بولاق)
وهى اثنا عشر بيتا . وقد نسب صاحب العمدة : (١ : ٢٠١) البيت إلى أبى كبير
الهذلى . وليس بذلك . وقد نسبه العسكرى فى ديوان المعاني (٢ : ٥٥) إلى عبد
مناف بن ربيع . صوابه « ربيع » كما فى الخزانة واللسان (شغشغ ، هقع ، عول ،
عضد) . وفى اللسان (عول) : « قال ابن برى : الصحيح أن البيت لساعدة بن
جؤية الهذلى » .

(٣) الشغشغة بغينين معجمتين : تحريك السنن فى المطعون ليتمكن منه . وفى الخزانة :
« شغشقة » . وفى الأصل وديوان المعاني : « شعشعة » ، وهما تحريف ما أثبت من اللسان
والخصص (٥ : ١٣٥) والعمدة . والمعمة : شدة الحرب والجد فى القتال . والمعمة
أيضاً : الدمشقة ، وهى عمل فى عجل . ط ، هـ : « مقعمة » وأثبت ما فى س . والرواية
فى جميع المصادر : « هيقة » . والهيقة : صوت السيوف . والمعول ، بكسر الواو
المشددة : الذى يتخذ العالة ، وهى شجر يقطعه الراعى أو الراى فيستظل به من المطر .
« ضد ، بالتحريك : ما قطع من الشجر .

(تحقيق معنى شعري)

وأنشدني يحيى الأغر^(١) :

كَضَرْبِ الْقَيُونِ سَبِيكَ الْحَدِيدِ يَوْمَ الْجَنَائِبِ ضَرْباً وَكَيْدًا^(٢)
فلم أعرفه ؛ فسألتُ بعضَ الصَّيَاقِلَةِ فقال : نعم ، هذا بَيْنُ معروف .
إِذَا أَخْرَجْنَا الْحَدِيدَةَ مِنَ الْكَبِيرِ فِي يَوْمِ شَمَالٍ^(٣) ، واحتاجت في القطع
إلى مائة ضربةٍ ، احتاجت في قطعها يومَ الجنوبِ إلى أكثر من ذلك ،
وإلى أشدَّ من ذلك الضَّرب ؛ لَأَنَّ الشَّامَالُ يُبَيِّسُ وَيَقْصِفُ ، والجنوب
يَرْطَبُ وَيَلْدُنُ .

(الأخرس)

والإنسان أبداً أَخْرَسُ ، إذا كان لا يسمع ولا يتبين الأصوات التي
تخرج من فيه ، على معناه^(٤) . ويقال في غير الإنسان ، على غير ذلك .
قال كثير :

أَلَمْ تَسْأَلِ يَا أُمَّ غَمْرٍو فَتَخْبِرِي سَلِمْتَ وَأَسْقَاكَ السَّمَابُ الْبَوَارِقُ ١٣١
بُكْيَا لَصَوْتِ الرَّعْدِ خُرْسٌ رَوَائِحُ وَنَعَقٌ وَلَمْ يُسْمَعْ لَهُنَّ صَوَاعِقُ^(٥)

(١) هـ : « الأعز » .

(٢) القيون : جمع قين ، بالفتح ، وهو الحداد . والجنائب : جمع جنوب ، وهى الرياح التي تقابل الشمال . والوكيد : الشديد الصائب .

(٣) أى يوم ريح شمال .

(٤) أى على المعنى الحقيقي للخرس .

(٥) هـ : « روامج » بدل : « روائح » . ونعق ، كذا وردت . وانظر ديوان كبير (١ : ١٤٠)

وتقول العرب : « مازلت تحت عين خرساء » . والعين : السحابة
تبقى أليماً مطر . وإذا كثر ماؤها وكثف ، ولم يكن فيها مخارق لم
تمدح ببرق^(١) .

(سرعة الضوء وسرعة الصوت)

ومتى رأيت البرق سمعت الرعد بعد . والرعد يكون في الأصل قبله
ولكن الصوت لا يصل إليك في سرعة البرق ؛ لأنّ البارق والبصر أشدّ
تقارباً من الصوت والسمع . وقد ترى الإنسان ، وبينك وبينه رحله فيضرب
بعضاً إمّا حجراً ، وإمّا دابةً ، وإمّا ثوباً ، فتري الضرب^(٢) ثمّ تمكث وقتاً
إلى أن يأتيك الصوت .

(السحابة الخرساء)

فإذا لم تصوت السحابة لم تبشّر بشيء ، و [إذا^(٣)] لم يكن لها رز^(٤)
سميت خرساء .

(الصخرة الصماء)

وإذا كانت الصخرة في هذه الصفة سميت صماء . قال الأعشى :
وإذا نجى كتيبة ملمومة مكروهة يخشى الكماة نزالها
وعلى غير هذا المعنى قال كثير :
كأنى أنادى صخرة ، حين أعرضت ، من الصم لو تمشى بها العضم زلت

(١) انظر الاستدراكات .

(٢) س : « الضربة » .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) الرز ، بالكسر : الصوت تسمعه من بعيد ، أو الصوت مطلقاً .

ومن هذا الشكل قول زهير :

وتَنُوفَةٌ عَمِيَاءٌ لَا يَجْتَازُهَا إِلَّا الْمَشِيعُ ذُو الْقَوَادِ الْهَادِي^(١)
قَفَرٍ هَجَعْتُ بِهَا ، وَلَسْتُ بِنَاتِمٍ ، وَذِرَاعُ مُلْقِيَةِ الْجِرَانِ وَسَادِي^(٢)
وَوَقَعْتُ بَيْنَ قُتُودِ عَدْنٍ ضَامِرٍ لِحَاطَةِ طِفْلِ الْعَشْيِ سِنَادِ^(٣)
فَجَعَلَ التَّنُوفَةُ عَمِيَاءَ^(٤) ، حِينَ لَمْ تَكُنْ بِهَا أُمَارَاتُ .

(الزَّبَابَةُ)

ودَابَّةٌ يُقَالُ لَهَا الزَّبَابَةُ^(٥) ، عَمِيَاءٌ [صَمَاءٌ^(٦)] ، تَشْبَهُ الْفَأْرَةَ ؛ وَلَيْسَتْ

(١) المشيع ، يفتح الياء المشددة : الشجاع ؛ لِأَن قَلْبَهُ لَا يَخْذَلُ ، فَكَأَنَّهُ يَشِيمُهُ . وَالْقَوَادِ الْهَادِي : الْمَهْتَدِي ، أَوِ الَّذِي يَهْدِي صَاحِبَهُ .

(٢) قَفَرٌ ، يُقَالُ أَرْضٌ قَفَرٌ ، وَمُفَازَةٌ قَفَرٌ وَقَفْرَةٌ أَيْضاً . فَهِيَ بِمَا يُوصَفُ بِهِ الْمُؤَنَّثُ ، صِفَةُ لَتَنُوفَةٍ . وَالْهَجُوعُ ، هُنَا ، بِمَعْنَى الْاضْطِجَاعِ ، نَوْمًا كَانَ ، أَوْ غَيْرِ نَوْمٍ . الْمَخْصَصُ (٥ : ١٠٤) . وَمُلْقِيَةُ الْجِرَانِ ، عَنَى بِهَا نَاقَتَهُ . أَلْقَتْ جِرَانَهَا : وَضَعَتْ بَاطِنَ عُنُقِهَا عَلَى الْأَرْضِ ، تَسْتَرِيحُ بِذَلِكَ . وَمِثْلُ هَذَا الْبَيْتِ فِي مَعْنَاهُ قَوْلُ الْآخَرِ (الْخَزَانَةُ ٤ : ٤٨٠ بُولَاق) :

يَارِبُ سَارِ بَاتٍ مَاتُوسِدَا إِلَّا ذِرَاعُ الْعَنْسِ أَوْ كَفُ الْيَدَا

(٣) الْقُتُودُ : جَمْعُ قَتْدٍ ، بِالتَّحْرِيكِ ، وَهُوَ أَدَاةُ الرَّحْلِ . وَالْعَنْسُ ، بِالْفَتْحِ ، بِالنُّونِ السَّاكِنَةِ : النَّاقَةُ الصَّلْبَةُ . وَوَقَعْتُ ، هُنَا ، كَأَنَّهُ مِنَ الْوُقْعَةِ ، بِالْفَتْحِ : وَهِيَ التَّنُومَةُ فِي آخِرِ اللَّيْلِ . وَطِفْلُ الْعَشْيِ : آخِرُهُ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ وَاصْفَرَارِهَا . وَإِنَّمَا تَكَثَّرَ اللَّحْظُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ لِمَا يَدَاخِلُهَا مِنَ الْحَنِينِ إِلَى وَلَدِهَا ، فَتَتَعَجَّلُ الْأُوبَةُ وَيُظْهِرُ نَشَاطُهَا . وَالسِّنَادُ ، بِالْكَسْرِ : الشَّدِيدَةُ الْخَلْقُ ، قَالَ ذُو الرِّمَّةِ :

جَالِيَةً حَرْفُ سِنَادٍ يَشْلُهَا وَظِيفُ أَزْجِ الْخَطَلِوْ ظَمَانٌ سَهْوَقِ

وَفِي الْأَصْلِ : « سِنَادِي » ، وَالْوَجْهَ مَا أُثْبِتَ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « عَمِيَاءُ » ، تَحْرِيْفٌ .

(٥) الزَّبَابَةُ بِفَتْحِ الزَّيِّ ، بَعْدَهَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ . ط ، س : « الزَّبَابَةُ » هـ : « الذَّبَابَةُ » ، صَوَاهِمَا مَا أُثْبِتَ .

(٦) لَيْسَتْ بِالْأَصْلِ . وَأُثْبِتَ مَا تَقْتَضِيهِ الْمَقَارَنَةُ الْآتِيَةُ .

بالحلدة ؛ لأنَّ الحُلْدَ أعمى وليس بأصم .

والزَّبَاب ^(١) يكون في الرَّمْل .

وقال الشاعر ^(٢) :

وَهُمْ زَبَابٌ حَائِرٌ لَا تَسْمَعُ الْآذَانُ رَعْدًا ^(٣)

(الأعمى من ولد الحيوان)

وكلُّ مولودٍ في الأرض يُولدُ أعمى ، إن كان تأويل العمى ^(٤) أَنَّهُ

لَا يُبْصِرُ إِلَّا بَعْدَ أَيَّامٍ . فنه ما يفتح عينيه بعد أَيَّامٍ كَالْجُرُودِ ^(٥) ؛ إِلَّا أَوْلَادَ

الدَّجَاجِ ؛ فَإِنَّ فَرَارِيحَهَا تَخْرُجُ مِنَ الْبَيْضِ كَاسِيَةِ كَاسِيَةٍ .

(شعر فيه مجون)

وقال أبو الشَّيْمَقِ - وجعل الأثير أعمى أصمَّ على التشبيه - فقال :

فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَاتِرَ الطَّرْفِ ضَاحِكًا وَصَوَّتَ لَهُ بِالْحَارِثِ بْنِ عَبَادٍ

(١) ط ، هـ : « الزباب » ، صوابه في س .

(٢) هو الحارث بن حلزة ، كما في عيون الأخبار (٢ : ٩٥ - ٩٦) :
والسان (زب) .

(٣) أي لا تسمع آذانهم صوت الرعد . والبيت محرف في الأصل س ، هـ : « فهو زباب » ط : « فهو زباب » ، وفي الجميع : « لا يسمع » و هـ : « الأذنان » مكان : « الأذان » وأثبت صحة الرواية من الحيوان (٥ : ٢٦٠) وحيون الأخبار والسان .

(٤) س : « أعمى » . هـ : « لمسى » وهذه محرفة . وأثبت ما في ط .

(٥) الجرو ، مثله : ولد الكلب والأسد والسباع . ط ، هـ : « كالجرذ » س :

« كالجرذ » ، صوابها ما أثبت . وفي (٢ : ٢٨٨) : « وجرو الكلب يكون أعمى

عشرة أيام وأكثر . وقد يعرض شبيه بذلك لكثير من السباع » .

بأصْلَعَ مِثْلَ الْجُرْوِ جَهْمٌ غَضَنْفِرٌ مَعَاوِدِ طَعْنٍ جَائِفٍ وَسَنَادٌ (١)
أَصَمٌّ وَأَعْمَى يُنْغِضُ الدَّهْرُ رَأْسَهُ يَسِيرُ عَلَى مَيْلٍ بَغِيرِ قِيَادٍ (٢) ١٣٢

(قول لمن زعم أن النعمامة تسمع ، ورد عليه)

و [قال] مَنْ زَعَمَ أَنَّ النَّعْمَامَةَ تَسْمَعُ : يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ تَوَلُّ طَرَفَةٍ :
هَلْ بِالدِّيَارِ الْغَدَاةِ مِنْ خَرَسٍ أَمْ هَلْ بِرَبْعِ الْجَمِيعِ مِنْ أَنْسٍ (٣)
سِوَى مَهَاةٍ تَقْرُو أَسْرَتَهُ وَجُوذِرٍ يَرْتَعِي عَلَى كُنُسٍ (٤)
أَوْ خَاضِبٍ يَرْتَعِي بِهَقْلَتِهِ مَتَى تَرْعُهُ الْأَصْوَاتُ يَهْتَجِسُ (٥)
فَقَدْ قَالَ طَرَفَةٌ كَمَا تَرَى :

* مَتَى تَرْعُهُ الْأَصْوَاتُ يَهْتَجِسُ *

وقال الآخر : جوابنا في هذا هو جوابنا فيما قبله .

- (١) الطعن الجائف : الذي يصل إلى الجوف .
(٢) أنفص رأسه : حركه إلى أسفل وأعلى . في الأصل : « ينفض » بالفاء ، وأراها محرفة .
ط ، س : « على مهل » ، وأثبت ما في هـ ، وهو أجود .
(٣) الأنس ، بالتحريك : الحى المقيمون . س : « جرس » موضع : « خرس » تحريف .
(٤) المهامة : البقرة الوحشية . تقرو : تقصد . والأسرة : جمع سر ، بالكسر ، وهو من الوادى : أفضل موضع فيه . والجوذر : ولد البقرة الوحشية . وفيه مع الهمز لغتان : الجوذر بضم الجيم والذال ، وبضم الجيم وفتح الذال . وانظر سائر اللغات في القاموس . والكنس ، بضمين : جمع كناس ، بالكسر ، وهو بيت الوحش كما في فقه اللغة ٣٠٤ طبع الحلبي . وفي شرح التبريزي للمعلقات ١٣٠ : « وهو شيء يتخذ الظباء ، تجذب أغصان الشجرة ، فتقع إلى الأرض ، فيصير بينها وبين ساق الشجرة مدخل تستظل به » .
(٥) الخاضب : الظليم احمرت ساقاه . يرتعي بهقلته : يرتعي مع أنثاه الفتية . يهتجس : في القاموس : « هجسه : رده عن الأمر فانهجس » . ونحوه في اللسان . فلعل يهتجس ويهتجس فعلا من مطاوعان لهجسه ، وإن لم تذكر المعاجم أولها .

(فكاهة)

وروى الهيثم بن عدي ، وسمعه بعض أصحابنا من أبي عبيدة ، قال :
تضارط أعرابيان عند خالد بن عبد الله ^(١) ، أحدهما تيمى والآخر أزدى ،
فضرط الأزدى ضرطه ضئيلة ، فقال التيمى :

حَبَقْتُ عَجِيفًا مُحْتَلًّا وَلَوْ أَنَّنِي حَبَقْتُ لَأَسْمَعْتُ النَّعَامَ الْمَشْرَدَا ^(٢)
فَرَّ كَمَرُ الْمُتَجَنِّقِ وَصَوْتُهُ يَبْذُ هَزِيمَ الرَّعْدِ ، بَدْءًا عَمْرَدَا ^(٣)

(مَنْ لَقَبَهُ : نَعَامَةً)

وزعم أبو عمرو الشيباني عن بعض العرب ، أن كلَّ عربيٍّ [وأعرابيٍّ]
كان يلقَّب نعاماً ، فإنما يلقَّب بذلك لشدة صَمَمِهِ . وأنه سألَه عن الظليم :
هل يسمع ؟ فقال : يَعْرِفُ بأنفه وعينه ، ولا يحتاج معهما إلى سَمْعٍ .
وَأَنْشَدَنِي :

فَجِئْتُكَ مِثْلَ الْهَقْلِ يَشْتُمُ رَأْلَهُ وَلَا عَرَفَ إِلَّا سَوْفَهَا وَشَمِيمَهَا ^(٤)

(١) هو خالد بن عبد الله القسري .

(٢) العجيف : المهزول . ولم يذكر في اللسان والقاموس بمادة (عَجَف) . والمحتل ، بالحاء
المهمله بعدها مثلثة مفتوحة : الهزيل . وفي الأصل : « محتلا » محرف .

(٣) المتجنق ، وتكسر الميم : آلة ترمى بها الحجارة ، مؤنثة وقد تذكر ، فارسيّتها : من
جه نيك ، أى أناما أجودى . يبذ : يغلب ويفوق . وهزيم الرعد : صوته . والبدء ،
بالفتح : أصل معناه السيد والشاب العاقل . وبدءا : حال ثانية من ضمير « مر » . ط ،
س : « بدء » هـ : « بدءا » محرفتان عما أثبت . والعمرد ، كعملس : الطويل . وانظر
نحو هذا المعنى في (٦ : ٤٦٩) .

(٤) العرف ، بالفتح : الريح طيبة أو غير طيبة . والسوف ، بالفتح : الشم . وفي
ط ، هـ : « شوءها » س : « ثوءها » . وهما كلمتان محرفتان لا تنبضان بمعنى .
والوجه ما أثبت .

وزعم أنَّ لَقَبَ بيهس^(١) نعمة ، وأَنَّهُ لَقَّبَ بذلك لأنه كان في خلق
 نعمة ، وكان شديد الصَّمَمِ مائثاً^(٢) . فَأَنشَدَ لعدى بن زيد^(٣) :
 وَمِنْ حَذَرِ الْأَيَّامِ مَاحِزٍّ أَنْفَهُ
 قَصِيرٌ وَخَاضَ الْمَوْتَ بِالسَّيْفِ بِيَهْسٍ^(٤)
 نعمةٌ لَمَّا صَرَّعَ الْقَوْمَ رَهْطُهُ تَبَيَّنَ فِي أَثْوَابِهِ كَيْفَ يَلْبَسُ^(٥)
 وقال المتنخل الهذلي^(٦) ، وذكر سَيِّمًا :
 مُنْتَخَبُ اللَّبِّ لَهُ ضَرْبَةٌ خَدْبَاءُ كَالْعَطِّ مِنَ الْخِذْعِلِ^(٦)

(١) بيهس : رجل من بني فزارة بن ذبيان . وله حديث وقصة في الأغاني (٢١ : ١٢٢ -
 ١٢٤) ، ونقلها عنه صاحب الخزانة في (٣ : ٢٧٢ - ٢٧٣ بولاق) . وذكره الميداني
 في مثل : « ثكل أرمها ولدا » .
 (٢) مائثاً : أى أحمق . والموق بالضم والفتح : الحق . هذا . وقد زعم أبو الفرج أنه إنما
 سمي نعمة بقوله :

فَلَا طَرْقَنُ قَوْمًا وَهُمْ نِيَامٌ وَأَبْرُكَنُ بَرَكَةَ النَّعْمَةِ

(٣) الحق أن قاتل الشعر هو المتليس القسبي ، من قصيدة في ديوانه المخطوط ، وكما في الأغاني
 وحاسة أبي تمام (١ : ٢٦٨) والبحتري ١٩ وأمثال الميداني (١ : ١٣٨ ، ٢١٦)
 ومروج الذهب (١ : ٢٩٢) والخزانة ، ومعاهد التنصيص (١ : ٢٤٨) . وقد ذكر
 الجاحظ البيتين في البيان (٤ : ٣٧) ولم ينسبهما .

(٤) قصة قصير متداولة في الكتب . وانظر المراجع المتقدمة . واسمه قصير بن سعد اللخمي .
 ورواية البيان : « ولاقى الموت بالسيف » ، والمروج ، والأغاني ، والخزانة ، والميداني :
 « ورأى الموت » . رام : طلب .

(٥) المتنخل ، بكسر الخاء المشددة ، اسم فاعل من تنخل ، لقب مالك بن عويمر الهذلي شاعر
 من شعراء هذيل . وهو جاهلي كما في الخزانة (٤ : ١١٠ سلفية) . وفي الشعراء من
 يقال له : (المتنخل السعدي) ذكره الآمدي في المؤلف ١٧٩ .

(٦) منتخب اللب : أى متزوع العقل ، فهو في هوجه كالجنون . ورواية اللسان :
 (خذعل) : « تنتخب اللب » . والخذباء ، بفتح الخاء : الهوجاء . وفي الأصل :
 « خدياء » ، تصحيحه من اللسان . كالعط من الخذعل : أى كالشق من ثوب الخذعل
 وهو بكسر الخاء والعين : المرأة الحمقاء ، أو ثياب من آدم يلبسها الرعن =

يقول : هذا السيف أهوجُ لأعقل له . والحَدَبُ ^(١) في هذا الموضع :
الهوج ^(٢) ، وتهاوى الشيء لآيَمَالِك . ويقال للسيف : لا يُبَالِي مَالِقِي .

(شعر في النعام والتشبيه به)

وقال الأعشى في غير هذا الباب :

كَحَوْصَلَةِ الرَّأْلِ فِي جَرِيهَا إِذَا جُلِيَتْ بَعْدَ إِقْعَادِهَا ^(٣)

« كحوصلة الرأل » يصف الخمر بالخمرة . جليت : أخرجت ، وهو ١٣٣

مأخوذ من جلوة العروس القاعدة ، إِذَا قَعَدَتْ عَنِ الطَّلَبِ ^(٤) . ومثله
في [غير ^(٥)] الخمر قولُ علقمة :

تَأْوَى إِلَى حِسْكِ خُمْرِ حَوَاصِلِهِ كَأَنَّهُنَّ إِذَا بَرَكْنَ جُرْثُومُ ^(٦)

وقال الأخنس بن شهاب ^(٧) :

تَظَلُّ بِهَا رُبْدُ النِّعَامِ كَأَنَّهُا إِمَاءٌ تُزَجَّى بِالمَسَاءِ حَوَاطِبُ ^(٨)

= لتحمل عيشهم وحققهم . ط ، هـ : « الخزعل » صوابه بالذال ، كما في
س ، واللسان .

(١) في الأصل : « الحلب » بالخاء ، صوابه بالمعجمة .

(٢) الهوج ، بالتحريك : الحق والرطوبة . هـ : « الهلج » صوابه ما أثبت من
س ، ط .

(٣) في جريها : أى عند سيلانها وتدفقها من فم الدن . والرأل : فرخ النعام . وحوصاته
جواء ؛ لتجردها من الريش .

(٤) أى عن أن يطلبها الأزواج .

(٥) ليست بالأصل ، ولا يصح الكلام بدونها .

(٦) سبق هذا البيت وشرحه في ص ٣٦٧ .

(٧) الأخنس بن شهاب ، شاعر جاهل قبل الإسلام بدر . الخزانة (٣ : ١٦٩ بولاق)
نقل عن شرح المفضليات ٤١٠ .

(٨) الريد : جمع أريد وربداء ، وهو ما في لونه غبرة . والإماء : جمع أمة ، بالتحريك .
وهى المملوكة . والحواطب : اللاتي يجمعن الحطب . وخص النساء ؛ لأن الإماء =

تَزَجَّى : تَذَفَعُ ^(١) ، وذلك أَنَّهُ يَثْقُلُ حِمْلُهَا فَتَمْشِي مِشْيَةَ النِّعَامَةِ .

وقال الرَّاجِزُ ^(٢) :

وَإِذَا الرِّيحُ تَرَوَّحَتْ بِعَشِيَّةٍ رَتَكَ النِّعَامُ إِلَى كَثِيفِ الْعَرَفِجِ ^(٣)

وَالرَّتْكَ : مَشَى سَرِيعًا . يَقُولُ تَبَادَرُ إِلَى الْكَثِيفِ ^(٤) تَسْتَرُ بِهِ ^(٥)

مِنَ الْبَرْدِ . وَقَالَ :

رَتَكَ النِّعَامَةِ فِي طَرِيقِ حَامٍ ^(٦) .

= المحتطبات يرجمن فيه إلى أهالين وقد أعين ، فهن يمشين على قودة . انظر شرح
المفضليات . ورواية المفضليات : « بالمشى » مكان : « بالمساء » .

(١) في الأصل : « ترفع » ، صوابه من اللسان وشرح المفضليات ٤١١ . ويروى :

« تَزَجَّى » بِنَزْعِ إِحْدَى التَّامِينَ .

(٢) كَذَا ، وصوابه : « الشاعر » . وهو الحارث بن حلزة الليشكري ، من قصيدة مفضلية
٢٥٥ أولها :

طَرَقَ الْخَيَالُ وَلَا كَلِيلَةَ مَدْلَجٍ سَدَا بِأَرْحَلَتَا وَلَمْ يَتَحَرَّجْ

(٣) كَذَا أَنشد الجاحظ هذا البيت . وتفسيره الآتي يشهد لصحة هذا النص عنده هو ،
وكذا صحة ما ضبطت به البيت . لكن صواب الرواية والضبط ، هو كما في
المفضليات ٥٢٦ :

وَإِذَا اللَّقَاخُ تَرَوَّحَتْ بِعَشِيَّةٍ رَتَكَ النِّعَامُ إِلَى كَثِيفِ الْعَرَفِجِ .

وبعده :

أَلْفَيْتِنَا لِلضَّيْفِ خَيْرَ عِمَارَةٍ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَبَنٌ فَعَطْفُ الْمُدْمَجِ

اللقاح : الإبل ، وأحدها لقوح ، بالفتح . تروحت بعشية : سارت في آخر
النهار راجعة إلى مأواها . رتك للنعام : أى مثل رتك للنعام . والرتك ، بالفتح
والتحريك : مقاربة الخطو . والكثيف : الملتف . وأما الكثيف ، بالنون ، فهو حظيرة
تعمل من شجر تأوى إليها الإبل . والعرفج : شجر .

(٤) س : « الكثيب » بحرف . وفي الكلام نقص ، أهله « الكثيف من العرفج » .

(٥) س : « تستر به » . ولعلها صحيحة . وقالوا : انسرب الوحش : دخل في كئاسه .

(٦) طريق حام : أى حمى رمله مما ضربت فيه الشمس . وهو أشد لرتك النعامة .

(استقبال الظالم للريح)

وليسَ لقولٍ مَنْ زعمَ أنَّ الظَّليمَ إذا عدا استقبلَ الرِّيحَ [وإنما ذلك مخافةُ أن تكونَ الرِّيحُ من خلفه فتسكبته ^(١) - معنى ؛ لأننا نجدُهم يصفون جميع ما يستدعونه ^(٢) باستقبال الرِّيحِ] . قال عبدة بن الطَّيِّب ، يصف الثَّور :

مستقبل الرِّيحِ يهفو وهو مبتركٌ لسانه عن شمالِ الشَّدقِ مَعْدُولٌ ^(٣)
ووصف الذَّيْبَ طُفيلُ الغَنَوَى ، فقال :

كسيدر الغضا العادي أضلَّ جِراءَهُ على شرفِ مُستقبلِ الرِّيحِ يلحِب ^(٤)

(١) تكبته : تصرعه لوجهه ، كبته يكتبه كبتاً فاندكبت . ومن ذهب هذا المذهب شارح ديوان طفيل ص ٢٣ قال : « وكل دابة أو ضامر إذا جرت استقبلت الريح ، لأنها إذا استدبرتها كسبتها وألقها » .

(٢) كذا بالأصل . ولعلها : « يسترعونه » ، أى يعملونه سريعاً . وقد حلل الأمر صاحب اللسان بقوله : « وامتخر الفرس الريح واستخرها : قابلها بأنفه ؛ ليكون أروح له » .

(٣) يهفو : يشتد عدوه . قال بشر بن أبي خازم يصف فرساً :

يُشَبِّهُ شَخْصَهَا وَالْحَيْلُ تَهْفُو هُفْوًا ظِلٌّ فَتَخَاءُ الْجَنَاحُ

وابتكر : انتحى على أحد شقيه في عدوه . ط : ه : « مشتبك » س : « مشترك » صوابهما من المفضليات ١٤٠ . والشَّدق هي ق س : « السدق » ه : « المدف » صوابهما في ط والمفضليات . وأول البيت في كل من ط ، ه : « يستقبل » وأثبت رواية س والمفضليات .

(٤) السيد ، بالكسر : الذئب . والغضا : نبت تاجاً إليه الذئاب . وذئاب الغضا أخبث الذئاب . ط : « العاوى » ه : « العارى » ، صوابهما في س . ورواية الديوان : « الغادى » . أضل جِراءه : فقد أولاده ، فهو يسرع في عدوه مجتهداً ليبحث عنها . والشرف : الأرض العالية . ورواية الميوان : « عللاً شرفاً » . يلحِب =

(استطراد)

وَيُلْحَقُ^(١) بموضع ذِكْرِ الضَّرْبِ الشَّدِيدِ ، قولهم في المثل : « ضَرَبْنَاَهُمْ
ضَرْبَ غَرَائِبِ الْإِبِلِ » . قال أبو حِيَّةَ :
جَدِيرُونَ يَوْمَ الرَّوْعِ أَنْ يَخْضِبُوا الْقَنَا
وَأَنْ يَتْرَكُوا الْكَبْشَ الْمَدْجَجَ ثَاوِيَا^(٢)
ضَرَبْنَاَهُمْ ضرب الحساما غرائب

وإذا جاءك عطاشا لعسا حراراً ضواريَا^(٣)
وإذا جاءت عطاشاً قَدْ بَلَغَ مِنْهَا الْعَطَشُ وَالْيُبْسُ ، قيل : جاءتْ تَصِلُ

= يمر مرا سريعاً . وفي الأصل : « يلهث » ، ضوايه ماثبت . والبيت من قصيدة بائنة
لطفيل ، أولها :

تَأْوِيَنِي هَمٌّ مِنَ اللَّيْلِ مُنْصِبٌ وَجَاءَ مِنَ الْأَخْبَارِ مَا لَا أَكْذِبُ

وهو قد نمت بالبيت الذي أنشده الجاحظ فرسا شبهه بالذئب . وقبل البيت :

كَأَنَّ عَلَى أَعْرَافِهِ وَجَلَامِهِ سَنَا ضَرَمَ مِنْ عَرَفَجٍ يَتْلَهُبُ

(١) الكلام من هنا إلى قوله في الصفحة الآتية : « وزعم ابن أبي المعجوز » ، استطراد
من الجاحظ لاعلاقة له بالكلام السابق .

(٢) القنا : الرماح . يخضبونها : أى يدهاء الأعداء . والكبش : القائد ، أو الرئيس .
المدجج : ذو السلاح . ثاويا : مقتولا . هـ : « الكيس » س : « الكبش »
س ، هـ : « المحدد » مكان : « المدجج » ، هـ : « قاويا » . وصواب
رواية البيت من ط .

(٣) هذا البيت ساقط من س . هـ : « وإذا جاءت » . وهو كلام محرف مشياً ،
لم أجده له مرجعاً يعين على تحقيقه .

أجوافها صليلاً . قال الراعي :

فَسَقَوْا صَوَادِي يَسْمَعُونَ عَشِيَّةً لِلْمَاءِ فِي أَجَوَافِهِنَّ صَلِيلًا

قال : وأنشدنا أبو مَهْدِيَّة ، لمزاحم العُقَيْلِي (١) :

غَدَتْ مِنْ عَلَيْهِ بَعْدَ مَا تَمَّ ظَمُؤُهَا تَصِلُ ، وَعَنْ قَيْضِ بَزِيرَاءَ بَجْهَلٍ (٢)

قال : الزَّيْرَاءُ (٣) : المكان الغليظ .

وقال آخر (٤) :

أَلَمْ تَعْلَمْ يَأُمَّ حَسَّانَ أَنَّنِي إِذَا عَبْرَةٌ نَهْنَهْتُهَا فَتَجَلَّتْ (٥)

١٣٤ رَجَعَتْ إِلَى صَدْرٍ كَجَرَّةٍ حَنَمَ إِذَا قَرِعَتْ صِفْرًا مِنَ الْمَاءِ صَلَّتْ (٦)

(١) هو مزاحم بن عمرو ، شاعر بلوى إسلامي ، صاحب قصيد ورجز ، كان في زمن جرير والفرزدق ، وكان جرير يصفه ويقرظه ويقدمه . الأغاني (١٧ : ١٥٠) .

(٢) أي أقامت مع فرخها حتى عطشت وطلبت الماء ، فطاروت لذلك عند تمام ظمئها . والظم ، بالكسر : ما بين الشربين أو الوردتين . وروى في الكامل والمخصص . (١٤ : ٥٧) : « تم خسها » . وهو بالكسر : ورود الماء في كل خمسة أيام . قال أبو حاتم : ولم يرد أنها تصبر عن الماء خمسة أيام ، إنما هذا للإبل لا للطير ، ولكنه ضربه مثلاً . ابن السيد في الاقتضاب ٢٤٨ . وقد تكلم كثير من العلماء في هذا البيت ، في دخول : « من » على « على » . انظر أدب الكاتب ٣٨٣ وابن سيده (١٤ : ٥٧) والبغدادى (٤ : ٢٥٣ بولاق) واللسان (صلال) . ط : « يعدما » تحريف . والقيض : بالفتح : قشر البيضة الأعلى . والزيراء ، بالكسر والفتح : ما غلظ من الأرض . هـ : « عن قبض بزيراء » محرف . قال أبو حاتم : قلت للأصمعي : كيف قال : غدت من عليه ، والقطاة إنما تذهب إلى الماء ليلاً ، لا غموة ؟ فقال : لم يرد الغدو ، وإنما هذا مثل للتعجيل . والعرب تقول : يكر إلى العشية ، ولا يكور هناك .

(٣) هـ : « الزيراء » ، محرف .

(٤) هو عمرو بن شأس ، كما في اللسان (حنم) والأغاني (١٠ : ٦١) . وعمرو ابن شأس شاعر مخضرم ، أدرك الإسلام وهو شيخ كبير . شرح التبريزي للحامسة (١ : ١٤٩ بولاق) .

(٥) أم حسان هي زوجه . والعبرة ، بالفتح : الدمة . نهنها : كفها . تجلت : ظهرت . وفي الأغاني : « فتجلت » ، والأولى أقوى وأطيب .

(٦) الحنم : جرار خضر تضرب إلى الحمرة ، وقد يقال للخنزف كله حنم . =

(اختبار أمير المؤمنين المنصور لأحد الحوَّاء)

وزعم ابن أبي العجوز الحوَّاء ، أَنَّ الأفاعى صُمَّ ، فلذلك لا تجيب الرُّقى ، ثمَّ زعم لى فى ذلك المجلس ^(١) أَنَّ أمير المؤمنين المنصور ، أراد امتحان رُقَى حَيَّةٍ ^(٢) وَأَنْ يتعرَّفَ صَحَّتْهَا مِنْ سُقْمِهَا ، وَأَنَّهُ أَمَرَ ^(٣) فصاغوا له أَقْعَى مِنْ رِصَاص ، فجاءت ولا يَشْكُ النَّاطِرُ فِيهَا ؛ وَأَنَّهُ أَمَرَ ^(٤) بِالزَّاقِهَا فِي مَوْضِعٍ مِنَ السَّقْفِ ؛ وَأَنَّهُ أَحْضَرَهُ وَقَالَ [له] : إِنَّ هَذِهِ الْأَفْعَى قَدْ صَارَتْ فِي هَذِهِ الدَّارِ ، وَقَدْ كَرِهَتْهَا الْمَكَانِهَا ؛ فَإِنْ اخْتَلَّتْ لى بِرُقِيَّةٍ ، أَوْ بِمَا أَحْبَبْتَ ^(٥) أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ . قَالَ : إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَخْذَهَا هَرَبْتُ ^(٦) وَلَكِنْ أَرْقِيهَا حَتَّى تَنْزُلَ ! فَرَقَاهَا فَلَمَّا رَأَاهَا لَا تَتَحَرَّكُ زَادَ فِي رَفْعِ صَوْتِهِ وَأَلْقَى قِنَاعَهُ ، فَلَمَّا رَأَاهَا لَا تَتَحَرَّكُ نَزَعَ عِمَامَتَهُ وَزَادَ فِي رَفْعِ صَوْتِهِ ، فَلَمَّا رَأَاهَا لَا تَتَحَرَّكُ نَزَعَ ثِيَابَهُ ، وَزَادَ فِي رَفْعِ صَوْتِهِ ^(٧) ، حَتَّى أَزِيدَ ^(٨) ، وَتَمَرَّغَ

= انظر اللسان والنهاية . صفراً من الماء : خالية منه . وجعل صدره كالجرة من الختم ، فى صلابتها وشدتها .

(١) يدل هذا الكلام من أول الفقرة فى س : « زعم ابن أبي العجوز فى ذلك المجلس » .

(٢) س ، هـ : « جلده » ط : « جد » ، صوابها ما أثبت . وانظر ٤٢٠ س ٢ .

(٣) ط ، هـ : « فأمرهم » .

(٤) ط ، هـ : « تم أمر » .

(٥) ط ، هـ : « أحست » ، صوابه فى س .

(٦) س : « فعلت » .

(٧) الكلام من ميل : « وألقى قناعه » إلى هنا ساقط من س .

(٨) ط ، س : « أريد » . هـ : « أزيد » ، صوابها ما أثبت . وأزيد بمعنى ظهر منه الزيد على جانبيه الشفتين .

فى الأرض ، فلما فعل ذلك سال ذلك الرصاصُ وذابَ ، حتى صار بين أيديهم ، فأقرَّ عند ذلك المنصورُ بجوْدَةِ رُقيته .

فقلت له : ويلك ! زعمتَ قُبَيْلُ أنَّ الأفاعيَّ لا تجيب الرُّقى ؛ لأنها لاتسمع ، وهى حيوان ، ثمَّ زعمتَ أنَّها أجابت ، وهى جماد ! !

(شعر وخبر فى نفار النعامه)

وقال الشاعرُ :

ورَبْداءِ يَكْفِيها الشَّمِيمُ وما لها سوى الرُّبْدِ من أنسٍ بتلك المَجاهِلِ
يُخبر أنَّ النِّعامه لاتستأنسُ بشيءٍ من الوحشِ ، وأنَّ الشَّمَّ يغنيها فى فهم ما تحتاج إليه .

وهى مع ذلك إذا صارتْ إلى دور النَّاسِ ، فليس معها من الوحشة منهم ، على قدر ما يذكرون .

وفى الوحش ما يأنس ، وفيها ^(١) مالا يأنس . وقال كثيرٌ :

فَأَقْسَمْتُ لَا أَنْسَاكِ مَاعِشْتُ لَيْلَةً وَإِنْ شَحَطْتُ دَارٌ وَشَطَّ مَزَارُهَا ^(٢)
وما استنَّ رَقراقُ السَّرابِ وما جَرَتْ ببيض الرُّبا أنسيُّها ونَوَارُهَا ^(٣)

(١) س : « ومنها » .

(٢) شحطت : بعدت . وشط مزارها : بعد .

(٣) استن السراب : اضطرب . والسراب ، كسحاب : ما يرى على وجه الأرض كأنه ماء وليس به ، وهو يبدو فى القلوات فيخدع السفر يظنونه ماء . وفى الكتاب « كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً » . وقد علله العلماء بما يكون من الانعكاسات الضوئية ، فتظهر صورة السماء فى صفحة الأرض ، أو تبدو صورة النخيل البعيدة ، فى وضع مقلوب يخدع الناظر ، فيحسبها ظلالاً مرتسمة فى ماء . والأنسى من الحيوان ، يقال بفتح الهززة والنون ، نسبة إلى الأنس =

ووصف بلاداً قفاراً^(١) غيرَ مانوسة فقال :

ماتَرَى الْعَيْنُ حَوْلَهَا مِنْ أَنْيَسٍ قُرْبَهَا غَيْرِ رَابِدَاتِ الرِّثَالِ^(٢)
خَصَّهَا بِالذِّكْرِ ؛ لَأَنهَا أَنْفَرُ وَأَشْرَدُ ، وَأَقْلُ أَنْسَاءَ مِنْ جَمِيعِ الْوَحْشِ .
وقال الأحيمر^(٣) : كُنْتُ أَتَى الظُّبَى حَتَّى أَخَذَ بِذِرَاعِيهِ ؛ وَمَا كَانَ شَيْءٌ
مِنْ بَهَائِمِ الْوَحْشِ يَنْكَرُنِي إِلَّا النِّعَامُ^(٤) .

وَأَنْشَدَ قَوْلَ ذِي الرُّمَّةِ :

وَكُلَّ أَحَمٍّ الْمَقْلَتَيْنِ كَأَنَّهُ أَخُو الْإِنْسِ مِنْ طُولِ الْخَلَاءِ الْمَغْفَلِ^(٥)

= وَالْأَنَسَةُ بِالْتَحْرِيكِ فِي كُلِّ مِنْهَا بِمَعْنَى الْإِتْنَانِ . وَيُقَالُ بِكُسْرَاهَا نِسْبَةً إِلَى الْإِنْسِ ،
بِالْكَسْرِ ، وَهِيَ بَنُو آدَمَ . وَيُقَالُ بِضَمِّهَا نِسْبَةً إِلَى الْإِنْسِ ، بِالْفَعْمِ ، وَهِيَ وَهْدُ
الْوَحْشَةِ . وَأَوَّلُ هَذِهِ اللَّغَاتِ أَسْفَهًا . وَقَدْ أَحَادَ الضَّمِيرُ فِي « أَنْسِيَا » إِلَى الْحَيَوَانِ ،
وَلَمْ يَذْكُرْهُ ، وَلَكِنَّهُ مَفْهُومٌ ضَمْنَا . وَالنَّوَارُ ، بِالْفَتْحِ : النَّافِرُ الَّذِي لَا يَسْتَأْنِسُ
مِنْ الْحَيَوَانِ . وَالرَّوَايَةُ فِي دِيوَانِ كَثِيرٍ (١ : ٩١) : « وَحْشِيهَا وَنَوَارِهَا » .
(١) س : « أَقْفَارًا » .

(٢) الرَابِدَاتُ : الْمُقِيمَاتُ . رِبْدٌ رِبُودًا : أَقَامَ . وَالرِّثَالُ : جَمْعُ رَأْلٍ ، بِالْفَتْحِ ، وَهُوَ وَلَدُ
النِّعَامِ . وَفُسِّرَتْ « الرَابِدَاتُ » فِي شَرْحِ دِيوَانِ كَثِيرٍ (١ : ١٤٨) بِأَنَّهَا « صِفَةٌ بِمَعْنَى
الرَّيْدِ جَمْعُ رِبْدَاءٍ ، وَهِيَ الَّتِي فِي سَوَادِهَا نَقَطٌ بَيْضٌ أَوْ حُمْرٌ » . وَلَعَلَّ مَا فُسِّرَتْ بِهِ أَقْرَبُ
إِلَى الْإِشْتِقَاقِ . فَلَيْسَ فِي الْمَعَاجِمِ الَّتِي بَأَيْدِينَا « رَابِدٌ » بِمَعْنَى « أَرْبَدٌ » .
(٣) سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي (١ : ١٣٣) . وَالْخَبَرُ فِي الْعَقْدِ (٤ : ٢٣٨) وَعَيُونُ الْأَخْبَارِ
(٢ : ٨٨) .

(٤) كَذَا أورد الجاحظ الخبر مقتضياً ، وهو بتمامه ، كما في عيون الأخبار (٢ : ٨٨)
« كُنْتُ حِينَ خَلَعْتُ قَوِي ، وَأَطْلُ السُّلْطَانِ دُمِي ، وَهَرَيْتُ وَتَرَدَّدْتُ فِي الْبُؤَاهِ
ظَنَنْتُ أَنِّي قَدْ جَزْتُ نَخْلَ وَبَارٍ ، أَوْ قَرِيبَ مِنْهَا . وَذَلِكَ أَنِّي كُنْتُ أَرَى النَّوْهَ
فِي رَجْعِ اللَّذْثَابِ . وَكُنْتُ أَغْشَى الظُّبَاءَ وَغَيْرَهَا مِنْ بَهَائِمِ الْوَحْشِ فَلَا تَنْفَرُ مِنِّي ؛
لَأَنهَا لَمْ تَرَأْ أَحَدًا قَبْلِي . وَكُنْتُ أَمْشِي إِلَى الظُّبَى السَّمِينِ فَسَأَخُذُهَا ؛ وَعَلَى ذَلِكَ رَأَيْتُ
جَمِيعَ تِلْكَ الْوَحْشِ ؛ إِلَّا النِّعَامَ ؛ فَإِنِّي لَمْ أَرَهُ قَطُّ إِلَّا نَافِرًا قَزَعًا » .

(٥) أَحَمٌ : أَسْوَدٌ . وَالْمَقْلَةُ ، بِالضَّمِّ : حَدِيقَةُ الْعَيْنِ . لَا وَأَرَادَ بِهِ الظُّبَى . وَالْخَلَاءُ الْمَغْفَلُ :
الَّذِي لَا عِلَامَةَ فِيهِ وَلَا أَثَرَ . وَضَبَطَ « كُلَّ » بِالنَّصْبِ ؛ لِأَنَّ قِبَلَ الْبَيْتِ كَلَامٌ
فِي الدِّيْوَانِ :

(نِقَارُ الْوَحْشِ وَهَرَبُهَا مِنَ الصَّحَارَى)

١٣٥ يدلّ على ذلك في قَدْرِ ما شاهدنا أنّهم يخرجون إلى الصَّحَارَى الْأَغْفَالِ^(١) ، التي لم يُذْعَر صَيْدُهَا ، وَلَا يَطُوهَا النَّاسُ ، فَيَأْتُونَ الْوَحْشَ فَوْضَى كَمَلًا ، وَمَعَهُمْ كِلَابُهُمْ وَفُهْودُهُمْ تَتَلَوَّى^(٢) بِأَيْدِيهِمْ ، فَيَتَقَدَّمُونَ إِلَى الْمَوَاضِعِ الَّتِي لَوْ كَانُوا ابْتَدَعُوا الصَّيْدَ مِنْ جِهَتِهَا لَأَخَذُوا مَا أَخَذُوا . فَإِذَا نَفَرَتْ وَحُوشُ هَذِهِ الْأَرْضِ ، وَمَرَّتْ بِالْأَرْضِ الْمَجَاوِرَةِ لَهَا ، نَفَرَتْ سُكَّانُ تِلْكَ الْأَرْضِ مَعَ هَذِهِ التَّوَافِرِ ، وَلَا تَعُودُ تِلْكَ الصَّحَارَى إِلَى مِثْلِ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ ، مِنْ كَثَرَةِ الْوَحْشِ حِينَئِذٍ .

ومَتَى لَمْ تَنْفَرْهَا الْأَعْرَابُ بِالْكِلَابِ وَالْقَيْسِيِّ ، وَنَضَبَ الْحَبَائِلِ ، رَتَعَتْ بِقُرْبِهِمْ ، ثُمَّ دَنَتْ مِنْهُمْ أَوَّلًا فَأَوَّلًا ، حَتَّى تَطَأَ أَكْنَافَ بَيْتِهِمْ . وَهِيَ الْيَوْمَ فِي حَيْرٍ^(٣) الْمُعْتَصِمِ بِاللَّهِ^(٤) وَالْوَائِقِ بِاللَّهِ^(٥) عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ .

= دَعَتْ مِائَةَ الْأَعْصَادِ فَاسْتَبَدَلَتْ بِهَا خَنَاطِيلَ آجَالٍ مِنَ الْعَيْنِ خَذَلْ وَبَعْدَهُ سَبْعَةُ آيَاتٍ ، ثُمَّ :

وَكُلُّ مُوشَاةٍ الْقَوَائِمِ نَعْمَةٌ لَهَا ذَرْعٌ قَدْ أَحْرَزَتْهُ وَمُطْفَلٌ تَرَبَّعَ لَهُ رِيحُ الْمُهْجَانِ وَأَقْبَلَتْ لَهَا فَرْقُ الْأَجَالِ مِنْ كُلِّ مَقْبَلٍ ثُمَّ الْبَيْتُ : « وَكُلُّ أَحْمَ الْمُقْلَتَيْنِ » .

(١) الْأَغْفَالُ : الَّتِي لَا عِلَامَةَ فِيهَا وَلَا أَمْرَ .

(٢) س : « مَلَوَى » ! .

(٣) الْحَيْرُ ، بِالْفَتْحِ : الْبِسْتَانُ ، أَوِ الْمَوْضِعُ الْمَطْمُنُّ الْوَسْطُ الْمُرْتَفِعُ الْحُرُوفِ . وَمِثْلُهُ الْحَائِرُ . جَاءَ فِي السَّنَنِ : « وَبِالْبَصْرَةِ حَائِرُ الْحِجَاجِ ، مَعْرُوفٌ ، يَابِسٌ لَأَمَاءٍ فِيهِ . وَأَكْثَرُ النَّاسِ يَسْمِيهِ الْحَيْرَ ، كَمَا يَقُولُونَ لِعَايِشَةٍ : عَيْشَةُ . يَسْتَحْسِنُونَ التَّخْفِيفَ وَطَرَحَ الْأَلْفِ » . فِي ط ، س : « حَيْرٌ » هـ : « حَدٌ » صَوَاهِبُهُمَا مَا أَثْبَتَ .

(٤) الْمُعْتَصِمُ بِاللَّهِ ، هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ الرَّشِيدُ ، بَويعَ بِالْخِلَافَةِ سَنَةَ ٢١٨ . بَعْدَ وَفَاةِ الْمَأْمُونِ ، وَهُوَ فَاتِحُ عُمُورِيَّةٍ ، وَأَوَّلُ مَنْ أَضَافَ مِنَ الْخُلَفَاءِ اسْمَهُ إِلَى اسْمِ اللَّهِ تَعَالَى . تَوَفَّى بِسَامَرَا سَنَةَ ٢٢٧ .

(٥) الْوَائِقُ بِاللَّهِ ، هُوَ هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ هَارُونَ الرَّشِيدِ ، فَهُوَ ابْنُ الْمُعْتَصِمِ . وَتَوَفَّى بَعْدَ أَبِيهِ سَنَةَ ٢٢٧ وَتَوَفَّى بِسَامَرَا سَنَةَ ٢٣٢ .

(هجرة الأطباء إلى الناس)

وخبرني إبراهيم بن السندی^(١) قال : خبرني عبد الملك بن صالح ، وإسحاق بن عيسى ، وصالح صاحب الموصل ، أن خالد بن برمك ، بينا هو على سطح من سطوح القرى مع قحطبة^(٢) ، وهم يتغذون^(٣) ، وذلك في بعض منازلهم^(٤) ، حين فصلوا من خراسان إلى الجبل . قال : وبين قحطبة وبين الأعداء مسيرة أيام وليال . قال : فبينما خالد يتغذى معه وذلك حين نزلوا وبهم كلال السير ، وحين علقوا على دوابهم^(٥) ، ونصبوا قدورهم ، وقربوا سفرهم^(٦) .

(١) هو إبراهيم بن السندی بن شاهك ، يروي عنه الجاحظ كثيراً . وأبوه السندی ابن شاهك ، كان يلي الحرسين ببغداد للرشيدي . انظر الجهشيارى ٢٣٦ - ٢٣٧ . وقد نعت الجاحظ إبراهيم بأنه « مولى أمير المؤمنين » . الرسائل ٤٧ ساسي .

(٢) هو قحطبة بن شبيب الطائي ، صاحب أبا مسلم الخراساني وكان شريكه في إقامة الدعوة العباسية بخراسان ، وقاد جيوش أبي مسلم فكان مظفراً ، غرق في الفرات سنة ١٣٢ حين ابتدأت الخلافة العباسية . هـ : « قرطبة » محرفة . وقحطبة ، بفتح القاف والطاء .

(٣) أى يتناولون الغذاء ، بالفتح ، وهو طعام الغدوة ، بالضم ، وهي البكرة ، أو ما بين الفجر وطلوع الشمس . س : « يتغذون » بالذال المعجمة .

(٤) بعد هذا في س : « وذلك حين نزلوا وبهم كلال السير » ، وهو كلام مقحم سيأتي في موضعه قريباً .

(٥) في اللسان : « والمليق : التقسيم يعلق على الدابة . وعلقها : علق عليها » . والقضم : الشعر . ولا تزال هذه العبارة حية عندنا في مصر ، يستعملها سواس البهائم . هـ : « علقوا على دوابهم » محرفة .

(٦) السفر : جمع سفرة ، بالضم ، وهي طعام المسافر ، وتقال لتلك التي تبسط ويؤكل عليها ، والتي يوضع فيها طعام المسافر .

قال : فَنَظَرَ خَالِدٌ إِلَى الصَّحْرَاءِ ، فَرَأَى أَقَاطِيعَ الظُّبَاءِ قَدْ أَقْبَلَتْ
 مِنْ جِهَةِ الصَّحَارَى ، حَتَّى كَادَتْ تَخَالِطُ الْعَسْكَرَ ، فَقَالَ لِقَحْطَبَةَ : أَيُّهَا
 الْأَمِيرُ ! نَادِ فِي النَّاسِ : « يَا خَيْلَ اللَّهِ ارْكَبِي ^(١) » ، فَإِنَّ الْعَدُوَّ قَدْ حَثَّ
 إِلَيْكَ السَّيْرَ ، وَعَامَّةُ أَصْحَابِكَ لَنْ يَسْرِجُوا وَيُلْجِمُوا قَبْلَ أَنْ يَرَوْا سَرْعَانَ
 الْخَيْلِ ^(٢) . فَقَامَ قَحْطَبَةُ مَذْعُورًا ، فَلَمَّا لَمْ يَرِ شَيْئًا يَرُوعُهُ ، وَلَمْ يَرَ غُبَارًا
 قَالَ لَخَالِدٍ : مَا هَذَا الرَّأْيُ ! قَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ! لَا تَتَشَاغَلْ بِي وَبِكَلَامِي ، وَنَادِ
 فِي النَّاسِ ^(٣) . أَمَا تَرَى أَقَاطِيعَ الْوَحْشِ قَدْ أَقْبَلَتْ ، فَارْقَتْ ^(٤) مَوَاضِعَهَا
 حَتَّى خَالَطَتْ النَّاسَ ؟ ! إِنَّ وَرَاءَهَا جَمْعًا عَظِيمًا ^(٥) ! . قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا أَلْجَمُوا
 وَأَسْرَجُوا ^(٦) حَتَّى رَأَوْا سَاطِعَ الْغُبَارِ ، وَلَا تَلْبَسُوا ^(٧) وَتَسْلَحُوا حَتَّى رَأَوْا
 الطَّلِيعَةَ ^(٨) . فَمَا التَّأَمُّوا حَتَّى اسْتَوَى أَصْحَابُ قَحْطَبَةَ عَلَى ظُهُورِ خَيْولِهِمْ .
 وَلَوْلَا نَظْرَةُ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكٍ وَفِرَاسَتُهُ ، لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ الْجَيْشُ اصْطِطَمَ ^(٩) .

(١) رَوَى الْجَاهِظُ هَذَا الْحَدِيثَ فِي أَوَّلِ مَا اخْتَارَهُ « مِنْ كَلَامِ الرَّسُولِ ، مِمَّا لَمْ يَسْبِقْهُ إِلَيْهِ
 عَرَبِيٌّ ، وَلَمْ يَشَارِكْهُ فِيهِ عَجَمِيٌّ ، وَلَمْ يَدْعُ لِأَحَدٍ ، وَلَا ادْعَاهُ أَحَدٌ ، مِمَّا صَارَ مُسْتَعْمَلًا
 وَمَثَلًا سَائِرًا » . الْبَيَانُ (٢ : ١٥) .

(٢) سَرْعَانَ الْخَيْلِ ، بِالتَّحْرِيكِ ، وَيَسْكُنُ : أَوَائِلُهَا . وَفِي الْأَصْلِ : « وَغَايَةُ أَصْحَابِكَ أَنْ
 يَسْرِجُوا » ، صَوَابُهُ مِنْ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ (٣ : ٤١٣) .

(٣) كَذَا فِي هـ . وَفِي س : « نَادَى فِي النَّاسِ » بِإِسْقَاطِ الْوَاوِ . ط : « وَنَادَى
 فِي النَّاسِ » بِمَحْرَفَةٍ .

(٤) كَذَا بِدُونِ ذِكْرِ الْوَاوِ قَبْلَهُ ، عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ . وَفِي ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ بِالْوَاوِ .

(٥) س : « فَظِيمًا » . وَفِي ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ : « وَإِنْ وَرَاءَهَا لَجَمْعٌ كَثِيفٌ » .

(٦) أَيْ وَضَعُوا اللَّجْمَ وَالسَّرُوجَ عَلَى الْخَيْلِ .

(٧) تَلَبَّسُوا ، لَبَسُوا ثِيَابَ الْحَرْبِ .

(٨) طَلِيعَةُ الْجَيْشِ : أَوَّلُهُمْ . س : « الطَّلِيعَةُ » .

(٩) اصْطِطَمَ الْجَيْشُ ، بِالْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ : أَبْيَدَ ، وَاسْتَوَصَلَ .

(قصة في قوة الشم)

وكان إبراهيم [بن^(١)] السندي يحدثنا من صدق حس أبيه في الشم ،
بشيء ما يحكى مثله إلا عن السباع والذرّ والنعام . وزعم أن أباه قال ذات
يوم : أجد ريح بول فأرة ! ثم تشمّم وأجال أنفه في المجلس ، فقال : هو
في تلك الزاوية ! فنظروا فإذا على طرف البساط من البلبل بقدر الدرهم ،
أو أوسع شيئاً ، فقصوا أنه بول فأرة .

٣٣٦

قال : وشهدته مرةً وأشرطه^(٢) قياماً على رأسه في السماطين^(٣) ،
فقال : أجد ريح جورب عفن متّن ! فتشمّمنا بأجمعنا ، فلم نجد شيئاً ،
ثم تشمّم وقال : انزعوا خُفّ ذاك . فنزعوا خُفّه ، فكلّما مدّ النازعُ له
شيئاً بدا من لِفافته . فما زال النتنُ يكتثُ ويزدادُ ، حتّى خلع خُفّه ونزعهُ
من رجله ، فظهرَ من نتنِ لِفافته ما عرف به صدقُ حسّه . ثمّ قال : انزعوا
الآن أخفافكم بأجمعكم ، فلا بُدَّ من ألا يكونَ في جميع اللِّفائفِ متّنٌ
غير لِفافته ، أو تكون لِفافته أنثها ، فنزعوا ، فلم يجدوا في جميعها لِفافةً
متنةً غيرها .

وأنشدوا :

غزا ابنُ عُمرٍ غزوةً تركت لنا ثناءً كنتنِ الجوربِ المتخرِّقِ^(٤)

(١) ليست بالأصل . وانظر ما سبق في التنبيه الأول من ص ٤٢٣ .

(٢) الأشرط : الحرس ، مثله ما جاء في قول حسان (اللسان : شرط) :

في ندای بیض الوجوه کرام نهوا بعد هجته الأشرط

(٣) السماطين : مثنى سباط ، بالكسر ، وهو الصف من الناس .

(٤) ابن عمر هذا ، اسمه عبد الله بن عمر ، كما سبق في (١ : ٢٤٠) . وفيه وفيه

ثمار القلوب ٤٨٦ : « تركت له » . ورواية الوساطة ٢٩٩ : « لها » =

(أقوى درجات التَّشَمُّمِ)

وليس الذى يُحكى من صدق الحسِّ فى الشَّمِّ - عن بعض النَّاسِ ،
 عن النَّعام والسَّباع ، والفأر والذَّرِّ ، وضروبٍ من الحشرات - من شكل
 ما نطق^(١) به القرآن العظيم ، من شأن يعقوب ويوسف عليهما الصلاة والسلام
 حين يقول تعالى : ﴿ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَنْ تُفَنِّدُونِ .
 تَقَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴾ . وكان هذا من يعقوب بعد أن قال
 يوسف : ﴿ أَذْهَبُوا بِقَبِيصِى هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَيْ يَأْتِ بِصِيرًا وَأَتُونِى
 بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ . ولذلك قال : ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى
 لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴾ ، ثم قال : ﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ
 أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ﴾ .

وإنما هذا علامة ظهرت له خاصة ؛ إذ كان النَّاسُ لا يشتمُّون
 أرواح أولادهم^(٢) إذا تباعدوا عن أنوفهم ، وما فى طاقة الحصان الذى يجد
 ريحَ الحِجَرِ ممَّا يجوز الغاوتين والثلاث^(٣) . فكيف يجد الإنسان وهو
 بالشَّام ريحَ ابنه فى قبضه ، ساعة فصلَ من أرض مصر ؟ ! ولذلك قال :
 ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّى أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

= والثناء ، بتقديم المثلثة : ما تصف به الإنسان من مدح أو ذم ، وخص به بعضهم

المدح ، ورواية الوساطة وثمار القلوب : « الجورب المتنزق » .

(١) كذا فى س : وفى ط ، هـ : « ما نطق » .

(٢) الأرواح ، هنا : جمع ريح ، بالكسر ، وهى بمعنى الرائحة .

(٣) أى ولا يشتمون ما فى طاقة الحصان . . الخ . والحجر ، بالكسر : أنثى الخيل .

يجوز : يزيد . والغاوة ، بالفتح : قدر رمية بسهم ، وانظر ما سبق من الكلام على تشمُّم

الحصان فى ٤٠٢ وكذا (٢ : ١٤١) .

(بعض المجاعات)

وقد غَبَرَ موسى وهو يَسِيرُ أَرْبَعِينَ عَاماً^(١) ، لا يذوق ذَوَاقاً^(٢) . وجاع أهل المدينة في تلك الحُطْمَةِ^(٣) ، حتى كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يشدُّون الحَجَرَ على بُطُونِهِمْ ، من الجُوع والجَهْد . وكان النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ - يقول : « إِنِّي لَسْتُ كَأَحَدِكُمْ ، إِنِّي أَبَيْتُ عِنْدَ رَبِّي ، يُطْعِمَنِي وَيَسْقِيَنِي » .

(حِجَابُ فِي ذَبْحِ الْحَيَوَانِ وَقَتْلِهِ)

وَرَجَالٌ مِمَّنْ يَنْتَحِلِ الْإِسْلَامَ ، يُظْهِرُونَ التَّقَدُّرَ مِنَ الصَّيْدِ ، وَيَرَوْنَ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْقَسْوَةِ . وَإِنَّ أَصْحَابَ الصَّيْدِ لَتُؤَدِّيهِمُ الضَّرَاوَةُ الَّتِي اعْتَرَتْهُمْ

(١) غبر : مكث . س . هـ : « وهو يسرى » . والوجه ما أثبت من ط . والسرى لا يكون إلا بالليل . و « عاما » صوابه « يوما » . انظر الاستدراكات .

(٢) الذواق ، بالفتح : المأكول والمشروب . وفي الحديث : « لم يكن يلذ ذواقا » . فعال بمعنى مفعول من الذوق ، يقع على المصدر والاسم . وما ذقت ذواقا : أى شيئاً .

(٣) الحطمة ، بالفتح والضم : الجذب والسنة الشديدة ، كأنها تحطم كل شيء . وكان النبي صلى الله عليه وسلم ، قد دعا على مضر فقال : « اللهم اشدد وطأتك على مضر وابعث عليهم سنين كسفي يوسف » . فتتابع عليهم الجذوبة والقحط سبع سنين ، حتى أكلوا القند والعظام والملهز . فقال ذلك الجذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وبدعائه عوقبوا ، حتى شد وشد المسلمون على بطونهم الحجارة من الجوع . تأويل مختلف الحديث ٢٦٩ ، ٣١٨ والتجريد الصريح للزبيدي (١ : ٧١) وثمار القلوب ٣٧ . وفي صحيح البخاري : « فأخذتهم سنة حصت كل شيء » . عمدة القاري (٧ : ٢٧ - ٢٨) . وقد كان هذا الأمر في مكة قبل الهجرة ، لا في المدينة كما ذكر الجاحظ . عمدة القاري (٧ : ٤٦ س ١٣) .

مِنْ طُرُوقِ الطَّيْرِ فِي الْأَوْكَارِ ، وَنَصَبَ الْحَبَائِلَ لِلطُّبَاءِ ، الَّتِي تَنْقُطِعُ عَنِ
الْحِشْفَانِ (١) حَتَّى تَمُوتَ كَهَزْلًا وَجُوعًا ، وَإِسْلَاءِ السَّبَاعِ عَلَى بَهَائِمِ الْوَحْشِ .
١٣٧ وَسَتْسَلِمُ (٢) أَهْلُهَا إِلَى الْقَسْوَةِ ، وَإِلَى التَّهَاؤُنِ بِدَمَاءِ النَّاسِ .

وَالرَّحْمَةُ شَكْلٌ وَاحِدٌ . وَمَنْ لَمْ يَرْحَمْ الْكَلْبَ لَمْ يَرْحَمْ الطَّيِّبَ ،
وَمَنْ لَمْ يَرْحَمْ الطَّيِّبَ لَمْ يَرْحَمْ الْجَدِي ، وَمَنْ لَمْ يَرْحَمْ الْعُصْفُورَ لَمْ يَرْحَمْ
الصَّبِيَّ . وَصَغَارُ الْأُمُورِ تَوْدِي إِلَى كِبَارِهَا .

وَلَيْسَ يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَتَهَاوَنَ بِشَيْءٍ مِمَّا يُوْدِي إِلَى الْقَسْوَةِ يَوْمًا مَّا .
وَأَكْثَرُ مَا سَمِعْتُ هَذَا الْبَابَ ، مِنْ نَاسٍ مِنَ الصُّوفِيَّةِ ، وَمِنَ النَّصَارَى ؛
لِمُضَاهَاةِ النَّصَارَى سَبِيلَ الزَّنَادِقَةِ ، فِي رَفْضِ الذَّبَائِحِ ، وَالْبُغْضِ لِإِرَاقَةِ
الدِّمَاءِ ، وَالزُّهْدِ فِي أَكْلِ اللَّحْمَانِ .

وَقَدْ - كَانَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ - عَلَى الزَّنْدِيقِ أَلَّا يَأْتِيَ ذَلِكَ فِي سَبَاعِ الطَّيْرِ ،
وَذَوَاتِ الْأَرْبَعِ مِنَ السَّبَاعِ . فَأَمَّا قَتْلُ الْحَيَّةِ وَالْعَقْرَبِ ، فَمَا كَانَ يَنْبَغِي لَهُمْ
الْبَيْتَةُ أَنْ يَقْفُوا فِي قَتْلِهِمَا طَرَفَةَ عَيْنٍ ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ لَا تَخْلُو مَنْ أَنْ تَكُونَ
شَرًّا صِرْفًا ، أَوْ يَكُونَ مَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ مَغْمُورًا بِمَا فِيهَا مِنَ الشَّرِّ . وَالشَّرُّ شَيْطَانٌ
وَالظُّلْمَةُ عَدُوُّ النُّورِ . فَاسْتَحْيَاءُ الظُّلْمَةِ وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَى إِمَاتَتِهَا ، لَا يَكُونُ
مِنْ عَمَلِ النُّورِ . بَلْ قَدْ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ رَحْمَةُ النُّورِ لَجَمِيعِ الْخَلَائِقِ وَالذَّاسِ ،
إِلَى اسْتِنْقَاذِهِمَا مِنْ شُرُورِ الظُّلْمَةِ .

(١) الْحِشْفَانُ : جَمْعُ غَرِيبٍ لِلْحِشْفِ ، بِتَثْنِيتِ الْخَاءِ ، وَهُوَ وَلَدُ الظُّبْيَةِ عِنْدَ مَا يَتَحَرَّكُ
لِلْمَشْيِ . وَلَمْ أَرِ هَذَا الْجَمْعَ فِي مَعْجَمٍ ، وَجَمْعُهُ فِي اللِّسَانِ وَالْقَامُوسِ عَلَى « خَشْفَةٍ » .
بِكَمْرِ فَفَتْحَ .

(٢) أَيْ ، وَسَتَسَلِمُ الضَّرَاوَةَ . فِي الْأَصْلِ : « سَتَسَلِمَ » بِدُونِ وَاوٍ . وَالْمُرَادُ بِالسَّبَاعِ هُنَا الْحَيَوَانَ
الْمَفْتَرَسَ مِنَ الْوَحْشِ وَالطَّيْرِ ، كَالْكَلَابِ وَالْفُهُودِ وَالْبَزَاةِ .

وكما ينبغي أن يكون حسناً في العقل استحياء النور والعمل في تخليصه والدفع عنه - فكذلك ينبغي أن يكون قتل الظلمة وإماتتها ، والعون على إهلاكها ، وتوهين أمرها - حسناً .

والبهيمة التي يرون أن يدفعوا عنها أيضاً مزوجة (١) ، إلا أن (٢) شرها أقل . فهم إذا استبقوها فقد استبقوا الشرور المخالطة لها .

فإن زعموا أن ذلك إنما جاز لهم ؛ لأن الأغلب على طباعها النور فليغتفروا في هذا الموضع إدخال الأذى على قليل مافيها من أجزاء الشر (٣) كما اغتفروا مافي إدخال الروح والسرور (٤) على مافي البهيمة من أجزاء الظلمة لدفعهم عن البهيمة ؛ إذ كان أكثر أجزائها من النور .

وإنما ذكرت ما ذكرت ؛ لأنهم قالوا : الدليل على أن الذي أتم فيه ، من أكل الحيوان كل يوم من (٥) الذبائح ، مكروه عند الله ، أنك لم تروا قط ذباحي (٦) الحيوان ولا قتالي (٧) الإنسان ، ولا الذين لا يقتاتون إلا اللحمان يفلحون (٨) أبدا . ويستغنون (٩) ؛ كندحو صيادي السمك وصيادي الوحش (١٠) وأصناف الجزارين والقصابين ، والشوائب والطهائين

(١) أى مزوج فيها الخير بالشر .

(٢) س : « لأن » ، صوابه في ط ، ه .

(٣) في الأصل : « الخير » ، والصواب عكسه ، كما يقتضى الكلام .

(٤) الروح ، بالفتح : الرحمة . و « السرور » هى في أصلها « الشرور » مصحفة .

(٥) ط : ه : « ومن » . والوجه حذف الواو كما في س .

(٦) ه : « ذبائح » محرفة . ط : « ذابح » وأثبت ما في س لملائته نسج الكلام .

(٧) ط فقط : « قتال » .

(٨) س ، ه : « لا يفلحون » . والوجه إسقاط « لا » كما في ط .

(٩) في الأصل : « ولا يستغنون » .

(١٠) جاءت كلمة « صياد » في الموضعين : « صيادى » بحذف الياء الآخرة . والوجه إثباتها .

والفَهَّادِينَ^(١) والبيازرة^(٢) والصَّقَّارِينَ والكلابِينَ ، لا ترى أحداً منهم صار إلى غِنًى ويُسْرٍ ، ولا تراه أبداً إلا فقيراً مُحَارَفاً^(٣) ، وعلى حالٍ مشبهةٍ بحاله الأولى .

وكذلك الجلَّادون ، ومن يضربُ الأعناق بين يَدَيِ المُلوك . وكذلك ١٣٨ أصحابُ الاستخراج^(٤) والعذابِ ، وإن أصابوا الإصابات ، وجميع أهل هذه الأصناف .

نَعَمْ وَحَتَّى تَرَى بَعْضَهُمْ وَإِنْ خَرَجَ نَادِرًا خَارِجِيًّا ، وَنَالَ مِنْهُمْ ثُرُوءٌ وَجَاهًا وَسُلْطَانًا ، فَإِمَّا أَنْ يُقْتَلَ ، وَإِمَّا أَنْ يُغْتَصَبَ^(٥) نَفْسُهُ بِمِيتَةٍ عَاجِلَةٍ ، عِنْدَ سُرُورِهِ بِالثَّرْوَةِ ، أَوْ يَبْعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْحَقَّ^(٦) فَلَا يَنْمُو لَهُ شَيْءٌ ، وَإِمَّا أَنْ يَجْعَلَ مِنْ نَسْلِهِمْ عَقِبًا مَذْكُورًا ، وَلَا ذِكْرًا نَبِيًّا وَذُرِّيَّةً طَيِّبَةً مِثْلَ الْحَجَّاجِ بْنِ يَوْسُفَ ، وَأَبِي مُسْلَمٍ^(٧) ، وَيزِيدِ بْنِ أَبِي

(١) الفهاد : الذى يصطاد بالفهد ، ذاك الحيوان .

(٢) البيازرة : بتقديم الزاى : جمع يزار . وبيزار : معرب بازيار ، الفارسية ، وهو القائم بأمر البازى . انظر الصحاح واللسان . ط : « البيازة » ه : « البيازرة » س : « البيازرة » ، محرفات عما أثبت . وقد جاءت على الصواب فى ص ٤٣٥ .

(٣) المحارف ، بفتح الراء : المحدود المحروم .

(٤) انظر للاستخراج ، وهو استصفاء أموال المختلسين ، حواشى البيان ٢ : ٤٣ ، ١٦٦ .

(٥) ط ، ه : « يغصب » ، وأثبت ما فى س .

(٦) الحق ، بالفتح : النقصان ، وذهاب البركة . س : « المحو » .

(٧) يعنى أباه مسلم الخراسانى . وهو عبد الرحمن بن مسلم ، القائد المشهور ، الذى قام بتأسيس الدولة العباسية ، توفى سنة ١٣٧ وله من العمر سبع وثلاثون سنة . قتله أبوجعفر المنصور .

مسلم^(١) ومثل أبي الوعد^(٢) ، ومثل رجالٍ ذكروهم لانحِبُّ أن نسَمِيهم .
 قال : فَإِنَّ هَؤُلَاءَ مَعَ كَثْرَةِ الطَّرِيقَةِ^(٣) وظُهُورِ الْقُدْرَةِ ، مَعَ كَثْرَةِ
 الْأَنْسَالِ ، قَدْ قَبِحَ اللَّهُ أَمْرَهُمْ ، وَأُنْحَلَّ أَوْلَادُهُمْ . فَهَمُ بَيْنَ مَنْ لَمْ يُعْقِبْ ،
 أَوْ بَيْنَ مَنْ هُوَ فِي مَعْنَى مَنْ لَمْ يُعْقِبْ .
 فَقُلْتُ لِلنَّصَارَى بَدِيًّا : كَيْفَ كَانَ النَّاسُ أَيَّامَ الْحُكْمِ بِمَا فِي التَّوْرَةِ :
 أَيَّامَ^(٤) مُوسَى وَدَاوُدَ ، وَهُمَا صَاحِبَا حُرُوبٍ وَقَتْلٍ ، وَسِبَاءٍ وَذَبَائِحَ ؟ ! نَعَمْ .
 حَتَّى كَانَ الْقُرْبَانُ كُلُّهُ أَوْ عَامَّتُهُ حَيَوَانًا مَذْبُوحًا ، لِذَلِكَ سَمَّيْتُمْ بَيْتَ الْمَذْبُوحِ .
 وَلَسْنَا نَسْأَلُكُمْ عَنْ سِيرَةِ النَّصَارَى الْيَوْمَ ، وَلَكِنَّا نَسْأَلُكُمْ عَنْ دِينِ
 مُوسَى وَحُكْمِ التَّوْرَةِ ، وَحُكْمِ صَاحِبِ الزُّبُورِ . وَمَا زَالُوا عِنْدَكُمْ إِلَى أَنْ
 أَنْكَرُوا رَبُّوبِيَّةَ الْمَسِيحِ ، عَلَى أَكْثَرِ مَنْ حَالِنَا الْيَوْمَ فِي الذَّبَائِحِ .
 وَأَنْتُمْ فِي كَثِيرٍ مِنْ حَالَاتِكُمْ تَغْلُونَ عَلَيْنَا السَّمَكَ حَتَّى نَتَوَخَّى أَيَّامًا
 بِأَعْيَانِهَا ، فَلَا نَشْتَرِي السَّمَكَ إِلَّا فِيهَا ؛ طَلِبًا لِلإِمْكَانِ وَالِاسْتِرْخَاصِ
 وَهِيَ يَوْمُ الْخَمِيسِ ، وَيَوْمُ السَّبْتِ وَيَوْمُ الثَّلَاثَاءِ ؛ لِأَنَّ شِرَاءَكُمْ فِي ذَلِكَ

(١) يزيد بن أبي مسلم ، هو يزيد بن دينار الثقفي ، كان مولى الحجاج بن يوسف وكتبه ،
 ولما حضرت الحجاج الوفاة استخلفه على الخراج بالعراق ، فلما مات أقره الوليد بن
 عبد الملك . وقال الوليد في شأنه : « مثل ومثل الحجاج وابن أبي مسلم ، كرجل ضاع منه
 درهم فوجد ديناراً ! » . قتل يزيد سنة ١٠٢ . وفيات الأعيان (٢ : ٢٧٦ - ٢٧٧) .
 وفي س ، ط : « يزيد بن مسلم » . هـ : « زيد بن مسلم » ، صوابهما ما أثبت . وسيأتي .
 على الصواب في ص ٤٣٥ - ٤٣٦ .

(٢) كذا جاء . ولم أجد له تعريفاً .

(٣) الطروقة ، بالفتح : المرأة ، والزوجة .

(٤) س : « وأيام » .

«الْيَوْمَ يَقِيلُ . عَلَى أَنْكُمْ تُكْثِرُونَ مِنَ الذَّبَائِحِ فِي أَيَّامِ الْفِصْحِ» (١) وَهَلْ تَدْعُونَ أَكْلَ الْحَيَوَانِ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً ، وَسَاعَاتٍ مَعْلُومَةً ؟ !

فَإِذَا كَانَتِ الْحِرْفَةُ وَالْمَحَنُ إِنَّمَا لَزِمَا الْقَصَّابِينَ وَالْجَزَّارِينَ وَالشَّوَّائِينَ ، وَأَصْنَافَ الصَّيَّادِينَ ، مِنْ جِهَةِ الْعُقُوبَةِ — فَأَنْتُمْ شُرَكَاءُ صَيَّادِي السَّمَكِ خَاصَّةً ؛ لِأَنَّكُمْ آكَلُ الْخَلْقِ لَهُ ، وَأَنْتُمْ أَيْضاً شُرَكَاءُ الْقَصَّابِينَ فِي عَامَّةِ الدَّهْرِ . فَلَا أَنْتُمْ تَدِينُونَ لِلْإِسْلَامِ فَتَعْرِفُوا مَا عَلَيْكُمْ وَلَكُمْ ، وَفَصْلُ (٢) مَا بَيْنَ الرَّحْمَةِ وَالْقَسْوَةِ ، وَمَا الرَّحْمَةُ ، وَفِي أَيِّ مَوْضِعٍ يَكُونُ ذَلِكَ الْقَتْلُ بِرَحْمَةٍ ؟ فَقَدْ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ قَتْلَ الْبَغْضِ إِحْيَاءٌ لِلْجَمِيعِ ، وَأَنَّ إِصْلَاحَ النَّاسِ فِي إِقَامَةِ جَزَاءِ الْحَسَنَةِ وَالسَّيِّئَةِ . ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ (٣) . وَالْقَوْدُ حَيَاةٌ . وَهَذَا شَيْءٌ تَعْمَلُ بِهِ الْأُمَمُ كُلُّهَا ، غَيْرَ الزَّانِدِ قَةً : وَالزَّانِدِ قَةً لَمْ تَكُنْ قَطُّ أُمَّةً ، وَلَا كَانَ لَهَا مُلْكٌ وَمَمْلَكَةٌ ، وَلَمْ تَزَلْ بَيْنَ مَقْتُولٍ وَهَارِبٍ وَمُنَافِقٍ . فَلَا أَنْتُمْ زَنَادِقَةٌ . وَلَا يَنْكَرُ لِمَنْ كَانَ ذَلِكَ مَذْهَبُهُ أَنْ يَقُولَ هَذَا الْقَوْلَ .

فَأَنْتُمْ لَادَهْرِيَّةٌ (٤) ، وَلَا زَنَادِقَةٌ ، وَلَا مُسْلِمُونَ ؛ وَلَا أَنْتُمْ رَاضُونَ بِحُكْمِ اللَّهِ أَيَّامَ التَّوْرَةِ .

فَإِنْ كَانَ هَذَا الْحُكْمُ قَدْ أَمَرَ اللَّهُ بِهِ — وَهُوَ عَدْلٌ — فَلَيْسَ بَيْنَ الزَّمَانَيْنِ فَرْقٌ .

(١) الفصح ، بالكسر : عيد للتصاري . انظر القاموس وبلوغ الأرب . (١ : ٣٥٧)

والتنبية والإشراف ١٠٨ ، ١٢٣ والاستدراكات .

(٢) فصل : أي فرق . في الأصل : « فضل » ، وهو تصحيف يتكرر .

(٣) هـ : « ولكم في القصاص » . وهو مهو من الكتاب .

(٤) سبق شرح هذه الكلمة في ص ٧٩ — ٨٠ .

وَبَعْدُ فَإِنَّا نَجِدُكُمْ تَأْكُلُونَ السَّمَكَ أَكْلًا ذَرِيعًا ، وتنفذرون من
الأنحان ! أفلا تَنَ السَّمَك لا يَأْلُمُ الْقَتْلَ ، أم لَأَنَّ السَّمَكَ لَمَّا قَتَلْتُمُوهُ بَلَ سَيِّئِينَ
لَمْ يُحْسَ (١) قَتْلُهُ ؟ ! فالجميع حيوانٌ ، وكلُّ مقتول يَأْلُمُ ، وكلُّ يُحْسَ .
فكيف صار أَكْلُ اللَّحْمِ قَسْوَةً ، وَأَكْلُ السَّمَكِ لَيْسَ بِقَسْوَةٍ ؟ ! .
وكيف صار ذَبْحُ البهائمِ قَسْوَةً ، ولا تكون تفرقة ما بين السَّمَكِ والماءِ حَتَّى
تَمُوتَ (٢) قَسْوَةً ! وكيف صار ذَبْحُ الشَّاةِ قَسْوَةً وصيدُ السمكِ بالسَّنانيرِ
الْمَذْرَبَةِ الْمُعَقَّفَةِ (٣) لَيْسَ لَهَا شعائرٌ تخالف العقافِ المنصوص (٤) في جهاتها .
وكيف وهى وإن لم تنشَبْ في أجوافها ، وتَقْبِضَ على مجامع أرواحها ، لم تقلِزْ
على أخذها ؟ !

وكيف صار وَجْهُ اللَّبَّةِ (٥) من الجزور أقسى من ضَرْبِ النَّبَائِلِ (٦) ؟ !
أم كيف صار طَعْنُ الْعَيْرِ (٧) بِالرُّمَحِ ، ونصبُ الحبال للظُّبَاءِ ، وإرسالُ
الْكِلَابِ عَلَيْهَا أَشَدُّ مِنْ وَقْعِ النَّبَائِلِ (٨) فِي ظَهْرِ السَّمَكِ ؟ !

(١) ط : « يحسن » ، صوابه في س ، ه .

(٢) المراد بالفرقة الصيد . تموت : أى تموت السمك . س فقط : « يموت » بالياء .
وكل جائز .

(٣) المذربة : المحددة . والمعقفة : الملوقة .

(٤) كذا جاءت العبارة محرفة في الأصل . بيد أنه في ط : « المقاب » مكان
« العقاف » .

(٥) وجه اللبّة : طعنها بالسكّ . واللبّة : بالفتح : المنحر ، أى موضع النحر . س ،
ه : « وحاء » ، ولم أجد هذه إلا بمعنى لا يلائم هذا الموضع . ط : « و جا » محرفة .
ط : « اللبّة » ، صوابها في س ، ه .

(٦) كذا في ط ، ه . وفي س : « النبال » بهذا الإهمال .

(٧) العير ، بالفتح : الحمار الوحشى .

(٨) كذا . ولعلها : « النبال » : جمع نبل ، بمعنى المنهام .

ولأنكم تكثرون قولكم : لا نأكل شيئاً فيه دمٌ أيام صومنا ،
فلسّمك دمٌ ، ولا بدّ لجميع الحيوان من دمٍ أو شيءٍ يشاكل الدّم ، فما وجهُ
اعتلالكم بالدّم ؟! الآن^(١) كلّ شيءٍ فيه دمٌ فهو أشدُّ ألماً ؟ فكيف نعلم ذلك ؟
وما^(٢) الدليلُ عليه ؟

فإن زعمتم أن ذلك داخلٌ في باب التعبدِ والمصلحة ، لا في باب
القياسِ والرحمةِ والقسوة ، فهذا باب آخر . إلّا أن تدّعوا أن ذوات الدّماء^(٣)
أقوى للأبدان ، وآثر^(٤) للنفوس ، فأردتم بذلك قلة الأثرِ وضعفَ البدن .
فإن كان ذلك كذلك فقد ينبغي أن يكونَ هذا المعنى مستتباً في آكلِ السمكِ
من البحرين^(٥)

وأما ما ذكرتم من ملازمة الحرفة لهؤلاء الأصناف ، فإن كلّ من
نزلت صناعته ، ودقّ خطرُ تجارتِه ، كذلك سبيله .

وأحلّ الكسب كلّهُ وأطيبهُ عندَ جميعِ الناسِ سقَى الماء ، إمّا على
الظهر ، وإمّا على دابةٍ . ولم أرَ سقاءً قطُّ بلغَ حالَ اليسارِ والثروة . وكذلك
ضربُ اللَّبَنِ ، والطّيّانُ والحراثُ . وكذلك ما صغّرَ من التّجاراتِ
والصناعاتِ .

ألا ترون أن الأموالَ كثيراً ما تكونُ عندَ الكتاب ، وعندَ أصحابِ
الجوهرِ ، وعندَ أصحابِ الوشيِ والأنماطِ^(٦) ، وعندَ الصيّافِ

(١) في الأصل : « ألا أن » .

(٢) في الأصل : « وأما » .

(٣) يعني بذوات الدماء : ماسوى السمك . وفي الأصل : « دواب الماء » .

(٤) آثر : أفل من الأثر بالتحريك ، وهو المرح والنشاط . في الأصل : « أمر » .
وانظر السياق .

(٥) في الأصل : « في أكل السمك من البحرين » ، محرفة .

(٦) الأنماط : ضرب من البسط .

والحنّاطين^(١) ، وعند البحريّين والبصريّين^(٢) . والجلابُ أبدا^(٣) ، والبيازرة^(٤) أيسرُ بمن يبتاع منهم .

وجملُ الأموالِ حقٌّ^(٥) بأن تريحَ الجملَ من تفريقِ الأموال . وكذلك سبيلُ القصابِ والجزّار ، والشوّاء ، والبازيار^(٦) ، والفهاد .

وأما ما ذكرتم من انقطاعِ نسلِ القساة ، وخمول^(٧) أولادهم ، كانقطاعِ نسلِ فرعون ، وهامان ، ونمرود^(٨) ، ومُخت نصر^(٩) ، وأشباههم ، فإن الله يقول : ﴿ وَلَا تَزِرْ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ .

١٤٠

وإن شئتم أن تعدّوا من المذكورين بالصّلاح أكثرَ من هؤلاء بمن كان عقيماً أو كان ميتاً^(١٠) ، أو يكون بمن نبت لهم أولاد سوء عقوهم في حياتهم ، وعرضوهم للسبِّ بعد موتهم - لو جدتموهم .

وعلى أنى لم أنصبَ نفسي حرباً للحجاج^(١١) بن يوسف ، ويزيد

(١) الحنّاط : بائع الحنطة ، وهى بالكسر : البر .

(٢) كذا .

(٣) المراد بالجلاب : من يجلبون للرقيق والعبيد لتجارة فيها . و « أبدا » كذا في الأصل ، وقد تكون صحيحة . أو لعلها « أئرى » من التراء ، وهو الغنى واليسر .

(٤) سبق الكلام على البيازرة في ص ٤٣٠ .

(٥) هى صحيحة . يقال : هو حق بكذا ، أى جدير به . انظر القاموس .

(٦) البازيار : من يتمهد البازى ويمتنى به . وفي الأصل : « البازياز » مصحفة .

(٧) الكلام من مبدل : « وجملُ الأموالِ حق » إلى هنا ، ساقط من هـ .

(٨) نمرود ، بالضم : جبار من الجبابرة ، ظهر لإبراهيم عليه السلام في زمنه . وانظر الاستدراكات .

(٩) هو ذاك الطاغية المشهور الذى خرب بيت المقدس . ولى ملك بابل سنة ٦٠٦ قبل الميلاد .

(١٠) كذا بالياء ، وأصلها الهمز ، والمتنّاث : من لا يولد له إلا الإناث .

(١١) الحرب : المحارب . ولعله يريد بذلك : مدافعاً عن الحاجج ، وانظر ما سبق في ٤٣٠ .

ابن أبي مسلم ^(١) ، أتخرى بهما ^(٢) ، وهما عندي من أهل النار . ولكي عرفتم مغزاكم .

وعلى أنكم ليس القصاصين أردتم ، ولكيكن أردتم دين المسلمين .

وقد خرج الحجاج من الدنيا سليماً في بدنه ، وظاهر نعمته ، وعلى مرتبته من الملك ، ومكانه من جواز الأمر والنهي ^(٣) .

فإن كان الله عندكم سلمه وعاقب أولاده ، وكان ذلك دينكم فإن هذا قول إن خاطبتم به الجبرية ^(٤) فعسى أن تعلقوا منهم بسبب ، فأما من صحح القول بالعدل ^(٥) فإن هذا القول عنده من الخطأ الفاحش الذي لا شبهة فيه .

(شعر في القانص وفقره)

وكان مما أنشدوا من الدليل على أن القانص لا يزال فقيراً — قول ذى الرمة :

(١) سبقت ترجمته في ص ٤٣١ .

(٢) كذا بالأصل . ولعله : « أتحدى بهما » ، فيكون مراده أنهما لا يصلحان لأن يتحدى بهما ، أو يدافع عنهما .

(٣) جواز الأمر والنهي : نفوذهما .

(٤) الجبر ، هو نفي الفعل حقيقة عن العبد ، وإضافته إلى الرب تعالى . والجبرية أصناف . فالجبرية الخالصة هي التي لا تثبت للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل أصلا . والجبرية المتوسطة التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة . فأما من أثبت للقدرة الحادثة أثرأ ما في الفعل ، وسمى ذلك كسباً ، فليس بجبري . والمعتزلة يسمون من لم يثبت للقدرة الحادثة في الإبداع والإحداث استقلالاً — جبرياً . الملل والنحل

(١ : ١٠٨) .

(٥) يعني المعتزلة ، وهم يسمون أهل العدل . يقولون : إن الله منزه أن يضاف إليه =

حَتَّى إِذَا مَالَهَا فِي الْجَدْرِ وَاتَّخَذَتْ شَمْسُ النَّهَارِ شُعَاعاً بَيْنَهَا طِيبٌ^(١)
 وَلَا حَ أَزْهَرُ مَشْهُورٌ بِنُقْبَتِهِ كَأَنَّهُ حِينَ يَغْلُو عَاقِرًا لَهَبٌ^(٢)
 هَاجَتْ بِهِ جَوْعٌ طَلَسَ مُحْصَرَةً شَوَازِبُ لَاحِهَا التَّقْرِيبِ وَالْحَبِيبِ^(٣)
 جَرْدٌ مُهَرَّتَةٌ الْأَشْدَاقِ ضَارِيَةً مِثْلُ السَّرَاحِينِ فِي أَعْنَاقِهَا الْعَذْبُ^(٤)

= شر وظلم ، وفعل هو كفر ومعصية ؛ لأنه لو خلق الظلم كان ظالماً ، كما لو خلق العدل كان عادلاً . الملل والنحل (١ : ٥٦) .

(١) لها : غفل . يعنى ثورا وحشياً . والجدر ، بالفتح : نبت رمل . والشعاع ، بالضم : ضوء الشمس الذى تراه عند ذرونها كأنه الحبال أو القضبان مقبلة عليك . والطيب ، كعنب : جمع طبة ، بالكسر ، وهى الطريقة من طرائق الشعاع . وأصل الطبة السير الذى يخرز به . س : « إذا راها » ه : « إذا نأها » ، محرفتان صوابهما فى ط والديوان ٢٣ ، وجمهرة أشعار العرب ١٨٣ ، واللسان (طيب) . س ، ه « فى الجدر واتحدت » تصحيحه من الديوان واللسان . وفى اللسان : « واتحدت » محرفة . ط والجمهرة : « بالجدر » وهى صحيحة . س ، ط : « قب » ه : « طن » ، صوابهما فى الديوان والجمهرة واللسان .

(٢) لاح : ظهر ، وأشرق . س ، ه : « ناب » محرفة . وأثبت ما فى ط والديوان وجمهرة أشعار العرب واللسان (نقب) . والأزهر : الأبيض . وأراد به الصبح . والنقبة ، بالضم : اللون . فى الجمهرة : « معروف بنقته » . يعلو عاقراً : أى يرتفع فى رملة لا تنبت شيئاً ، شبهت بالعاقرة من الناس : الرجل والمرأة اللذين لا يلدان . وقد شبه الصبح بلهب النار . جاء فى جمهرة أشعار العرب : « منهم من يقول إنه يعنى الفجر ، ومن يقول إنه يعنى به الثور » .

قلت : ممن جعله يعنى الثور صاحب اللسان ، فإنه قال : « يصف ثوراً » .

(٣) يقول : أولحت بذاك الثور كلاب جائعة ، فى لونها غيرة إلى سواد ، قد ضمرت خواصراها . ط وجمهرة أشعار العرب : « هاجت به عوج » وفى الجمهرة والديوان : « زرق مخصرة » . والشازب ، بالزاي : الضامر اليابس . س : « شواذب » بالذال ، مصحفة . لاحها : هزها وغيرها . والتقريب والحبيب : ضربان من العدو . وفى الديوان : « التفريث والحبيب » . التفريث : التجويع . والجنب بالحريك : أن يشتد عطش الحيوان حتى تلتزق رفته بجنبه . وأصله فى الإبل .

(٤) جرد : جمع أجرد ، وهو القليل الشعر . وفى الديوان واللسان (عذب) : =

وَمُطْعَمُ الصَّيْدِ هَبَالٌ لِيُغَيِّتَهُ أَلْنَى أَبَاهُ بِذَاكَ الْكَسْبِ يَكْدَسُبُ^(١)
مَقْرَعٌ أَطْلَسُ الْأَطْمَارِ لَيْسَ لَهُ إِلَّا الضَّرَاءُ وَإِلَّا صَيْدَهَا نَشَبُ^(٢)
فَانصَاعَ جَانِبُهُ الْوَحْشَى وَانْكَدَرَتْ
يلحن لا يأتلى المطلوبُ والطلبُ^(٣)

قال : فجعله كما ترى مقزعاً أطلس الأطمار ، وخبر أن كلابه تشبه ،
وأنه ألقى أباه كذلك .
وأنشدوا في ذلك قول الآخر :

= « غضف » . مهرة الأشداق : واستها . والسراحين : الذئاب ، واحدا
سرحان ، بالكسر . والعذب : سيور تشد في أعناق الكلاب ، واحدا
عذبة ، بالتحريك .

﴿ ١ ﴾ مطعم الصيد : أى رجل طعمته وحرفته الاصطياد ، فهو مرزوق منه . ومطعم ، بضم الميم
وفتح العين ، قال امرؤ القيس :

مُطْعَمٌ لِلصَّيْدِ لَيْسَ لَهُ غَيْرَهَا كَسْبٌ عَلَى كِبَرِهِ

هبال ، من الاهتبال ، وهو سرعة الأخذ . والبغية ، بالضم : الطلبة . والطلبة
يفتح ، فكسر : ما يطلبه المرء . س ، هـ : « هناك لنقته » محرفة . وفي جمهرة
أشعار العرب : « هباش لبغيته » . ألقى أباه ، يقول : هو صائد ابن صائد ،
فذاك أمهر له .

﴿ ٢ ﴾ مقزع : خفيف الشعر . أطلس : أغبر . والأطمار : جمع طمر بالكسر ، وهو
الثوب الخلق البالى . والضراء ، بالكسر : جمع ضرو بالكسر أيضاً ، وهو
الضارى . عنى بها الكلاب . وصيدها : أى ما تصيده الكلاب من الوحش . والنشب ،
بالتحريك : المال .

﴿ ٣ ﴾ انصاع : ذاب سريعاً . جانبه : أى على جانبه . والجانب الوحشى : الأيمن من الدابة ،
وقيل الأيسر . انكدرت : أى انقضت . وضميره للكلاب . يلحن : يسلكن
طريقاً لاحقاً مهداً . أو يمررن مرأً سريعاً . لا يأتلى : أى لا يترك جهداً ولا يخفض من
جره . والمطلوب ، عنى به الثور . والطلب ، بالتحريك : جمع طالب ، وهو من
نادر الجمع . وقد أراد به الكلاب . س ، هـ : « واتصلت بحيث لا يابأ »
تحريف ما أثبت من ط والديوان وجمهرة أشعار للعرب ، واللسان (صوع ،
لحب ، طلب) .

وَأَعَصَمَ أَنْتَهُ النِّيْسَةُ نَفْسَهُ رَعَى النَّبْعَ وَالظَّيَّانَ فِي شَاهِقٍ وَغَرٍ (١)
 جَوَارِدُهُ قَلْتُ تَصَفَّقُهُ الصَّبَا بَنِيْقٍ مُزَلٍّ ، غَيْرُ كَذَرٍ وَلَا نَزَرٍ (٢)
 قَرَّتُهُ السَّحَابُ مَاءَهَا ، وَتَهَدَّلَتْ عَلَيْهِ غُصُونُ دَانِيَاتٍ مِنْ السَّمَرِ (٣)
 أَتِيَحَ لَهُ طَلْحُ إِزَاهُ بِكْفِهِ هَتُوفٌ وَأَشْبَاهُ تُخَيِّرُنَ مِنْ حَجَرٍ (٤)
 أَبُو صَبِيَّةٍ لَا يَسْتَدِرُّ إِذَا شَتَا لَقُوحًا ، وَلَا عَنَزًا ، وَلَيْسَ بِذِي وَفَرٍ (٥)

(١) أعصم : يعنى وعلا بإحدى يديه بياض . س : « وأعظم » مصحفة . أنته المنية نفسه ، أى أعماه قدر الموت عن الحذر . والنبع والظيان : من أشجار الجبال . وفى الأصل : « النبت والظيان » محرف .

(٢) القلت : نقرة فى الجبل تمسك الماء . تصفقه : تضربه . والصبا : ريح شرقية . والنيق ، بالكسر : أعلى موضع فى الجبل . مزل : تزلق عليه الأقدام ولا تثبت . س : « مزك » . وغير كذر ، صفة للقلب . وقد أسكن الدال للشعر .

(٣) تهملت : تدلت . والسمر : نبات ، وهو بضم الميم . وأسكنها للشعر .
 (٤) أتيج له : أى قدر . والطلح ، بالكسر : المعى . أراد صائداً . وإزاه : أى سبب عيشه . والإزاء ، بكسر الهمزة والمد ، وقصره للشعر . فى الأصل : « أذاه » مصحفة .
 والहतوف : القوس المرننة المصوتة . قال الشنفرى :

هتوف من الملس المتون يزينا رصائع قد نيطت إليها ومحمل

وقال الشماخ :

هتوف إذا ما جامع الطبى سهمها وإن ريع منها أسلمته النوافر
 ط ، س : « خنوف » ه : « حتوف » صوابها ما أثبت . وأشباه :
 أى سهام متشابهة طبعت على غرار واحد . وحجر ، بالفصح : قصبة النيام ،
 ينسب إليها السهام وال اتصال ، قال الراعى :

بَوْخَى حَيْثُ قَالَ الْقَلْبُ مِنْهُ بِحَجَرٍ تَرَى فِيهِ اضْطِمَارًا

أى نصل منسوب إلى حجر . أبو حنيفة : « وحادث حجر مقسمة فى الجودة » .

وقال رؤبة :

حَيَّ إِذَا تَوَقَّدَتْ مِنَ الزَّرَقِ حَجَرِيَّةٌ كَالْجَمْرِ مِنْ سَنِّ الدَّلَقِ

(٥) يقول : له صبية ، فهو يسمى جاهدًا ليحصل على ما يقوتهم به من صيد . والقوح =

- ١٤١ لَهُ زَوْجَةٌ شَطَاءٌ يَدْرُجُ حَوْلَهَا فَطِيمٌ تَنَاجِيهِ ، وَآخَرُ فِي الْحِجْرِ (١)
 مُشَوِّهَةٌ لَمْ تَعْبَ طَيِّبًا وَلَمْ تَبْتَ تَقْتَرِ هِنْدِيًّا بَلِيلٍ عَلَى بَحْمَرٍ (٢)
 مُحَدَّدَةٌ الْعُرْقُوبِ ثَلَمَ نَابَهَا تَعْرِقُهَا الْأَوْذَارُ مِنْ فَقَرِ الْحَمْرِ (٣)
 مُسَفَّعَةُ الْحَدَيْنِ ، سَوَّدَ دِرْعَهَا تَقْدُرُهَا بِاللَّيْلِ ، وَالْأَخْذَ بِالْقِدْرِ (٤)
 كَغُولِ الْفَلَاحَةِ لَمْ تَخْضِبْ بَنَانَهَا وَلَمْ تَدْرِ مَا زِيَّ الْخِرَائِدِ بِالْمَصْرِ (٥)
 فَأَرْسَلَ سَهْمًا أَرْهَفَ الْقَيْنُ حَدَّهُ فَأَنْفَذَ حِصْنِيهِ فَخَرَّ عَلَى النَّحْرِ (٦)

= بالفتح : الناقة الخلوب . يقول : ليس له لقوح فيستدرها . واختار الشفاء لما أنه وقت المجاهدة والعسر عندهم . وإنما يخضبون في الربيع . ط : « يسعدوا » صوابه في س ، هـ الوفر ، بالفتح : الغنى .
 (١) أحمق حجرها . والشطاء : التي يخالط سواد شعرها بياض . وهو يصور بذلك كثرة عيال للصائد .

(٢) لم تعب طيباً : لم تهينه ولم تخلطه . يقال عبأ الطيب يعبؤه ، من باب منع : صنعه وخلطه . فأصله الهمز كما رأيت ، فلما سهلها بالألف ، مايله كالعتل . والهندي : أراد به العود الهندي الذي يتبخر به . والتقتير : تهيج القطار ، وهو بالضم : ريح البخور .

(٣) العرقوب ، بالضم : عصب غليظ فوق عقب الرجل . ثلم نابها : كسر حرفه . والشرق : أكل ما على العظم من اللحم . والأوذار : القطع الصغيرة من اللحم . وفي الأصل : « الأوزار » صوابه بالذال كما أثبت . والفقر ، كعنب : جمع فقرة . بالكسر ، وهي الواحدة من عظام الصلب . هـ : « نفر » محرفة . والحمير ، أصله الحمير بضمين : جمع حمار . عني ما يصطاده زوجها من حر الوحش . وسكن الميم لضرورة الشعر .

(٤) مسفعة : مسودة . هـ : « مسفعة » محرفة . والدرع ، بالكسر : القميص . والتقدر ، مثل معناه الطبخ في القدر ، ولم يذكره صاحبنا اللسان والقاموس . وفي اللسان : « قدر القدر يقدرها ويقدرها قدراً » . واقتدر أيضاً بمعنى قدو . ط ، س : « تقدرها » ، وأثبت ما في هـ .

(٥) الزى ، بالكسر : الهيئة . والخرائد : جمع خريدة ، وهي البكر لم تمس ، أو الحفرة الطويلة السكوت ، الخافضة الصوت ، المستورة .

(٦) القين ، بالفتح : الحداد . أنفذ حصنيه : خرق جنبه . والحضن ، بالكسر : الجنب . والنحر ، بالفتح : أهل الصدر .

(مَسْأَلَةُ الْمَنَانِيَّةِ)

كان أبو إسحاق يسأل المَنَانِيَّةَ ^(١) ، عن مسألةٍ قَرِيبَةِ الْمَأْخَذِ قاطعة ، وكان يزعمُ أنها ليست له .

وذلك أَنَّ الْمَنَانِيَّةَ تَزْعُمُ أَنَّ الْعَالَمَ بِمَا فِيهِ ، من عشرةِ أَجْناسٍ : خمسةٌ منها خيرٌ ونورٌ ، وخمسةٌ منها شرٌّ وظلمةٌ . وكلُّها حَاسَّةٌ وَحَارَّةٌ .

وَأَنَّ الْإِنْسَانَ مَرْكَبٌ مِنْ جَمِيعِهَا عَلَى قَدَرِ مَا يَكُونُ فِي كُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ رُجْحَانٍ أَجْناسِ الْخَيْرِ عَلَى أَجْناسِ الشَّرِّ ، [وَرُجْحَانِ ^(٢)] أَجْناسِ الشَّرِّ عَلَى أَجْناسِ الْخَيْرِ .

وَأَنَّ الْإِنْسَانَ وَإِنْ كَانَ ذَا حَوَاسٍّ خَمْسَةٍ ^(٣) ، فَإِنَّ فِي كُلِّ حَاسَّةٍ مَتَوْنًا ^(٤) مِنْ ضِدِّهِ مِنَ الْأَجْناسِ الْخَمْسَةِ . فَتَمُتِي نَظَرَ الْإِنْسَانُ نَظْرَةَ رَحْمَةٍ فَتَلَكِ النَّظْرَةُ مِنَ النُّورِ ، وَمِنْ الْخَيْرِ . وَمَتَى نَظَرَ نَظْرَةَ وَعِيدٍ ، فَتَلَكِ النَّظْرَةُ مِنَ الظُّلْمَةِ . وَكَذَلِكَ جَمِيعُ الْحَوَاسِّ .

وَأَنَّ حَاسَّةَ السَّمْعِ جِنْسٌ عَلَى حِدَةٍ ، وَأَنَّ الَّذِي فِي حَاسَّةِ الْبَصَرِ مِنَ الْخَيْرِ وَالنُّورِ ، لَا يَعِينُ الَّذِي فِي حَاسَّةِ السَّمْعِ مِنَ الْخَيْرِ وَلَكِنَّهُ لَا يَضَادُّهُ ^(٥) ،

(١) الْمَنَانِيَّةُ : أَتْبَاعُ مَانِي . انظر ما سبق ص ٨١ . وقد أسهب القول ابن النديم في تفصيل مذهبه . الفهرست ٣٢٧ - ٣٣٧ ليسك ٤٥٦ - ٤٧٢ مصر .

(٢) ليست بالأصل . وبها يصلح الكلام .

(٣) في الأصل : « فاحتاج » . ووجه ما أثبت .

(٤) كذا . وهي صحيحة ؛ فإنَّ المعدود إذا وصف بالمعدود جاز في العدد المطابقة وعندها . الصبان ٤ : ٦١ .

(٥) كذا في الأصل .

(٦) ط ، هـ : « يضاره » بالراء . وأثبت ما في س .

ولا يُفاسِدُهُ ، ولا يَمْنَعُهُ . فهو لا يَعيَنُه ^(١) لكان الخِلافَ والجِنسَ ، ولا يَعيَنُ عليه ؛ لأنَّهُ ليسَ ضِدًّا .

وأنَّ أَجناسَ الشَّرِّ خِلافٌ لِأَجناسِ الشَّرِّ ، ضِدٌّ لِأَجناسِ الخَيْرِ . وَأَجناسَ الخَيْرِ يَخالفُ بَعْضُها بَعْضًا ولا يَضادُّ . وأنَّ التَّعاوَنَ والتَّادِي ^(٢) لا يَقَعُ بَينَ مُخْتَلِفِها ، ولا بَينَ مُتَضادِّها ^(٣) ، وإِنَّمَا يَقَعُ بَينَ مُتَّفِقِها .

قال : فيقال للمنائى : ما تقول فى رَجُلٍ قال لِرَجُلٍ : يا فلان ، هل رأيت فلانا ؟ فقال المسئول : نعم قد رأيته . أليس السامعُ قد أدَّى إلى الناظرِ ، والناظرُ قد أدَّى إلى الدَّائِى ؟ ! وإلَّا فَلِمَ قال اللسانُ نَعَمْ ! إلَّا وقد سَمِعَ للصَّوتِ صاحِبُ اللِّسانِ ؟ !

وهذه المسألة قصيرة كما ترى ، ولا حيلة له بأن يدفع قوله .

(مُسْأَلَةُ زَنْدِيقِ)

ومسألة أخرى ، سأل عنها أمير المؤمنين ^(٤) الزنديق الذى كان يكنى بأبى على ، وذلك عندما رأى من تطويل محمد بن الجهم ^(٥) وعجز العتبي ^(٦) وسوء فهم ^(٧) القاسم بن سيار ^(٨) ، فقال له المأمون : أسألك عن حرفين

(١) س : « يعينه » ومع إسقاط « لا » . ه : « لا يعينه » . وصوابها ما أثبت من ط .

(٢) التآدى : التعاون . وفى الأصل : « التآذى » ولا يستقيم به المعنى .

(٣) س ، ه : « متضادها » .

(٤) يعنى الخليفة « المأمون » كما سيأتى فى الكلام .

(٥) هو محمد بن الجهم البرمكى ، الذى أسلفت ترجمته فى (٢ : ٢٢٦) .

(٦) هو محمد بن عبد الله العتبي . وقد تقدمت ترجمته فى (١ : ٥٤) .

(٧) فى الأصل : « وسوقهم » وهو تحريف .

(٨) القاسم بن سيار ، ذكره الجاحظ فى الرسائل ٢٤ ساسى ، فيمن كانوا يغشون دار الخلافة . وأجرى له ذكراً فى ٢٦ ، ٢٧ من الرسائل .

فقط . خبرني : هل نديم مُسِيءٌ قَطُّ على إساءته ، أو نكون نحنُ لم نندمُ
على شيءٍ كان منّا قط ؟ ! قال : بل نديم كثيرٌ من المسيئين على إساءتهم . ١٤٢
قال : فخبّرني عن الندم على الإساءة ، إساءةٌ أو إحسان ؟ قال : إحسان .
قال : فالذي ندم هو الذي أساء أو غيره ؟ قال : الذي نديم هو الذي أساء .
قال : فأرى صاحب الخير هو صاحب الشر ، وقد بطل قولكم : إن الذي
ينظر نظراً الوعيد غير الذي ينظر نظراً الرحمة . قال : فإني أزعّم أن الذي
أساء غير الذي نديم : قال : فندم على شيءٍ كان منه أو على شيءٍ كان من
غيره ؟ فمقطعه ^(١) بمسألته ، ولم يتب ولم يرجع ، حتى مات ، وأصله الله
نار جهنم .

(شعر في هجو الزنادقة)

وقد ذكر حمادُ عجردُ ناساً في هجائه لعمارة ^(٢) ، فقال :

لو كنتُ زنديقاً ، عمارُ ، حبوتني أو كنتُ أعبدُ غيرَ ربِّ محمدٍ ^(٣)
أو كنتُ عندك أو تراك عرفتني كالنضر أو ألفتُ كابن المقعد ^(٤)
أو كابن حمادٍ ربيثة دينكم جبل وما جبل الغوى بمُرشدٍ ^(٥)
لكنني وحدث ربِّي مُخلصاً فجفوتني بغضاً لكلٍّ موحدٍ

(١) قطعه : أي غلبه بالحجة وأسكته .

(٢) في الأصل : « لبشار » ، ونص الشعر والتعقيب عليه ، يوجب ما أثبت .

(٣) عمار ، أي ياعمارة . وحذف جواب (كنت) الثانية لدلالة جواب الأولى .

(٤) هـ : « أو تراك عرفتني » .

(٥) الربينة : الطليعة ، وعين القوم . والغوى : الضال . ط ، هـ : « القوى »

ووجهه ما أثبت من س .

وَحَبَّوتْ مَنْ زَعَمَ السَّمَاءَ تَكُونَتْ

والأرضَ خالقتها لها لم يمهّد^(١)

والنَّسَمَ مِثْلَ الزَّرْعِ أَنْ حَصَادُهُ مِنْهُ الْحَصِيدُ وَمِنْهُ مَا لَمْ يُحْصَدِ^(٢)

وَحَمَادٌ هَذَا أَشْهَرُ بِالزَّنْدَقَةِ مِنْ عُمَارَةَ بْنِ حَرْبِيَّةِ^(٣) ، الَّذِي هَجَاهُ

بهذه الأبيات .

وَأَمَّا قَوْلُهُ :

وحبوت من زعم السماء تكونت (البيت)

فليس يقول أحدٌ : إِنَّ الْفَلَكَ بِمَا فِيهِ مِنَ التَّدْبِيرِ . تَكُونُ بِنَفْسِهِ

وَمِنْ نَفْسِهِ ! فَجَهْلٌ^(٤) حَمَادٍ بِهَذَا الْمَقْدَارِ مِنْ مَقَالَةِ الْقَوْمِ^(٥) ، كَأَنَّهُ عِنْدِي

مِمَّا يَعْرِفُهُ مِنْ بَرَاءَةِ السَّاحَةِ^(٦) . فَإِنْ كَانَ قَدْ أَجَابَهُمْ فَأَعْمَا هُوَ مِنْ

مَقْلُدِهِمْ .

(١) الأرض عطف على السماء .

(٢) أى : وحبوت من زعم النسم . . . الخ . والنسم ، بالتحريك : جمع نسمة ،

بالتحريك . والنسمة : الإنسان . وقد أسكن السين لضرورة الشعر . وفى الأصل :

« النعم » تحريف ما أثبت . وجاء فى الأغاني (١١ : ٧١) فى أثناء الحديث عن

عمارة بن حمزة ، الذى هو هنا : عمارة بن حربية : « وكان له نديم يعرف بمطيع

ابن إياس ، وكان زنديقاً مأبونا . وكان له نديم آخر يعرف بالبقلى . وإنما سمي

بذلك ؛ لأنه كان يقول : الإنسان كالبقلة ، فإذا مات لم يرجع » . فهذا النص

يفسر ماجاء فى البيت ، ويدل على التصحيح الذى أثبت .

(٣) كذا ورد هذا الاسم فى الأصل ، بجاء مهملة بعدها راء وباء موحدة تحتية تعلوها

ياء مشناة تحتية . وفى الأغاني (١١ : ٧١) : « عمارة بن حمزة » . وأمالى المرتضى

(١ : ٩٠) نقلاً عن الجاحظ « عمارة بن حمزة » .

(٤) فى الأصل : « فجعل » .

(٥) يعنى بالقوم ههنا الزنادقة .

(٦) كذا فى ط . وفى س : « من براءة الساحة » ، وفى هـ : « مما نعرفه من برأته

للساحة » وكل محرف .

وهجأ حمادُ بن الزُّبرقان^(١) ، حماداً^(٢) الراوية فقال :

نَعَمْ الْفَتَى لَوْ كَانَ يَعْرِفُ رَبَّهُ وَيَقِيمُ وَقْتَ صَلَاتِهِ نَحَادُ
هَدَلَتْ مَشَافِرُهُ الدَّنَانُ فَأَنَفَهُ مِثْلُ الْقُدُومِ يَسْنُهَا الْحَدَادُ^(٣)
وَابْيَضَ مِنْ شَرَبِ الْمَدَامَةِ وَجْهُهُ فَيَبَاضُهُ يَوْمَ الْحَسَابِ سَوَادُ
فَقَدْ كَانَ^(٤) كَمَا تَرَى :

هَدَلَتْ مَشَافِرُهُ الدَّنَانُ فَأَنَفَهُ مِثْلُ الْقُدُومِ (البيت)
فَقَدْ رَأَيْتُ جَمَاعَةً مِمَّنْ يُعَاقِرُونَ الشَّرَابَ ، قَدْ عَظُمَتْ أَنْفُهُمْ^(٥)
وَصَارَتْ لَهُمْ خِرَاطِيمُ ، مِنْهُمْ رَوْحُ الصَّائِغِ^(٦) ، وَعَبْدُ الْوَاحِدِ صَاحِبُ اللُّؤْلُؤَى^(٧)

(١) نسبه صاحب الأغاني (٦ : ١٦٢) إلى أبي النُّعول ، وكان حماد قد عاب شعراً له .
وانظر الخزائن (٤ : ١٣٢ بولاق) والمخصص (١٧ : ٦) والمقد (٤ : ٣٢١)
وأمال المرتضى (١ : ٩١) وديوان المعاني (١ : ٣١٤) والشعراء ٧٥٤ .
(٢) في الأصل : « حماد » .

(٣) الدنان : جمع دن ، بالفتح ، وهو من الأوعية التي يحفظ فيها الخمر ، وهو خزفي مستطيل
مقير لا يقعد إلا أن يحفر له . والقُدوم ، بالفتح : قدوم التجار ، مؤنثة . في المخصص :
« نفخت مشافره الشمول » ، والمترضى : « بسطت مشافره الشمول » ، والعسكري :
« هدلت مشافره المدام وأنفه » . والمدام والشمول : الخمر .

(٤) لعلها : « قال » .

(٥) أنف : جمع أنف . س ، هـ : « أنفهم » بالإفراد . وهو جائز . والعرب
يقيمون الواحد مقام الجمع . وفي الكتاب : « ثم يخرجكم طفلاً » أي أطفالاً .
و : « لا نفرق بين أحد منهم » ، والتفريق لا يكون إلا بين اثنين ، فالمعنى لا نفرق
بينهم . و : « وإن كنتم جنبا » . انظر سر العربية ٣٣٩ الحلبي ، وحواشي الحيوان
(٢ : ٤٠٣) .

(٦) لعله : « أبو روح الصائغ » . انظر (٣ : ٤٣٥) .

(٧) كذا وردت كتابة هذا الاسم بواوين في الأصل وفي سائر المراجع القديمة . واللؤاوى ،
هو الحسن بن زياد ، الذي تقدمت ترجمته في (١ : ٥٢) .

وجماعة من نَدَمَانٍ^(١) حمّاد بن الصَّبَّاح ، وعبد الله أخونهر^(٢) ابن عسكر وناس كثير^(٣) .

ويدلُّ على ذلك من المنافرة قولُ جَرِيرٍ للأخطل :

١٤٣ وَشَرِبْتَ بَعْدَ أَبِي ظَهيرِ وابْنِهِ سَكَرَ الدَّنَانِ كَأَنَّ أَنْفَكَ دُمْلُ^(٤)

وكان منهم يونس بن فروة^(٥) . وفي يونس يقول حمّادُ عجرد :

أما ابنُ فَرَوَةَ يُونُسُ فكَانَهُ مِنْ كِبَرِهِ أَيْرُ الحِمَارِ القَائِمُ^(٦)
ما النَّاسُ عِنْدَكَ غَيْرُ نَفْسِكَ وَحَدَّهَا وَالخَلْقُ عِنْدَكَ ما خَلَكَ بِهِائِمُ^(٧)
إِنَّ الَّذِي أَصْبَحْتَ مَفْتُوناً بِهِ سِزُوْلُ عَنكَ وَأَنْفُ جَارِكَ رَاغِمُ
فَتَعْضُ مِنْ نَدَمٍ يَدْنِيكَ عَلَى الَّذِي فَرَطْتَ فِيهِ ، كَمَا يَعْضُ النَّادِمُ

(١) الندمان ، بالفتح : التذمُّ على الشراب . والمراد هنا جماعة الندائ . وفي اللسان : « وقد يكون الندمان واحداً وجمعا » . ومثله في القاموس .

(٢) هـ فقط : « هز » . وكلمة : « أخون » هي في الأصل : « آخا » .

(٣) في الأصل : « وناسا كثيراً » ، صوابه ما أثبت .

(٤) السكر ، بالتحريك : الخمر ، أو نبيذ يتخذ من التمر ، أو كل مسكر .

(٥) يونس بن فروة ، ويقال ابن أبي فروة . وجاء بالأخيرة في لسان الميزان (٢ : ٣٥٣ ، ٦ : ٣٣٤ ، ٣٣٥) وكذا أمالي المرتضى (١ : ٩٠) نقلاً عن الجاحظ . وما في الشعر يرجع التسمية الأولى . وجاءت التسمية الأولى أيضاً في جمع الجواهر ٢٠٩ في أثناء رسالة الخوارزمي ، والعمدة (٢ : ١٨٥) والطبري (١٠ : ٥٠) .

(٦) في الأصل : « من كفره » وهو تحريف ، صوابه في عيون الأخبار (١ : ٢٧٢) « والعمدة ، وجمع الجواهر . وفي جمع الجواهر أيضاً : « ذاك الحمار » .

(٧) في عيون الأخبار والعمدة : « والناس » موضع : « والخلق » . والبيت ساقط من س .

فَلَقَدْ رَضِيتَ بِعُصْبَةِ آخِيهِمْ وَإِخَاهُمْ لَكَ بِالْمَعْرَِّةِ لَازِمٌ^(١)
فَعَلِمْتَ حِينَ جَعَلْتَهُمْ لَكَ دَخْلَةً^(٢) أَنِّي لَعَرَضُكَ فِي إِخَائِكَ ظَالِمٌ.
(ذكر بعض الزنادقة)

وكان حمادُ عجرد^(٣) ، وحماد الراوية^(٤) ، وحمادُ بن الزُّبرقان^(٥) ،
ويونسُ بن هارون^(٦) ، وعلى بن الخليل^(٧) ، ويزيد بن القيس^(٨) ، وعُبادة
وجميل بن محفوظ^(٩) ، وقاسم^(١٠) ، ومطيع^(١١) ، ووالبة بن الحباب ، وأبانُ

-
- (١) وإخاهم ، أراد : وإخاؤهم ، أى صحتهم . قصر الكلمة للشعر . ط : « أوخاهم »
تصحيفه من م ، هـ .
- (٢) دخلة الرجل ، بتثنية الدال : بطانته .
- (٣) حماد عجرد ، بالإضافة ، هو حماد بن عمر بن يونس ، شاعر مشهور ، وهو من مخضرمى
الدولتين : الأموية والعباسية ، ولم يشتهر إلا فى العباسية . وكان يهتبه وبين بشار أهاج
فاحشة . توفى سنة ١٦١ : وقيل ١٦٨ أوقتل سنة ١٥٥ .
- (٤) حماد الراوية ، هو حماد بن أبى ليل ، عرف بكثرة روايته للشعر والخبر ، وكان يصنع
فيهما . ولد سنة ٩٥ وتوفى سنة ١٥٥ .
- (٥) حماد بن الزبرقان ، ذكره ابن حجر فى لسان الميزان (٢ : ٣٤٧) « وهو ممن
اتهم بالزندقة .
- (٦) كذا فى الأصل ، وهو كذلك فى الأوراق للصولى ١٠ قسم أخبار الشعراء . وقد نقل عن
الجاحظ ولو أنه لم يصرح بذلك . وقد يكون : « يونس بن فروة » الذى تقدمت .
ترجمته قريباً .
- (٧) هو رجل من أهل الكوفة ، مولى لمعن بن زائدة ، وكان يعاشر صالح بن عبد القدوس ،
لا يكاد يفارقه ، فاتهم بالزندقة . وله أخبار مع المهدي والرشد . انظر الأغاني (١٣ :
١٨ - ١٣) .
- (٨) ذكره صاحب لسان الميزان .
- (٩) كذا فى الأصل وأمالى المرتضى والأغاني (١٦ : ١٤٣) نقلا عن الجاحظ
والأوراق ١٠ قسم أخبار الشعراء . وعند ابن حجر فى لسان الميزان : « حميد بن
محفوظ » . فى رسم خاص . ولعله تصحيف عليه .
- (١٠) فى أمالى المرتضى : « قاسم بن زنقطة » .
- (١١) هو مطيع بن إياس السكناني ، من مخضرمى الدولتين ، كان ظريفاً خليفاً . ولد =

ابن عبد الحميد^(١) ، وعمارة بن حربية^(٢) ، يتواصلون ، وكأنهم نفس واحدة وكان بشار يشكر عليهم .

ويونس^٣ الذى زعم حمادُ عجردُ أنه قد غرَّ نفسه بهؤلاء ، كان أشهرَ بهذا الرأى منهم ، وقد كان كتب كتاباً للملك الرومِ فى مثالب العرب ، وعيوب الإسلام ، بزعمه^(٤) .

(هجائية فى أبان والزنادقة)

وذكر أبو نواسِ أبانَ بنَ عبد الحميد اللّاحقِ ، وبعض هؤلاء ، ذِكْرَ
«إنسانٍ يرى لمْ قدراً وخطراً ، فى هجائيةٍ لأبان»^(٥) ، وهو قوله :
جالستُ يوماً أباناً لا درَّ درُّ أبان
ونحنُ حَضِرُ رواقِ أميرِ بالنهروان^(٦)

= ونشأ بالكوفة . وأخباره مسهبه فى الأغاني (١٢ : ٧٥ - ١٠٣) .

(١) أبان بن عبد الحميد اللّاحقِ ، شاعر من طراف الشعراء . نقل للبرامكة كتاب كليله ودمنة فجعله شعراً ؛ ليسهل حفظه عليهم ، فأعطاه يحيى عشرة آلاف دينار ، والفضل خمسة آلاف دينار ، ولم يعطه جعفر وقال : ألا يكفئك أن أحفظه فأكون راويتك ؟ ! .

(٢) فى الأغاني ولسان الميزان : « عمارة بن حزة » ، وما فى أوراق الصولى يوافق ما أثبت من الأصل .

(٣) زاد فى أمالى المرتضى : « فأخذ منه مالا » .

(٤) ذكر سبب هذا الهجاء ، أبو الفرج فى الأغاني (٢٠ : ٧٣) قال : « كان يحيى بن خالد البرمكى قد جعل امتحان الشعراء وترتيبهم فى الجوائز ، إلى أبان بن عبد الحميد ، فلم يرض أبو نواس المرتبة التى جعله فيها أبان ، فقال يهجو به ذلك » .

(٥) « حضر ، هنا بمعنى قربه وبمحضر منه . وانتصب على الظرفية . وأصله بتحريك الحاء الضاد . وسكن الضاد للشعر . ويقال أيضاً حضرة ، بالفتح . قال :

غسلت يداه يوم يحمل راية إلى تهشل والقوم حضرة نهشل

- حَتَّى إِذَا مَا صَلَاةٌ أَلَّ أَوَّلَى أَنْتَ لَأَوَّانٍ^(١)
فَقَامَ ثُمَّ بِهَا ذُو فصاحه وبيان^(٢)
فكَلَّ مَا قَالَ قَلْنَا إلى انقضاء الأذان^(٣)
فَقَالَ : كَيْفَ شَهِدْتُمْ بِلَدَا ، بغير عيان^(٤)
لَا أَشْهَدُ اللَّذَّهْرَ حَتَّى تَعَانِ الْعَيْنَانِ !
فَقُلْتُ : سُبْحَانَ رَبِّي ! فقال : سُبْحَانَ مَا نِي !^(٥)
فَقُلْتُ : عَيْسَى رَسُولُ فقال : مِنْ شَيْطَانٍ !^(٦)
فَقُلْتُ : مُوسَى كَلِيمُ آلِ مهيمن المَنَّانِ^(٧)

١٤٤

= والرواق ، بالكسر : مقدم البيت ، أو سقف في مقدمه . ط ، س : «
ونحن وحضروا » ، وتصحيحه من الديوان ١٨٠ وأوراق الصولى (قسم أخبار
الشعراء ١١) .

(١) صلاة الأولى ، عني بها الصبح . لأوان : أى لأوانها ووقتها . س ، ط : «
وأثبت ما في الديوان ، والأوراق ، والأغاني . وفي هـ والخزانة (٣ : ٤٥٨ بولاق)
نقلا عن الأغاني : «
الأذان » ، وإخاطها تحريفاً .

(٢) أى قام بصلاة الصبح مؤذنا لها ، رجل ذو فصاحة وبيان . فالمراد الأذان ،
لا الصلاة .

(٣) أى كلما قال المؤذن قولاً رددوه بعده .

(٤) بِلَدَا : أى يقول المؤذن : «
أشهد ألا إله إلا الله » ، «
أشهد أن محمداً رسول الله » . بغير
عيان : بغير معاينة ومشاهدة .

(٥) ما نى : صاحب دين المانوية الزنادقة . انظر ما كتبت عنهم في ص ٨١ .

(٦) فى الأصل : «
من شيطاني » ، صوابه من الديوان والأوراق . وقد أراد أنه قال :
رسول من شيطان !

(٧) المَنَّان : اسم من أسماء الله تعالى ، أى المعطى ابتداء . وفى الأصل : «
المثنان » ، تصحيحه
من الديوان والأوراق .

فقال : رَبُّكَ ذُو مُقَدِّمَةٍ إِذَا وَلِسانِ ؟
 فَنَفْسُهُ خَلَقَتْهُ أَمْ مَنْ ؟ ! فَقُمْتُ مَكَانِي
 عَنْ كَافِرٍ يَتَمَرَّى بِالْكَفْرِ بِالرَّحْمَنِ (١)
 يريد أن يتسوى بالعُصْبَةِ الْمُجَانِ
 بِعَجْرَدٍ وَعُبَادٍ وَالْوَالِيِّ الْهَجَانِ (٢)
 وقاسمٍ ومُطِيعٍ رِيحَانَةِ النَّدْمَانِ (٣)

وتعجبي من أبي نواس ، وقد كان (٤) جالس المتكلمين أشد من تعجبي
 من حماد ، حين يحكى عن قوم من هؤلاء قولاً لا يقوله أحد (٥) . وهذه قرّة (٦)
 عين المهجو . والذي يقول : سبحان ماني ، يعظم أمر عيسى تعظيماً شديداً (٧)

(١) يتمرى : يتزين . يقول : هو يتخذ الكفر زينة له . وبئس الزينة ! . ط
 والأوراق : « يتهارى » بمعنى يشك ، وليس له وجه صالح . وأثبت ماني من
 الديوان . وفي هـ : « متمرى » تحريف ماني س . وبين هذا البيت وسابقه
 بيتان في الديوان ، هما :

وقلت ربّي ذو رحمةٍ وذو غُفْرانٍ
 وقُمتُ أسحبُ ذيلي عن هازئٍ بالقرانِ

(٢) في الصفحة ٤٤٧ ، من اسمه : « عبادة » ، فلملحه هو به تغيير يسير ، لما يقتضيه
 الشعر . أما الوالبي فهو والبة بن الحباب . شاعر من شعراء الدولة العباسية ،
 هاجى يشارا وأبا العتاهية فلم يصنع شيئاً ، وفضحاه . وهو أستاذ أبي نواس .
 الأغاني (١٦ : ١٤٢) .

(٣) سبق تفسير هذه الكلمة في ص ٤٤٦ .

(٤) س : « وهو كان » .

(٥) إشارة إلى ما سبق في ص ٤٤٣ .

(٦) هـ : « قوة » تحريف .

(٧) هذا ما فهمه الجاحظ . ويؤيده ماورد في فهرست ابن النديم ٣٢٨ ليسك ٤٥٨
 مصر : « زعم ماني أنه الفارقلط المبشر به عيسى عليه السلام . واستخرج ماني =

فكيف يقول : إنه من قبَلِ شيطان ؟ !

وأما قوله : « فنفسه خلقتَه أم من » فإنَّ هذه مسألةٌ نَجْذُها ظاهرةٌ على السُّنَنِ العوامِّ . والمتكلمون لا يحْكُون هذا عن أحد .

وفى قوله : « والوالبىُّ الهِجان » دليلٌ على أنَّه من شكلهم .

والعجب أنَّه يقول فى أبان : إِنَّهُ مَمَّنْ يتشبه بعَجْرَدٍ ومُطِيعٍ . ووالبة

ابن الحباب ، وعلى بن الخليل . وأصبغ^(١) - وأبانٌ فوقَ ملءِ الأرض

مِنْ هؤلاء . ولقد كان أبانُ ، وهو سكرانُ ، أصحَّ عقلاً من هؤلاء وهم

صحَّة^(٢) . فأما اعتقاده فلا أدري ما أقول لك فيه ؛ لأنَّ النَّاسَ لم يؤثِّروا

فى اعتقادهم الخطأ المكشوفَ ، من جهة النظر^(٣) . ولكنَّ للنَّاسَ تأسَّ

وعاداتٌ ، وتقليدٌ للآباء والكُبراء ، ويعملون على الهوى ، وعلى ما يسبق

إلى القلوب . ويستثقلون التَّحصيلَ ، ويُهملون النَّظَرَ ، حتى يصيروا

فى حالٍ متى عاودوه وأرادوه ، نظروا بأبصارٍ كليله^(٤) ، وأذهانٍ مدخولة ،

[و] مع سوءِ عادةٍ . والنَّفْسُ لا^(٥) تجيبُ وهى مُستَكْرَهة . وكان

= مذهبه من المجوسية والنصرانية . لكن جاء فى الفهرست أيضاً ما يؤيد ما فهمه أبو نواس . ففيه : « وماني ينتقص سائر الأنبياء فى كتبه ، ويزرى عليهم ، ويرميهم بالكذب ، ويزعم أن الشياطين استحوزت عليهم ، وتكلمت على ألسنتهم بل يقول فى مواضع من كتبه : إنهم شياطين ! فأما عيسى المشهور عندنا وعند النصارى ، فيزعم أنه شيطان » الفهرست ٦٨ مصر . فالظاهر أن مرد ذلك الخلاف إلى ماني أقوال ماني من التناقض والتنافر .

(١) لم يذكر هؤلاء جميعاً فيما رواه الجاحظ من القصيدة المتقدمة ، فلملح سقط منها شيء . وانظر الديوان والأوراق حيث تجد زيادة فى الشعر .

(٢) الصحابة : جمع صباح ، من صحا يصحو . س : « أحماء » ، صوابه فى ط ، ه والأوراق ١٢ قسم أخبار الشعراء .

(٣) ط ، ه : « النظير » ، صوابه فى س .

(٤) كليله : ضميعة . س : « قليلة » تحريف . وفى الأصل : « ونظروا » .

(٥) س : « لا » .

يقال : « العقل ^(١) إذا أكره ^(٢) عَمِي » . ومتى عَمِيَ الطَّبَاعُ ^(٣) [و] جَسَأَ وغلظ وأهمل ، حتَّى يألف الجهل ، لم يكد ^(٤) يفهم ما عاينه وله . فلهذا وأشباهه قاموا على الإلف ، والسَّابِق إلى القلب .

(شعر لحامد عجرد)

وقال حمادُ عَجْرَد :

اعْلَمُوا أَنَّ لُودِي ثَمَنًا عِنْدِي ثَمِينًا
لَيْتَ شِعْرِي أَيْ حَكْمٍ قَدْ أَرَاكُمْ تَحْكُمُونَا
أَنْ تَكُونُوا غَيْرَ مُعْطِي نَ وَأَنْتُمْ تَأْخُذُونَا ^(٥)
ابْنِ لُقْمَانَ بْنِ عَادٍ فِي اسْتِ هَذَا الدِّينِ دِينَا ^(٦)

١٤٥

وما رأيت أحداً وضع لقمان بن عاد في هذا الموضع . غيره ! وقال

حمادُ عَجْرَد في بشار :

يَا ابْنَ الْخَيْثَةِ إِنَّ أُمَّكَ لَمْ تَكُنْ ذَاتَ اكْتِسَامٍ ^(٧)
وَتَبَدَّلْتَ ثَوْبَانِذَا الْأَيَّامِ الْمَضْبَرِّ وَالْعُرَامِ ^(٨)

(١) ط ، هـ : « الطفل » ، صوابه في س .

(٢) في الأصل : « كره » .

(٣) الطَّبَاع ، بالكسر : الطبع والسجية .

(٤) ط ، هـ : ولم يكد « بإثبات الواو قبلها ، صوابه في س .

(٥) ط : « تأخذون » ، صوابه في س ، هـ .

(٦) ابن : أمر من بنى يبنى . ط ، س : « أين » وصوابه في هـ . ولقمان :

أى ياللقمان ، حذف حرف النداء .

(٧) أى كانت تجاهر بفسقها .

(٨) ثوبان : رجل اتهم أم بشار به . وفيه أيضاً يقول حماد عجرد (الحيوان

ثَوْبَانَ دَقَاقَ الْأَزْزِ بِأُرُواثِ حَسَامٍ (١)
عَرْدَ كَقَامَةِ السَّرِّ يَرِ يُبِيلَهَا عِنْدَ الرُّطَامِ (٢)
وَأَتَتْ سُمَيْعَةَ بَعْدَهَا بِالمَصْمَلَاتِ الْعِظَامِ (٣)
أَخْتِ لَمْ كَانَتْ تَكَا بِرُ أَنْ تُسَافِحَ مِنْ قِيَامِ (٤)
وَقَالَ حَمَادٌ يَذْكُرُ بِشَارًا .

غَزَالَةَ الرَّجْسَةِ أَوْ بَنَتَهَا سُمَيْعَةَ النَّاعِيَةِ الْفَهْرَا (٥)
وَقَالَ وَذَكَرَ أُمَّهُ (٦)

أَبْنَى غَزَالَةَ يَا بَنِي جُشَمِ اسْتَهَا لِيَحْقِكُمْ أَنْ تَفْرَحُوا لَا تَنْجَزُعُوا (٧)

(حماد عجرد وبشار)

وما [كان] ينبغي لبشارٍ أَنْ يَنَظِرَ حماداً من جهة الشعرِ وما يتعلّقُ

- = يابن التي نشرت عن شيخ صبيتهَا لأير ثوبان ذى الهامات والمعبر
يقول : تبدلت ثوبان بزوجهَا . ط : « ثوبين » ، تحريف صوابه
في س ، ه .
- (١) ط : « دقاق » صوابه في س ، ه . ط : « الأزار » وأثبت مافي س ،
ه ، وهما محرفان . س : « يدقها أزرب خام » وأثبت مافي ط ، ه .
عل تحريفهما .
- (٢) العرد ، بالفتح : الصلب الشديد . ط : « كقائمة السير » صوابه في س ، ه .
يبيلها : يجعلها تبول . ط ، س : « يسلبها » ووجهه مأثبات من س .
والرطام : أن يخالطها مستوعبا . ه : « الأركام » صوابه في ط ، س .
- (٣) ضبطت « سميعة » هيئة التصغير في س . والمصملات : الدواهي .
- (٤) تكابر ، هي في ط : « لكابر » محرفة .
- (٥) كذا جاء البيت .
- (٦) أي أم بشار . ط ، س : « وقال ذو الرمة » وهو تحريف لاجرم .
- (٧) أبني ، أي يابني . والجشم ، كعرد : الجوف : ط ، ه : « ياجشم »
ولا كاله من س .

بالشعر ؛ لأن حماداً في الخضيض ، وبشّاراً مع العيوق ^(١) . وليس في الأرض
مولدٌ قروى يُعدُّ شعره في المحدث إلا وبشّارٌ أشعرُ منه .

(شعر في هجو بعض الزنادقة)

وقال أبو الشمقمق في جميل بن محفوظ ^(٢) :

وهذا جميلٌ على بغله وقد كان يعدّو على رجله
يرُوحُ ويغلو كأيّبرِ الحمارِ ويرجعُ صفراً إلى أهله ^(٣)
وقد زعموا أنه كافرٌ وأنّ التزندقَ من شكله
كأنى به قد دعاه الإمامُ وأذن ربك في قتله

(غلو أبي نواس في شعره)

وأما أبو نواس فقد كان يتعرّضُ للقتلِ بجهده . وقد كانوا يعجبون

من قوله :

كيف لا يُذْنِلكَ مِنْ أَمَلٍ مَنْ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ نَفَرِهِ ^(٤)

(١) العيوق ، بفتح العين ، وتشديد الياء المضمومة : نجم أحمر مضى في طرف الحجرة
الأيمن ، يتلو الثريا لا يتقدمها . يضرب به المثل في العلو .

(٢) سبقت ترجمته في ٤٤٧ .

(٣) ط : « يروح ويغد » صوابه في س ، هـ . صفراً : خالى لليدين .

(٤) من نفره : من قومه وأنصاره : هـ : « نقله » تحريف . والبيت من قصيدة
رائية مشهورة مطلعها :

أيها المتتاب من عفره لست من ليل ولا سمره

يمدح بها العباس بن عبيد الله بن أبي جعفر المنصور . الديوان ٦٦ . وقد أثار
هذا البيت ضجة كبيرة بين الأدباء ، فأخذوا عليه قوله : « من رسول الله من
نفره » . انظر السكامل ٢٣٤ - ٢٣٥ لببلسك والمقد ٣ - ٤٣٦ - ٤٣٧ =

فلما قال :

فأحبب قُرَيْشاً لحبِّ أحمدِها واشكُرْ لها الجزلَ مِنْ مواهبها^(١)
جاء بشيء غطى على الأوّل .
وأنكروا عليه قوله :

* لو أكثر التَّسْيِيح ما نَجَّاه *

= حيث تجده النقد والاعتذار له . وفي الموشح ٢٧٩ أن أبا علي الضرير ، أحد رواة أبي نواس قال : « أنشدني أبو نواس في العباس بن عبيد الله ؛ مديحه الذي يقول فيه :
كيف لا يدنيك من أمل من رسول الله من نفره
فعلت أنه كلام ردى مستحسن موضوع في غير موضعه ، وأنه مما يعاب به ؛
لأن من حق الرسول صلى الله عليه وسلم أن يضاف إليه ، وألا يضاف إلى أحد . فرأى ذلك في وجهي ، فقال لي : ويلك ! إنما أردت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم من القبيل الذي هو منه ، كما قال حسان :

وما زال في الإسلام من آل هاشم دعائم عز لا ترام ومفخر
بها ليل منهم جعفر وابن أمه علي ومنهم أحمد المتخير
فقال : منهم ، كما قلت من نفره . أى من نفر الذين العباس منهم ، فاتهمب
من هذا ؟ ! » . قال أبو علي : « فعلت أن هذا ضرب من الاحتيال » . وقد
روى هذا الخبر في أخبار أبي نواس ١٦١ - ١٦٢ وزاد في آخره : « ولكنه
قد أحسن المخرج منه » . وفي الصناعتين ١١٣ نظائر لهذا الخطأ .

(١) رواية الديوان ١٥٧ : « أحبب » بقطع الهزمة وإسقاط الفاء : أمر من أحب
يجب . ورواية الجاحظ هنا تخرج على لغة ضعيفة . وفي اللسان عن الفراء ، أن
حبته لغة . وفيه أيضاً : « وكره بعضهم : حبته ، وأنكر أن يكون هذا البيت
لنفسه » . وفيه : « وحكى سيويه : حبته وأحبته بمعنى » . وفي الصناعتين ١١٣ :
« وأحب » . والبيت من قصيدة جيدة لأبي نواس يفتخر فيها بقحطان وهجو
عدنان ، وقد أبدع في صنعها إبداعاً ، وأنى بطريف حقاً . ولكن هذه القصيدة
جلبت إليه شوما بما حبسه الرشيد وأطال من حبسه . ومطلعها :

ليست بدار عفت وغيرها ضربان من قطرها وحاصها
وفيها يقول :

فلج زارا وافر جلدتها وأمتك السر عن مثالبها

فلما قال :

١٤٦ يا أَحْمَدَ الْمُرتَجَى فِي كُلِّ نَائِبَةٍ قَمِ سَيِّدِي نَعَصِ جَبَّارَ السَّمَوَاتِ (١)
غَطَى هَذَا عَلَى الْأَوَّلِ (٢) . وَهَذَا الْبَيْتُ مَعَ كَفَرِهِ مَقْبُوتٌ جَدًّا . وَكَانَ
يُكْثِرُ فِي هَذَا الْبَابِ (٣) .

(خَطَأً أَبِي نَوَاسٍ فِي شِعْرِهِ)

وَأَمَّا سِوَى هَذَا الْفَنِّ فَلَمْ يَعْرِفُوا لَهُ مِنَ الْخَطَا إِلَّا قَوْلَهُ :

أَمَسْتَجْبَرَ الدَّارَ هَلْ تَنْطِقُ أَنَا مَكَانَ الدَّارِ لَا أَنْطِقُ (٤)
كَأَنَّهَا إِذْ خَرَسَتْ جَارِمُ بَيْنَ ذَوَى تَفْنِيدِهِ مُطْرِقُ (٥)
فَعَابُوهُ بِذَلِكَ ، وَقَالُوا : لَا يَقُولُ أَحَدٌ : لَقَدْ سَكَتَ هَذَا الْحَجَرُ ، كَأَنَّهُ

(١) أَحْمَدُ هَذَا ، هُوَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي صَالِحٍ ، كَانَ أَبُو نَوَاسٍ يَمُشِقُهُ . أَخْبَارُ أَبِي نَوَاسٍ ١٤٥ .
وَأَبْيَاتُ الْقَصِيدَةِ فِيهَا ، وَفِي دِيْوَانِهِ ٢٤٩ - ٢٥٠ . وَقَبْلَهُ :

فَقُلْتُ وَاللَّيْلِ يَجْلُوهِ الصَّبَاحُ كَمَا يَجْلُو التَّبَسُّمُ عَنْ غُرِّ الثَّنَائَاتِ

(٢) فِي الْأَصْلِ : « الْأَوَّلُ » . وَانْظُرْ مِثْلَ هَذَا التَّعْقِيبِ فِي الصَّفْحَةِ السَّابِقَةِ ..
و « غَطَى » رَسَمْتُ بِالْأَلْفِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ وَسَابِقُهُ فِي كُلِّ مَنْ ط ، ه وَهُوَ
رِسْمٌ قَدِيمٌ . وَأَثْبَتَ مَا فِي س .

(٣) أَيْ كَانَ أَبُو نَوَاسٍ يَكْثُرُ مِنَ الْقَوْلِ فِي مِثْلِ الْمَعْنَى السَّابِقِ . وَمَا قَالَ فِي ذَلِكَ .
(الصَّنَاعَتَيْنِ ١١٣) :

تَنَازَعَ الْأَحْمَدَانِ الشُّبَّةَ فَاشْتَبَهَا خَلْقًا وَخُلُقًا كَمَا قَدْ الشَّرَّكَانِ

قَالَ السَّكْرِيُّ : « فَرَعَمَ أَنَّ ابْنَ زُبَيْدَةَ مِثْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فِي خُلُقِهِ وَخُلُقِهِ » .

(٤) ط : « أَخْبَرَ الدِّيَارَ » س : « أَمَسْتَجْبَرَ الدِّيَارَ » ه : « يَامَسْتَجْبَرَ الدَّارَ » ،
وَلَمَّا صَوَّاهُ مَا أَثْبَتَ . وَعَجَزَ الْبَيْتُ هَكَذَا وَرَدَ بِالْأَصْلِ .

(٥) الْجَارِمُ : الْجَانِي . وَالتَّفْنِيدُ ، الْمَرَادُ بِهِ : الْوُجُودُ وَالْعُذْلُ . وَالتَّفْنِيدُ : التَّشْكِيبُ وَالتَّمْجِيزُ
وَتَحْطِيطُ الرَّأْيِ وَتَضْعِيفُهُ . وَالْبَيْتُ عِنْدَ الْمَسْكُورِيِّ فِي الصَّنَاعَتَيْنِ ٦٨ .

إنسانٌ ساكت ، وإنما يُوصَفُ خَرَسُ الإنسانِ بِخَرَسِ الدَّارِ ، ويشبُّهُ صَمَمُهُ
بصَمَمِ الصَّخَرِ .

وعابوه بقوله ، حين وصف عَيْنَ الأسدِ بالجحوظِ ، فقال :
كَأَنَّمَا عَيْنُهُ إِذَا التَّهَيْتُ بِارِزَةِ الْجَفْنِ عَيْنٌ مُخْنَقٌ ^(١)
وَهُمْ يَصِفُونَ عَيْنَ الْأَسَدِ بِالغُورِ . قال الرَّاجِزُ :
* كَأَنَّمَا يَنْظُرُ مِنْ جَوْفِ حَجَرٍ ^(٢) .

وقال أبو زبيد ^(٣) :

كَأَنَّ عَيْنِي فِي وَقَبَيْنِ مِنْ حَجَرٍ قِيضًا اقْتِيَاضًا بِأَطْرَافِ الْمَنَاقِيرِ ^(٤)
ومع هذا فإنَّا لا نعرف بَعْدَ بَشَّارٍ أَشْعَرَ مِنْهُ ^(٥) .
وقال أبو زيد :

وَعَيْنَانِ كَالْوَقَبَيْنِ فِي مَلءِ صَخْرَةٍ تَرَى فِيهِمَا كَالْجَمْرَتَيْنِ تَسْعَرُ ^(٦)

(قصة راهبين من الزنادقة)

وحدَّثني أبو شعيب القَلَّالُ ، وهو صُفْرِيُّ ^(٧) ، قال : رهبان الزنادقة

(١) هـ : « والمخنوق » وأثبت ما في ط ، س والصناعتين ١١٥ .

(٢) في الصناعتين : « من خرق حجر » .

(٣) هو أبو زيد الطائي ، الذي تقدمت ترجمته في (١ : ٣٥٢) .

(٤) الوقب ، بالفتح : النقرة في الصخر . قِيضًا : شفا وحفرا . اقْتِيَاضًا : استئصالا .
في الأصل : « قِيضًا اقْتِنَاصًا » بحرف ، صوابه في الصناعتين ١١٥ . والمناقير :
جمع منقار ، وهو حديدة كالفأس ينقر بها .

(٥) منه : أي من أبي نواس . وحق هذا التعميق أن يكون بعد البيت الآتي .

(٦) في الصناعتين : « في قلب صخرة » يرى فيها « .

(٧) الصُفْرِيُّ ، بالضم ، ويكسر : واحد الصفريّة . وهم فرقة من الخوارج ، نسبوا إلى
زيد بن الأصفر ، أو عبد الله بن صفار ، أو إلى صفرة ألوانهم ، أو لخلوهم من =

سَيَّاحُونَ^(١) ؛ كَانَهُمْ^(٢) جَعَلُوا السَّيَّاحَةَ بَدَلَ تَعَلُّقِ النَّسْطُورِيِّ^(٣) فِي الْمَطَامِيرِ .
و- [مَقَامُ^(٤)] الْمَلِكَانِي^(٥) فِي الصَّوَامِعِ . وَمَقَامُ النَّسْطُورِيِّ

= اللِّدِينِ . انظر القاموس . وتفصيل مذهبهم في الفرق ٧٠ - ٧١ والملل والنحل (١ : ١٨٣ - ١٨٤) . والأرجح نسبتهم إلى زياد بن الأصغر ، كما في الفرق والملل . ط : « صغرى » صوابه في س ، هـ .

« (١) السَّيَّاحَةُ : الذهاب في الأرض للعبادة ، وانظر ماسياني من قول الجاحظ .

« (٢) ط ، هـ : « لَانَهُمْ » وأثبت ما في س .

« (٣) في القاموس : « النسطورية ، بالضم وتفتح : أمة من النصارى تخالف بقيتهم . وهم أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمن المأمون ، وتصرف في الإنجيل بحكم رأيه ، وقال : إن الله واحد ذو أقانيم ثلاثة . وفي الفصل (١ : ٤٩) : « وهذه الفرقة غالبية على الموصل والعراق وفارس وخراسان . وهم منسوبون إلى نسطور ، وكان بطريركا بالقسطنطينية » . وقد أخطأ صاحب القاموس ؛ فإن نسطور ، أو نسطورس كان قبل الهجرة لا في زمن المأمون كما زعم . وقد ذكر المسعودي في التنبيه والإشراف ١٢٧ أن السهودس الثالث بمدينة أفسس قرر لعن نسطورس والتبرؤ منه ونفيه ، فسار إلى صعيد مصر فأقام ببلاد أخميم والبلينا ومات بقرية يقال لها سيفلح » . وقد كان اجتماع ذلك السهودس في سنة ٤٣١ الميلادية ، كما جاء في كتاب تاريخ الأمة للقبطية ، تأليف لجنة التاريخ القبطي (الحلقة الثانية ١١٦) . ، وكما جاء في معجم القرن العشرين : (Nestorian) . وصاحب القاموس المحيط المتوفى سنة ٨١٧ هـ قد تابع في خطئه هذا ، ما ذكره الشهرستاني صاحب الملل والنحل المتوفى سنة ٥٤٨ هـ ، حيث قال في (٢ : ٦٤) : « النسطورية أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون » . وانظر رد ابن الأثير عليه في الكامل (١ : ١٩١) . وقد تولى نسطورس بطريركا سنة ٤٢٨ م . فبينه وبين ظهور الإسلام نحو ١٨٣ سنة .

« (٤) ليست بالأصل . وبها يلتزم الكلام .

« (٥) الملكاني : واحد الملكانية ، ويقال ملكاني وملكائية ، كما في مفاتيح العلوم ٢٣ وملكي وملكية كما في التنبيه والإشراف ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٦ . وفي مفاتيح العلوم : « وهم منسوبون إلى ملكاء . وهم أقدمهم » . يعني أقدم النصارى . وفي الملل والنحل (٢ : ٦٢) : « الملكائية أصحاب ملكا الذي ظهر بالروم واستولى عليها » . والحق أن الملكانيين منسوبون إلى « ملكا » =

في المطامير^(١) .

قال : « ولا يسيحون إلا أزواجاً . ومتى رأيت منهم واحداً فالتفت^(٢) رأيت صاحبه^(٣) » والسياحة عندهم ألا يبيت أحدهم في منزلٍ ليلتين . قال : ويسيحون على أربع خصال : على القدس ، والطهر ، والصدق ، والمسكنة . فأما المسكنة ، فإن يأكل من المسألة^(٤) ، ومما طابت به أنفسُ الناس له حتى لا يأكل إلا من كسب غيره الذي عليه غُرْمُهُ ومأثمه . وأما الطهر فترك الجماع . وأما الصدق فعلى ألا يكذب . وأما القدس فعلى أن يكتم ذنبه ، وإن سئل عنه .

قال . فدخل الأهواز منهم رجلان ، فضى أحدهما نحو المقابر للغائط وجلس الآخر بقرب حانوت صائغ^(٥) ، وخرجت امرأة من بعض تلك القصور ومعها حق^(٦) فيه أحجار نفيسة ، فلما صعدت من الطريق إلى دكان الصائغ زلقت فسقط الحق من يدها ، وظلم لبعض أهل تلك الدور يردد^(٧) ٦٤٧ فلما سقط الحق وبأينه الطبق^(٨) ، تبدد ما فيه من الأحجار ، فالتقم

= « ومعناه » الملك بالسريانية . والمراد بهم : أتباع مذهب قياصرة الروم ، الذي يسمى أيضاً المذهب الخلقيدوني ، الذي أقره المجمع الملقود في خلقيدونية سنة ٤٥١ م . انظر تاريخ الأمة القبطية (الحلقة الثانية ص ٩١ - ٩٣) .

(١) المراد بالمطامير : أماكن تهيأ تحت الأرض . وهي في أصلها القفوى : حفر أو أماكن تحت الأرض ، يطمس فيها الطعام والمال ، أي يخبأ . والمطمورة أيضاً : السجن تحت الأرض . انظر اللسان .

(٢) س : « ترى صاحبه » .

(٣) أى سؤال الناس الطعام . س : « فأنه » مكان : « فأن » .

(٤) الحق ، بالضم : وعاء من الخشب ، ومثله الحقبة ، بالضم أيضاً . وقد يكون الحق جمعاً لحقة ، كما في اللسان والقاموس . لكن المراد هنا المفرد قطعاً .

(٥) الطبق ، بالتحريك : غطاء كل شيء . وفي الحديث : « حجاب النور » ، لو كشف طبقه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه . سمي طبقاً لأنه يطابق ويساوى ما هو غطاء له .

ذلك الظَّليمُ أعظمَ حجرٍ فيه وأنفسَهُ ، وذلك بِعَيْنِ السَّائِحِ ^(١) ؛ ووثب الصَّائغُ وغلَّمانهُ فجمَعُوا تلكَ الأحجارَ ، ونَحَّوْا النَّاسَ ^(٢) وصاحُوا بهم فلم يَدْنُ منهم أحدٌ ، وفقدوا ذلكَ الحجرَ ، فصرختِ المرأةُ ، فكشَفَ القَوْمُ وتناحَوْا ^(٣) ، فلم يصيبوا الحجرَ ، فقال بعضهم : والله ما كان بقربنا إلا هذا الرَّاهِبُ الجالسُ ، وما ينبغي أن يكون إلا معه ! فسألوه عن الحجر فكرِهَ أن يخبرَهم أنه في جوفِ الظَّليمِ فيذْبَحُ الظَّليمُ ، فيكون قد شارك في دمِ بعضِ الحيوانِ ، فقال : ما أخذتُ شيئاً ! وبجثوه وفتشوا كلَّ شيءٍ معه وألحُّوا عليه بالضربِ ، وأقبلَ صاحِبُهُ وقال : اتقوا الله ! فأخذوه وقالوا ^(٤) دفعته إلى هذا حتَّى غيَّبه ! فقال : ما دفعتُ إليه شيئاً ! فضرَبوهما ليقْرَ ^(٥) .
فبينما هما كذلك إذ مرَّ رَجُلٌ يَعْقِلُ ، ففهم عنهُمُ القِصَّةَ ، ورأى ظليماً يتردَّدُ فقال لهم : أكان هذا الظَّليمُ يتردَّدُ في الطريق حينَ سَقَطَ الحجرُ ؟ قالوا : نَعَمْ . قال : فهو صاحبكم . فعوضوا أصحابِ الظَّليمِ ، وذبحوه وشقُّوا عن قانصته ، فوجدوا الحجرَ وقد نَقَصَ في ذلكَ المقدارِ من الزَّمانِ شيئاً بِشَطْرِهِ ^(٦) ، إلا أنها أعطته لَوْناً صارَ الذي استفادوه من جهةِ اللَّوْنِ أريحَ لهم من وزنِ ذلكَ الشَّطْرِ أنْ لو كان لم يَذْهَبْ .
ونارُ القانصةِ غيرُ نارِ الحجرِ ^(٧) .

(١) العين ، بالفتح : المايئة . ومنه قولهم في المثل : « تطلب أثراً بعد عين » . انظر أمثال الميديات في هذا الرسم .

(٢) نحوا : أبعدوا . ط : « نحو الناس » صوابه ، في س ، ه .

(٣) تناحوا : المراد بها تباعدوا . ط : « تناجوا » بالجيم ، صوابها في س ، ه .

(٤) ط ، س : « وقال » صوابه من ه .

(٥) في الأصل : « نيموتا » . وفي الجماهر البيروني ٤١ : « فضرَبوا ضربَ التقرير » .

(٦) أي قريباً من نصفه .

(٧) أي النار التي تقدح من الحجر .

القول في النيران وأقسامها

ونحنُ ذاكِرُونَ جُملًا في القول في النيرانِ وأجناسها ، ومَواضعِها ، وأىَّ شئٍ منها يضافُ إلى العِجَم ، وأىَّ شئٍ منها يضافُ إلى العَرَب . ونُخبِرُ عن نيرانِ الدِّباناتِ . وغيرِ الدِّباناتِ . وعَمَّنْ عَظَمَها وعَمَّنْ اسْتَهانَ بها . وعَمَّنْ أَفَرَطَ في تعظيمِها حتَّى عَبْدَها . ونُخبِرُ عن المَواضعِ التي عَظُمَ فيها مِنْ شأنِ النارِ .

(نار القربان)

فمن مَواضعِها التي عَظُمَتْ بها أَنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ جعلها لِبني إِسرائيلَ في موضعِ امتحانِ إِخلاصِهم ، وتَعَرُّفِ صِدْقِ نَبِيَّائِهِمْ ؛ فكانوا يَتَقَرَّبُونَ بِالْقُرْبَانِ . فَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ ^(١) مُخْلِصًا نَزَلَتْ نَارٌ مِنْ قِبَلِ السَّمَاءِ حَتَّى تُحِيطَ بِهِ ^(٢) فَتَأْكُلَهُ ، فَإِذَا فَعَلَتْ ذَلِكَ كَانَ صَاحِبُ الْقُرْبَانِ مُخْلِصًا فِي تَقَرُّبِهِ . وَمَتَى لَمْ يَرَوْهَا وَبَقِيَ الْقُرْبَانُ عَلَى حَالِهِ . قَضَوْا بِأَنَّهُ كَانَ مَدْخُولَ الْقَلْبِ فَاسِدَ النَّيَّةِ . وَلِذَلِكَ قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا إِلَّا نُنْزِلَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالْأَذَى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ^(٣) ﴾ .

والدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ قَدْ كَانَ مَعْلُومًا ، قولُ اللهِ عزَّ وجلَّ :

(١) « فمن كان منهم » ساقطة من هـ .

(٢) أى بالقربان . وفي الأصل : « بهم » ، تحريف .

(٣) الآية ١٨٣ من آل عمران .

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَيَا لَذِي قُلْتُمْ ﴾ ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ سَتَرَ عَلَى عِبَادِهِ ، وجعلَ بيانَ ذلك في الآخرة . وكان ذلك التدبيرُ مصلحةً ذلك الزمان^(١) ، ووفق^(٢) طبائعهم وعِلَلهم . وقد كان القومُ من المعاندة والغباوة على مقدارٍ لم يكن لينجح^(٣) فيهم ويكْمُل لمصلحتهم إلا ما كان في هذا الوزن . فهذا بابٌ من عظم شأنِ النار في صدور الناس .

ومما زاد في تعظيم شأنِ النار في صدور الناس^(٤) قولُ الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى . إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ ^(٥) أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هَدًى . فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى . إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ . وقال عزَّ وجلَّ : ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ ^(٦) إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِسُحَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ . فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

وكان ذلك مما زاد في قدرِ النار في صدور الناس .

(١) في ثمار القلوب ٤٥٥ نقلا عن الجاحظ : « وكان ذلك التدبير مصلحة في ذلك الأمر » .

(٢) ط : « ووافق » ، وأثبت ما في هـ و ثمار القلوب .

(٣) ط : « ينجح » .

(٤) الكلام من قوله : « قول الله عز وجل » إلى هنا ، ساقط من س .

(٥) في الأصل : « بخبر » وهو تحريف شنيع . والآية هي العاشرة من سورة طه .

(٦) ط ، هـ : « فقال لأهله امْكُثُوا » س : « وقال لأهله امْكُثُوا » وهو تحريف كبير كسابقه . والآية هي السابعة من سورة النمل . وقد سبق مثل هذا التحريف في القرآن ، في ص ٨ و ١٥٩ ، ١٦٠ ، ٣١٠ . وانظر تحقيق النصوص

ومن ذلك نار إبراهيم صلى الله عليه وسلم . وقال الله عز وجل : ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ . قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَىٰ أَغْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾ ثم قال : ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ فلما قال الله عز وجل : ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ كان ذلك ممَّا زاد في نباهة النار وقدرها في صدور الناس .

باب آخر

(تنويه القرآن الكريم بشأن النار)

وهو قوله عز وجل : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ (١) .

والنار من أكبر الماعون (٢) ، وأعظم المرافق . ولو لم يكن فيها إلا أن الله عز وجل قد جعلها الزاجرة عن المعاصي ، لكان ذلك ممَّا يزيد في قدرها ، وفي نباهة ذكرها .

وقال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ . ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴾ (٣) ، ثم قال : ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴾ (٤) . فقف عند قوله : ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا ﴾

(١) الآية ٨٠ من سورة يس .

(٢) الماعون : ما ينتفع به . في الأصل : « من أكثر الماعون » .

(٣) الآيتان ٧١ ، ٧٢ من سورة الواقعة .

(٤) الآية ٧٣ من سورة الواقعة .

فإن كنت بهذا القول مؤمناً فتذكر ما فيها من النعمة أولاً ثم آخرها ، ثم توهم مقادير النعم وتصاريها .

١٤٩ وقد علمنا أن الله عذب الأمم بالغرق ، والرياح ، وبالخاصب (١) ، والرجم (٢) ، وبالصواعق ، وبالحسف (٣) ، والمسح ، والجوع ، وبالتقص من الثمرات ، ولم يبعث عليهم نارا ، كما بعث [عليهم (٤)] ماء وريحا وحجارة . وجعلها من عقاب الآخرة ، ونهى أن يحرق بها شيء من الهوام وقال (٥) : « لا تعذبوا بعذاب الله » . فقد عظمها كما ترى .
فتفهم — رحك الله — فقد أراد الله إذهابكم .

وقال الله تعالى للثقلين (٦) : ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ . فجعل الشواظ والنحاس ، وهما النار والدخان ، من الآفة . ولذلك قال على نسق الكلام : ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ، ولم يعن أن التعذيب بالنار نعمة يوم القيامة ، ولكنه أراد التحذير بالخوف والوعيد بها (٧) ، غير إدخال الناس (٨) فيها ، وإحراقهم بها .

(١) الخاصب : ريح شديدة تحمل التراب والحصباء . وقيل : هو ما تنثر من دقاق البرد والتلج ، أو الريح التي تقلع الحصباء .

(٢) الرجم ، بضمتين : النجوم التي يرى بها .

(٣) الحسف : تغيب الشيء في باطن الأرض . وفي الكتاب في شأن قارون : « فحسفنا به وبداره الأرض » .

(٤) الزيادة من س ، هـ : وثمار القلوب ٤٥٤ .

(٥) أي على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم . والحديث الآتي رواه أبو داود والترمذي والحاكم في المستدرک . انظر الجامع الصغير ٩٨٣٠ .

(٦) الثقلان ، بالتحريك : الجن والإنس .

(٧) كذا في س . وفي ط ، هـ : « والخوف والمواعيد بها » .

(٨) في الأصل : « النار » ، وجهه ما أثبت .

(شعر في بعض النبات)

وقال المرار بن منقذ^(١) :

وَكَاَنَّ أَرْحَلَنَا بِجَوْ مُحْصَبٍ بِلَوَى عُنَيْزَةٍ مِنْ مَقِيلِ الثُّرْمَسِ^(٢)
فِي حَيْثُ خَالَطَتِ الْخَزَامَى عَرْفَجًا يَا تَيْكَ قَابَسُ أَهْلَهَا لَمْ يُقْبَسِ^(٣)
أَرَادَ خِصْبَ الْوَادِي وَرُطُوبَتَهُ . وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ لَمْ تَقْدَحْ عِيدَانُهُ ،
فَإِنْ دَخَلَهَا^(٤) مُسْتَقْبَسٌ لَمْ يُورِ نَارًا .

وقال كثير :

لَهُ حَسْبٌ فِي الْحَيِّ ، وَارٍ زِنَادُهُ عَفَارٌ وَمَرْخٌ حَتَّهُ الْوَرَى عَاجِلُ^(٥)

(١) المرار بن منقذ ، ذكره صاحب المؤلف ١٧٦ ، ويعرف أيضاً بالمرار الحنظلي ، وهو الذي سمي بجزير إلى سليمان بن عبد الملك فهاج المصحاء بينه وبين جرير . مجمع المرزبانى ٤٠٩ . والبيتان الآتيان سبقا في (٣ : ١٢١) .

(٢) ط ، هـ : « أَرْحَلْنَا » صوابه في س . ط : « مُحْصَبٌ » وأثبت ما في س ، هـ والبيان (٣ : ٣٤) . وما في ط رواية المخصص (١٠ : ١٢٣) . وانظر ما سبق من شرح البيت في (٣ : ١٢١) .

(٣) في الأصل : « الْخَزَامَا » بالألف . وانظر ما سبق من الكلام على هذا البيت في (٣ : ١٢١) .

(٤) انظر ما سبق من تمقيب الجاحظ في (٣ : ١٢١) . ولعل : « دَخَلَهَا » : « حَكَمَهَا » أو « قَدَحَهَا » .

(٥) وار : متقد . والزناد : جمع زناد ، أو الزناد مفرد كالزند ، عن كراع ، وهو ذاك الذي يقتدح به . وهى كناية عن الكرم وغيره من الخصال الحمودة . ط ، س : « وارى » صوابه في هـ والمخصص . حته : أراد : عجل بإشماله . وفي الأصل « حَتَّة » تحريف صوابه في المخصص (١١ : ٢٧) . وصدره في المخصص : « لَمْ حَسِبْ » . وما قيل في مثل هذا المعنى ، قول الأعشى :

زنادك خير زناد الماوك خالط فبين مرخ عفار
ولو بت تقدح في ظلمة حصاة بنيع لأوريت نارا

والعَفَار والمَرُخ ، مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الْعِيدَانِ الَّتِي تُقَدِّحُ ، أَكْثَرُهَا
فِي ذَلِكَ وَأَسْرَعُهَا .

قال : ومن أمثالهم : « فِي كُلِّ الشَّجَرِ نَارٌ ، وَاسْتَمَجَدَ المَرُخُ
وَالْعَفَارُ ^(١) » .

(نار الاستمطار)

ونارٌ أخرى ، وهى النَّارُ الَّتِي كَانُوا يَسْتَمْطِرُونَ بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ؛
فإنهم كانوا إِذَا تَتَابَعَتْ عَلَيْهِمُ الْأَزْمَاتُ ^(٢) وَرَكَدَ عَلَيْهِمُ الْبَلَاءُ ، وَاشْتَدَّ
الْجَدْبُ ، وَاحْتَاجُوا إِلَى الْاسْتِمْطَارِ ، اجْتَمَعُوا وَجَمَعُوا مَا قَدَرُوا عَلَيْهِ مِنَ الْبَقَرِ
ثُمَّ عَقَدُوا فِي أَذْنَابِهَا وَبَيْنَ عَرَاقِيبِهَا ، السَّلْعَ وَالْعُشَرَ ^(٣) ، ثُمَّ صَعَدُوا بِهَا
فِي جَبَلٍ وَعَرٍ ^(٤) ، وَأَشْعَلُوا فِيهَا النَّيْرَانَ ، وَضَجُّوا بِالْذُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ . فَكَانُوا
يَرُونَ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ السَّقْيَا . وَلِذَلِكَ قَالَ أُمِّيَّةٌ :

سَنَةَ أَزْمَةٍ تَحِيلُ بَالِنَّا سِرَ تَرَى لِلْعِضَاهِ فِيهَا صَرِيرًا

(١) استمجد : أسرع الورى ؛ فهو فى منحه النار بمرعة ، شبيه بمن يكثر من المعطاء .
طلباً للمجد . ط ، س : « استمجد » هـ : « استمحر » صوابهما فى اللسان وأمثال الميداني .
(٢ : ١٨) والمخصص (١١ : ٢٧) والخزانة (١ : ١٥٩ ، ٢ : ٨٦ ، ٤ :
٤٦ بولاق) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٧٨) .

(٢) الأزمت ، بالتحريك : جمع أزمة بالفتح ، وهى الشدة . وفى الأصل :
« الأزمان » محرفة .

(٣) السلع ، بالتحريك ، والمشر بضم ففتح : ضربان من الشجر ، كان العرب يأخذون
حطبهما للغرض الذى ذكره الجاحظ .

(٤) وروى عكسه ، أى أنهم كانوا يحذرونها من الجبال . انظر شرح شواهد
اللفظ ٣٤٧ .

- إِذْ يَسْفُونُ بِالْدَّقِيقِ وَكَانُوا قَبْلُ لَا يَأْكُلُونَ شَيْئاً فَطَيَّرَا (١)
وَيَسُوقُونَ بَاقِرًا يَطْرُدُ السَّمَ لَ مَهازِيلَ خَشِيَّةٌ أَنْ يَبُورَا (٢)
عَاقِدِينَ النَّيِّرَانَ فِي شُكْرِ الْأَذِّ نَابٍ عَمْدًا كَيْمَا تَهْبِجَ الْبُحُورَا (٣)
فَاشْتَوَتْ كُلُّهَا فَهَاجَ عَلَيْهِم ثُمَّ هَاجَتْ إِلَى صَبِيرٍ صَبِيرَا (٤)
فَرَأَاهَا الْإِلَهُ تَرْشِمَ بِالْقَطِّ وَأَمْسَى جَنَابُهُمْ مَمْطُورَا (٥)
فَسَقَاهَا نَشَاصُهُ وَاكْفَ الْغَيْ مِ مِنْهُ إِذْ رَادَعُوهُ الْكَبِيرَا (٦)
سَلَعٌ مَا وَمِثْلُهُ عُشْرٌ مَا عَائِلٌ مَا وَعَالَتِ الْبَنْقُورَا (٧)

(١) سففت السويق والدواء ونحوهما ، بكسر الفاء الأولى ، أسف ، بفتح السين .
والباء في : « بالدقيق » زائدة . أى يسفون الدقيق . انظر أدب الكاتب
٣٩٧ والاعتضاب ٤٥٦ . والفطير : ما عجل خبزه من ساعة ، ولم يترك
حتى يخبثر .

(٢) البقر : البقر . ورواية اللسان (عيل) : « ويسوقون باقر السهل للطود » وهي رواية
الآلوسی فی بلوغ الأرب (٢ : ٣٠١) عن ابن الكلبي . مهازيل : نحاف ، هزلتها
الأزمة . يبور : يهلك ، أى البقر . س : « تبورا »

(٣) الشكر : جمع شكر ، وهو الشعر القصير بين الشعر الطويل . ط : « عهدا » مكان « عمدا »
ه : « عدا » ، صوابها ما أثبت من س . وهاجت البحور : أثارها . يقال : هاجه
وأهاجه . وروى في اللسان (ثكن) وبلوغ الأرب : « في ثكن الأذنان » .

(٤) كلها : أى كل الأذنان ، أو كل البقر . والصبير : السحاب يثبت يوما وليلة ولا
يبرح ، كأنه يصبر أى يحبس .

(٥) ضمير رأها للأرض المفهومة من الكلام . وأرشت الأرض : بدا نباتها . في الأصل
والديوان : « ترسم » ولا وجه له . والقطر ، بالفتح : المطر .

(٦) النشاص ، بالفتح : السحاب المرتفع . والغيث الواكف : المطر الهاطل . وفي
الأصل : « فسقاها نشاطه واكف النبات » تحريف . منه : أى من النشاص .
وفي الأصل : « منهم » صوابه من ديوان أمية ٣٦ . ه : « إذ رأى دعوة »
وفي الديوان : « إذا وادعوه » . وأرى كل ذلك محرفا . وشعر أمية مفعم
بالتحريف والتصحيف .

(٧) السلع والمشر مضى ضبطهما وتفسيرهما . والكلمة الأخيرة من البيت حكاية من =

هكذا كان الأصمعيُّ ينشدُ هذه الكلمة ، فقال له علماء بغداد :
صَفَّتْ ، إنما هي البيقور ، مأخوذة من البقر .

وأنشد (١) القحذي (٢) للورل الطائي (٣) :

لَادَرْدَرُ رِجَالٍ خَابَ سَعِيهِمْ يَسْتَمْطِرُونَ لَدَى الْأَزْمَاتِ بِالْعُشْرِ (٤)
أَجَاعِلُ أَنْتَ بَيْقُورًا مُسْلَعَةً ذَرِيعَةً لَكَ بَيْنَ اللَّهِ وَالْمَطَرِ (٥)

= الجاحظ لتصحيف الأصمعي ، كما سيأتي . والرواية : « البيقورا » بمعنى البقر ،
كأنه وكا في اللسان (بقر ، عيل) والديوان . ويقال عال الشيء فلانا : ثقل عليه .
للقاموس . يقول : أنقلت البقر بما حملته من السلع والعشر . انظر اللسان (عيل)
وأنشد البيت صاحب اللسان مرة ثالثة في (على) بعد أن قال : « وعالٍ على »
أى إحمل . فكأنه جعل « عالت » مرة أخرى من المعالة . والبيت استشهد
به ابن هشام في المغنى على زيادة « ما » ثلاث مرات . وقد نقل السيوطى في المزهرة
(٢ : ٢٢٣) ما كتبه الجاحظ هنا من تصحيف الأصمعي . وفيه : « النيقورا » .
وليس أحد الصحيفين بأولى في الإثبات من صاحبه . ونقل الآلوسى في بلوغ
الأرب (٢ : ٣٠١) أن تصحيف الأصمعي هو : « وغالت البيقورا » بالغين
المعجمة .

(١) ط : « فأنشد » صوابه فى س ، هـ .

(٢) القحذي هو الوليد بن هشام القحذي ، كما فى البيان (١ : ٦١ ، ٢ : ٢٥٤) .
وفى لسان الميزان (٦ : ٢٢٨) . « قاله ابن حبان فى الطبقة الثالثة من الثقات : الوليد بن
هشام بن قحزم ، أبو عبد الرحمن القحذي ، من أهل البصرة ، يروى عن جرير بن
عتبان . حدثنا عنه أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي . مات سنة اثنتين وعشرين
ومائتين » . والقحذي ، بفتح القاف بعدها حاء مهملة ساكنة وذال مبدية مفتوحة :
نسبة إلى جده قحزم ، كما رأيت . وفى الأصل : « القحذي » بالذال ، تصحيف ،
صوابه من المصدرين السابقين .

(٣) كذا فى الأصل واللسان (بقر) نقلا عن الجوهرى ، حيث أنشد البيتين . وفى اللسان
(سلع) : « الورك » .

(٤) س ، هـ : « لدى الأزمان » ، صوابه فى ط واللسان (بقر ، و سلع) .

(٥) مسلعة : وضع فى أذناها وبين عراقيها السلع . والسلع ، بالتحريك : نبت .

(استطراد لغوى)

قال : ويقال بَقَر ، وَيَقِير . وَيَقُور ، وباقِر^(١) . ويقال للجماعة منها :
 قطع وإجل . وكَوَّر^(٢) . وأنشد^(٣) :
 فسكَّنهم بالقولِ حتى كأنهم بواقِرُ جُلحٍ أسكَّنَها المرائعُ^(٤)
 وأنشد^(٥) :

ولا شُبُوبٌ مِنَ الثيرانِ أَفْرَدَهُ عَنْ كَوْرِهِ كَثْرَةُ الإغْرَاءِ وَالطَّرْدُ^(٦)

- (١) زاد عليه في اللسان : باقور وباقورة . وكلها أسماء جمع .
 (٢) إجل ، بالكسر . وكور ، بالفتح . وفي الصحاح : « والكور أيضاً : الجماعة الكثيرة من الإبل وجمله أبو ذؤيب في البقر أيضاً » .
 (٣) البيت الآتي لقيس بن عيزارة الهذلي ، كما في اللسان (جلع) . وله ترجمة في معجم المرزباني ٣٢٦ . والميزارة أمه ، وهو قيس بن خويلد .
 (٤) جلع : جمع أجلع وجلعاء ، وهو الذي لا قرن له . أسكنها : جعلتها تسكن . وفي اللسان (جلع) : « سكنها » ، وروى في (بقر) : « أسكنها » . وفي س : : « أمكنها » .
 (٥) البيت الآتي لأبي ذؤيب الهذلي ، كما في ديوان الهذليين ١ : ١٢٤ واللسان (كور) . وقبله ، وهو أول القصيدة :

تَأَلَّهْ يَبْتَقِ عَلَى الْإَيَّامِ مُبْتَقِلٌ جَوْنُ السَّرَاةِ رَبَّاعٌ سِنَّهُ غَرْدٌ

يقول : تأله لا يبق على الأيام مبتقل : أي الذي يرعى البقل . جون السراة : أسود الظهر . غرد : مصوت .

- (٦) أي : ولا يبق شوب . والشوب ، كصبور : التام الشياب . ومثله الشيب ، بالتحريك . والمشب ، بضم الميم وكسر الشين . ورواية الجوهري : « ولا مشب » وهي كذلك رواية ابن سيده (٨ : ٣٣) . وفي (٨ : ٤٢) : « ولا شوب » . وقد ضبط في اللسان : « ولا شُبُوبٌ » بالبناء على الفتح « وهو خطأ ، فإنه مطف على : « مبتقل » في البيت السابق في التنبيه السالف . أفردته عن كوره : جعله مفرداً من جماعته وشرده . وروى في اللسان : « من كوره » : والإغراء : =

(نار التحالف والحلف)

ونار أخرى ، هي التي توقد عند التحالف ، فلا يعقدون حلفهم إلاّ عندها . فيذكرون عند ذلك ^(١) منافعها ، ويدعون إلى الله عز وجل ، بالحرمان والمنع من منافعها ، على الذي ينقض عهد الحلف ، ويخيس بالعهد ^(٢) .

ويقولون في الحلف : الدّم الدّم ، والهدم الهدم ^(٣) (يحركون الدالّ في هذا الموضع) لا يزيده ^(٤) طلوع الشمس إلاّ شداً ، وطول الليالي إلاّ مدداً ، ما بلّ البحر صوفة ^(٥) : وما أقام رضوى في مكانه ^(٦) : (إن كان جبلهم رضوى) .

= أى إغراء الكلاب الصائدات به . والطرّد ، بالتحريك ، مثل الطرد بالفتح : المطاردة ومزاولة الصيد . هـ : « من النيران » محرف . وفي الأصل : « كثرة الأعداء » ، صوابه من اللسان والمخصص والصحاح .

(١) هـ : « عند ذكر » .

(٢) خاس بالعهد : أخلفه ونقضه .

(٣) الهدم ، بالسكون ، وبالتحريك : إهدار دم القتيل . والمعنى : إن طلب دمكم فقد طلب دمنّا ، وإن أهدر دمكم فقد أهدر دمنّا . وقيل : الهدم ، بالتحريك : القبر . أى قبرنا قبركم . أى لا تزال معكم حتى نموت عندكم . وللعبرة تفاسير أخر مذكورة في اللسان ، وكلها جيد .

(٤) أى لا يزيد الحلف .

(٥) في الأصل : « وما بلّ البحر صوفة » والواو مقحمة . والصوفة : واحدة الصوف .

وصوف البحر : شيء على شكل هذا الصوف الحيوانى . ويرى : « ما بلّ بحر

صوفة » ، كما في اللسان (صوف) .

(٦) رضوى ، بالفتح : جبل بالمدينة .

وكلُّ قومٍ يذكرون جبلهم ، والمشهور من جبالهم .
 وربما دَنَوْا منها حتى تكاد تحرقهم ^(١) .
 ويهولون على من يُخافُ عليه الغدرُ . بحقوقها ومنافعها . والتَّخْوِيفِ
 مِنْ جِرْمَانٍ منفعتها . وقال الكُمَيْتُ :
 كَهَوْلَةٍ مَا أَوْقَدَ الْمُخْلَفُو نَ لِلْحَالِفِينَ وَمَا هَوَّلُوا ^(٢)
 وَأَصْلُ ^(٣) الْحِلْفِ وَالتَّحَالِفِ ، إِنَّمَا هُوَ مِنَ الْحَلْفِ وَالْإِيمَانِ ^(٤)
 ولقد تحالفت قبائل من قبائل مُرَّةَ بْنِ عَوْفٍ ، فتحالفوا عند نَارٍ فدَنَوْا منها ،
 وعشَّوْا بها ^(٥) . حَتَّى مَحَشَتَهُمْ . فَسَمُُّوا : الْحَاشِ ^(٦) .
 وكان سيدهم والمطاع فيهم ، أَبُو ضَمْرَةَ يَزِيدُ بْنُ سَنَانٍ بْنُ أَبِي حَارِثَةَ ^(٧) .
 ولذلك يقول النَّابِغَةُ :

بَجَّعُ مَحَاشِكَ يَا يَزِيدُ فَإِنِّي بَجَّعْتُ يَرْبُوعًا لَكُمْ وَتَمِيمًا ^(٨)

(١) هـ : « تحرقهم » مصحفة .
 (٢) الهولة ، بالضم : ما يهول . ط ، س : « لهولة » صوابه في هـ واللسان (هول) .
 وكانوا يطرحون في النار ملحا يقع يهولون بذلك . اللسان (نور) . وانظر الخزائنة
 (٣ : ٢١٤) حيث تجد تفصيلا أوسع . وقبل البيت كما في الخزائنة :
 فَقَدْ صرْتُ عَمَّا لَهَا بِالْمُشِيبِ زَوَالًا لَدَيْهَا هُوَ الْأَزُولُ
 (٣) في الأصل : « وأهل » ، ووجه ما أثبت .

(٤) الإيمان : جمع يمين ، وهي القدم . ط : « ولا يماو » تحريف ما أثبت من
 س ، هـ .

(٥) عشى بالنار ، كرضى ودعا : ساء بصره . ومصدره العشا ، يكتب بالالف وبالياء .
 (٦) المحاش ، بالكسر . ومحشته النار : أحرقتها . والمحاش : هم صرمة وسهم ومالك بنومرة
 ابن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض ، وضبة بن سعد . اللسان (محش) . وفي شرح
 ديوان النابغة البطلاني ٦٩ أنهم بنو خصيلة بن مرة ، وبنو نشبة بن غيظ بن مرة ،
 تحالفوا على بني يربوع بن غيظ بن مرة ، رهط النابغة .

(٧) يزيد هذا ، هو أخو هرم بن سنان بن أبي حارثة الذي مدحه زهير بن أبي سلمى . وأبوهما
 سنان ، كان أيضاً من مدحه زهير .

(٨) رواية اللسان والديوان : « أعددت يربوعا » .

١٥١ وَلِحِقْتُ بِالنَّسَبِ الَّذِي عَصَيْتَنِي وَتَرَكْتُ أَصْلًا يَا زَيْدُ ذَمِيَا^(١)
وقوله : « تميم » يريد : تميمية^(٢) . فحذف الهاء .

(التحالف والتماقد على الملح)

وَرَبَّمَا تَحَالَفُوا وَتَعَاقَدُوا عَلَى الْمَلْحِ . وَالْمَلْحُ شَيْثَانٌ : أَحَدُهُمَا الْمَرْقَةُ^(٣) .
وَالْآخَرُ اللَّبَنُ . وَأَنْشَدُوا الشُّعَيْمَ بْنَ خُوَيْلِدٍ الْفَزَارِيَّ^(٤) :
لَا يَبْعِدُ اللَّهُ رَبُّ الْعِبَادِ وَالْمَلْحُ مَا وَلَدَتْ خَالِدَةً^(٥)

(١) كان يزيد يفتخر بنسبته في قيس ويقول :

إِنِّي أَمْرٌ مِنْ صُلْبِ قَيْسٍ مَاجِدٍ لَا مَدَحَ نَسَبًا . وَلَا مُسْتَكْرَ .
وكان يقول للنابعة : والله ما أنت من قيس ولا أنت إلا من قضاة . فقال له :
النابعة له : أنا لاحق بمن عيرتني ومتحقق بهم ، ولست مثلك تنثنى عن أصلك .
وقيس من العدنانية . وأما قضاة فكانت في العدنانية ، ثم تحولت إلى القحطانية .
انظر ما سبق من الكلام على هذا في ص ٣٢٥ - ٣٢٦ من هذا الجزء . وفي اللديوان :
« وتركت أصلك » و « ذميما » حال من فاعل « تركت » أى فعلت ذلك
وأنت مذموم .

(٢) أى استعمل الترقيم فحذف الهاء . و تميمية هى ابن ضبة بن عذرة بن سعد بن ذبيان ، كما
في شرح ديوان النابعة ٧٠ . قال : « قوله و تميميا ، لم يرد تميم بن مر . إنما أراد :
تميمية بن ضبة بن عذرة » . وقد عقب على ذلك بقوله : « فرخم في غير النداء » . وكلمة :
« مر » هى في أصل الشرح : « مرة » . و « تميمية بن ضبة » هى في أصلها : « تميم
ابن ضبة » . وقد أصلحت التحريفين .

(٣) كذا . وفي القاموس واللسان أن الملح « الحرمة » . وفي اللسان عن ابن الأنباري والخزائن :
(٤ : ١٦٤ بولاق) عن المفضل بن سلمة أن الملح « البركة » . ولم أجد من فسرها
بأنها المرققة .

(٤) شعيم ، هيئة التصغير ، شاعر جاهلي كما في الخزائن (٤ : ١٦٤ بولاق) . وروى في
الخزائن أيضاً عن نوادر بن الأعرابي منسوباً إلى نهيكمة بن الحارث المازني من مازن فزاراة .
ورواه المبرد في كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه ص ٢٧ منسوباً إلى ابن الزبيرى .
وفي مقطعات المراثي ١٠٦ نسبتها إلى الحارث بن عمرو الفزاري يرقى بنى خالدة : كردمة
ولإخوته . وانظر اللسان (لوم ٣٨) .

(٥) الملح ، روى بالرفع في الفاخر ٩ والكامل ٢٨٤ ليسك . عطف على لفظ الجلالة =

وأنشدوا فيه ^(١) قول أبي الطَّمَحَانِ ^(٢) :

وإني لأَرْجُو مِلْحَهَا فِي بَطُونِكُمْ وَمَا بَسَطْتُ مِنْ جِلْدٍ أَشْعَثَ أَغْبَرًا ^(٣)
وذلك أَنَّهُ كَانَ جاورهم ، فكان يَسْقِيهم اللَّبَنَ ؛ فقال : أَرْجُو أَنْ
تَشْكُرُوا لِي رَدَّ إِبْسِلِي ^(٤) ، عَلَى مَا شَرِيتُمْ مِنْ أَلْبَانِهَا ، وَمَا بَسَطْتُ مِنْ جِلْدٍ
أَشْعَثَ أَغْبَر . كَأَنَّهُ يَقُول : كُنْتُمْ مَهَازِيل - وَالْمَهْزُولُ يَتَقَشَّفُ جِلْدُهُ
وَيَنْقَبِضُ - فَبَسَطَ ذَلِكَ مِنْ جُلُودِكُمْ .

(نَارُ الْمَسَافِرِ)

ونار أخرى ^(٥) ، وهى النَّارُ الَّتِي كَانُوا رَبَّمَا أَوْقَدُوهَا خَلْفَ الْمَسَافِرِ ،

= وروى بالجر عطفًا على « العباد » أو يجعل الواو واو القسم . انظر اللسان (٣) :
٤٤٤ من (٤) حيث تجد العبارة مضطربة . وقد حررتها . وخالدة هى بنت أرقم ،
أم كردم وكريدم ابني شعبة الفزاريين .

(١) أى فى الملح . وفى الأصل : « فى » محرفة .

(٢) أبو الطمحن ، بالتحريك ، هو حنظلة بن الشرق . كان نديما للزبير بن عبد المطلب
فى الجاهلية ، ثم أدرك الإسلام . وهو أحد المعمرين . الإصابة ٢٠٠٧ والأغاني
(١١ : ١٢٥) والشعراء ٣٤٨ .

(٣) كذا جاءت الرواية هنا وفى الكامل ٢٨٤ ليسك والاشتقاق ٢٦٧ والغريب المصنف
٤٩٤ والمختص (١ : ٢٦) بالجر . ولقصيدة مكسورة الروى . وأولها :

أَلَا حَسْبَ الْمِرْقَالُ وَاشْتاقُ رَبِّهَا تَذَكُّرُ أَرْمَامًا وَأَذَكُّرُ مَعْشَرِي

انظر اللسان (ملح) والشعراء والأغاني (١١ : ١٢٨) . والبيت يقوله لقوم
نزولوا عليه فشرىوا من ألبانها ثم أغاروا عليها فأخذوها .

(٤) الرد بمعنى الفائدة والنفع . وانظر البيان (٣ : ٥٠) . ط ، هـ : « ردائل » من :
« ردائل » بهذا الإهمال . وصوابها ما أثبت .

(٥) سماها السكرى فى كتاب الأوائل : « نار الطرد » صبيح الأعشى (١) :

٤٠٩) وتنزيل الآيات لمحج الدين أفندى . وسماها الثعالبى فى ثمار القلوب ٤٥٩ =

« نار المسافر » .

«وَحَلَفَ الزَّائِرُ الَّذِي لَا يَجُوبُونَ رُجُوعَهُ . وَكَانُوا يَقُولُونَ فِي الدُّعَاءِ : أَبْعِدْهُ اللَّهُ
وَأَسْحَقْهُ ، وَأَوْقَدَ نَاراً خَلْفَهُ ، وَفِي إِثْرِهِ ! وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ بَشَارَ - وَضَرْبُهُ
مِثْلًا - :

صَحَوْتَ وَأَوْقَدْتَ لِلْجَهْلِ نَارًا وَرَدَّ عَلَيْكَ الصَّبَا مَا اسْتَعَارَا^(١)
وَأَنشَدُوا :

وَجَعَلَتْ أَقْوَامٌ حَمَلَتْ وَلَمْ تَسْكُنْ لَتَوْقَدَ نَارًا لِإِثْرِهِمُ لَتَنْتَدِمَ^(٢)
وَالْجَمَّةُ : الْجَمَاعَةُ يَمْشُونَ فِي الصَّلْحِ . وَقَالَ الرَّاجِزُ فِي إِبْلِهِ :
. تَقَسَّمُ فِي الْحَقِّ وَتَعْطَى فِي الْجَمَمِ^(٣) .

يقول^(٤) . لَا تَنْدَمُ عَلَى مَا أُعْطِيتَ فِي الْحِمَالَةِ^(٥) ، عِنْدَ كَلَامِ الْجَمَاعَةِ
«فَتَوْقَدَ خَلْفَهُمْ نَارًا كَيْ لَا يَعُودُوا .

(نَارُ الْحَرْبِ)

ونار أخرى^(٦) وهى النَّارُ الَّتِي كَانُوا إِذَا أَرَادُوا حَرْبًا ، وَتَوَقَّعُوا جَيْشًا
عَظِيمًا ، وَأَرَادُوا الْاجْتِمَاعَ أَوْقَدُوا لَيْلًا عَلَى جَبَلِهِمْ نَارًا ؛ لِيَبْلُغَ الْخَبْرُ أَصْحَابَهُمْ .

(١) ديوان بشار ٣ : ٤ ومجالس ثعلب ٦١١ والأزمنة والأمكنة (٢ : ٣٥٧) .
واللسان (وقد) .

(٢) مثل هذه الرواية في ثمار القلوب ٤٥٩ وتنزيل الآيات . وروى في اللسان (نور)
ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٧٧) : « وَلَمْ أَكُنْ لِأَوْقَدَ نَارًا » . والجمعة ،
بفتح الجيم وتضم .

(٣) في الحق : أَى فِي حَقِّ الْأَضْيَافِ إِذْ يَنْعَرُهَا لَهُمْ . هـ : « يَقْسَمُ » س ، هـ : « بِالْحَقِّ »
صَوَابُهُمَا فِي ط . س : « بِالْجَمَمِ » صَوَابُهُ فِي ط ، هـ .

(٤) أَى الشَّاعِرُ الدَّابِقُ ، لَا الرَّاجِزُ .

(٥) الْحِمَالَةُ ، كَسَحَابَةٍ : الدِّيَةُ يَحْمِلُهَا قَوْمٌ عَنْ قَوْمٍ .

(٦) سَمَّاها الثَّعَالِبِيُّ فِي ثَمَارِ الْقُلُوبِ ٤٦١ : « نَارُ الْإِنذَارِ » وَالسَّكْرِيُّ فِيمَا نَقَلَ عَنْهُ
مَحَبُّ الدِّينِ أَفْنَدَى : « نَارُ الْأَهْبَةِ لِلْعَرَبِ » ، وَفِيمَا نَقَلَ عَنْهُ الْقَلْقَشَنَدِيُّ : « نَارُ الْحَرْبِ » .

وقد قال عمرو بن كلثوم :

ونحنُ غداةَ أوقدَ في خَزَازٍ رَفَدْنَا فَوْقَ رِفْدِ الرَّافِدِيَا^(١)

وإذا جَدُّوا في جَمْعِ عَشَائِرِهِم إِلَيْهِمْ^(٢) أَوْقَدُوا نَارَيْنِ . وهو قول

الفرزدق^(٣) :

لولا فوارِسُ تُغَلِّبَ ابْنَةُ وائِلٍ سَدَّ العدوُّ عليكَ كلَّ مكانٍ^(٤)

ضربوا الصَّنَائِعَ والملوكَ أَوْقَدُوا نارَيْنِ أَشْرَفَتَا على النَّيرانِ^(٥)

(١) خزاز وخزازى ، بالفتح : جبل . وروى البيت بالروایتين . س ، هـ :

« خزاز » مصحفة . وانظر خبر يوم خزاز في معجم البلدان والميداني (٢ :

٣٥٣) والعقد (٣ : ٣٦٥) وكامل ابن الأثير (١ : ٣١٠) والعمدة

(٢ : ١٦٦) . رَفَدْنَا : أعنا .

(٢) في الأصل : « في جميع » محرفة . ط ، س : « ولما وجدوا » هـ :

« ولما جدوا » وهما تصحيف ما أثبت . وجاء في تنزيل الآيات ٩٢ : « فإذا جد

الأمر أوقدوا نارين » ، وفي الخزانة (٣ : ٢١٤ بولاق) نقلا عن ابن قتيبة :

« فإذا جدوا وأعجلوا أوقدوا نارين » .

(٣) من قصيدة يهجو بها جريرا ، ويذكر فضل التغلبيين وهط الأخطل . الديوان

٨٨٢ - ٨٨٣ .

(٤) روى في الديوان وتنزيل الآيات : « نزل العدو عليك » هـ : « ترك » محرفة

عن الرواية السابقة .

(٥) الصنائع ، يروون أنه كان للنعمان الأكبر ملك الحيرة ، خمس كتاب : الرهائن ،

والصنائع ، والوضائع ، والأشاهب ، ودوسر . فالرهائن : خمسمائة رجل رهائن لقبائل

العرب يقيمون سنة على باب الملك طوع أمره ، ثم يستبدل غيرهم بهم . و (الصنائع) :

بنوقيس وبنو قيم اللات ابني ثعلبة . وكانوا خواص الملك لا يبرحون بابه .

والوضائع : ألف رجل من الفرس يضعهم ملك الملوك بالحيرة نجدة للملوك العرب ،

يقيمون سنة ثم يستبدل غيرهم بهم . والأشاهب : إخوة ملك العرب وبنو عمه .

وأما دوسر فكانت أخشن كتابيه وأشدّها بطشا ، وكانوا من كل قبائل العرب :

وأكثرهم من ربيعة . انظر بلوغ الأرب (٢ : ١٧٦) . وفي الأصل :

« ضربوا المصانع والتلول » وليت شعري ماذا يحدى عليهم ضرب التلول ؟ ! =

(نار الحَرَّتَيْنِ)

ونار أخرى ، وهي « نار الحَرَّتَيْنِ »^(١) ، وهي نار خالد بن سنان ، أحد بني مخزوم . من بني قُطَيْبَةَ بْنِ عَبْسٍ^(٢) . ولم يكن في بني إِسْمَاعِيلِ ١٥٢ نبيُّ قبله . وهو الذي أطفأ الله به نار الحَرَّتَيْنِ . وكانت ببلاد بني عبس^(٣) ، فإذا كان اللَّيْلُ فهي نارٌ تسطَعُ في السَّمَاءِ ، وكانت طَبِيٌّ تُنْفِشُ بها إبلها من مسيرة ثلاث^(٤) . وربما ندرت منها العُنُقُ^(٥) فتأتى على كلِّ شيءٍ فتحرقه . وإذا كان النهارُ فإنما هي دخانٌ يفور . فبعث الله خالد بن سنان

= فهو تحريف صوابه ما أثبت من الخزانة ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٧٨) ، ونزِيل الآيات . ورواية الديوان : « قتلوا الصنائع والملوك » وفيه أيضاً : « نارين قد علتا » . وأشرفنا وعلتا بمعنى .

(١) الحرة ، بالفصح : أرض ذات حجارة نخرة سود . والحرتان ، هما حرة ليلى ، لبنى مرة ، وحرة النار لطفان ، كما في المزهري (٢ : ١١٩) . أما حرة ليلى فهي من وراء وادي القرى من جهة المدينة . وحرة النار قرية من حرة ليلى قرب المدينة . عن معجم البلدان .

(٢) قطيعة ، كجهينة ، بهيئة التصغير .

(٣) في الأصل : « وكانت حرة ببلاد بني عبس » . وكلمة « حرة » تفسد الكلام . وضمير « كانت » راجع إلى : « نار الحرتين » فالصواب حذفها ، كما جاء في نقل الثعالبي عن الجاحظ في ثمار القلوب ٤٥٦ . وكما في صبح الأعشى (١ : ٤٠٩) وبلوغ الأرب .

(٤) أنفش الراعي إبله : جعلها ترعى ليلا دون أن يراقبها . من مسيرة ثلاث : أي ثلاث ليال ، كما جاء في ثمار القلوب نقلاً عن الجاحظ ، وكما في صبح الأعشى (١ : ٤٠٩) وبلوغ الأرب . س : فقط « ثلاثة » : أي ثلاثة أيام . في الأصل : « تتبين بها إبلها » ، وفي ثمار القلوب : « تنمش بها إبلهم » ، ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٧٨) وهو ينقل عن الجاحظ ولو لم يصرح - : « تنقش فيها الإبل » صواب هذا كله « تنفش » بالفاء ، كما أثبت موافقاً لما في عجائب المخلوقات ٨٨ .

(٥) ندرت : ظهرت ويدت . والعنق : القطعة أو الطائفة .

فاحتَضَرَ لها بئراً ، ثمَّ أَدْخَلَهَا فِيهَا ، وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ ؛ ثُمَّ اقْتَحَمَ فِيهَا حَتَّى غَشِيَهَا . وَسَمِعَ بَعْضُ الْقَوْمِ وَهُوَ يَقُولُ : [هَلَاكَ الرَّجُلُ ! فَقَالَ خَالِدُ بْنُ سِنَانٍ ^(١)] : كَذَبَ ابْنُ رَاعِيَةِ الْمَعَزِ ، لِأَخْرَجَنَّا مِنْهَا وَجِيبِي يَنْدَى ^(٢) ! فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ ، قَالَ لِقَوْمِهِ : إِذَا أَنَا مِتُّ ثُمَّ دَفَنْتُمُونِي ، فَاحْضُرُونِي بَعْدَ ثَلَاثٍ ؛ فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَ عَيْرًا أَبْتَرَّ يَطُوفُ بِقَبْرِي ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَانْبِشُونِي ؛ فَإِنِّي أَخْبَرْتُكُمْ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . فَاجْتَمَعُوا لَذَلِكَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ ^(٣) ، فَلَمَّا رَأَوْا الْعَيْرَ ^(٤) وَذَهَبُوا يَنْبِشُونَهُ ، اخْتَلَفُوا ، فَصَارُوا فِرْقَتَيْنِ ، وَابْنَهُ عَبْدُ اللَّهِ فِي الْفِرْقَةِ الَّتِي أَبَتْ أَنْ تَنْبِشَهُ وَهُوَ يَقُولُ : [لَا أَفْعَلُ ! إِنِّي ^(٥)] إِذَا أَدْعَى ابْنُ الْمَنْبُوشِ ! فَتَرْكُوهُ .

وَقَدْ قَدِمَتْ ابْنَتُهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَبَسَطَ لَهَا رِدَاءَهُ . وَقَالَ : هَذِهِ ابْنَةُ نَجِيٍّ ضَيَّعَهُ قَوْمُهُ .

قَالَ : وَسَمِعْتُ سُورَةَ : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ فَقَالَتْ : قَدْ كَانَ أَبِي يَتْلُو هَذِهِ السُّورَةَ .

(١) هذه التَّسْكِلَةُ مِنَ الْإِصَابَةِ ٢٣٥١ فِي تَرْجُمَةِ خَالِدِ بْنِ سِنَانٍ . وَبَدَوْنَهَا لَا يَصِحُّ الْكَلَامُ .

(٢) كَذَا عَلَى الصَّوَابِ فِي مُحَاضَرَاتِ الرَّاعِي ، وَالْعِبَارَةُ مُحَرَّفَةٌ فِي الْأَصْلِ . فَنَ فِي ط :

« وَجِيبِي تَنْدَل » هـ : « وَجِيبِي يَنْدَا » س : « وَجِيبِي تَنْدَى » . وَيَنْدَى :

أَيْ عَلَيْهِ نَدَى الْعَرَقِ . كُنْيَاةٌ عَنْ سَلَامَتِهِ مِنْ أَذَى النَّارِ وَلَفَحِهَا .

(٣) كَذَا فِي س ، وَثَمَارُ الْقُلُوبِ . وَفِي ط ، هـ : « فَاجْتَمَعُوا لَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ » .

(٤) الْعَيْرُ ، بِالْفَتْحِ : الْحِمَارُ الْوَحْشِيُّ .

(٥) الزِّيَادَةُ مِنْ مُحَاضَرَاتِ الرَّاعِي . وَانْظُرِ لِلْخَبَرِ أَيْضًا مَرْجُوحُ الذَّهَبِ (١ : ٦٧ - ٦٨) .

(نبوة خالد بن سنان)

والمستكلمون لا يؤمنون بهذا ، ويزعمون أن خالداً هذا كان أعرابياً
وبرياً ، من أهل شرج وناظرة^(١) . ولم يبعث الله نبياً قط من الأعراب
ولا من الفدادين^(٢) أهل الوبر ، وإنما يبعثهم من أهل القرى ، وسكان
المدن .

وقال خليد عيين^(٣) :

وأى نبى كان فى غير قومه وهل كان حُكمُ الله إلا مع النخل^(٤)
وأنشدوا :

كنارِ الحرتين لها زفيرٌ يصمُّ مَسَامِعَ الرَّجُلِ السَّمِيعِ^(٥)

(عبادة النار وتعظيمها)

وما زال الناسُ كافَّةً ، والأممُ قاطبةً - حتى جاء الله بالحق - مؤلّعين
بتعظيم النار ؛ حتى ضلَّ كثيرٌ من الناس لإفراطهم فيها ، أنهم يعبدونها^(٦) .

(١) شرج وناظرة : ماءان لميس . عن معجم البلدان (ناظرة) . وشرج ، بفتح الشين
وسكون الراء بعدها جيم . وناظرة ، بالطاء المعجمة . وفى ط ، س : « شرج
وناصرة » هـ : « شرج وناصر » محرفتان صوابهما ما أثبت .

(٢) الفدادون : أهل الوبر ، أى الذين يعيشون فى بيوت من وبر الإبل ، وهم
أهل للبادية .

(٣) عيين : قرية بالبحرين نسب إليها خليد . وقد ترجمته فى (١ : ٢٦٦) .
وفى الأصل : « خليد عيس » محرف .

(٤) يقوله لجرير فى قصيدة يهجو بها ويرد عليه . انظر (١ : ٢٦٦) .

(٥) زفير النار : صوت توقدها واضطرامها . ط ، هـ : « تصم » . ورواية البيت
فى ثمار القلوب :

ونار الحرتين لها زفير يصم لهوله الرجل السميع

(٦) فى ثمار القلوب : « حتى ظن كثير من الناس لإفراطهم أنهم يعبدونها » .

فأما النار العُلويَّة ؛ كالشمس والكواكب ، فقد عُبِدَت البتَّة . قال الله تعالى : ﴿ وَجَدْنَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ .

وقد يجيء في الأثر وفي سُنَّة بعض الأنبياء ، تعظيمها على جهة التعبد والمحنة ، وعلى إيجاب الشكر على النعمة بها وفيها . فيغلط لذلك كثير من الناس ، فيجوزون الحدَّ .

ويزعم أهل الكتاب أن الله تعالى أوصاهم بها ، وقال : « لَا تُطْفِئُوا النَّيرَانَ مِنْ بَيْوتِي » . فلذلك لا تجدد الكنائس والبيع^(١) ، وبيوت العبادات ، إلَّا وهي لا تخلو من نارٍ أبدًا ، ليلاً ولا نهاراً ؛ حتَّى اتَّخَذَتِ النَّيرانِ ٥٣ البُيُوتَ وَالسَّدَنَةَ . ووقفوا عليها الغلاتِ الكثيرة .

(إطفاء نيران المجوس)

أبو الحسن عن مسلمة^(٢) وقحدم^(٣) ، أن زياداً بعث عبد الله بن أبي بكرة^(٤) ، وأمره أن يُطْفِئَ النيران ، فأراد عبد الله أن يَبْدَأَ بنار

(١) البيع بكسر ففتح : جمع بيعة ، بالكسر ، وهي كنيسة النصارى ، وقيل كنيسة اليهود .

(٢) هو مسلمة بن محارب ، فيما أرجح . وله حديث عن زياد في البيان (٢ : ٧٧) .

(٣) كذا جاء بالبدال المهملة . والمعروف في أسمائهم : « قحزم » بالذال ، و « قحزم » بالزاي .

(٤) عبد الله ، أحد أولاد أبي بكرة الأربعين ، ذكره ابن قتيبة في المعارف ١٢٥ . وأبو بكرة اسمه نفع بن الحارث ، أسلم ومات في خلافة عمر . وكان تعل إلى النبي صلى الله عليه وسلم من حصن الطائف ببكرة ، فاشتهر بأبي بكرة . الإصابة ٨٧٩٤ .

جُور^(١) فيطْفِئُهَا ، فقبل له : ليست للمجوس نَارٌ أَكْثَمُ من نار الكاريان^(٢) من دار الحارث^(٣) . فإن أطفأتها لم يمتنع عَلَيْكَ أَحَدٌ ، وإن أطفأت سافلتها استعدُّوا للحَرْبِ وامتنعوا ، فأبدأ بها . فخرج إلى الكاريان فتحصَّنَ أهلُها في القلعة . وكان رَجُلٌ من الفرس من أهل تلك البلاد معروف^(٤) بالشدة ، لا يقدرُ عليه أحدٌ ، وكان يمرُّ كلَّ عَشِيَّةٍ ببابِ منزله^(٥) استخفاً وإذلاًلاً بنفسه ، فغمَّ ذلك عبد الله . فقال : أما لهذا أَحَدٌ ؟ ! وكان مع عبد الله ابن أبي بكرة^(٦) رجلٌ من عبد القيس ، من أشدَّ النَّاسِ بطشاً ، وكان جباناً ، فقالوا له : هذا العبدى^(٧) ، هو شديدُ جَبَانٍ . وإن أَمَرْتَهُ به خافَ القتالَ فلم يَعْرِضْ له . فاحتل له حيلةً . فقال : نعم .

قال : فيينا هو في مجلسه إذ مرَّ الفارسيُّ ، فقال عبد الله : ما رأيتُ مثلاً خَلَقَ هذا ، وما في الأرض — كما زعموا — أشدُّ منه بطشاً ! ما يقوى

(١) ط ، هـ : « حوم » س : « حدر » ، صوابها ما أثبت . جاء في مروج الذهب (١ : ٣٨٣) : « وفي مدينة جور من أرض فارس وهو البلد الذي يحمل منه ماء الورد الجورى . وإليه يضاف بيت النار ، بناء أردشير بن بابك » . ونحو هذا الكلام أيضاً في معجم البلدان (جور) .

(٢) الكاريان ، بكسر الراء ، قال ياقوت : « مدينة بفارس صغيرة ، ورستاقها عامر ، وبها بيت نار معظم عند المجوس ، تجمل ناره إلى الآفاق » .

(٣) كذا بالأصل . ولعل وجهه : « ومن نار الحارث » ، والحارث : جبل بأرمينية انظر معجم البلدان .

(٤) كذا في س ، هـ ، على الوصفية ، وخبره : « لا يقدر » . ط : « معروفاً » على الخبرية .

(٥) في الأصل : « يأتي منزله » .

(٦) س : « وكان مع ابن أبي بكرة » .

(٧) العبدى : نسبة إلى عبد القيس : قبيلة كانت تسكن البحرين . س : « العبدى » ولعل صواب ما في س : « العدوى » ، نسبة إلى عدوى بفتحين فسكون ففتح ، مقصور ، وهي قرية بالبحرين بلاد عبد القيس .

عليه أحد ! فقال العبدى^(١) : ما تجعلون لى إن احتملته حتى أدخله الدار وأكتفه ؟ فقال له عبد الله : لك أربعة آلاف درهم . فقال : تفون لى بألف ؟ قال : نعم ! فلما كان الغد مرّ الفارسى^(٢) ، فقام إليه العبدى فاحتمله فما امتنع ولا قدر أن يتحرك ، حتى أدخله الدار وصرب به الأرض ووثب عليه الناس فقتلوه ، وغشى على العبدى^(٣) حين قتلوه . فلما قُتل أعطى أهل القلعة بأيديهم^(٤) . فقتل ابن أبى بكرة الهرايزة^(٥) ، وأطفأ النار ، ومضى يطىء الذير أن حتى بلغ سجستان .

(تعظيم المجوس للنار)

والمجوس تقدم النار فى التعظيم على الماء ، وتقدم الماء فى التعظيم على الأرض . ولا تسكاد تذكر الهواء^(٥) .

(نار السعالى والجن والغيلان)

ونار أخرى ، التى يحكونها من نيران السعالى^(٦) والجن ، وهى غير نار الغيلان^(٧) . وأنشد أبو زيد لسهم بن الحارث^(٨) :

(١) س : « العبدى » . وانظر التنبيه السابق .

(٢) س : « العبدى » ، محرف .

(٣) أعطوا بأيديهم : استسلموا واستأسروا .

(٤) الهرايزة : جمع هريذ ، بكسر الهاء والياء ، كزبرج ، وهو خادم نار المجوس . وفى معجم استنجاس أنه قيم معبد النار : أو الرئيس من رؤساء كهنة المجوس .

(٥) فى الأصل : « الهوى » محرف .

(٦) السعالى : جمع سعلة ، بالكسر ، وهى أنثى الجن فيما يزعمون .

(٧) ذهب الجاحظ إلى أن الغيلان نوع مغاير للسعالى . انظر تفصيل ذلك فى الحيوان (٦ : ١٥٨ - ١٦٠) . ونحوه ماورد فى عجائب المخلوقات ٣٠٩ . وبعض القويين يجعلهما نوعاً واحداً .

(٨) الذى فى نوادر أبى زيد ١٢٣ : « شمير بن الحارث الضبى » وضبط « شمير » =

وَنَارٍ قَدْ حَضَاتُ بُعِيدَ هُدًى بدارٍ لا أريدُ بها مُقَامًا^(١)
سوى تحليلٍ راحلةٍ وعَيْنٍ أَكَالُهَا خَافَةٌ أَنْ تَنَامًا^(٢)
أَتَوْا نَارِي ۖ فَقُلْتُ مَنُونَ أَنْتُمْ فقالوا: الجنُّ! قلت: عَمَّوْا ظَلَامًا^(٣)
فقلت: إلى الطَّعامِ، فقال منهم زَعِيمٌ: نَحْسُدُ الْإِنْسَ الطَّعَامًا^(٤)

وهذا غلط وليس من هذا الباب . وسنَضَعُهُ في موضعه إن شاء الله

تعالى^(٥) . بل الذي يقع ههنا قولُ أبي المطراب عبيدِ بنِ أيُّوبَ^(٦) :

بهشة التصغير . وقال أبو الحسن في ١٢٤ : « حَفَظِي سَمِيرَ » أى بالسين . وانظر
الخرزانة (٣ : ٣ بولاق) . وجاء في الحيوان (٦ : ١٩٦) : « شمير بن الحارث
الضبي » ومثله في اللسان (من) . ونسبه في (غير) إلى تأبط شرا .

(١) حَضَاتُ : أشعلت . هـ : « حَضَاتُ » مصحفة . والهدء ، بالضم والفتح : أن تهدأ الرجل
والليل . س : « هذا » محرفة .

(٢) في شرح نوادر أبي زيد ١٢٦ : « سوى تحليل راحلة ، أراد سوى راحلة أقت بها فيها »
بقدر تحلة العين . « وتحلة العين » : مثل في القليل المفرط القلة . وهو أن يباشر من الفعل
اللى يقسم عليه المقدار الذى يبربه قسمه ويحلله . مثل أن يحلف على النزول بمكان ، فلو
وقع به وقمة خفيفة أجزأته ، فتلك تحلة قسمه . انظر اللسان . وروى : « سوى ترحيل
راحلة » أى إزالة للرحل عن ظهرها . وروى في المخصص (١ : ٩٤) الميداني (١ :
٣٢٠) مع نسبته في الأخير إلى تأبط شراً : « وغير » أَكَالُهَا خَافَةٌ أَنْ يَنَامَا . وفي
الخرزانة عن المفضل « وغير أَكَالُهَا خَافَةٌ أَنْ تَنَامَا » . والعير ، بالفتح : إنسان العين ،
يذكر ويؤنث .

(٣) مَنُونَ أَنْتُمْ : أى من أنتم . وانظر تفصيل القول في هذه اللغة في لسان العرب
(من) .

(٤) إلى الطَّعامِ : أى هلموا إليه .

(٥) برّ الجاحظ بوعده . وأعاد ذكر الأبيات في موضعها . انظر الحيوان
(٦ : ١٩٦) .

(٦) عبيد بن أيوب : شاعر من بني العنبر . كان يجبر في شعره أنه يرافق الغول والسحابة ،
ويبايت الذئاب والأفاعى^٦ ، ويؤاكل الظباء والوحش . الشعراء ٧٥٨ - ٧٦١ .

فَلَّهْ دُرُّ الْغُولِ أَيْ رَفِيقَةٌ لِصَاحِبِ قَفْرِ خَائِفٍ مُتَقَفِّرٍ ^(١) ١٥٤
أَرْنَتْ بِلَحْنٍ بَعْدَ لَحْنٍ وَأَوْقَدَتْ حَوَالِي نِيرَانًا تَبُوخُ وَتَزْهَرُ ^(٢)

(نار الاحتیال)

وما زالت السَّدَنَةُ تَحْتَالُ لِلنَّاسِ جَهَةَ النَّيْرَانِ بِأَنْوَاعِ الْحِيلِ ، كاحتیال
رُهْبَانِ كَنِيسَةِ الْقَمَامَةِ ^(٣) ببيت المقدس بمصاييحها ، وَأَنَّ زَيْتَ قَنَادِيلِهَا
يَسْتَوْقِدُ لَهُمْ ^(٤) من غير نَارٍ ، في بعض ليالى أعيادهم .

قال : وبمثل احتیال السَّادِنِ ^(٥) لخالد بن الوليد ، حين رماه بالشَّرَرِ ،

- (١) المتقفر : الذى يتبع آثار الصيد ونحوه . في الأصل : « در القول » صوابه ما أثبت من
الحيوان (٥ : ١٢٣) والشعراء ٧٥٨ والمسدودى (١ : ٣٢٨) وأصل إعجاز القرآن
للباقلافي ٤٣ وتنزيل الآيات ٩٣ . ط ، س : « أى رقيقة » . صوابه : « رقيقة » أى
صاحبه ، كما في هـ والمراجع المتقدمة . وفي الشعراء « يتسر » بدل « متقفر » .
(٢) أرنت : من الإرنان ، وهو التصويت . في الأصل : « أذنت » صوابه في المراجع . ط :
« حوالى نيران » صوابه في س ، هـ ، والمصادر السابقة ، قال المسعودى ، « كانت
العرب قبل الإسلام تزعم أن الغيلان توقد بالليل النيران للعبث والتخيل واختلال السابلة » .
وانظر الحيوان (٥ : ١٢٣) . تبوخ : تسكن وتقفّر . تزه : تضيء ، وبابه منع .
والمعنى : أنها تحبب قارة وتشتمل أخرى . وهذه رواية الأصل والشعراء وإعجاز القرآن
وتنزيل الآيات . وفي مروج الذهب والحيوان ج ٥ : « تلوح وتزه » . وفي هذا
البيت إقواء ، فإنه مروي مع أبيات خمسة أخرى مكسورة الروى . انظر الحيوان
(٦ : ٥٠) .

- (٣) هى كنيسة للقيامة : أعظم كنيسة للنصارى بالبيت المقدس . ورجح ياقوت في معجم البلدان
تسميتها : كنيسة القيامة ، بالضم . في الأصل : « القمة » محرفة . صوابها من الحيوان
(٦ : ٢٠٢) ومعجم البلدان . وجاء في التنبيه والإشراف ١٢٣ : « وبنت هيلاني ،
بإيليا : الكنيسة المعروفة بالقيامة في هذا الوقت ، التى يظهر منها النار في يوم السبت
الكبير الذى صبحه الفصح » .

- (٤) يقال اتقدت النار وتوقدت واستوقدت . القاموس . في الأصل : « تستوقد » .

- (٥) يريد سادن العزى . وكانت العزى ثلاث شجرات من سمر ، فأرسل النبي =

ليوهمه أَنَّ ذلك من الأوثان ، أو عقوبة على ترك عبادتها وإنكارها ،
والتعرض لها ؛ حتى قال :

يَا عِزُّ كُفْرَانِكَ لَا سُبْحَانَكَ إِنِّي وَجَدْتُ اللَّهَ قَدْ أَهَانَكَ^(١)
حَتَّى كَشَفَ اللَّهُ ذَلِكَ الْغِطَاءَ ، مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(نار الصيد والبيض)

ونار أخرى ، وهى النار التى توقد للظباء وصيدها . لتعشى إذا أدامت
النَّظَرَ . وتجعل من ورائها . ويطلب بها بيض النعام فى أفاحيصها ومكناها^(٢) .
ولذلك قال طُفَيْلُ الْغَنَوِيِّ :

عَوَازِبُ لَمْ تَسْمَعْ نُبُوحَ مَقَامَةٍ وَلَمْ تَرَ نَارًا تِيمَ حَوْلٍ مُجَرَّمٍ^(٣)
سِوَى نَارِ بَيْضٍ أَوْ غَزَالٍ بِقَفْرَةٍ أَغْنَى مِنَ الْخُنُوسِ الْمَنَاحِرِ تَوَامٍ^(٤)

= صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد ليضدها ، وذلك يوم فتح مكة . انظر بقية الخبر
والزعم فى الأصنام ٢٥ وثمار القلوب ١٧ وخزانة البغدادى (٣ : ٢٤٢ - ٢٤٤
بولاق) . والعزى ، فى لفظها : تأنيث الأعز .

(١) روى فى المخصص (١٥ : ١٩٠) :

كفرانك اليوم ولا سبحانك الحمد لله الذى أهانك

(٢) مكناها ، بفتح الميم وضم الكاف وكسرهما ، أو بضمهما . والمكناات : الأمكنة ومنه
الحديث : « أقروا الطير على مكناها » . انظر التفصيل فى لسان العرب (مكن) .
قال الزنجشیری : « ويروى : مُكْنَاتِهَا ، جمع مُكْنٌ . ومُكْنٌ : جمع مكان
كصُعْدَاتٍ فى صُعْدٍ ، ومُحَرَّاتٍ فى حُمَرٍ » .

(٣) س ، هـ : « بنوح مقامة » محرف . وانظر تحقيق البيت وشرحه فى ص ٣٤٨ .

(٤) انظر رواية البيت وشرحه وتحقيقه فى ص ٣٤٨ .

وقد يُوقِدُونَ النَّيرانَ يَهْوِلُونَ بِهَا عَلَى الْأَسَدِ إِذَا خَافُوهَا . وَالْأَسَدُ إِذَا
عَايَنَ النَّارَ حَدَّقَ إِلَيْهَا وَتَأَمَّلَهَا ، فَمَا أَكْثَرَ مَا تَشْغَلُهُ عَنِ السَّابِلَةِ (١) .

(قصة أبي ثعلب الأعرج)

وَمَرَّ أَبُو ثَعْلَبٍ (٢) الْأَعْرَجُ ، عَلَى وَادِي السَّبَاعِ ، فَعَرَّضَ لَهُ سَبْعَ ، فَقَالَ
لَهُ الْمُكَارِي : لَوْ أَمَرْتُ غُلَمَانَكَ فَأَوْقَدُوا نَارًا ، وَضَرَبُوا عَلَى الطَّسَاسِ (٣) !
فَفَعَلُوا فَأَحْجَمَ عَنْهَا (٤) . فَأَنْشَدَنِي لَهُ ابْنُ أَبِي كَرِيمَةَ ، فِي حَبِّهِ بَعْدَ ذَلِكَ لِلنَّارِ ،
وَمَدَحِهِ لَهَا وَلِلصَّوْتِ الشَّدِيدِ ، بَعْدَ بَغْضِهِ لَهَا (٥) وَهُوَ قَوْلُهُ :

فَأَحْبَبْتُهَا (٦) حُبًّا هَوَيْتُ خِلَاطَهَا وَلَوْ فِي صَمِيمِ النَّارِ نَارِ جَهَنَّمَ
وَصِيرْتُ أَلَذَّ الصَّوْتِ لَوْ كَانَ صَاعِقًا وَأَطْرَبُ مِنْ صَوْتِ الْحِمَارِ الْمُرْقَمِ (٧)
وَرَوَى أَنَّ أَعْرَابِيًّا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْبَرْدُ ، فَأَصَابَ نَارًا ، فَدَنَا مِنْهَا لِيَصْطَلِيَ
بِهَا (٨) ، وَهُوَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ لَا تَخْرِمْنِيهَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ !

(١) سبق مثل هذا الكلام في ص ٣٤٩ . وقد سمي الثعالبى هذه النار : « نار التهويل » . ثمار
القلوب ٤٦٠ .

(٢) في الأصل : « ابن ثعلب » وفي ثمار القلوب ٤٦١ : « أبو ثعلب » . وجاء في الحيوان
(٦ : ١٦٦) : « وكان من العرجان الشعراء أبو ثعلب » وهو كليب بن الغول
وانظر ما كتب في هامش أصل معجم المرزباني ٣٥٤ — ٣٥٥ وكذا ما جاء في نهاية مادة
(ا ي ر) من لسان العرب .

(٣) الطساس : جمع طس ، بالفتح ، وهو الطست .

(٤) في ثمار القلوب : « وأحجم عنهم الأسد » .

(٥) في الأصل : « لها » ، والصواب ما أثبت موافقاً ما في ثمار القلوب .

(٦) ط : « فأحببتها » ، صوابه في س ، ه و ثمار القلوب .

(٧) ينعت الحمار الوحشي بالمرقم ، لأنه مخطط القوائم .

(٨) س : « فدنا ليصطلي منها » .

(حيرة الضفدع عند رؤية النار)

وفما إذا أبصر النَّارَ اعترته الحيرة ، الضفدعُ ؛ فإنه لا يزال يَنقُ
فإذا أبصر النَّارَ سَكَتَ .

(نار الحباحب)

ومن النيران « نار الحباحب »^(١) وهى أيضاً « نار أبى الحباحب » .
وقال أبو حية :

تعرس فى تغريبه فإذا انحنى عليهن فى قفٍ أرنت جنادله^(٢)
١٥٥ وأوقد نيران الحباحب والتقى غصى تراقى بينهن ولولته^(٣)

وقال القطامي فى نار أبى الحباحب :

تُحَوِّدُ تحويد النعماء بعد ما تصوّبت الجوزاء قصد للمغارب^(٤)

(١) الحباحب ، يضم الحاء الأولى ، سيفسرها الجاحظ .

(٢) فى الشطر الأول تحريف . والقف ، بالضم : الأرض ذات حجارة عظام . أرنت : صوتت . ط ، ه : « أرنت » س : « أرنتا » محرفتان . والجنادل : الحجارة الكبيرة . جعلها تصوت مما يضرب بعضها فى بعض .

(٣) الغضى : نبت شديد النار تبقى ناره طويلا . وفى الأصل : « عصا » صوابه فى تنزيل الآيات ٩٣ . تراقى : تتصاعد . واللؤلؤ : الأصوات ؛ جمع ولولة .

(٤) خود البعير والظلم : أسرع وأمتز فى مشيه . وفى الأصل ، وهو هنا ط ، ه ؛ لأن البيت ساقط من س : « تجرد تجريد » وتصحيحه من الديوان ٣ . وأمالى ابن الشجرى (٢ : ٦٠ حيدر آباد) . والجوزاء : نجم . تصوبت قصد المغارب : انحدرت ومالت إلى المغيب . يقول : تلك الناقة قد سارت ليلتها وهى بعد ذلك تواصل سيرها السريع بعد تصوب الجوزاء حين يعتري السكالك كل شيء ، فهى محتفظة أبداً بنشاطها . وإنما تصوب الجوزاء وقت الغداة . ط : « تصوت » صوابه فى ه والمرجعين السابقين . وفى الأصل : « قصر » صوابه فى الديوان والأمالى .

ألا إنما نِيرَانُ قَيْسٍ إِذَا اشْتَوَتْ لَطَارِقِ لَيْلٍ مِثْلُ نَارِ الْحَبَابِ^(١)
ويصفون ناراً أخرى ، وهي قَرِيبَةٌ مِنْ نَارِ أَبِي الْحَبَابِ . وكلُّ نَارٍ
تَراها الْعَيْنُ لَا حَقِيقَةَ لَهَا عِنْدَ التَّمَاثُلِ ، فَهِيَ نَارُ أَبِي الْحَبَابِ . وَلَمْ أَسْمَعْ
فِي أَبِي حَبَابٍ نَفْسَهُ شَيْئاً^(٢) .

(نَارُ الْبَرْقِ)

وَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ ، وَذَكَرَ الْبَرْقُ :

نَارٌ تَعُودُ بِهِ لِلْعُودِ جِدَّتُهُ وَالنَّارُ تُشْعِلُ نِيرَاناً فَتَحْتَرِقُ

(١) فِي الْأَصْلِ : « أَلَا إِنَّمَا نِيرَانُ قَيْسٍ إِذَا اشْتَوَتْ » وَتَصْحِيحُ الْكَلِمَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ
الْدِّيَوَانِ وَأَمَالِي ابْنِ الشَّجَرِيِّ وَثَمَارِ الْقُلُوبِ ٤٦٣ الْخَصَصُ (١١ : ٢٨)
وَاللَّسَانُ (حَبَابٌ) وَالْخَزَانَةُ (٣ : ١٩٠ بُولَاقٌ) وَأَمثالُ الْمِيدَانِيِّ (٢ : ٨٦) .
وَأَمَّا « اشْتَوَتْ » فَهِيَ مُحَرَّفَةٌ عَمَّا أَثْبَتَ . وَاشْتَوَتْ : صَنَعَتْ شَوَاءً . وَمِثْلُ هَذِهِ
الرَّوَايَةِ رَوَايَةُ الْخَزَانَةِ (٣ : ٢١٣ بُولَاقٌ) : « إِذَا اشْتَوُوا » . وَقَيْسٌ تَوَثَّنَ
بِاعْتِبَارِ الْقَبِيلَةِ . وَالرَّوَايَةُ الْجَيِّدَةُ : « إِذَا اشْتَوَا » أَيْ أَقَامُوا شَتَاءً . وَهِيَ رَوَايَةُ
جَمِيعِ الْمَصَادِرِ الدَّالَّةِ وَكَذَلِكَ الْعَقْدُ (٤ : ٢٢٤) وَفِيهِ : « أَلَا إِنَّمَا » تَحْرِيفٌ .
وَهُوَ قَدْ شَهِدَ قَيْسُ عِيْلَانُ ؛ لِأَنَّهُ مَرَّقَ بَعْضَ أَسْفَارِهِ بِامْرَأَةٍ مِنْ مُحَارِبِ بْنِ قَيْسٍ
فَاسْتَقْرَاهَا - أَيْ طَلَبَ مِنْهَا الْقَرَى - فَقَالَتْ : أَنَا مِنْ قَوْمٍ يَشْتَوُونَ الْقَدَمَ مِنَ الْجُوعِ .
قَالَ : وَمِنْ هَؤُلَاءِ وَيَحْكُ ؟ قَالَتْ : مُحَارِبٌ . وَلَمْ تَقْرَهُ ! فَبَاتَ عِنْدَهَا
بِأَشْرَ لَيْلَةٍ ، وَصَنَعَ فِيهَا الْقَصِيدَةَ . أَمَالِي ابْنِ الشَّجَرِيِّ (٢ : ٥٨) وَالْخَزَانَةُ
(٣ : ١٨٩ - ١٩٠ بُولَاقٌ) . وَقَدْ نَسَبَ الْبَيْتَ فِي اللَّسَانِ (حَبَابٌ) إِلَى النَّابِغَةِ .
وَهُوَ خَطَأٌ .

(٢) هَكَذَا تَتَكُونُ أَمَانَةُ الْعِلْمِ . وَمِثْلُهُ مَا قَالَهُ أَبُو حَنِيفَةَ : « لَا يَعْرِفُ حَبَابٌ وَلَا
أَبُو حَبَابٍ . وَلَمْ نَسْمَعْ فِيهِ عَنِ الْعَرَبِ شَيْئاً » . اسْكُنْ جَاءَ فِي الْخَصَصِ (١١ :
٢٨) نَقْلًا عَنْ صَاحِبِ الْعَيْنِ : « كَانَ أَبُو حَبَابٍ رَجُلًا مِنْ مُحَارِبٍ خَصَفَةٍ .
وَكَانَ بِخَيْلٍ لَا يُوَقِّدُ نَارَهُ إِلَّا بِحَطْبِ شَخْتٍ » . وَمِثْلُهُ فِي اللَّسَانِ . وَزَادَ :
« لَنَلَا تَرَى » . وَفِي اللَّسَانِ : « وَقِيلَ اسْمُهُ حَبَابٌ فَضَرَبَ بِنَارِهِ الْمِثْلَ ؛ لِأَنَّهُ
كَانَ لَا يُوَقِّدُ إِلَّا نَارًا ضَعِيفَةً مَخَافَةَ الضَّيْفَانِ » . وَفِي الْخَصَصِ : « وَزَعَمَ قَوْمٌ أَنَّ -

يقول : كلُّ نارٍ في الدُّنيا فهي تحرق العِيدانَ وتَبْطُلُها وتَهْلِكُها ،
إلاَّ « نار البرق » ، فإنَّها تَجِيءُ بالغَيْثِ . وإذا غِيِثَ^(١) الأرضُ ومُطِرَتْ
أَحَدَثَ اللهُ للعِيدانِ جِدَّةً ، وللأشجارِ أَغْصَاناً لم تكن .

(نار اليراعة)

ونارٌ أخرى ، وهي شبيهةٌ بنار البرق ، ونارٌ أبي حجاب ، وهي
« نار اليراعة » . واليراعة : طائر صغير ، إن طار بالنَّهار كان كبعض الطَّير ،
وإن طار بالليل كان كأنَّه شهابٌ قُذِفَ^(٢) أو مصباحٌ يطير .

(الدفء بروية النار)

وفي الأحاديثِ السَّائرة المذكورة في الكتب ، أنَّ رَجُلًا أُلْقِيَ في ماءٍ
راكِدٍ^(٣) في شتاءٍ باردٍ ، في ليلةٍ من الخنَادِسِ^(٤) ، لا قمر ولا ساهور^(٥) -
وإنما ذكر ذلك ؛ لأنَّ ليلةَ العَشرِ^(٦) والبدر والطوق الذي يستدير حول
القمر ، يكون كاسيراً^(٧) من برْد تلك الليلة - قالوا : فما زال الرجلُ حيًّا

= أبا حجاب وحجاب اليراع ، وهو فراشة إذا طارت بالليل لم يشك من لم يعرفها
أنها شررة طارت من نار .

(١) غِيِثَ الأرض : أصابها الغيث . والغيث ، بالفتح : المطر . ط ، هـ : « غِيِثَ »
صوابه في س .

(٢) أى الكوكب الذى ينقض على إثر الشيطان بالليل ويقذف به . وفى الكتاب : « إلا من
خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب » .

(٣) راكِد : ساكن لا يتحرك . س : « بارِد » .

(٤) الخنَادِس : ثلاث ليالٍ من الشهر مظلمات .

(٥) الساهور : التسع البواقي من الشهر .

(٦) أى العشر الليالى . س ، هـ : « العسر » ، صوابهما في ط .

(٧) كاسراً : أى مضغفاً ومخففاً . ط ، هـ : « كاسداً » بالذال ، صوابه في س .

وهو في ذلك تَارِزٌ^(١) جامِد ، ما دام ينظر إلى نَارٍ ، كانت تَجَاهَ وجهه في القرية ، أو مصباح . فلما طَفِثَتْ انْتَفَضَ^(٢) .

(نار الخلعاء والهَرَّاب)

وقال الشاعر :

ونارٍ قَبِيلَ الصُّبْحِ بَادَرَتْ قَدْحَهَا حَيَا النَّارِ قَدْ أَوْقَدَتْهَا لِلْمُسَافِرِ^(٣)

يقول : بَادَرَتْ اللَّيْلُ ، لِأَنَّ النَّارَ لَا تُرَى بِالنَّهَارِ ، كَأَنَّهُ كَانَ خَلِيعاً أَوْ مَطْلُوباً^(٤) :

وقال آخر :

وَدَوِّيَّةٌ لَا يَتَقَبَّ النَّارَ سَفَرُهَا وَتَضْحِي بِهَا الْوَجَنَاءُ وَهِيَ لَهَيْدٌ^(٥)

كَأَنَّهُمْ كَانُوا هُرَّاباً ، فَن^(٦) حَتَمَ السَّيْرَ لَا يُوقِدُونَ لِبُرْمَةٍ وَلَا مَلَّةٍ ،

(١) التارز : الصلب الشديد . وفي الأصل : « يارد » ، وإذا يفسد المعنى ، ووجه ما أثبت .

(٢) طَفِثَتْ النار ، كسَمِعَ ، طَفَّوْا : ذهب لها ، كَانْطَقَات . وانتفض : ارتعد ، أى من البرد . وفي الأصل : « انطفأ » وهو تحريف .

(٣) أنشد هذا البيت صاحب اللسان في (١٨ : ٢٣٣) وقال في تفسيره : « قوله : حيا للنار : أراد حياة النار ، فحذف الهمزة . ط ، هـ : « خبا » ، صوابه من س واللسان .

(٤) الخليع : الرجل قد خلعه أهله ، فإن جنى لم يطالبوا بجنايته . والمطلوب : من يطلبه السلطان ليأخذه بجنايته .

(٥) أنقب النار : أشعلها . س : « تنقب » . والسفر : المسافرين . والوجناء : الناقة الشديدة . واللهيد : المجهدة المتعبة . في الأصل : « نهيد » بالنون ، ولا وجه له ، والصواب ما أثبت . واللهيد ، وصف يستوى فيه المذكر والمؤنث ؛ لأنه فعيل بمعنى مفعول . وانظر المزهري (٢ : ١٣٥) فيما جاء من صفات المؤنث من غير هاء .

(٦) ط : « من » وأثبت ما في س ، هـ .

لأن ذلك لا يكون إلا بالنزول والتمكث ، وإنما يجتازون بالبسيمة^(١) ،
أو بأدنى عُلقة^(٢) . وقال بعضُ اللصوص^(٣) :

ملساً بذودِ الخَدِيِّ مَلْساً^(٤) نَبَّهْتُ عَنْهُنْ غَلاماً غُصّاً^(٥)
لَمَّا تَغَشَّى فَرْوَةً وَحِلْساً^(٦) مِنْ غُدُوَةٍ حَتَّى كَأَنَّ الشَّمْسَ^(٧)
بِالْأَفُقِ الْغَرْبِيِّ تُسَكِّسِي وَرْساً لَا تَخْبِزَا خَبْزاً وَبُسّاً بَسّاً^(٨)

١٥٦

(١) البسيمة : بالفتح ، سيفرها الجاحظ . يقال بس البسيمة : صنها . ط ، س « بالبسيمة » .
هـ : « بالبسيمة » صوابها ما أثبت . وانظر اللسان (بس) .

(٢) العُلقة ، بالضم : كل شيء يتبلغ به .

(٣) هو المفهون العقيلي ، أحد بنى المنتقق ، وأحد لصوص العرب .

(٤) ملس بالإبل ملسا : ساقها في خفية . والذود ، بالفتح : جماعة الإبل . والخدسي
يعني الرجل الخدسي الذي سرقوا إبله . والخدسي ، بالتحريك : نسبة إلى بني
خدس ، حى من الين . والبيت محرف في الأصل . ط ، هـ : « ملسا برود
الحى مئى » س : « يرود الحى مئى » صوابها في اللسان (خدس) ومعجم
المرزبانى ٤٩٢ والمخصص (٧ : ١٢٧) . وفي اللسان (ملس) : « بذود
الخدسي » محرف .

(٥) عَنْهُنْ : أى عن الإبل . والغس ، بفهم الفين : الضميف اللثيم . وفي الأصل : « قاسا »
صوابه من نوادر أبي زيد ١٢ ، ٧٠ . وفي معجم المرزبانى : « جبسا » . والجبس ،
بالكسر : النؤوم الكسلان .

(٦) تَغَشَّى الشيء : تغطى به . والجلس ، بالكسر والتحريك ، مثل شبه وشبه ومثل ومثل .
وهو ما يبسط تحت حر المتاع من مسح ونحوه ، أو الكساء الذى على ظهر البعير
تحت القتب .

(٧) مثاه في المخصص (٧ : ١٢٧) . وفي معجم المرزبانى : « من بكرة » .

(٨) في الأصل : « بالأفق الشرقى » صوابه من المخصص (٧ : ١٢٧) . وفي معجم المرزبانى
وتهذيب الألفاظ ٦٣٦ : « بالأفق الغورى » محرف . وجعل الشمس كأنها مكسوة
بالورس . والورس ، بالفتح : نبت له نور لونه يشبه الزعفران . ط : « تكسا »
س ، هـ : « تكسا » صوابه في معجم المرزبانى ونوادر أبي زيد ١١ . ورواية المخصص
ونوادر أبي زيد : « تطل ورسا » . ومثله في المعنى قول أسقف نجران في الشمس — وقد
سبق في (٣ : ٨٨) — :

وطلوعها بيضاء صافية وغروبها صفراء كالورس

(٩) رواء المرزبانى : « لا توقدا نارا » . وفسره بقوله : « لا توقدا نارا لتخبزا فتبطنا »

ولا تُطِيلَا بُمُخَارَ حَبَسَا وَجَنَّبَاهَا أَسَدًا وَعَبَسَا^(١)
قال : والبَسِيسَة^(٢) : أن يبلّ الدَّقِيقَ بشيء حتى يجتمع ويؤكل .

(نار الوسم)

ونار أخرى ، وهى « نار الوسم^(٣) والميسم^(٤) » يقال للرجل : ما نار
لبلبك ؟ فيقول عِلَاط^(٥) ، أو خِبَاط^(٦) أو حَلَقَة^(٧) أو كَذَا وكَذَا .

(رجز لبعض اللصوص)

وقرّب بعضُ اللّصوص لبلاً من الهواشة^(٨) ، وقد أغار عليها من كلّ

= ويعرف موضعكما - فى الأصل : موضعهما - واقتصر على الإيساس وهو الحلب
وروى فى فقه اللغة ٥١ طبعة الحلبي : « لَا تَخْبِزَا خَبْزًا وَنُسًا نُسًا » وهى إحدى
روايتى ابن سيده فى المخصص (٧ : ١١٥) ورواية اللسان (مادة خبز) . وفسر
الخبز بأنه السوق الشديد . وأما النس ، بالنون ، فهو السوق الرفيق . وروى :
« لَا تَخْبِزَا خَبْزًا وَبَسًا بَسًا ، بالباء وبالمعنى الأخير . وقيل إنها خطأ ، كما جاء
فى المخصص .

(١) أسد وعبس : قبيلتان .

(٢) البسيسة ، بالفتح . والمراد عمل البسيسة . وفى الأصل : « البسيسة » تحريف .

(٣) الوسم : التعليم على الإبل بالميسم ، وهو المسكوة .

(٤) العِلَاط ، بالكسر : سمة فى عرض عنق البعير . والمطاع بالطول . وربما كان العِلَاط
خطأ ، وربما كان خطين أو خطوطاً فى كل جانب .

(٥) الخباط ، بكسر الخاء المعجمة : سمة تكون فى الفخذ طويلة عرضاً . وهى لبني سعد .

وقيل هى التى تكون على الوجه . حكاه سيبويه . ط ، هـ : « وخباط » صوابه « أو » .

س : « أو حباط » و « حباط » محرفة عما أثبت من ط ، هـ .

(٦) الحلقة ، بالفتح : سمة على شكل الحلقة ، فى الفخذ أو أصل الأذن . ط ، س

« جلقة » صوابه فى هـ . وانظر باباً مفصلاً فى سمات الإبل ، فى المخصص (٧ :

١٥٤ - ١٥٦) .

(٧) هاشت الإبل هوشا : نفرت فى الغارة فتبددت وتفرقت . وإبل هواشة : أخذت =

جانب ، وَجَمَعَهَا مِنْ قِبَائِلَ شَتَّى ، فَقَرَّبَهَا إِلَى بَعْضِ الْأَسْوَاقِ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ
التَّجَّارِ : مَا نَارُكَ ؟ وَإِنَّمَا يَسْأَلُهُ عَنْ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ بِمِيسْمِ كُلِّ قَوْمٍ كَرَمَ
إِبْلِهِمْ مِنْ لَوْمِهَا . فَقَالَ :

تَسَأَلُنِي الْبَيَاعَةَ مَا نِجَارُهَا إِذْ زَعَزَعُوهَا فَسَمَتُ أَبْصَارُهَا^(١)
فَكُلُّ دَارٍ لِنَاسٍ دَارُهَا وَكُلُّ نَارٍ الْعَالَمِينَ نَارُهَا
وَقَالَ الْكَرْدُوسُ الْمَرَادِيُّ^(٢) :

تَسَأَلُنِي عَنْ نَارِهَا وَنِتَاجِهَا وَذَلِكَ عِلْمٌ لَا يُحِيطُ بِهِ الطَّمْشُ^(٣)
وَالطَّمْشُ^(٤) : الْخَلْقُ . وَالْوَرَى^(٥) : النَّاسُ خَاصَّةً .

تَمَّ الْمَصْحَفُ^(٦) الرَّابِعُ مِنْ كِتَابِ الْحَيَوَانَ ، وَيَلِيهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى
الْمَصْحَفُ الْخَامِسُ . وَأَوَّلُهُ . نَبْدًا فِي [هَذَا] الْجُزْءِ بِتِمَامِ الْقَوْلِ فِي نِيرَانِ الْعَجَمِ
وَالْعَرَبِ ، وَنِيرَانِ الدِّيَانَةِ ، وَمَبْلَغِ أَقْدَارِهَا .

= مِنْ هُنَا وَهُنَا . لِسَانُ الْعَرَبِ . وَفِيهِ : « وَالْهَوَاشَاتُ ، بِالضَّمِّ : الْجَمَاعَاتُ مِنَ النَّاسِ

وَمِنَ الْإِبِلِ ، إِذَا جُمِعُوا فَاخْتَلَطَ بِمِزْجِهَا بِمِزْجِ . وَفِي الْأَصْلِ : « النَّوَاسَةُ » مَحْرَفٌ .

(١) زَعَزَعُوهَا : سَاقَوْهَا سَوْقًا شَدِيدًا . وَفِي الْخَزَانَةِ (٣ : ٢١٣ بُولَاق) : « إِذْ

زَعَزَعْتُهَا » أَيْ زَعَزَعْتُهَا الْبَاعَةَ . وَانْظُرْ رَوَايَةَ الرَّجَزِ فِي الْخَزَانَةِ ، وَأَمْثَالَ الْمِيدَانَةِ

(٢ : ٧٤) وَمَحَاضِرَاتِ الرَّاغِبِ (٢ : ٢٩٠) .

(٢) س : « الْمَرَارَى » .

(٣) الطَّمْشُ ، بِالْفَتْحِ ، سَيْفَسِر . وَفِي ط : « الطَّمْسُ » بِالسِّينِ ، صَوَابُهُ فِي

س ، هـ .

(٤) ط : « الطَّمْسُ » . وَانْظُرِ التَّنْبِيهَ السَّابِقَ .

(٥) ط ، هـ : « الْوَدَى » ، صَوَابُهُ بِالرَّاءِ كَمَا فِي س .

(٦) ط فَقَطْ : « تَمَّ هَذَا الْمَصْحَفُ » .

تذييل واستدراك

صفحة سطر

- ٢٧ ١ كلمة « الشُّبُّور » مأخوذة من العبرية ، ولعلَّ أوَّل من انتبه إلى أصل هذه الكلمة هو ابنُ الأثير في مادة (شبر) ونقل ذلك عنه صاحب اللسان . وهي في العبرية (שִׁבּוּר) : شُوفَار . ومعناه عندهم : البوق الذي يُستعمل في الأعياد الكبرى كمرأس السنة . والعيد الأكبر : (عيد الصَّيَّام) .
- ٢٧ ٢ « رأسُ الجالوت » المراد به : رئيسُ الجالوت . وجاء في مفاتيح العلوم ص ٢٤ للخوارزمي المتوفى سنة ٣٨٧ : « والجالوت هم الجالية ، أعنى الذين جَلَّوْا عن أوطانهم بيت المقدس . ويكون رأسُ الجالوت من ولد داودَ عليه السلام . وتزعم عائمتهم أنَّه لا يَرَأْسُ حَتَّى يَكُونَ طَوِيلَ الْبَاعِ تَبْلُغَ أُنَامِلُ يَدَيْهِ رَكْبَتَيْهِ إِذَا مَدَّهَما . قلت : وهو بالعبرية : (אֶלְיָס בֶּלְאִיָּה) : رُوش جَالُوِيُوت .
- ٨٩ ٩ في الأصل « بنى النواحة ، والصواب : « ابن النواحة » كما جاء في ص ٣٧٨ س ٩ . وقد ذكره ابن حجر في الإصابة ٦٦٤٣ قال : « عبد الله بن النواحة ، ذكره بعضُ من أُلِفَ في الصَّحَابَةِ ، فقرأتُ بخطه بما هذا لفظه : كان قد أسلم ثم ارتد فاستتابه عبدُ الله بنُ مسعودٍ فلم يَتَّبَ ، فقتله على كُفْرِهِ وَرِدَّتِهِ . والنواحة : الكثيرة النوح .

٩٣ ٣ ش مافى ط إذا صح عن الجاحظ ، كان حكاية منه لقول
العوام ، أو جريا على مذهب ضعيف فى النحو . وفى كتاب سيبويه
(٢ : ٢٩٦ س ١١ - ١٢) « وحدثنى الخليل أن ناسا يقولون :
ضربتني . فيلحقون الياء » .

٩ « ربيعة » هى زوج المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ،
وهى بنت سعيد - بالتصغير - ابن سهم . ولدت من المغيرة
عشرة رجال . الإصابة ٨٣٢٩ . وفى الإصابة : « لم ينج من بنى
المغيرة فى طاعون عمواس إلا المهاجر ، وعبد الله بن أبى عمرو بن
حفص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام . وفى ذلك يقول
المهاجر بن عبد الله » . وأنشد الأبيات ، ماعدا البيت الأول .
وانظر الرواية عنده .

١١ ١٥٥ كتب إلى الأخ الشيخ على الطالبانى الكردى بتاريخ
١٩٤٧/١٢/٢٢ كتابا جاء فيه :

« أتشرف بأن أقول لك : إننى عثرت أثناء مطالعائى لشروحك
القيمة على كتاب الحيوان لأبى عثمان الجاحظ فى الجزء الرابع
فى صفحة مئة وخمس وخمسين فى تعليقتك المرقمة بثلاثة على قولك
« الأجدهانى » إنك لم تهتد إلى ضبطها ، وقلت : هكذا بالأصل .
فإذا تنازلت فىنى أقول لكم إتماما للفائدة : إن هذه الكلمة تكتب
بالفارسية : أرثدها (بفتح الألف وتسكين الراء وكسر الدال)
وتنطق الراء الأولى - التى هى فى الأصل زاي فارسية - حسب

لغة المصريين ، بجم شديدة التعطيش . وعلى هذا فيكون ضبطها في الأصل الفارسي هكذا : « أرْ دِهَاء » بهمزة بدل النون والياء ، بينما إذا استبدلت الهمزة براء « أرْدِهَار » فيكون معناها آفة مكلوبة . ومعنى « أرْ دِهَاء » أفعى كبيرة . وهى متعارفة عند خواص الفرس : حيوان خرافى لا وجود له . وإنى أرجو أن تتقبل منى هذه الإشارة التى يعد قبولك إياها مثلاً كريماً . . . » .

١٧٤ ٤ روى فى اللسان (عرر ٢٣٦) : « عرارة هبوة » وفسر العرارة بأنها الجرادة أيضاً .

١٨٤ ٣ « وسواء علينا جعلوه كلاماً وحديثاً منشوراً أو جعلوه رجزاً وقصيداً موزوناً » . وقد يظن بعضُ الناس أن فى العبارة تحريفاً . والحق أنها صواب ، وإن كانت مخالفةً للمذهب المشهور ، وهو أن يكون فى الجملة همزة التسوية وأن يكون العطف بكلمة « أم » لا « أو » . فتقول : سواء أكان كذا أم كذا . وجاء فى المغنى (١ : ٤٢) ، « وقد أولع الفقهاء وغيرهم بأن يقولوا ، سواء كان كذا أو كذا . وهو نظير قولهم يجب أقل الأمرين من كذا أو كذا . والصواب العطف فى الأول بأم وفى الثانى بالواو . وفى الصحاح تقول سواءً على قت أو قعدت . اهـ . ولم يذكر غير ذلك . وهو سهو . وفى كامل الهدى أن ابن محيصن قرأ من طريق الزعفرانى : سواءً عليهم أنذرتهم

أَوْ لَمْ تُنذِرْهُمْ . وهذا من الشذوذ بمكان » . قلت . شذوذ هذا المذهب لا يمنع صحته . والجاحظ لإمام عارف بالكلام متمرس به وكلامه حجة . وقد استعمل هذا المذهب هنا . وجرى عليه مرة أخرى في ٣٩٩ س ٢-٣ وج ٥ ص ١٣ س ١٧ .

٨ ٢٠٣ « المحلّ باقِرّة » أخذ هذا المعنى الخطيئة في قوله :

فهل كنتُ إلّا نائياً إذ دعوتني

مُنَادَى عبيدانَ المحلّ باقِرّه

الديوان ص ٨ . ولعل هذا الاشتباه هو الذي دعا إلى تحريف

رواية بيت النابغة .

ش ١٠ ٢١٨ « عقرب » . انظر الكلام بتفصيل ، على منع صرف

ما سمي من الذكور بأسماء الإناث ، في همع الهوامع (١ : ٣٤) .

لكن « عقرب » في أصله مذكر ، وقد يؤنث . تقول : هذا

عقرب ، وهذه عقرب . فإذا روعي أصل التذكير صرف ،

وإذا روعي أصل التأنيث لم يصرف .

٣ ٢٢١ « ويقتلها الآخر » . انظر لتوضيح هذا الكلام وتعيين

المراد منه ص ١١٠ من الجزء الخامس ، وكذا نهاية الأرب

(١٠ : ١٤٨٠) .

١٥ ٢٢٢ ولادة الدّساس ، ثبت علمياً أن الدّساس وأنواعاً أخرى

من الحيات ، يكون تناسلها بطريق الولادة ، لا البيض . انظر

كتاب علم الحيوان المقرر للمدارس الثانوية المصرية ص ١١٤
طبع ١٩٣٤ .

٨ ٢٤٣ « دون صفاتها » أى دون إرادة صفاتها وملاحظتها .
٧ ٢٧٠ نباح الحية ، جاء فى المخصص (٨ : ١١٥) « الأفاحى
تكش^١ خلا الأسود ، فإنه يصفر وينسج وينسج . ونسج ،
يقال من بابى منع وضرب .

١١ ٣٢٣ ش « وكنت كالمهيق غدا بيتغى . . . » الخ . تعرض هذا
البيت للتصحيف ، فأنشده بعضهم : « فرحت كالعير غدا بيتغى »
وقد أثبت هذا التصحيف صاحب المعاهد والتنقيص ،
فى ترجمته لبشار (١ : ١٠٢) . بل بالغ فى تأكيد هذا التصحيف ،
فعقب عليه بقوله : « قوله : فرحت كالعير ، البيت ، مثل
قول بعضهم :

ذهب الحمار ليستفيد لنفسه قرنا فأب وماله أذنان » اهـ
وليت شعرى ، إن كان الحمار فاقد الأذنين ، فأى حيوان
سواه ميزه الله بطول الأذنين ؟ !

ومن العجيب أن يتغلغل هذا التحريف مع ظهور خطئه ،
وجلاء بطلانه ، بين بعض الشعراء ، فقال آخر :

كمثل حمار كان للقرن طالبا فأب بلا أذن وليس له قرن
فالظاهر أن « المهيق » تصحيف عليهم بـ « العير » ثم ترجموا
العير بـ « الحمار » فذاع الخطأ . ومن الشعر الذى يستشهد به

على أن طالب القرن النعامة ، ما أنشده الميداني — عند قولهم :

« كطالب القرن جدعت أذنه » — :

مثل النعامة كانت وهي سائمة

أذناء حتى زهاها الحنين والجنُّ

جاءت لتشرى قرناً أو تعوضه

والدَّهرُ فيه رباحُ البيع والغبنُ

فقبل أذناك ظلمٌ ثمت اصطلمت

إلى الصَّماخ ، فلا قرنٌ ولا أذن

والجنُّ ، بضميتين : الجنون ، كما في اللسان (جن ٢٤٩)

عند إنشاد البيت .

٣٥٣ ٨ ش « جعلها كالقسي في نحوها » . ومما يستشهد به على تشبيهه

الإبل المهزولة بالقسي ، قول البحتری — (انظر معاهد التنصيص

١ : ٢١٦) — :

كالقسيِّ المعطَّفاتِ بل الأثْمُ هُم مَبْرِيَّةٌ بل الأوتارِ

وقول الشريف :

خوص كأمثالِ القسيِّ نواحلاً وَإِذَا سَمَا خَطْبُ فَهَنْ سِهَامُ

٣٨٦ ٩ ش البيت من قصيدة للمتنبى يمدح بها ابن العميد ويودعه .

ومطلعها :

نسيت وما أنسى عتاباً على الصّد

ولا خفراً زادت به حمرة الخد

ورواية البيت بتمامه عند العكبرى (٢٧٧ : ١) :

وتلقى نواصيها المنايا مشيخة ورود قطا صم تشايخن في ورد
وكلمة « تشايخن » تصحح ما نقلت عن الوساطة . ومعناها
أسرعن . والبيت في صفة خيل .

٤٠٨ ١ ش « ما زالت تحت عين خرساء » تفسير الجاحظ للعبارة
يشوبه بعض الغموض والتحريف . وفي اللسان (خرس) :
« أبو حنيفة : عين خرساء وسحابة خرساء : لارعد فيها ولا برق
ولا يسمع لها صوت رعد . قال : وأكثر ما يكون ذلك في الشتاء ؛
لأن شدة البرد تخرس البرد وتطفىء البرق » .

٤١٣ ١ خلُق ، أى طبيعة . ويصح أيضاً أن تقرأ : خلُق . بمعنى
خِلْقَة .

٤٢٧ ٢ « أربعين عاماً » . كذا جاء بالأصل . وهو خطأ ، صوابه
« أربعين يوماً » . وقد جاء في الأصحاح التاسع من سفر التثنية :
« حين صعدت إلى الجبل لى أخذَ لوحى الحجر ، لوحى
العهد الذى قطعه الربُّ معكم ، أقمت في الجبل أربعين يوماً ،
وأربعين ليلة ، لا آكل خُبْزاً ولا أشرب ماء » .

٤٣٢ ١ الفصح هذه الكلمة معربة عن العبرية . وهى فى أصلها :
(פסח) وتنطق : پيسَحْ . ومعناها اللغوى : القفز ، أو العبور .
والعلة فى تسمية هذا العيد عند اليهود بهذه التسمية ، ماجاء فى سفر
الخروج (١٢ : ٢٧) : « إنكم تقولون : هى ذبيحة فصح

لرب الذى عَبَرَ عن ييوت بنى إسرائيل فى مصر ، لما ضرب
المصريّين وخلص ييوتنا » . ومعنى عبر عن ييوتهم ، أن الله
عاقب المصريين وحدهم بالضرب ، متجاوزاً ييوت بنى إسرائيل
لم يمسه بسوء . والضربة التى تشير إليها التوراة ، هى أن الله
قد أمات كل بكر من أبكار المصريين ، وكل بكر من حيوانهم
كذلك . انظر (١٢ : ٢٩ - ٣٠) . وكلمة عبر هى فى النص
العبرى للتوراة : [עבר] بآسآخ . وهذا هو الفعل العبرى
الذى أخذ منه المصدر المتقدم . فهذا أصل العيد وأصل تسميته
عند العبرانيين . وعنهم أخذ المسيحيون :

هذا ولم تشر المعاجم العربية إلى أصل الكلمة ، حسبوها
عربية للملاءمة نسجها للنسج العربى ، وهى ليست من ذلك .

نمرود بضم النون والراء وآخره دال مهملة ، كما فى القاموس
والتنبيه والإشراف ٣٤ ، ٨٢ . ويقال : نمرود بذاى معجمة فى آخره
كما فى كامل ابن الأثير (١ : ٥٣ - ٥٧) ورسائل الجاحظ ١٠٠
ساسى . وعلى هذه اللغة جاء قول ابن رشيق :

يا رَبِّ لا أقوى على دفع الأذى

وبك استعنتُ على الزّمان المودى

مَالى بَعَثَ إِلَى ألفَ بعوضةٍ وَبَعَثَ واحدةً على نمرودِ

انظر شرح القاموس .

٢ ٤٥٦ « يا أحمَدَ المرتَجَى » ضبط هذا المنادى بالفتح جائز في مذهب الكوفيِّين فقط ، وأما البصريون فيوجبون ضمّه ، إذ أن مذهب البصريين إجازة الضم والفتح في المنادى العلم الموصوف بابن متصل بالعلم مضاف إلى علم آخر . ويوافقهم الكوفيون في هذا ولكنهم يفارقونهم في إجازة الضم والفتح أيضاً في المنادى العلم الموصوف بأيّ صفة أخرى كانت غير كلمة ابن . انظر هـ مع الهوامع (١: ١٧٦) .

٧ ٤٨٧ البيت خامس أبيات خمسة رواها ابن سنده في المخصص (٩: ١٠٢) وافظ الرواية فيه .

مصر الجديدة في } أول صفر سنة ١٣٨٦
} ٢٢ من مايو سنة ١٩٦٦

كتبه

عبد السلام محمد فايز

أبواب الكتاب

صفحة

- ٥ القول في الذرّة والنمل
٣٦ باب جملة القول في القرد والخنزير
٦٠ رجع القول إلى ذكر الخنزير
١٠٧ القول في الحيات
١٢٠ ومن أعاجيب الحيات
٢٣٢ أصوات خشاش الأرض
٢٣٣ باب من ضرب المثل للرجل للذاهية وللحي الممتنع بالحية
٢٩٢ ماجاء في الحديث من الجهات
٣١٠ جملة القول في الظلم
٣٢٠ باب آخر وهو أعجب من الأول
٣٣٥ القول فيما اشتق له من البيض اسم
٤٦١ القول في النيران
٤٦٣ باب آخر
-